

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات العليا

المقاصد العقدية في مباحث السمعيات

دراسة موضوعية

أطروحه مُقدَّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه

في العقيدة والفكر الإسلامي ـ تخصص عقيدة إسلامية

من لُدن الطالبة

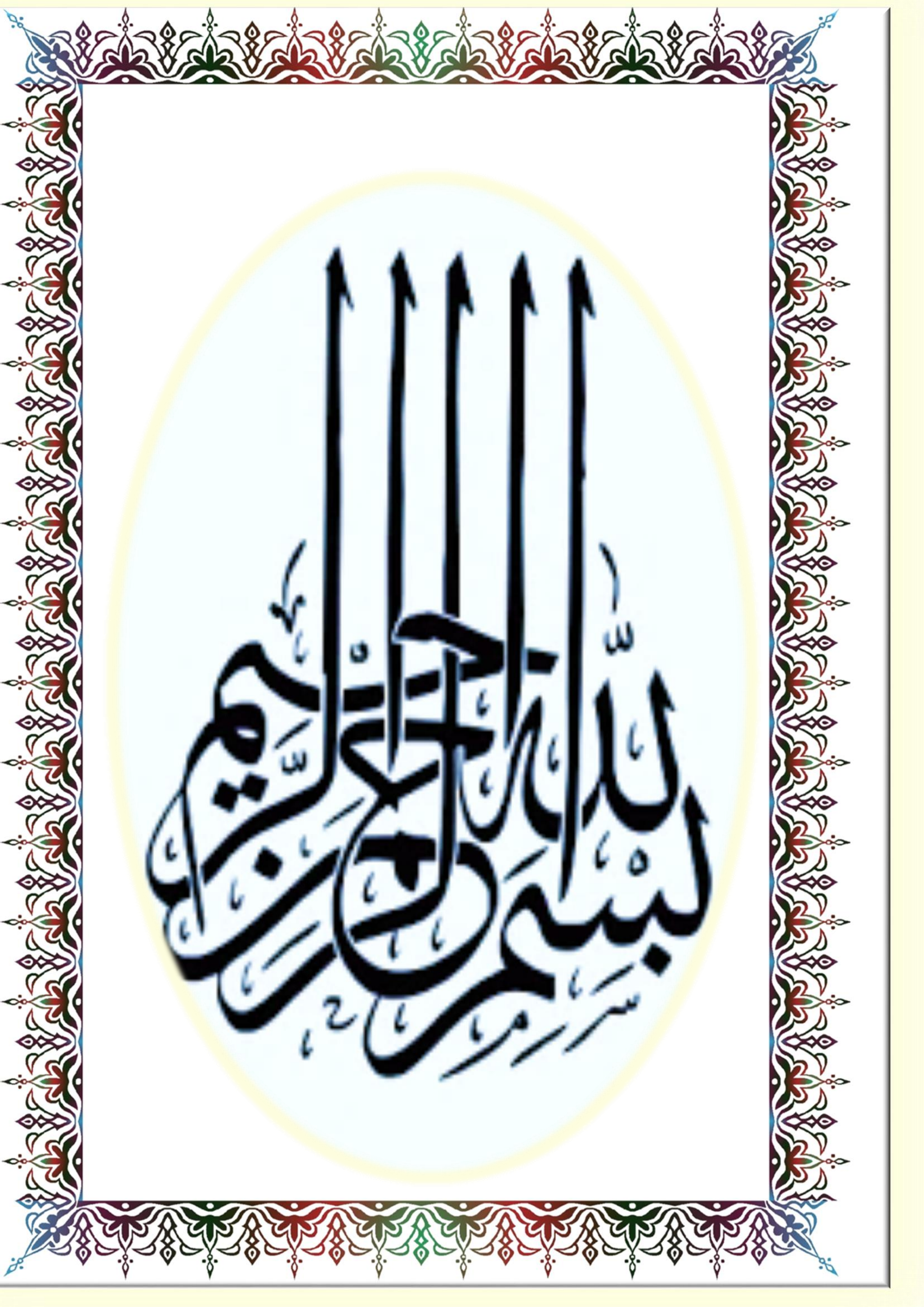
هيفاء حسين نعمه

بإشراف

الأُستاذ الدكتور

محسن قحطان حمدان

١٤٤١هـ ٢٠٢٠ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهدُ بأنَّ إعداد هذه الأطروحه الموسومة:

المقاصد العقدية في مباحث السمعيات .دراسة موضوعية

المقدمة من الطالبة هيفاء حسين نعمه، قد جرى تحت اشرافي في كلية العلوم الإسلامية ، قسم العقيدة والفكر الإسلامي .جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص العقيدة الإسلامية..

التوقيع

أ. د محسن قحطان حمدان

التاريخ ٢٠٢٠/٢/٢

وبناءً على التوصيات المتوافرة، ارشح هذه الاطروحه للمناقشة ...

التوقيع

أ. م. د إبراهيم عبد السلام ياسين

معاون العميد للشؤون العلمية

التاريخ ٢٠٢٠/٢/٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

اطلعتُ على أطروحة الدكتوراه الموسومة:

المقاصد العقدية في مباحث السمعيات. دراسة موضوعية

المقدمة من لدُن الطالبة هيفاء حسين نعمه، في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، قسم العقيدة والفكر الإسلامي. تخصص عقيدة اسلامية، وقد راجعتها وقومتها من الناحية العلمية، وهي صالحة للمناقشة، ولأجله وقعت...

التوقيع

أ. م. د عوض جدوع أحمد

التاريخ ٨/ ٣/ ٢٠٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير اللغوي

اطلعتُ على اطروحة الدكتوراه الموسومة:

المقاصد العقدية في مباحث السمعيات . دراسة موضوعية

المقدمة من لدُن الطالبة هيفاء حسين نعمه، في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، قسم العقيدة والفكر الإسلامي . تخصص عقيدة اسلامية، وقد راجعتها من الناحية اللغوية، وهي صالحة للمناقشة، ولأجله وقعت...

التوقيع

أ. د سلمان عباس عبد

التاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحنُ أعضاء لجنة المناقشة لأطروحة الدكتوراه الموسومة:

المقاصد العقدية في مباحث السمعيات ـ دراسة موضوعية

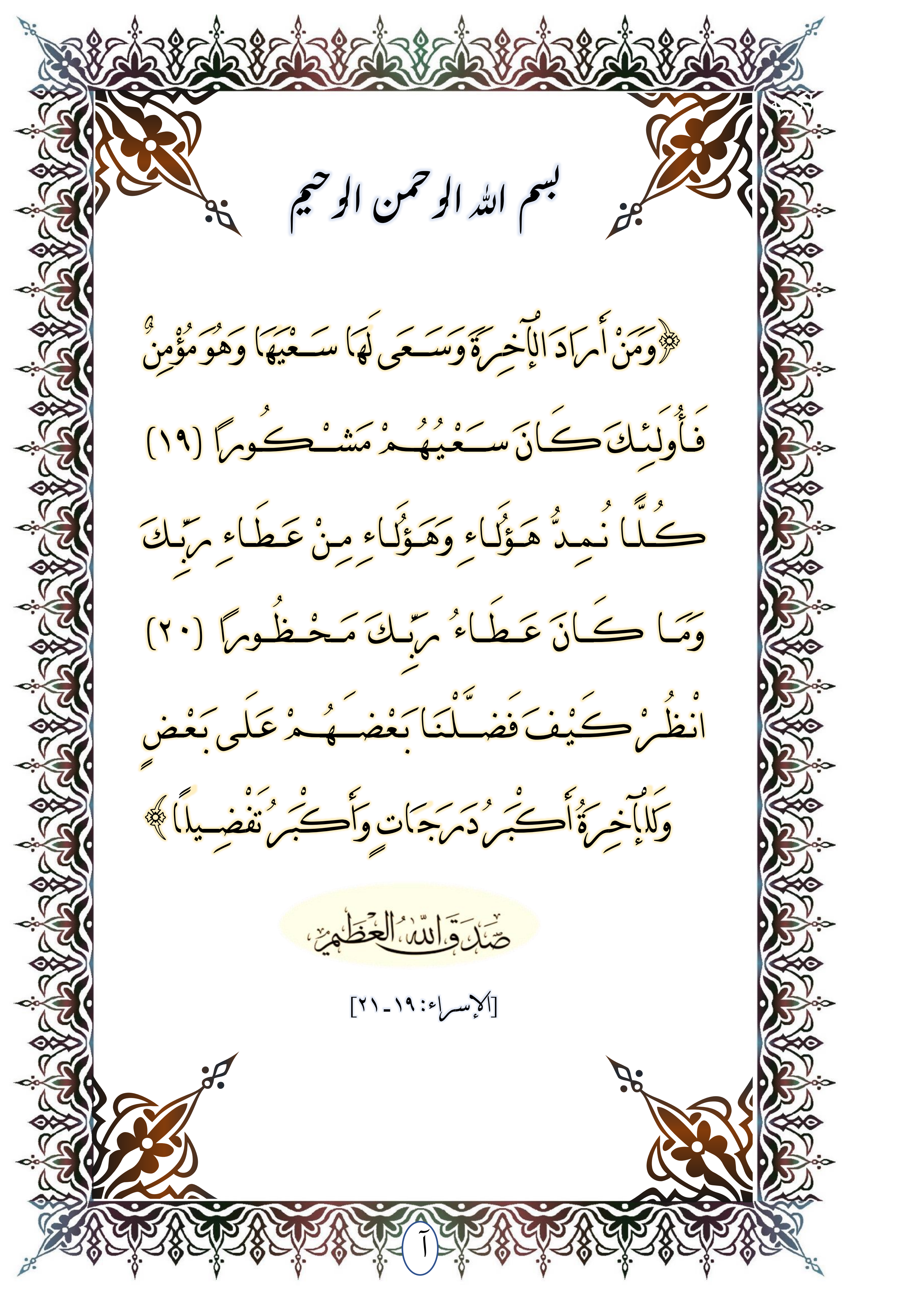
المقدمة من لدُن الطالبة هيفاء حسين نعمه ـ في قسم العقيدة والفكر الإسلامي ـ كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد، وقد اطلعنا على الأطروحة وناقشنا الطالبة في محتواها وما يتعلق بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة الإسلامية وبتقدير (امتياز)

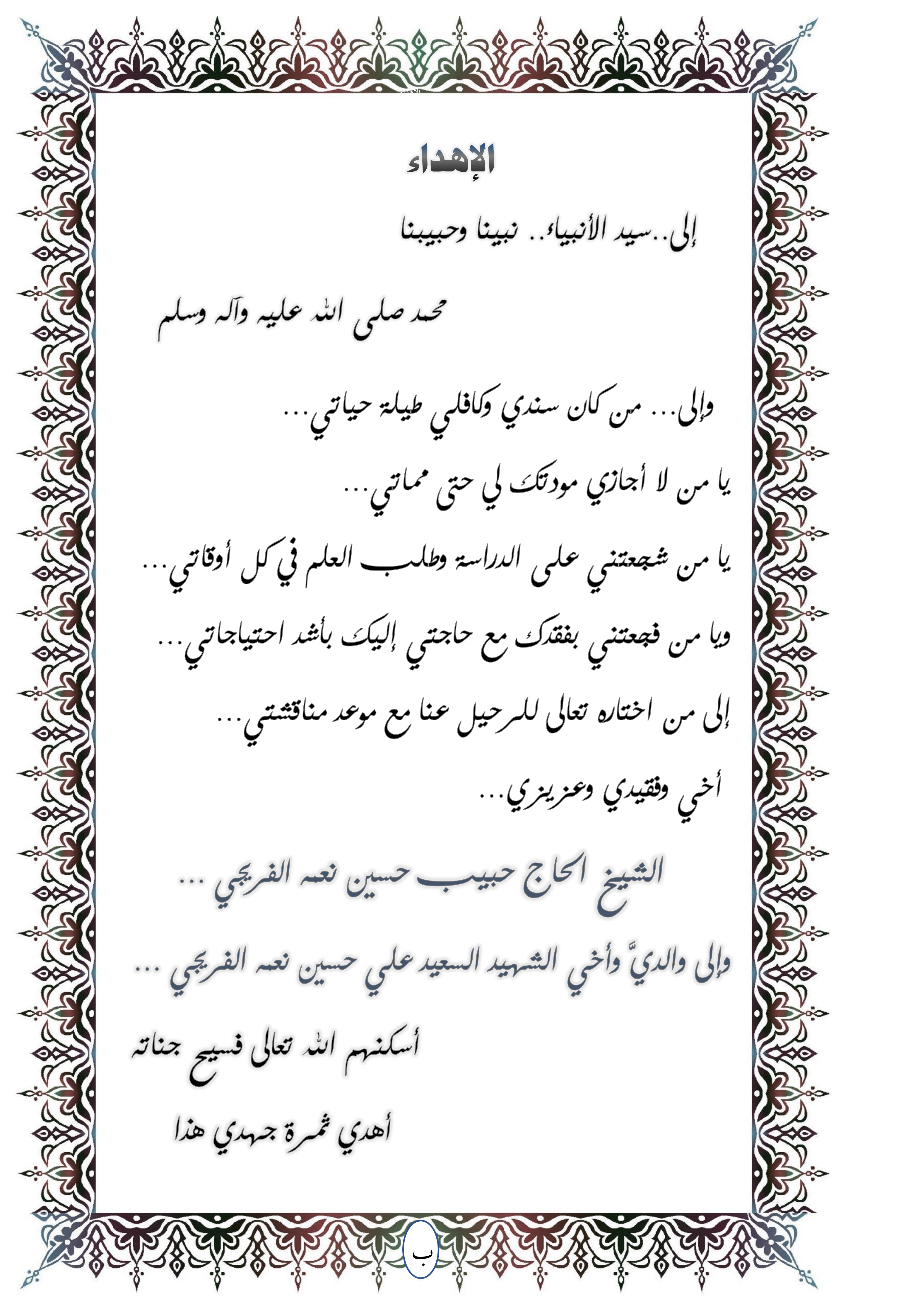
أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. ثائر إبراهيم خضير ٢٠٢٠/٦/١٥ **رئيس اللجنة**	أ. م. د. ياسين خضير مجبل **عضواً**	أ. م. د. رحيم سلوم مرهون **عضواً**
أ.د.م حبيب يعقوب محمود ٢٠٢٠/٦/١٥ **عضواً**	أ. م. د. نضال حنش شبار ٢٠٢٠/٦/١٦ **عضواً**	أ. د. محسن قحطان حمدان **عضواً ومشرفاً**

أ. م. د. رشيد عبد الحميد عبد الرضا

ع/ العميد


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)
كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)
انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾
صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ
[الإسراء: ١٩-٢١]



الإهداء

إلى..سيد الأنبياء.. نبينا وحبيبنا

محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وإلى... من كان سندي وكافلي طيلة حياتي...

يا من لا أجازي مودتك لي حتى مماتي...

يا من شجعتني على الدراسة وطلب العلم في كل أوقاتي...

ويا من فجعتني بفقدك مع حاجتي إليك بأشد احتياجاتي...

إلى من اختاره تعالى للرحيل عنا مع موعد مناقشتي...

أخي وفقيدي وعزيزي...

الشيخ الحاج حبيب حسين نعمه الفريجي ...

وإلى والديَّ وأخي الشهيد السعيد علي حسين نعمه الفريجي ...

أسكنهم الله تعالى فسيح جناته

أهدي ثمرة جهدي هذا

الشكر والتقدير

إذا حُقَّ الحمد والشكرُ للاعترافِ بالفضل، فالحمد لله أقصى مَبلَغِ الحَمدِ، والشُكرُ لله مِن قَبلٍ ومِن بَعدِ.

اللهم لك الحمد والشكر والثناء كما علمتنا ووفقتنا وأعنتنا وكما ينبغي لجلال وجهك وعظيم اكرامك عليَّ وعلى الناس أجمعين، شكرٌ يقترنُ بالصلاةِ والسلام على نبي الرحمة وسراج الأمة، رسول الله ونبيه محمدٍ ﷺ.

واعترافاً بالفضل لأهله، وامتثالاً لقول رسول الله ﷺ:(ومن أتى عليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه)[١]

فأتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لأستاذي الجليل (الدكتور محسن قحطان حمدان) الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة، فكان لخبرته وتعاونه معي وتعديلاته وملاحظاته الأثر الكبير في إنجازها وإتمامها وقبولها، كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الاستاذ (الدكتور ثائر إبراهيم خضير) إذ كان صاحب الفضل عليَّ بعد الله تعالى في ترشيح هذا العنوان لدراسة الدكتوراه، متمماً لتفضله وعونه الكبير لي في ترشيح عنوان رسالتي في مرحلة الماجستير.

سندي وقوتي في حياتي. وقرة عيني. اخوتي الأعزاء. وأخواتي الغاليات الفاضلات. يامن تحملتم كل تقصيري معكم في فترة من الفترات. وواجهتم معي كل ما صادفني فيها من العقبات. أساتذتي الأفاضل، وزميلاتي العزيزات، الى مَن ساندي ووقف معي في كل خطوةٍ، فنلتمُ مني كل التقدير والاحترام والحظوة.

أسأله تعالى أن يجزيكم عني خير الجزاء، وأن يرزقكم كل التيسير والتوفيق والهناء، كما وأسأله تعالى أن يوفقني في رد اقل ما قدمتموه لي، من عونٍ وجهدٍ ونصيحة، وأن يتقبّل عملي بقبول حسن، ويجعله ذُخراً خالصاً لآخرتي، فانّه بادئ برّي وتربيتي، وخير ناصر ومعين، وله الشكرُ والحمد في كل حين.

---

(١) مسند الإمام أحمد. مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ح٥٣٦٥: ٢/ ٦٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.


فهرس
المحتويات

المحتويات



مُقَدِّمَة



المقدمة

الحمد لله المتفرد بالعظمة والعزة والكبرياء، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء، وعلى آله الطاهرين الأتقياء وصحبه الأوفياء، وعلى رسل الله وأنبياءه أجمعين، ومن تبعهم وسارَ على نهجهم بصدقٍ ووفاء.

أما بعد...

تُعَد مباحث السمعيات المتعلقة بالمعاد والملائكة وعالم الغيب من اعقد المباحث من ناحية البرهنة والاستدلال الكلامي عليها، لذلك نجد من المتكلمين عادةً مَن يقدمون مباحث الإلهيات، ثم النبوات، ويبرهنون عليها عقلياً، وعندما يصلون إلى المسائل الغيبية يذكرون أن دليلها هو ثبوت النبوات نفسه، ولذلك يسمونها بـ (السمعيات) إذ يتم الاستدلال عليها عن طريق النقل عن مصادرها الأصلية من الكتاب والسنة.

وهو منهج سليم لا يمكن لأحد أن يناقش فيه، ذلك أن المصدِّق بوجود الله تعالى، وبرعايته لخلقه عن طريق إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لابد أن يسلم لكل ما جاءوا به من حقائق وقيم تسليماً مطلقاً، وإلا خدش ذلك في إيمانه بالله والأنبياء عليهم السلام.

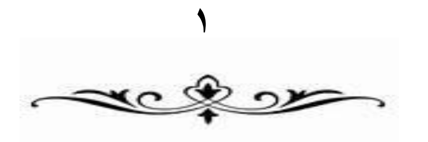
كما إن هنالك قاعدة ذهبية تقول: (لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صحيح عند التحقيق)، وبما إن السمعيات هي ما يتوقف الإيمان به على النقل الصحيح من ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل، كأشراط الساعة وتفاصيل الموقف والحساب والجنة والنار وما الى ذلك، وضابطها أن العقل لا يمنعها أو يحيلها؛ إلا إنَّ هذا قد لا يكفي بعض العقول، وخاصة تلك التي يغلب عليها الجدل، فهي لا تريد أن تسلم للحقائق أو للقيم من دون أن تقتنع بها، لذلك كان المنهج الأمثل هو محاولة تقريب ذلك، مثلما يفعل الفقهاء عندما لا يكتفون ببيان تحريم الله تعالى للخمر وغيرها بذكر ما ورد في ذلك من النصوص، وإنما يضيفون إليها ما قاله الأطباء وغيرهم، من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

وبما أن العلم الذي يقوم بذلك في النواحي الفقهية هو علم مقاصد الشريعة، فهل يمكن تطبيق ذلك على المباحث العقدية بشكلٍ عام!، وعلى مباحث السمعيات بالخصوص!! بحيث تُقرب مسائلها للعقول والفطر السليمة لترُد على كل الإشكالات التي ترِد عليها؟

أو بعبارة أخرى: هل يمكن تطبيق المقاصد على المباحث السمعية، وخاصة تلك المتعلقة بالمعاد، نظراً للإشكالات الكثيرة المثارة حولها؟

ويتفرع عن هذا التساؤل تساؤلات فرعيةعدَّة، منها:

١ ـ ما هي المقاصد العقدية؟ وما الغاية من معرفتها، وما أهميتها؟ وهل هنالك مسالكَ معينة في معرفتها؟ وما أنواعها ومراتبها؟



٢- ماهي المقاصد العقدية العامة التي تستنبط من مباحث السمعيات؟

٣- ما هي المقاصد الخاصة لكل مسألة من مسائل السمعيات التي تتعلق بالمعاد وأحداث اليوم الآخر؟

هذه التساؤلات وغيرها هي التي حاولت الأجابة عنها في هذه الأطروحه الموسومة:

(المقاصد العقدية في مباحث السمعيات)

دوافع البحث

وكان مما دفعني ورغَّبني في هذه الدراسة امور عدة، منها:

١- (دافع ديني) من أجل الرد على الأفكار والشبهات المطروحة من قِبل بعض الإسلاميين أنفسهم وغير الاسلاميين؛ لما ينتشر في المجتمعات من فشو ظاهرة الإلحاد الجديد، وسخريتهم من قضايا الآخرة وتصويرها في أذهان الناس بصور مليئة بالاستهزاء والسخرية، فكانت هذه الدراسة دفاعاً عن أحدى القضايا المهمة في العقيدة الإسلامية.

٢- (دافع علمي) وذلك للتوجه الحاصل في الوقت الحالي والالتفات الى هذه الدراسات المقاصدية، وربطها في القضايا العقدية، فكانت الرغبة في طرح هذه القضايا بما يتعلق بمباحث اليوم الآخر بطريقة علمية اكاديمية توفيقية بين النصوص النقلية الصحيحة، ومُدركات العقل الإنساني.

٣- (دافع عملي) لما تتسم به الدراسة المقاصدية من البعد عن التطرف والتمييز بين المدارس الإسلامية، الأمر الذي طالما تسبب في زيادة الشقاق والفرقة بين المسلمين، والبعد عن المنهج الاكاديمي في توجيه المسائل المدروسة.

اهداف البحث

ومن أهم الأهداف التي أتطلع اليها في هذا البحث ما يأتي:

١- بيان مدى انسجام النصوص الصحيحة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه رضي الله عنهم مع العقل والفطرة السليمة، مما يقود الى تيسير الاستمرار في الدراسات المقاصدية لكافة مباحث العقيدة الإسلامية.

٢- التعريف بماهية المقاصد العقدية بشكلٍ عام، ومقاصد السمعيات بشكل خاص، وما يتعلق بها، بدراستها من أغلب الجوانب التي تميزها عن مقاصد الشريعة الإسلامية، نسبة للبس الكثير الذي قد يقع فيه الباحثون من عدم التفرقة بينهما.

٣- استنباط المقاصد العقدية التي تتعلق بمباحث اليوم الآخر، إذ إننا لا نكاد نجد ركناً من أركان العقيدة الإسلامية إلا وله غايته ومقاصده التي تكون وراء العمل بمقتضى رسوخ الإيمان بها؛ لأن ثمة ارتباط وثيق بين الإعتقاد والعمل، وبين العمل والمقصد.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذه الدراسة في أمور عدة، قد اختصرناها بفرعين، هما:

١ـ محاولة تقريب الحقائق العقدية للعقول المختلفة، ولا سيَّما مع المجادلين منهم ممن نشروا الإلحاد وغيره من التشكيك في هذه الأمور؛ وذلك لما لها من شأن في إحياء العقائد الايمانية في نفوس المسلمين، لتعود العقيدة الى دورها في قيادة النفوس وتربيتها، والدعوة الى التمسك بها، وإمكان الدفاع عنها بوجه الحركات الالحادية أو تلك التي تدعي الاسلام مع بعدها الحقيقي عنه.

٢ـ نظراً لأهمية الدرس المقاصدي العقدي؛ الذي شُحَت فيه الدراسات مع ما يستحقه من الاهتمام؛ فالله تعالى لم يأمر العباد بإمرٍ إلا لغاياتٍ يريدها، وكمالات يحبُّها، ففي عالم مغرق بالماديات، وخال من الروحانيات، وفارغ من المعنويات تظهر أهمية القراءة للنصوص قراءة مقاصدية، ويصبح التأمل بالمقاصد والمعاني أمراً ملحاً؛ لإيجاد نوع من التوازن الفكري، وبسط هذا الفكر على مناحي الحياة[1].

منهج البحث

بناءً على كون دراستنا موضوعية عقدية، فقد كانت منهجيتي في إعداد هذه الاطروحة بالنظر لما وردَ من مسائل السمعيات في النصوص الكريمة الصحيحة، فضلاً عن الكتب الكلامية والتفاسير القرآنية لما يتعلق منها بمباحث اليوم الآخر، بدءاً من الاحتضار وموت الإنسان وبعثه ومعاده، حتى مستقره ومثواه الأخير، في الجنة أو النار، مقدِّمةً لكلِّ مسألة منها بتمهيد بسيط في مفهومها في اللغة والاصطلاح وما يتعلق بها، ثم أدرج مقاصدها التي استنبطها مما ورد فيها من النصوص، إذ حاولتُ لأجل ذلك الجمع بين الاستقراء والاستنباط، ليكون منهجي في الاطروحه ما يأتي:

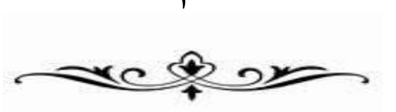
١ـ جمع ودراسة ما ورد من النصوص الصحيحة في مسائل اليوم الآخر، من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، فضلاً عن أقوال العلماء فيها، علماً إن جمعي لها ليس شاملاً لها؛ لصعوبة الاحاطة بها جميعاً، فضلاً عن وجود العديد من النصوص التي قد يُختَلف في تفسير مضامينها، فكان استقراءها ناقصاً ليس تاماً.

٢ـ التأمل في جزيئات مسائل اليوم الآخر لاستنتاج المقاصد الخاصة منها، وهو الاستنباط المباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، سواءٌ من ظواهر النصوص الصحيحة وما حوته من أمر أو نهيٍ أو تحذير أو تبشير، أو من خلال علل هذه الأوامر والنواهي، وذلك من خلال ما ورد في هذه الجزئيات من أقوال علماء الكلام والمفسرين فيها ثم إدراجها تحت مقصد معين، وأُتبعه بشواهده وأقوال العلماء فيه.

٣ـ حرصتُ على عزو الأيات الكريمة إلى سورها في الهامش بصيغة [اسم السورة: رقم الآية]، كما عزوتُ

---

(١) (يُنظَر) قراءة في علم مقاصد الشريعة مقال للدكتور علاء الدين الزعتري، جامعة الناصر نُشِر بتاريخ ٤/ ١/ ٢٠١٤م: ١، على الموقع: http://www.al-edu.com/ebook/.



الأحاديث الشريفة الى مضانها من كتب الحديث المعتبرة، مع التشكيل، فما كان من الكتب المعتمدة في المدارس الإسلامية كصحيح البخاري ومسلم وكتاب الكافي للكليني وغيرها اكتفيت بذكر (اسم الكتاب، الكتاب، الباب، رقم الحديث (وأشرتُ له بـ(ح): الجزء والصفحة)، وما كان من دون الكتب الصحيحة ذكرت بعده الحكم عليه مما ذكره علماء الحديث الشريف.

الدراسات السابقة

لم أجد دراسة أكاديمية خاصة في المقاصد العقدية متعلقة بمباحث السمعيات أو اليوم الآخر، إلا إنني وخلال مواصلة البحث والدراسة وجدتُ بعض الدراسات الأكاديمية في المقاصد العقدية بصورة عامة، ومنها:

١ـ مقاصد العقائد وسبل تحصيلها ـ الدكتور. نور الدين أبو لحية، بحث منشور، مجلة المنهاج، صادر عن المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣٦، السنة السادسة عشر، خريف ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

ويُعَد هذا البحث أول دراسة أكاديمية مستقلة بصريح لفظ مقاصد العقائد، مع بيان أنواعها وتقسيماتها حسب أركان العقيدة الإسلامية.

٢ـ المقاصد العقدية في القصص القرآني، وهو كتاب للدكتور. الزايدي الطويل، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠١١م.

٣ـ مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام، رسالة ماجستير، إعداد الطالب: عبد القادر بو طيب، إشراف: أ. د. عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان ـ الجزائر، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٤ـ مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، رسالة ماجستير، تخصص عقيدة إسلامية، إعداد الطالب عبد الرؤوف تاج الدين صوان، إشراف: د. عبد الرزاق دحمون ـ كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان ـ الجزائر، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٥ـ مقاصد الاعتقاد بأسماء الله وصفاته، أطروحة دكتوراه، إعداد الطالب: ليث سلمان داود، إشراف أ. د. محسن قحطان، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقيدة والفكر الإسلامي ـ جامعة بغداد ـ العراق ١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م.

إلا أنها وبالرغم من عدم مشابهتها لمنهجيتي في هذه الاطروحة وموضوعها الدقيق، إلا إنها قد أعانتني في الكثير من المسائل في استقراء المقاصد واستنباطها.

المصادر والمراجع

استعنت في إعداد هذه الأطروحة بعدد من المصادر والمراجع، والتي يمكن تصنيفها الى ما يلي:

أولاً: كتب العقائد: وقد اعتمدت عليها بالدرجة الأولى، باعتبارها المصادر المخصصة لبحث مثل هذه المسائل، وتشمل المؤلفات العقدية المتمثلة بالمصادر الأصلية و المراجع المعاصرة.



ثانياً: كتب التفسير: سواء كانت من المصادر التفسيرية للعلماء الأوائل، أومن المعاصرين.

ثالثاً: كتب الحديث الشريف وشروحه، فضلاً عن كتب المسانيد والسنن وشروحها.

رابعاً: كتب الفلسفة والمنطق: لتطرقها لبعض مسائل اليوم الآخر والمعاد، فضلاً عن الموسوعات الفلسفية.

خامساً: كتب المواعظ والأخلاق: لتعرضها لليوم الآخر، والجوانب الأخلاقية المرتبطة بمقاصده.

سادساً: كتب اللغة والمصطلحات: وذلك لاستخراج مفاهيم المصطلحات في اللغة والاصطلاح.

إضافة الى ما استعنتُ به من بعض المصادر المعاصرة لغير المسلمين لحاجتنا الى التعرف على آرائهم التي أبعدتهم عن جادة الطريق، مع محاولة الرد عليها.

كما استفدنا مما يُنشر في شبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في التعرف على بعض الآراء التي لم ينشرها أصحابها في مؤلفات منفصلة، وكانت متنوعة للعلماء والباحثين المسلمين المعاصرين، أو من الباحثين من غير المسلمين ممن اكتفوا ببث الشبهات والتشكيك فيها، وقد أشرنا لجميع ذلك في مواقعه.

وكذلك استعنا بهذه المواقع الالكترونية في التعريف بعدد من الشخصيات المعاصرة ممن لم تُدرَس بعدْ، بعدَ التأكد من صحتها من خلال التواصل معهم مباشرةً أو البحث في مؤلفاتهم وأبحاثهم.

خطة البحث

وبناءً على موضوع الأطروحة، فقد قسَّمتُ محتواها الى فصول أربعة وخاتمة، وقدَّمتُ لكل فصلٍ منها باستهلال يتناول ما احتواه الفصل المعيَّن من مباحث ومقاصد، أما الفصل الأول ففي التعريف بالمقاصد العقدية وما يتعلق بها، والفصول التي تليه في المقاصد العقدية المرتبطة بما يمر به الإنسان بعد الموت، بل من لحظات احتضاره.

أما **الفصل الأول فعنوانه: المقاصد العقدية، مراتبها، أنواعها، ومسالك إثباتها.**

وقد تكون من ثلاثة مباحث، يتفرع عن كل مبحث مطلبان، وهي:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وأهميتها

المبحث الثاني: مسالك معرفة المقاصد العقدية وضوابطها

المبحث الثالث: أنواع المقاصد العقدية ومراتبها

والفصل الثاني عنوانه: المقاصد العقدية من الإيمان بالحياة البرزخية

وتكون من مبحثين، هما:

المبحث الأول: المقاصد العقدية العامة المرتبطة بالحياة البرزخية

المبحث الثاني: المقاصد العقدية المرتبطة بالإيمان بالموت، وفتنة القبر وضغطته

أما الفصل الثالث فعنوانه: المقاصد العقدية من الإيمان بالمعاد والموقف وأهواله



وتكون من ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: المقاصد العقدية من النفخ في الصور وبعث الأموات

ومطالبه في مقاصد النفخ في الصور، والمعاد الجسماني والروحاني والحشر.

المبحث الثاني: المحكمة الإلهية ومقاصدها العقدية

ومطالبه في المقاصد العقدية في الحساب والإشهاد والموازين.

المبحث الثالث: الحوض والشفاعة ومقاصدهما العقدية

ومطالبه في المقاصد العقدية في الحوض والشفاعة.

و**الفصل الرابع بعنوان: المقاصد العقدية في نعيم الجنة وعذاب النار ومراتبهما**

المبحث الأول: المراتب الثواب والعقاب ومقاصدها العقدية

ومطالبه في المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء المقربين، وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال

المبحث الثاني: الجزاء الحسي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية

ومطالبه في المقاصد العقدية لنعيم الجنة وعذاب النار الحسيين ونماذج فيهما.

المبحث الثالث: الجزاء المعنوي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية

ومطالبه في النعيم والعذاب المعنويين ونماذج فيهما

وقد أتبعتُ كل فصل بخلاصة تحتوي ما اشتمل عليه من المقاصد، مع الاشارة الى مقاصد أخرى ترتبط بها لم يذُكر منها، وكذلك ختمتُ الأطروحة بأهم ما توصلتُ اليه خلال هذه المرحلة، ودونته بالنتائج والتوصيات.

وبعد. فإن يكن هذا البحث قد استرفد أيادي أساتيذي الأفاضل بدءً من المشرف على كتابته الدكتور (محسن قحطان حمدان)، والأساتذة أعضاء لجنة المناقشة المحترمين، والذين أطمحُ أن يُقَيموه ويقوموه، ويمنحوه بجُلِّ ملاحظاتهم ملامح الصورة الناضجة في البحث الأكاديمي الناجح، فما هو إلا جهد المُـقِل، وما كان فيه من توفيق فهو بتوفيق الله وعونه وتيسيره، وما كان فيه من سهوٍ وخلل فهو مني ولطالما لا يخلو العمل الإنساني من السهو والنقصان.

كما أتقدَّم بشكري وامتناني ممزوجاً بالاعتذار الشديد من أعضاء اللجنة المحترمين عن الظروف الحالية الاستثنائية التي يعيشها العالم أجمع في مواجهة الوباء، والتي تسببت في تأخير المناقشة مما اضطرتني الى تكليفهم بقراءتها وتقويمها خلال هذه الأوقات التعبدية، في شهر الرحمة والمغفرة، سائلة الله تعالى أن يجزيهم عني كل خير وتوفيق، وأن يجعل أجر جهدهم مضاعفاً أضعافاً كثيرة في ميزان حسناتهم، إنه على كل شيءٍ قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



الفصل الأول

مفهوم المقاصد العقدية

مسالك معرفتها، أنواعها ومراتبها

ويشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وأهميتها

المبحث الثاني: مسالك معرفة المقاصد العقدية وضوابطها

المبحث الثالث: أنواع المقاصد العقدية ومراتبها

الفصل الأول: مفهوم المقاصد العقدية، مسالك معرفتها، أنواعها ومراتبها

قبل الدخول في الفصول المرتبطة بتطبيقات المقاصد العقدية في مباحث السمعيات، فإننا بحاجةٍ الى تأصيل هذا البحث من جانبين، هما:

اولاً: جانب تحديد المفاهيم؛ وذلك لأن هذه المفردات قد وقع فيها الخلاف، فضلاً عن كونها من الدراسات المُستحدثة في أبواب العقائد الإسلامية، فالتطرق الى تعاريفها والامور المتعلقة بها يسهم في بيان المراد منها، وأهمية المقاصد التي سنطرحها.

ثانياً: تحديد الآليات أو المناهج التي نحتاجها في التعرف عليها مع ضوابطها؛ وذلك كي نتجنب المناهج الدخيلة؛ لضرورتها ولحاجة الدراسة المقاصدية الى تأصيلها.

وقد تطرقتُ الى هذه الجوانب وما يتعلق بها من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وأهميتها.

المبحث الثاني: مسالك معرفة المقاصد العقدية وضوابطها.

المبحث الثالث: أنواع المقاصد العقدية ومراتبها.

المبحث الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وأهميتها

لا يمكن الحديث عن المقاصد العقدية دون التطرق الى مفاهيمها، فضلاً عن غاياتها والأهداف المرجوة من دراستها، وأهمية معرفتها وارتباطها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبناءاً على ذلك، فسأتناول في هذا المبحث ما يتعلق بالمقاصد العقدية من حيث بيان مفهومها وغايتها، ثم بيان أهميتها، وذلك في مطلبين، هما:

المطلب الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وغايتها.

المطلب الثاني: أهمية المقاصد العقدية.

المطلب الأول: مفهوم المقاصد العقدية، وغايتها.

بما إن مصطلح (مقاصد العقائد) مركب إضافي من كلمتي المقاصد، والعقيدة، يقتضي منا المقام بيان مفهوم كل كلمة منهما وما يتعلق بهما من حيث اللغة والاصطلاح.

أولاً: مفهوم (المقاصد)

وسأتناول هذا المفهوم من حيث بيان تعريف المقاصد في اللغة، ثم بيانها في الاصطلاح.

١ ـ المقاصد لغةً

بعد تتبعي لكلمة (المقاصد) وجدتُ أنها تأتي في اللغة العربية على معانٍ عدة، منها:

آ ـ **موضع القَصْدُ**: عرَّفه بذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي[١] رحمه الله (ت١٧٠هـ) والراغب الاصفهاني[٢] رحمه الله (ت٥٠٢هـ) باستقامة الطريق، وقصد يقصدُ قصداً، فهو قاصد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[٣]، (بمعنى صفاء واستواء الطريق، فيكون معنى﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ الصراط المستقيم الذي ليس فيه ضلال ولا انحراف)[٤].

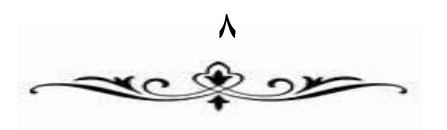
لذلك فـ(قصد السبيل) يعني موضع القصد، أي تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج والبراهين

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، الإمام في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، كان رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً، من كتبه [العين] في اللغة وهو مشهور، و[العروض]، و[الشواهد]، وغيرها، واختُلِف في [العين] فمنهم من ينسبه إليه، ومنهم من يحيل نسبته إليه، وُلِد سنة(١٠٠هـ)، وتوفي في (١٧٠هـ)، وقيل (١٧٥هـ). (يُنظَر) إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٢م: ١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩.

(٢) أبو القاسم حسين بن محمّد بن المفضّل، صاحب اللّغة العربيّة والحديث، من أهل أصبهان سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه [تحقيق البيان في تأويل القرآن] و[تفسير الراغب]، و[درة التأويل في متشابه التنزيل]، و[المفردات في غريب القرآن] وهو من أهم الكتب المفسرة لألفاظ القرآن". (يُنظَر) معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ـ المؤلف: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م: ١/ ١٥٨، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ـ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسيكا، إستانبول ـ تركيا، ٢٠١٠م.

(٣) [سورة النحل: الآية ٩].

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنَزَل، العلّامة ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة ـ قم، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٨/ ١٤٠.



الواضحة[١]، وهو على قَصْدٍ: أي رُشدٍ، وطريقٌ قاصد وقصدٌ: أي مستقيم[٢].

ب ـ **العدل والتوسط**: قالﷺ: (القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)[٣]، أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين[٤]وفي الحديث الشريف أنه ﷺ: (فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا)[٥]،أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق[٦].

ج ـ **السهولة والقرب**: (طريقٌ قصد أي سهل)[٧]،(وطريقٌ قاصد: سهلُ مستقيم)[٨].

د ـ **اتيان الشيء**: تقول: قصَدْتُهُ، وقصدْتُ له، وقصدتُ إليه بمعنىً، وقصدْتُ قصدَهُ: أي نحوتُ نحوه، أي طلبته بعينه وإليه قصدي ومقصدي[٩].

هـ ـ **(اعتماد الشيء وأمه)**: وهو ما ذكره ابن فارس[١٠] رحمه الله (٣٩٥هـ) بقوله (القاف والصاد والدال) اصول

(١) (يُنظَر) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، باب القاف: ٣٩٣/٣، ومفردات ألفاظ القران، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، كتاب القاف: ٢/ ٢٤٤، ولسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، حرف الدال، فصل القاف: ٣٥٣/٣.

(٢) العين، باب القاف:٣٩٤/٣، و(يُنظَر) اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، الشيخ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ ايران، ١٤٠٣هـ، باب القاف:١٠٠٣/٢، والكليات، ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م:١٥٨.

(٣) صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ح ٦٠٩٨: ٢٣٧٣/٥.

(٤) (يُنظَر) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب القاف: ٢٤٤/٢، ولسان العرب، حرف الدال، فصل القاف: ٣٥٣/٣، اقرب الموارد، باب القاف:١٠٠٣/٢، والكليات: ١٥٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: الادارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية ـ مصر، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، باب القاف: ٧٣٨.

(٥) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة، ح٨٦٦: ٥٩١/٢.

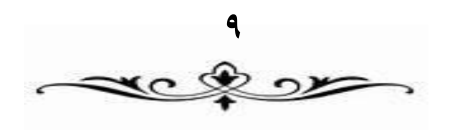
(٦) (يُنظَر) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ: ٦/ ١٥٣، ومفردات الفاظ القرآن الكريم، كتاب القاف: ٢٤٤/٢.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان ـ بيروت، ١٩٧٨،كتاب القاف، باب القاف مع الصاد وما يثلثهما: ٢/ ٥٠٤.

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم، الأستاذ كريم سيد محمد محمود ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م: مادة (قصد): ٣٦/٩.

(٩) (يُنظَر) مختار الصحاح، الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٠هـ)، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان١٩٨٦م، باب القاف:٢٢٤، ولسان العرب، حرف الدال، فصل القاف: ٣٥٣/٣، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، باب الدال، فصل القاف:٥٢٤/٢.

(١٠) أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، من أعيان أهل العلم، جمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء، وله كتب بديعة، ورسائل مفيدة وتلامذة كثيرة، وله من التصانيف كتاب [المجمل]، و[متخير الألفاظ]، و[غريب إعراب القرآن[، و[تفسير أسماء النبي ﷺ]، و[معجم مقاييس اللغة]، وهو كتاب جليل لم يُصَنَّف مثله. (يُنظَر) معجم الأدباء ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ١/ ٤١٢، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ١٢٧.



ثلاثة، يدل إحداها على إتيان الشيء وأمه، وهو ما يُطلَبُ من حقٍ وغيره، تقول (لِي عندكَ مقصدٌ) أي: مطلَب وهدف يُسعى الى تحقيقه، وهو الغاية والفحوى، نقول: مقصدي من فعلِ كذا مساعدتهُ[1]، (وكأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه)[2].

ويضيف ابن فارس: (أما الأصلين الآخرين فهما ما دلَّ على اكتنازٍ في الشيء، والأصل الثالث قصدت الشيء كسرته، والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسر، والجمع قصد)[3].

ومن خلال ملاحظة معاني كلمة مقصد اللغوية نلاحظ رجوعها لعدة معانٍ، منها:

آ ـ موضع القصد.

ب ـ العدل والتوسط.

ج ـ السهولة والقرب.

د ـ إتيان الشيء.

هـ ـ اعتماد الشيء وأمه.

كما نلاحظ أنه بالرغم من تقارب المعاني اللغوية لكلمة (المقصد) إلا إن المعنيين الأخيرين في إتيان الشي واعتماده هما أقرب ما نصبو إليه من معانٍ، ليكون تعريف المقاصد في اللغة (استناداً للتعريفات آنفة الذكر):

المقاصد: جمع مقصد، وهي مُشتقةٌ من الفعل الثلاثي (قَصَدَ)، وبابه(ضَرَبَ)، من قصدتُ الشيء له وإليه قصداً، أي طلبته بعينه وإليه قصدي ومقصدي، والمقصد هو مطلَبٌ وهدف يُسعى الى تحقيقه، وهو الغاية والفحوى.

٢ ـ المقاصد اصطلاحاً

عنيَ العلماء المتقدمون بمقاصد وغايات الشريعة الإسلامية، وكان كذلك اهتمامهم بمقاصد القرآن الكريم، وقد وجدتُ ذلك من خلال مؤلفاتهم التي أبحروا فيها كثيراً في بيان أهمية هذه المقاصد مع الإشارة اليها بمرادفات المصطلح، وفي أثناء مراجعة عدد من أقوالهم، وجدتُ أن لفظة المقاصد ترجعُ على معانٍ مترادفةٍ عدة، منها:

آ ـ المصالح المُجتَلَبة والمفاسد المبتعدة.

وأول من عرَّفها بذلك الإمام الغزالي[4] رحمه الله (ت ٥٠٥هـ) إذ عبَّر عنها بالمصالح، بقوله (عبارة في الأصل عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر ـ مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، كتاب القاف، باب القاف والصاد وما يثلثهما: ٩٥/٥، و(يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م، حرف القاف، مادة (ق ص د): ١٨٢٠/٣.

(٢) تاج العروس، فصل القاف المهملة مع الدال، مادة (قصد): ٣٦/٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، كتاب القاف، باب القاف والصاد وما يثلثهما: ٩٥/٥. بتصرف.

(٤) الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الفقيه؛ كان عالماً عاملاً فقيهاً فاضلاً أصولياً كاملاً مصنفاً عاقلاً انتشر ذكره بالعلم في الآفاق وبرز على من عاصره بخراسان والشام والعراق، ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ)،وصنف التصانيف الكثيرة، كـ [الوسيط]، و[الوجيز]، و[المستصفى]، و[كيمياء السعادة]،وغيرها، توفي سنة (٥٠٥هـ). (يُنظَر) تاريخ الإسلام ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ضبط وتحقيق: د. بشار عواد

جلب منفعة أو دفع مضرة)[1]، ثم أشار إلى أنها ذات المقاصد بقوله (إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم)[2].

ب ـ المقصود الأصلي من إثبات الأحكام ونفيها.

وهو تعريف الآمدي[3] رحمه الله (ت٦٣١هـ) للمقاصد بقوله: (أن المقصود الأصلي من إثبات الأحكام ونفيها إنما هو الحكم والمقاصد)[4]، حيث عبَّر عنها بالحِكَم أيضاً.

ج ـ المصالح التي شرعت لأجلها الأعمال الشرعية.

وهو تعريف الإمام الشاطبي[5] رحمه الله (ت٧٩٠هـ)، في أثناء بيانه لمقاصد الشريعة بقوله: (إن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لأنفسها، وإنما قصد بها أمور أخر هي معانيها: وهى المصالح التي شُرِّعت لأجلها)[6].

د ـ هي الغايات لما فيها مصلحة الدارين[7].

وهو تعريف الإمام الشاطبي رحمه الله للمقاصد أيضاً، حيث ذكره في كتابه الموافقات في مواضعٍ عدة، منها قوله (ان القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلباً لها والتعريف بمفاسدهما دفعاً لها)[8].

هـ ـ (هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها، التي تسعى النفوس الى تحصيلها بمساعٍ شتَّى، أو تُحمَلُ على السعي إليها امتثالاً)[9].

معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ٣٩/٨، سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، اشرف على التحقيق وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١١: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: ١٩/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(١) المستصفى، الامام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٤.

(٣) علي بن محمد بن سالم التغلبي، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم، وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، له نحو عشرين مصنفا، منها [الإحكام في أصول الأحكام]، و[منتهى السول]، و[أبكار الأفكار في أصول الدين]، الأول والثاني منه، في علم الكلام، و[لباب الألباب]، وغيرها، توفي سنة (٦٣١هـ). (يُنظَر) ووفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م: ١/ ٣٢٩، والأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م: ٤/ ٣٣٢.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان:٣/ ٢٣٢.

(٥) ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي، (أبو اسحاق) محدث، فقيه اصولي، لغوي، مفسر، من مؤلفاته: [عنوان التعريف باسرار التكليف] في الاصول شرح على الخلاصة في النحو في اسفار اربعة كبار، و[الموافقات في الاصول الاحكام]، و[عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق]، و[الاعتصام]، توفي رحمه الله سنة(٧٩٠هـ). (يُنظَر) معجم المؤلفين: ١/ ١١٨.

(٦) الموافقات في أصول الفقه ـ الإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة ـ بيروت: ٢/ ٣٨٥.

(٧) (يُنظَر) الموافقات في أصول الفقه: ٥٠/١، و ١/ ١١٣، ٢١٦/٢.

(٨) المصدر نفسه: ٢٧/٤.

(٩) مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، تقديم: حاتم بوسمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ٢٠١١م: ٢٥٣.

وهو تعريف الشيخ ابن عاشور[١] رحمه الله (ت١٣٩٣هـ)، ومع إن تعريفه هذا قصد به المقاصد الشرعية، إلا أنه ذكره كتعريف للمقاصد عامة، بعدها شرع في بيان نوعَيها وهي مقاصد الشرع، ومقاصد الناس في تصرفاتهم[٢].

وإن جازَ لي أن استخلص تعريفاً للمقاصد جامعاً لكونها الأعمال المقصودة لذاتها، أو غايتها، أو مصالحها، معانيها أو القيم التي تكمن وراءها، أقول:

المقاصد: هي القيم العليا والغايات المحمودة التي يُرتَجى الحصول عليها عند تحقق أسبابها.

أما قيد التعريف (عند تحقق أسبابها)، فنعني به عن طريق معرفتها الأولية والتي تمثل المرتبة الأولى من مراتبها، وقد استنبطناه من أصل تعريف المقصد في اللغة من إتيان الشيء وقصده لذاته واعتماده، فيكون سبباً في تحصيلها.

٣ ـ الالفاظ ذات الصلة بالمقاصد:

كذلك فقد استخدم العلماء العديد من المصطلحات التي تشير الى معنى مشابه لمعنى المقاصد، ومنها:

آ ـ الغاية

الغاية: مدى الشيء، وهي النهاية والآخر، فغاية كل شيء نهايته وآخره، وغاية الأمر: الفائدة المقصودة منه، ويقال فلان بعيد الغاية صائب الرأي[٣].

وهي (ما لأجله وجود الشيء)[٤]، أي ما يؤدي اليه الشيء وترتب هو عليه[٥]، وقد جاء في تعريف المقاصد: أنها الغايات المحمودة والفحوى، نقول: مقصدي من فعلِ كذا مساعدتهُ[٦]، أي غايتي من فعله.

ويشير الى هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[٧]، ومعنى ابتغاء رضا الله، وعد بالثواب الجزيل الذي يرضى صاحبه، وقوله ﷺ: (فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الجَنَّةِ وَالفَوْزَ مِنَ النَّارِ)[٨]، أي غاية إتمام النعمة علينا دخول الجنة[٩]، وهي كبرى مقاصد المسلمين.

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني: ولد ونشأ وتعلم بتونس، له أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر، من مصنفاته [مقاصد الشريعة الإسلامية]، و[أصول النظام الاجتماعي في الإسلام]، و[موجز البلاغة]، و[التحرير والتنوير] في تفسير القرآن، في ٣٠ جزءا في نحو ٧ آلاف صفحة، صدر منها عشرة أجزاء، وغيرها، توفي بتونس (١٣٩٣م). (يُنظَر) معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ٢/ ٥٤١، والأعلام: ٦/ ١٧٤.

(٢) (يُنظَر) مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ٢٥٣.

(٣) (يُنظَر) مختار الصحاح، باب الغين، مادة (غ ي ا): ٢٠٤، والمعجم الوسيط، باب الفاء: ٢/٢٥١.

(٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، المطبعة الخيرية ـ مصر، الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ، باب الغين: ٦٩.

(٥) الكليات، فصل الغين: ٦٦٩، و(ينظر) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف الغين، مادة (غ ي ي): ٢،١٦٥٨.

(٦) (يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف القاف، مادة (ق ص د): ١٨٢٠/٣.

(٧) [سورة الليل: الآية ٢٠].

(٨) سنن الترمذي (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ١٩٩٨م، أبواب الدعوات، جزء من ح ٣٥٢٧: ٥/ ٥٤١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٩) (يُنظَر) تفسير التحرير والتنوير، الامام محمد الطاهر ابن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤: ٢/ ٤٧.

ب . الغرض

وهو الهدف[1]، وفهم غرضه: أي قصدهُ، وغرضه كذا أي حاجته وبغيته[2].

وقد جُعِل الغرض اسماً لكل غاية يُتحرى إدراكها، وجمعه: أغراض[3]، وهو (الفائدة المترتبة على الشيء من حيث هي مطلوبة بالإقدام عليه)[4]، قال الشاعر:

كُـلٌّ لـه غَـرَضٌ يسـعـى لـيـدركـه   والحرّ يجعـل إدراك العُلا غَـرَضـاً[5]

(فالمُراد بالغرض والغاية ليس الهدف والمقصود فحسب، بل الهدف والمقصود النافع الذي يستحق عقلاً القيام بالفعل من أجل تحققه)[6].

وقد ذكر الامام الغزالي أن الباعث والمصلحة من معرفة الحكم غرضاً لاستمالة القلوب للتصديق، بقوله: (الأولى معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة القلوب إلى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة إلى التصديق؛ فإن النفوس إلى قبول الأحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح أميل منها إلى قهر التحكم ومرارة التعبد، ولمثل هذا الغرض استحب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها)[7].

ج . الهدف

الهدف: الغرض[8]، وهو كل شيءٍ عظيمٍ مرتفع[9]، وهدفَ الى: قصدَ وأسرعَ الى الأمر، وكأنه جعله هدفاً له[10].

وهدف يُنْصَب فيُرمى إليه، وبُغية وحاجة، يُقال: أُنشئت المدرسة لغرض تربويّ: أي لمقصد تربويّ، فهِمتُ غرضَكَ أي مقصدَك[11]، وهادف اسم فاعل، من هدَّف الى، أو هدَّفَ لـ، ذو هدفٍ، أي: فِكْر، وعملٍ هادف، والهدف هو مطلب وغرض يُوجه اليه القصد[12].

ومنها أهداف الشريعة: وهي مقاصدها التي شُرِّعَت الأحكام لتحقيقها، ومقاصد الشارع المصالح التي تعود

---

(١) (يُنظَر) العين، باب الغين: ٢٧٥/٣، ولسان العرب، حرف الضاد، فصل الغين المعجمة: ١٩٧/٧، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ١٦٠٩/٢.

(٢) (يُنظَر) مختار الصحاح، باب الغين، مادة (غ ر ض):١٩٧، ولسان العرب، حرف الضاد، فصل الغين المعجمة: ١٩٧/٧.

(٣) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ١٥٠/٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، باب الغين، فصل الراء: ٢٥١.

(٥) لم أقف على قائل هذا البيت، (يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٦٠٩/٢.

(٦) العدل على مذهب اهل البيت، الشيخ علاء الحسون، مطبعة ليلى ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ: ٩٢.

(٧) المستصفى: ٣٣٩.

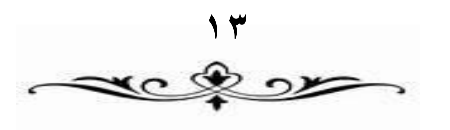
(٨) (يُنظَر) العين: ٢٩٨/٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الهاء، الهاء مع الدال وما يثلثهما: ٢٤٣، والمعجم الوسيط، باب الهاء: ٩٧٧.

(٩) (يُنظَر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الهاء، الهاء مع الدال وما يثلثهما: ٢٤٣، والمعجم الوسيط، باب الهاء: ٩٧٧.

(١٠) (يُنظَر) المعجم الوسيط، باب الهاء: ٩٧٧.

(١١) (يُنظَر) لسان العرب، حرف الضاد، فصل الغين المعجمة: ١٩٧/٧، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ١٦٠٩/٢.

(١٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف الهاء: ٢٣٣٣، و٢٣٣٤.



الى العباد في دنياهم وأُخراهم[1].

فكذلك تُعَد أهداف العقيدة مقاصدها التي أُلزِمت العقائد على العباد لأجلها، لما فيه منافعهم في الدنيا والآخرة.

ومن معاني المقاصد الاخرى: الأسرار، المعاني، المكارم، والمناسبة، وهذا يدل على شرف علم المقاصد ومكانته(لأن كثرة الأسماء دالةٌ على شرف المسمى)[2].

د . المصلحة

من أصلَحَ، أي أتى بالصلاح وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير، والجمع المصالح[3].

وضدها الفساد، وصلُحَ بالضم، وهذا يصلح لكَ، أي هو من بابتك[4].

والمصلحة (عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة)[5].

إذ إن المقاصد عبارة عن المصالح التي تعود الى العباد في دنياهم وأخراهم، سواءٌ أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع أو عن طريق دفع المضار[6].

وجملة هذه المصالح تكون ثمرة للأعمال الصالحة، وثمرة الأعمال قد تكون في الدنيا، وقد تكون في الآخرة، إذ إن العمل والسعي لا بد أن يكون في الدنيا، ولكن المصلحة والمقصد لا يلزم أن يكون في الدنيا، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[7].

هـ . الحكمة

الحكمة مرجعها الى العدل والعِلم والحِلم، ويُقال أحكمته التجارب إذا كان حكيماً[8].

وهي العلم النافع، وقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[9]، وذهبَ أكثر أهل العلم الى ان الحكمة ليست للعلم المُجرد بل للعلم مع زيادة مبالغة فيه، أو للعلم مع العمل[10].

---

(١) (يُنظَر) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: ٧٩.

(٢) (يُنظَر) الإتقان في علوم القرآن، الامام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ١/١٨٧.

(٣) (يُنظَر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الصاد، باب الصاد مع اللام وما يثلثهما: ١٣٢.

(٤) (يُنظَر) مختار الصحاح، باب الصاد، مادة (ص ل ح): ١٥٣، ولسان العرب، حرف الحاء (مادة صلح): ٢/٥١٦.

(٥) المستصفى:١٧٤، وشفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: د. حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد ـ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م: ١٥٩.

(٦) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ـ د يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م:٧٩.

(٧) [سورة الإسراء: الآية ١٩].

(٨) العين: باب الحاء:١/٣٤٣.

(٩) [سورة البقرة: الآية ٢٦٩].

(١٠) (يُنظَر) الكليات، فصل الحاء:٣٨٢.

والحكمة هي الكلام الذي يقلُّ لفظه ويجِلُّ معناه[1]، كما تُعرَّف بمعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[2]، يُقال حكمة التشريع، وما الحكمة في ذلك؟ أو ما العلة في ذلك؟ والحكمة الإلهيّة: علّة يلتمسها الناظرون في أحوال الموجودات الخارجيّة أو يبينها الله تعالى في القرآن الكريم[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

ونرى مصطلَح (الحكمة) من أقرب المصطلحات المرادفة لكلمة المقصد، فيُقال هذا مقصوده كذا أو حكمته كذا، فلا فرق بينهما، وإن كان البعض يستعملون لفظ الحكمة أكثر من استعمالهم لفظ المقصد[5].

ثانياً: مفهوم (العقيدة)

وسأتناول هذا المفهوم أيضاً من حيث بيان تعريف العقيدة في اللغة، ثم بيانها في الاصطلاح.

١ ـ العقيدة في اللغة

ذكرَ الفراهيدي ﷺ (ت ١٧٠هـ) العقيدة: من العَقْد مثل العهد، عاقدته عقداً: عاهدته عهداً، واعتقد الشيء: صلُبَ، واعتقد الإخاء والمودةَ بينهما، أي ثبُت[6].

كما ذكر العقد ابن منظور ﷺ (ت٧١١هـ) في لسان العرب بأنه نقيض الحل، واعتَقَدَه كعَقَدَه، والجمع عُقود، وهي أَوكد العُهود ويقال عَهِدْتُ إِلى فلانٍ في كذا وكذا، وتأْويله: أَلزمته ذلك. والمعاقدة المعاهدة [7].

واعتقدَ بـ يعتقد اعتقادًا، فهو مُعْتَقِد، والمفعول مُعْتَقَد[8].

واعتقدتُ كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين به الإنسان وله عقيدة حسنة، سالمةٌ من الشك[9].

---

(١) (يُنظَر) الكليات، فصل العين:٥٩٩، والمعجم الوسيط، باب الحاء:١٩١.

(٢) [سورة لقمان: الآية ١٢].

(٣) (يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف الحاء، مادة (ح ك م):١/٥٤٠، ونظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، أحمد الريسوني، تقديم: د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، الطبعة الرابعة: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م: ٢١، مقاصد الشريعة عند الامام العز بن عبد السلام، د. عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الاولى:١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م:٩١، ٩٢

(٤) [سورة الذاريات: الآية ٥٦].

(٥) (يُنظَر) نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي:٢١، مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام: ٩١، ٩٢

(٦) (يُنظَر) العين، باب العين:٣/١٩٦.

(٧) لسان العرب، حرف الدال، فصل العين المهملة: ٣/٢٩٧، و(يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٥٢٧.

(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٥٢٦.

(٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: كتاب العين، العين مع القاف وما يثلثهما:١٦٠.

٢ ـ العقيدة في الاصطلاح

تُعرف العقيدة في الاصطلاح بأنها المذهب او المعتقد، وهي الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل عليهم السلام[١]، وقد عرَّفها عضد الدين الإيجي رحمه الله[٢] (ت٧٥٦هـ) في المواقف، والجرجاني[٣] رحمه الله (ت٨١٦هـ) في كتابه التعريفات بقولهما: (ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل)[٤].

أما المعتقدات الدينية فهي القواعد أو الأحكام الشرعية الاعتقادية التي يُطلَب من المكلف الإعتقاد بها، أي الإيمان بصحتها[٥].

ومن هذا نخلص الى تعريف العقيدة بأنها لفظةٌ دالةٌ على ما يؤمن به الإنسان بعقله وقد انعقد عليه قلبه، وهي تعني بذلك الارتباط بين القلب البشري ومعتقده، وإن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة والقوة والإحكام، كما يتسم بالثبات والاستقرار[٦].

أما العلم الذي اهتم بهذه القواعد فهو علم العقائد، وهو علمٌ يُقتَدر معه اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، فالعقائد هي ما يقصد به الاعتقاد نفسه دون العمل، أما الدينية، فهي المنسوبة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم[٧].

ويُعَد هذا التعريف تعريفاً بالرسمِ لا بالحد؛ لأنه تعريف بوظيفة علم العقائد لا بحقيقته، كما عرَّف التفتازاني[٨] رحمه الله (ت٧٩٣هـ) علم العقائد بأنه: (العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية)[٩].

---

(١) (يُنظَر) المعجم الوسيط، باب العين:٦١٤، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، كتّاب ناشرون ـ الاردن، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: ١٤.

(٢) (يُنظَر) المواقف: ٣/٥٢٤.

(٣) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء في العربية، وّلِد في تاكو (قرب استرآباد) ودرس في شيراز، وتوفي فيها عام (٨١٦هـ)، له نحو خمسين مصنفاً منها [التعريفات]، و[شرح مواقف الايجي]، و[مقاليد العلوم]، وغيرها. (يُنظَر) الأعلام: ٥/٧.)

(٤) المواقف ـ عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م: ١/ ٣١، والتعريفات، باب العين:٦٦، و(يُنظَر) المعجم الوسيط، باب العين:٦١٤.

(٥) المدخل إلى دراسة علم الكلام: د. حسن محمود الشافعي، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ باكستان، الطبعة الثانية١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م: ٢٥، (يُنظَر) رسالة في أسس العقيدة، د. محمد بن عودة السعودي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، الطبعة الأُولى١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م: ٥.

(٦) (يُنظَر) العقيدة في الإسلام منهج حياة ـ د. السيد رزق الطويل، المجس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف ـ مصر، ١٩٨١م: ١٥، ١٦.

(٧) المواقف: ٣١/١، شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، الشيخ احمد بن محمد العدوي الشهير بـ الدردير(ت١٢٠١هـ)، تحقيق وتعليق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، (ب. ط): ٢٨،بداية المعرفة، الشيخ حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م: ١٤، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ١٤.

(٨) الشيخ مسعود بن عمر التفتازاني، كان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار، وُلِدَ سنة ٧١٢هـ، من مؤلفاته [شرحي التلخيص]،و[شرح الشمسية في المنطق]، و[المقاصد في أصول الدين وشرحها]، وهو شارح [العقائد النسفية] وغير ذلك من التصانيف في أنواع العلوم، توفي في صفر(٧٩٣هـ). (يُنظَر) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ أبو الفضل بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق .: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد ـ الهند، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م: ٦/ ١١٢، و معجم طبقات المتكلمين ـ اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، تقديم وإشراف: العلامة جعفر السبحاني، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى ١٤٢٤هـ: ١/ ١٣٩.

(٩) شرح المقاصد ـ الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله ـ سعد الدين التفتازاني(ت٧٩٣هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب للطباعة والنشر

ثالثاً: مفهوم المقاصد العقدية

ومن خلال استخلاصنا لتعريف كلمتي المقاصد، والعقيدة سنتناول هنا تعريف المقاصد العقدية وصفها مركب إضافي، ومن هذه التعريفات:

آ ـ ما يرمي الشارع الحكيم الى تحققه من سلوكياتٍ عملية ومنهجية من وراء تشرب العقائد الإيمانية بما يعود على المؤمن بصلاح العاجل والآجل(١).

ب ـ هي كل الأغراض والأسرار التي رام الشارع تحقيقها عند كل ركن من أركان العقيدة الإسلامية أو هي المعاني والأهداف الملحوظة للعقيدة في كل أبوابها وأركانها، وكل جزء من أجزائها(٢).

ج ـ (الأغراض والأسرار العقدية التي رام الشارع تحقيقها عند كل ركن من أركانها، أو هي المعاني والأهداف الملحوظة للعقيدة في كل ركن من أركانها)(٣)

فالعقيدة الإسلامية بما فيها من تكليفٍ وإرشادٍ ودعوة وتهذيب وتربيةٍ ووعدٍ ووعيد، كلها امورٌ جعلها الله تعالى باعثةً للأشواق، داعيةً الى الخيرات واكتساب الفضائل، محرضةً على الأعمال الحسنة والعادات الحميدة والملكات الفاضلة، سبباً لصالح المعاش والمعاد، وضمانةً لسعادة الدنيا والآخرة(٤).

وعليه فيمكننا استخلاص تعريف المقاصد العقدية بأنها:

- هي الحِكَم والمصالح والغايات التي أُلزِمتْ لأجلها العقائد الدينية(٥).
- المعاني والحكم والغايات التي هيأها الله تعالى لعباده في أركان الاعتقاد كافة، متمثلةً بمعارف ذهنية، وصفاتٍ وجدانية، وسلوكياتٍ علمية وعملية بما يعود على هذه الشخصية والأمة أجمع بالصلاح الدنيوي والأخروي.

وقد استخلصنا هذين التعريفين بناءً على ما ذكرناه من التعريفات لمصطلحي (المقاصد) و(العقيدة)، ومن خلال هذين التعريفين، وما سبقهما من تعريفات المتقدمين والمعاصرين(٦) للمقاصد العقدية، نجد ثمةَ ارتباطاً

والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ٧/١، و(يُنظَر) المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام، محمد بن محمد بن أبي شريف (ت٩٠٦هـ)، مخطوطة بالرقم ٥١١٤ ف ٣/١١٤٨، تاريخ النسخ: القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات: ٧.

(١) مقاصد العقائد عند الامام العز بن عبد السلام، رسالة ماجستير، إعداد: بوطيب عبد القادر، اشراف: د. عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية، الخروبة، جامعة الجزائر٢٠١٣م: ٣٠.

(٢) (يُنظَر) علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الاولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م: ١٦.

(٣) المقاصد العقدية في القصص القرآني، د. الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠١١م: ٢٣.

(٤) (يُنظَر) الدين والإسلام: الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء النجفي(ت١٩٥٦م)، تقديم وتحقيق: محمد جاسم الساعدي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم ـ ايران، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ: ٤٣٥/١.

(٥) (يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف القاف، مادة (ق ص د): ١٨٢٠/٣.

(٦) ومنهم الشيخ مسعود بن عمر التفتازاني من المتقدمين، والدكتور نور الدين الخادمي والدكتور الزايدي الطويل من المعاصرين، وغيرهم ممن ذكرناهم في دراستنا هذه.

واضحاً بمقاصد الشريعة الإسلامية؛ ذلك أن مصطلح المقاصد واحد، لفظاً ومعنى، إلا أنه يتعلق بمناطه المحدد له سواء كان القرآن الكريم أو الشريعة الإسلامية، او أصل الاعتقاد الشامل لأبواب الدين جميعاً، ألا وهو العقيدة الإسلامية.

رابعاً: غاية المقاصد العقدية

تعود غاية معرفة المقاصد المعرفية الى الغاية من معرفة العقيدة الإسلامية ودراستها، وترجع عندئذٍ هذه الغاية الى أهدافٍ متتالية، متدرجة في تحققها، نختصرها الى ما يأتي:

١ ـ القرب من الله تعالى، ونبذ الخلافات المذهبية

فعند معرفة المسلم للعقيدة الحقة التي يرتضيها الله تعالى، وسعيه لنيل المقاصد والأغراض والأهداف التي يرمي من ورائها من إصلاح علاقة العبد مع ربه، وتحقيق مرتبة العبودية الحقة، فإنه لا ينظر الى هدف أسمى من ذلك، مما يؤدي بدوره الى تحقيق سلامة قلبه وطهارته في كافة علاقاته، فضلاً عن البعد عما يلوث هذه المنزلة وما يشوبها من بذاءة الصفات وسيئاتها، فضلاً على أنها تطهر القلب مما يختلجه من التعصب المذهبي الذي كان ولا يزال محل الاختلافات والفرقة بين المسلمين بصورة عامة[(١)].

٢ ـ تعميق العقيدة الدينية

أي تطوير الفهم الإيماني للفرد المسلم، والرقي به في مضمون عقيدته بتعميق اطلاعه على أبعد حدود المفاهيم الاعتقادية التي وردت في الكتاب والسنة، وما دل عليه العقل لما يرجع الى ما يعتقده؛ لتتسع آفاق معرفة المسلم بعقيدته، ويزداد يقينه بصحة ما يحمله له الإسلام من مبادئ[(٢)].

ليتيقن بعد ذلك بأنَّ العقيدة بأصولها وفروعها (إنما جاءت لرعاية مصالح الإنسان في هدايته إلى الدين الحق، والإيمان الصحيح، مع تكريمه والسمو به عن مزالق الضلال والانحراف، وإنقاذه من العقائد الباطلة والأهواء المختلفة والشهوات الحيوانية، فجاءت أحكام العقيدة لترسيخ الإيمان بالله تعالى واجتناب الطاغوت، ليسمو الإنسان بعقيدته وإيمانه بالله تعالى)[(٣)].

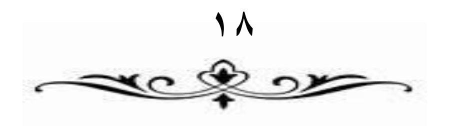
٣ـ نصرة العقيدة الدينية والدفاع عنها

وهو ذاته الغرض الذي دفع الى تأسيس علم العقائد وتدوينه، وكان الوازع الرئيسي لتوسيع مطالبه من مسائل معدودة، الى دائرة واسعة من المسائل، ومنها هذه الدراسات المقاصدية، والتي ما زالت تتسع لا سيَّما في أيامنا هذه

(١) (يُنظَر) بداية المعرفة: ١٥.

(٢) (يُنظَر) المصدر نفسه: ١٥.

(٣) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ١/١٠٤.



لتجابه كافة التيارات الفكرية المستجدة. فالمُراد من هذه الغاية نصرة العقيدة الإسلامية، والدفاع عن دين الاسلام، وحفظ ايمان المسلمين بمنع الشبهات من التطرق الى أذهانهم(١).

كما أن مقاصدَ وآثاراً كثيرة تظهر للفرد المسلم عند تعمق عقيدته بالله تعالى، وتجليها في نفسه وقلبه، فتتحول الى مقاصدَ وجدانية يعرِفها من أخلص دينه لله تعالى ووكلَ أموره اليه تبعاً لها، ولو عمَّت هذه الغايات والمقاصد الدنيا لجعلتها نعيماً قبل مجيء الآخرة(٢).

المطلب الثاني: أهمية المقاصد العقدية

بما أن العلوم الشرعية جميعها مبنية على علم العقائد؛ لأنه إذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسل ومنزل للكتب لم يُتَصور علم التفسير والحديث والفقه أو الفقه وأصوله، فكلها متوقفة على هذا العلم، مقتبسةٌ منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني على غير أساس(٣).

والعقائد عامةً مبنية على الاختبار والامتحان في قوة عقيدة المؤمن، ورسوخ ايمانه في قلبه، لأن أصل هذه القضايا في مجملها أمور غيبية لا تدركها الحواس، وإنما تسلم بها القلوب كما وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وكذلك مقاصد العقائد، فلها من الأهمية الكبيرة ما لا يقل عن أهمية العقائد ذاتها، فهي تشترك مع مقاصد الشريعة بأنها إنما شُرِّعَت لأجل تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، والدليل على ذلك الاستقراء الكامل للنصوص الشرعية من جهة، ولمصالح الناس من جهة ثانية، وأن الله تعالى لا يفعل الأشياء عبثًا في الخلق والإيجاد والتهذيب والتشريع، وأن النصوص الشرعية في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات المالية والعقوبات وغيرها جاءت معللةً بأنها لتحقيق المصالح ودفع المفاسد(٤).

وبناءً على ذلك تتجلى لنا أهمية البحث بالمقاصد العقدية، ومن جهاتٍ متعددة، منها:

أولاً: توافق المقاصد العقدية مع مصادر التشريع الأساسية

على الرغم من إن هذا الجانب من الأهمية إنما هو من الأمور المُسلَّم بها، وقد لا يضيف إلى الحقائق الحالية حقيقة علمية جديدة، إلا إنه يُعَد بمثابة العودةَ بنا الى المنهج القرآني الذي دائماً يذكر المقاصد والأغراض ويثبتها،

---

(١) (يُنظَر) بداية المعرفة: ١٥.

(٢) (يُنظَر) معرفة الله ـ دراسة بين المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية والفرق بينهما، العلّامة محمد باقر علم الهدى، تقرير: السيد علي الرضوي، دار الولاية للنشر، مؤسسة العتبة الرضوية المقدسة للطباعة والنشر ـ ايران، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ:٤٢٠

(٣) (يُنظَر) المواقف:١/٥١، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ١٥، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: ٨٣.

(٤) اختلف علماء الأصول في اعتبار الأحكام معللة أم لا، على قولين: فذهب الجمهور إلى أن جميع الأحكام الشرعية معللة بمصالح العباد، ولكن معظمها معلل بعلة ظاهرة، وبعضها معلل بعلة غير ظاهرة، وهي التي يسمونها (الأحكام التعبدية) أي الأحكام التي تعبّدنا الله تعالى بها، لتنفيذها وإرضاء الله تعالى بها، ولو لم تعرف لها علة وحكمة وسببًا، وقال بعض العلماء: إن الأحكام الشرعية كلها غير معللة.(يُنظَر) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: ١/١٠٤.

ومن ثمَّ، نعود بالدراسة المقاصدية الى الدين الأصيل من القرآن الكريم والروايات الصحيحة من السنة المطهرة، إذ تطرح القضايا العقدية وفق الرؤية العقدية الكلية والجزئية، أي الرؤية الشاملة.

وبما أن هذه الأهمية للمقاصد العقدية تبرز من توافقها مع المصادر الأولى للتشريع، فإننا نستشهد هنا بمصادرها الأساس:

١ ـ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أصل المعارف والعقائد الواجب الايمان بها، وكما أن للقرآن مقاصدَ في آياته وسوره، متمثلةً بهداية القرآن وإعجازه والتعبد بتلاوته(١)، فإننا لا نكاد نجد أمراً من أُمور العقيدة التي ذُكرَت بين دفتيه إلا وبُيِّنت غايته ومقاصدهُ؛ لأن ثمة ارتباط وثيق بين الاعتقاد والعمل، وبين العمل والمقصد، فالأمور معتبرة بمآلاتها وغاياتها(٢).

فدراسة المقاصد العقدية منه يكون كالعودة بالفرع الى الأصل باعتباره المصدر الاول لهذه العقيدة، فالمقصد العقدي من إرسال الرسل مثلاً: إقامة الحجة على الخَلْق وبيان الطريق لهم بتبشيرهم بالجنة وإنذارهم بالنار، وهو ما ذكره تعالى في قوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِّ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٣)(٤).

وبين تعالى أنه جعل هذه الحياة الدنيا مقدمة للحياة الآخرة، وأن الغرض منها هو أن يميز بين الطيب والخبيث(٥)، كما في قوله تعالى:﴿لِيَمِيزَ اللهُّ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾(٦) فقوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللهُّ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، سنة إلّهية دائمة أن يُعرف المخلص من غير المخلص، والطاهر من غير الطاهر، والمجاهد الصادق من الكاذب، والأعمال الطيبة من الأعمال الخبيثة، فلا يبقى أي من ذلك مجهولاً أبداً، بل لابدّ في النهاية من أن تمتاز الصفوف بعضها عن بعض ويسفر الحق عن وجهه(٧).

(وتبصر هذه السنة، والتعايش وفق هذا القانون يجعل المؤمن يوجه حياته جميعاً وفق ما تقتضيه الطيبة، لأنه لا يدخل دار الطيبين إلا الطيبون، قال تعالى:﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

---

(١) (يُنظَر) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، تقديم وتحقيق: د. نواف الجراح، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م:٨٩/٢ وما بعدها، والحديث في علوم القرآن والحديث ـ حسن محمد أيوب (ت١٤٢٩هـ)، الناشر: دار السلام ـ الإسكندرية، الطبعة الثانية:١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م: ٩٥ ـ ٩٧.

(٢) (يُنظَر) المقاصد العقدية في القصص القرآني:٢٣.

(٣) [سورة النساء: الآية ١٦٥].

(٤) (يُنظَر) المقاصد العقدية في القصص القرآني:٢٣.

(٥) أسرار الأقدار ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م: ١٥٧.

(٦) [سورة الأنفال: الآيتان ٣٦، ٣٧].

(٧) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢،٨٩، واسرار الأقدار: ١٥٧.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1])[2].

هذا غيضٌ من فيض عظمة الآيات الكريمة وبيان مقاصدها العقدية الثابتة، فهو الكتاب الذي أعجز الجن والانس أن يأتوا بمثله، وهذه أوصافه وغيرها توجبُ قطعاً أن يقف المسلم على أسرار هذا الكتاب بمعرفة ما أراد أن يؤصله من عقائدٍ وحكمٍ وغاياتٍ، لتتحقق في حياة الإنسان بفعل الإنسان نفسه، وليقيم تلك الحياة على أُسسها، وفي هذا تحقيق العبودية لله تعالى التي بتحقيقها يحظى بسعادة الدنيا والآخرة[3].

٢ ـ أحاديث السنة المطهرة

لم تقتصر مقاصد العقائد موافقتها للنصوص الشرعية على آيات القرآن الكريم، بل إنها شملت العديد من الروايات الشريفة، بل أغلبها، والتي تدعو الى الالتزام بهذه العقيدة الإسلامية عن طريق مقاصد وغايات لا تخفى في أثناء تدبرها.

ومن هذه الروايات ما ورد أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ)، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال ﷺ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ)، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال ﷺ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال ﷺ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[4])، ثم انصرف الرجل فقال ﷺ: (رُدُّوا عَلَيَّ)، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال ﷺ: (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ)[5]، إذ لا يخفى ما في هذه الرواية من مقاصدَ عظيمة في بيان أسس العقائد الإسلامية، وآداب التخلق بعبادة الله تعالى، من حضور الذهن وفراغ النفس واستجماع القلب وكأن العبد في حال مشاهدة الحضرة الإلهية[6].

---

(١) [سورة الزمر: الآية ٧٣].

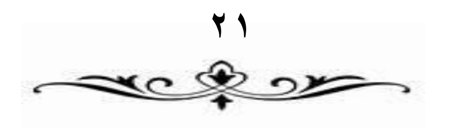
(٢) اسرار الأقدار: ١٥٧.

(٣) (يُنظَر) مقاصد القرآن الكريم في فكر النورسي ـ دراسة تحليلية ـ د. زياد خليل محمد الدغامين، بحث منشور. حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد الحادي والعشرون ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ٣٥١.

(٤) [سورة لقمان: من الآية ٣٤].

(٥) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الايمان والاحسان، ح٥٠: ٢٧/١، وأورده مسلم في كتاب الايمان، باب الايمان وما هو وما هي خصاله، ح ٩: ٣٩/١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الايمان، من تعليق الدكتور مصطفى ديب البغا على الحديث ٥٠: ٢٧/١.



وكذلك لو تدبرنا في ما نُقِل الينا من أقواله ﷺفيما اختلفت فيه أمته من مسائل القضاء والقدر وغيرها في حال النظر في مقاصدها وغاياتها لما وُجد أصلٌ لهذه الخلافات، بما يعود الى ان كل ما هو حاصلٌ في الدار الدنيا إنما هو بعلم الله تعالى ومشيئته، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: (من زَعَمَ أنَّ اللهَ يأمرُ بالسوءِ والفحشاء فقد كَذَب على الله، ومن زَعَمَ أن الخير والشر بغير مشيئة الله، فقد أَخرَجَ الله من سلطانه، ومن زَعَمَ أن المعاصي بغير قوة الله فقد كَذَب على الله تعالى، ومن كَذَبَ على الله، أدخلَهُ اللهُ النارَ)(١)، وعليه فقد وجَّه ﷺ المؤمنين إلى حق الله تعالى عليهم في إخلاص عبادتهم له تبارك وتعالى.

إلى غير ذلك مما حوته السنة النبوية الشريفة متوافقةً مع مقصد الاسلام الاعظم في توجه العبادة لله تعالى وحده ونبذ كل ما يدعو الى تحلل هذه العقيدة أو هوانها.

ثانياً: توافق المقاصد العقدية مع الفطرة الإنسانية

خلق الله تعالى الإنسان على فطرة سوية مهيأة للإيمان والحق وحب الخير، والناس في جميع العصور يوجدون على هذه الفطرة التي لها الاستعداد الكامل للدين وقيمه، يقول في ذلك الشيخ الصدوق(٢)رحمه الله (ت٣٨١هـ): (إن الله فطر جميع الخلق على التوحيد، وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿فِطْرَتَ اللهِّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٣))(٤)، ويؤيد ذلك قوله ﷺ (مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ)(٥).

والمقصد من فطرة الناس على التوحيد إنما هو معرفة الله تعالى القدوس بتعريفه نفسه لهم، وهو التمكن من معرفته، فإنه تعالى لو لم يعرِّف نفسه لهم ولم يكن الإنسان مفطوراً على معرفته لم يدرِ أحدٌ مَن رازقه ولا مَن خالقه(٦).

وتظهر هذه العلاقة التوافقية بين الفطرة الإنسانية والمقاصد العقدية في أوجهٍ عدة، تعود جميعها الى الأهمية في

---

(١) الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح٦: ١/٢٠٩.

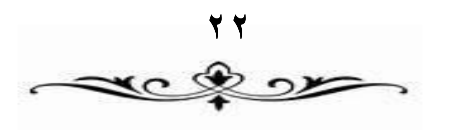
(٢) الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المكنى بأبي جعفر، نزيل الري وهو الصدوق فيما يرويه عن الائمة الصادقين،، كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار، وله نحو ثلاثمائة مصنف، منها، [من لا يحضره الفقيه] أحد الكتب الاربعة المعتمد عليها عند الشيعة في الحديث، وكتاب [الاعتقادات]، و[التوحيد]، و[النبوة]، و[عيون اخبار الرضا]، وغيرها كثير، توفي رحمه الله بالري سنة (٣٨١هـ): (يُنظَر) رجال العلامة الحلي ـ جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ)، مخطوطة، موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية ـ www.al ـ mostafa.com:٧٢، و رجال النجاشي:٣٧٤ ـ ٣٧٥، وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ـ العلامة السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت١٣١٣هـ)، مكتبة اسماعيليان، المطبعة الحيدرية، طهران ـ ايران، ١٣٩٠هـ: ٥٧٧.

(٣) [سورة الروم: من الآية ٣٠].

(٤) الاعتقادات في دين الامامية ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، باب الاعتقاد في الفطرة والهداية:٣٦، ومعرفة الله تعالى بالله لا بالأوهام الفلسفية والعرفانية، الشيخ حسن الميلاني، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام، مشهد ـ ايران، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٤م: ٢٥، و(يُنظَر) العقائد، العلّامة الشيخ محمود رضا المظفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ٢٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، جزء من ح ٢٦٥٩: ٤/ ٢٠٤٩.

(٦) (يُنظَر) معرفة الله تعالى: ٤١٢.



الدعوة الى العقيدة الصحيحة والحفاظ عليها من نواحٍ عدةٍ تتعلق بهذه الفطرة وما جبلت عليه، منها:

١ ـ الاستغاثة الفطرية بالله تعالى والدعاء

ذلك أنَّ التصديق بوجود الله تعالى أمرٌ فطري، (ولذا تجد الناس عند الوقوع في الأهوال وصِعاب الأحوال يتوكلون بحسب الجبلَّة على الله تعالى ويتوجهون - توجهاً غريزياً ـ الى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصِعاب، وإن لم يتفطنوا لذلك)[١].

وحاصل أهمية هذا المقصد ان النفس مفطورةٌ على الإيمان بوجود الخالق الصانع؛ ولذا نراها عند فزعها وتقطع الأسباب المادية عنها ترجع الى ربها تدعوه وتتضرع اليه، وتطلب منه حاجاتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾[٢]، وحتى فرعون قد تعلقت نفسهُ بخالقها ودعاه تعالى للنجاة من الغرق، مع إنه كان مُدعياً للربوبية ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣][٤].

ويدل على ذلك ما روي عن الامام العسكري عليه السلام قوله في معنى اسم الله: (هو الذى يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، عند انقطاع الرجاء من جميع مَن دونه، وتقطع الاسباب من كل مَن سواه، وذلك أن كل مترئس في هذه الدنيا أو متعظم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه، فانهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كفى همه، عاد إلى شركه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِّ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِّ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[٥][٦].

٢ ـ التحرز من الأفكار الدخيلة

إن معرفة المقاصد العقدية تعطي المسلم مناعةً كافية ضد الغزو الفكري والعقدي، والمبادئ الكاذبة

(١) أنوار الحكمة، العلامة محمد بن المرتضى محسن الملَقَب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، دار الأميرة ودار القارئ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ١٧، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، المحقق والعلامة محمد بن المرتضى محسن الملَقَب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م:١/٢١١، و(يُنظر) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، المحقق العلّامة جعفر السبحاني، نقله إلى العربية: جعفر الهادي: ٤٥.

(٢) [سورة يونس: الآية ١٢].

(٣) [سورة يونس: من الآية٩٠].

(٤) الإحكام في علم الكلام، السيد محمد حسين ترحيني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى١١:١٩٩٣، و(يُنظَر) العقائد: ٢٦.

(٥) [سورة الأنعام: الآيتان ٤٠، ٤١].

(٦) التفسير المنسوب إلى الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، اشراف: السيد محمد باقر الاصفهاني، مطبعة اعتماد ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ: ٤٢ والتوحيد ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (ب. ط)، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، صدر الحديث ٥: ٢٣١.

والدعوات الهدامة التي تسعى لإخفاء محاسن العقيدة الإسلامية، وتشويه معالمها مما يتيح تهوينها والافتراء عليها، معكراً الصفاء الذي جبل الله تعالى عليه الناس منذ بداية خلقهم.

ومن موارد هذا الصفاء في عرض العقائد الإسلامية ما وَرَد فيما رُوي من قولِ رجلٍ للإمام الصادق عليه السلام: (يا ابن رسول الله، دُلَّني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليَّ وحيروني، فقال له عليه السلام: (يا عبد الله، هل ركبت سفينةً قط؟ قال: بلى، فقال عليه السلام: (هل كُسِرت بك حيث لا سفينة تنجيك؟)، فقال: بلى، قال عليه السلام: (فهل تعلَّق قلبك هنالك ان شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟)، قال: بلى، قال الصادق عليه السلام: (فذلك الشيء هو الله تعالى القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث)[١].

فالمتأمل في بعض ما كُتبَ في أبواب الدين من الفقه والعقائد والأخلاق يدل على أنَّ شيئاً من الدَخن قد أصابها نتيجة عدم مراعاة أو استيعاب مقاصد الشارع منها في بعض الأحيان، وبالذات العقيدة الإسلامية؛ فإن لها من الأهمية ما يفسر ذلك الاهتمام الكبير في عرضها من قبل أغلب علماء العقائد؛ وذلك للحيلولة دون تحول الحقائق الإيمانية الى جدلٍ فارغٍ أو خرافات، وهو ما تبتغيه الأفكار الدخيلة عليها من قبل بعض الحركات الإلحادية التي تتحداها في كلِّ زمان ومكان[٢].

وهذا التحدي الذي تعرضه قضية العقيدة ومقاصدها في حياة البشرية يجعلها محط دراسة مستمرة في كل عصر ومصر، مما يفرض استمرارية الصياغة المعرفية لها للتحدي بها في مواجهة العقائد والمذاهب والأفكار الأخرى.

ثالثا: توافق المقاصد العقدية مع العقل الإنساني

تظهر أهمية المقاصد العقدية في باب العقائد ذاته وفي الدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، فحين مخاطبتنا للملاحدة والمنكرين الذين يوردون الشبهات المختلفة وغيرهم، فإننا لا نكتفي بإيراد النصوص من القرآن الكريم والروايات الشريفة، فقد لا يقنع بها المنكِر؛ لعدم إيمانه بأصولها، فنحتاجُ عندئذٍ الى الخطاب العقلي الذي يستعمله عادةً الباحثون في العقيدة ومقاصدها.

وتتجلى هذه الموافقة بين المقاصد العقدية والعقل الإنساني في أمورٍ عدة، منها:

١ ـ تثبيت العقيدة في النفوس

إنما كانت أهمية المقاصد ودورها في تثبيت العقائد في النفوس؛ لأنها تتحول من معارف أولية الى قناعةٍ عقلية يندمج تأثيرها في الوجدان، ومن ثَمَّ يمكن أن تؤثر في السلوك، فتكون هذه المقاصد باعثةً الى اليقين وطمأنينة النفوس، وفي ذلك يقول الامام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ): (معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكمة استمالةٌ للقلوب

(١) تفسير الامام العسكري: ٣٧، والتوحيد للصدوق، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، ح ٥: ٢٣١.

(٢) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها. د. نور الدين أبو لحية، بحث منشور، مجلة المنهاج، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣٦، السنة السادسة عشر، خريف ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م:١٣٧.



الى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة الى التصديق، فإن النفوس الى قبول الأحكام المعقولة الجارية على ضوء المصالح أميل منها الى قهر التحكم ومرارة التعبد)[1].

ومما يؤيد تأثير المقاصد في استمالة القلوب لمعرفة الله تعالى أنَّ من اعتقد بربوبية الله تعالى، قاده اعتقاده إلى التوحيد والعبادة، وانقلب خوفه على رزقه وعلى عياله وعلى حياته طمأنينة، فالله هو الخالق المالك المدبر ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، ﴿وهُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3].

ومن اعتقد بأسماء الله تعالى وصفاته أثَّر ذلك في نفسه وعمله، فمن اعتقد بأن الله تعالى هو السميع البصير، خاف معصيته وأقبل على طاعته، ومن اعتقد بأنه التواب الغفور اللطيف الودود، عصمه ذلك من اليأس والقنوط، ودفعه إلى التوبة والأوبة، ومن اعتقد بأن الله هو الضار النافع المحي المميت، عصمه ذلك من الجُبن، والخوف مما سواه تعالى، وامتلأ قلبه شجاعة وقوة[4].

وهذا ما يدعو الى ضرورة البحث والتفكر في كل باب من أبواب العقائد والنظر في مقاصد الشارع منه، بل والاهتمام به بقدر ما عنيَ به الشارع من غير أن نزيد على ذلك أو ننقص[5].

وهذا التأثير والتثبيت للعقائد في النفوس، إنما يكون تأثيره متجاوزاً الفرد ليشمل المجتمع في حال قبولها والسعي الى تحصيلها.

٢ ـ النظر في النصوص الشرعية وتدبرها

إن هذا التفكر والنظر المقاصدي يسهم في صياغة العقل العربي والإسلامي، وينقيه مما يواجهه من شوائبَ وشبهٍ مما يعرضه لنوعٍ من الخلل من صعوبة التعامل مع منظومة الشرع والاعتقاد الصحيح والمنهج المقاصدي الأصيل[6]، (وترد كلمة النظر بتصرفاتها المتعددة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وهي تفيد في سياقها العام التنبيه إلى ضرورة إعمال العقل وعدم تعطيله وحثَّه على التأمل في الكون والاهتداء الى البراهين والأدلة والبحث والاستقصاء عن الآيات والحجج الدالة على خالق الوجود، وبارئ النعم، ومدبر النظام في هذا الوجود)[7].

---

(١) شفاء الغليل: ٥٤١.

(٢) [سورة الأعراف: الآية ٥٤]

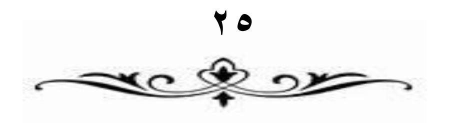
(٣) [سورة الذاريات: الآية ٥٨].

(٤) (يُنظَر) منهج طالب العلم في دراسة العقيدة، أ. سامح عبد الاله عبد الهادي، مقال في موقع صيد الفوائد: https://saaid.net/mktarat/alalm/١١٢.htm

(٥) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها:١٣٧.

(٦) (يُنظَر) الاجتهاد المقاصدي ـ حجيته، ضوابطه، مجالاته ـ د. نور الدين ابن مختار الخادمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ٤٥.

(٧) مبحث النظر عند المتكلمين ـ الدكتور محسن قحطان حمدان ـ بحث منشور ـ مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد، العدد ٣٠ لسنة ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: ٣٦٥.



فقد دعا تبارك وتعالى الإنسان إلى ذلك عن طريق النظر والتفكر في عجائب ما خلقه الله تعالى في السموات والأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٢).

وقد سُئِل أمير المؤمنين عليه السلام عن اثبات الصانع، فقال:(بصنع الله يُستَدَلُّ عليه، وبالعقول تُعتَقَدُ معرفته، وبالتفكر تثبتُ حجته، معروفٌ بالدِلالات، مشهودٌ بالبينات)(٣).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٤): (من لم يدُلَّه خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ودوران الفلك بالشمس والقمر، والآيات العجيبات، على أن وراء ذلك أمرٌ هو أعظم منه، ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾، قال عليه السلام: فهو عما لم يعاين أعمى وأَضل)(٥).

ولذلك كان هذا التفكر والنظر في خَلق السموات والأرض سبيلاً في الترقي الى ما يليه من الإيمان بعظمة الله تعالى وقدرته، والتفكر والتدبر في أسمائه وصفاته، وما وجب على العباد من أسرار الغيبيات وأمور الأخرة، مما يجعله سبيلاً في معرفة مقاصدها المرجوة منها.

٣ ـ تأثيرها في الفرد لتكون سبيلاً الى التحلي بالحياة الإسلامية

إنما يندرج هذا التأثير تحت توافق المقاصد العقدية مع العقل الإسلامي لأن الإنسان إذا عقِل المقاصد الحقيقية والحِكم الإلهية من حياته الى مماته وما بعده، فإنه سيعيش الحياة التي أرادها الله تعالى ضمن أمره ونهيه، ويلتفت الى أنه حلقة من حلقات لا تُعَد ولا تحصى من هذا الكون، محاولاً الربط بين دنياه وآخرته والفوز بما علِم به مما أعدَّه الله تعالى لأوليائه موقناً بعدله وحكمته وعطاءه(٦).

وهذه الحياة الإسلامية إنما تتجسد في الفرد المؤمن بعقيدته إيماناً حقيقياً؛ لأن الإيمان الحق بالله تعالى يدفع الى إيجاد عقلية منهجية حصيفة، تضبط فكر المسلم وفعله وسلوكه وأخلاقه، فلا عبثية في الخلق في مفهومه وتصوره، وكل سبب صادر من مسبب، وكل أمر له علة وغاية، وبالتالي، فإن هذه العقلية تقف على تصورٍ علمي يقيني راسخ،

---

(١) [سورة يونس: الآية ١٠١].

(٢) [سورة النحل: الآية ٣٦].

(٣) روضة الواعظين ـ الشيخ العلامة محمد بن الفتال النيشابوري (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: غُلا محسين المجدي، ومجتبى الفرجي، مطبعة نكارش، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، باب الكلام في النظر وما يؤدي اليه، ح٧٠: ٧٦، ومعارج اليقين في اصول الدين، الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ٣٥.

(٤) [سورة الإسراء: الآية ٧٢].

(٥) التوحيد للصدوق، باب النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله تعالى، ح٦: ٤٥٥.

(٦) (يُنظَر) ما بين الجنة والجحيم ـ السيد حسين السيد اسماعيل الصدر، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م: ١٩، ٢٠

وهو أن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون، وأن الإنسان خليفةً في هذه الأرض بالشريعةِ والمنهاج اللذين بُعِث بهما سيد ولد آدم، النبي محمدﷺ ليرسم بها الحياة المثلى للإنسان في هذا الوجود، وهو تصور يستند إليه" الإنسان الخليفة" آمناً مطمئناً(١).

كما ينعكس ذلك واضحاً على (التركيب العقائدي للدولة الذي يقوم على أساس الإيمان بالله وصفاته، ويجعل من الله هدفاً للمسيرة وغاية للتحرك الحضاري الصالح على الأرض وهو التركيب العقائدي الوحيد الذي يمد الحركة الحضارية للإنسان بوقودٍ لا ينفذ)(٢).

فللمقاصد العقدية أهمية للفرد ومجتمعه وامته، إذ تعمل على التعريف بعقيدة الإسلام، والانتقال بها من عقيدة أفراد الى عقيدة مجتمعات وأُمم، في إطار تحقيق أهداف سامية وكبرى (التعارف، التعاون، الوحدة)، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣)، وبهذا الفكر يفسر المجتمع على أنه في معرض الكثرة في شعوبه وأفراده إنما هو راجعٌ الى وحدة جامعة بسبب وحدة الأصل ووحدة الغاية، ووحدة المبدأ في تكريم الإنسان بمقتضى الإنسانية فيه، ثم إنه يخضع الى وحدة مقياس التفاضل وهو ميزان التقوى الذي يوزن الناس جميعاً(٤).

كما تتوسع هذه الأهمية من الفرد المسلم لـ(إنارة العقل العالمي كذلك وتبصيره بكونية الإسلام وإنسانيته وحضاريته، وبأنه رسالة للإصلاح والتسامح والحرية والنماء الشامل، وهذا من شأنه أن يمكن المسلمين من إزالة وتضييق مبررات الإقصاء والتحامل، وبالتالي من تحقيق الأهداف والمقاصد الملحة في الواقع المعاصر)(٥).

وهذا المطلب مع إطالته فليس هو إلا جزء من أهمية الدراسات المقاصدية وتأثيرها في جميع أبواب الدين والدنيا والآخرة، فالسائر الى الله تعالى والدار الآخرة، بل كلُّ سائرٍ الى مقصد، لا يتمُّ سيره ولا يصل الى مقصوده إلَّا بقوتين، قوة علمية، وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومَواضع السلوك، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة. وهذه القوة العلمية تمثل معرفة الغايات التي تهدف اليها العقيدة الإسلامية، أمَّا القوة العملية فبها يسيرُ حقيقةً، بل السيرُ هو حقيقة القوة العملية، ووسيلتها، وهو عملُ المسافر، وكذلك السائرُ الى ربه إذا أبصَرَ الطريق وأعلامها والطرق الناكبة عنها فقد حصل لهُ شطرَ السعادة والفلاح(٦).

(١) (يُنظَر) مقاصد القرآن الكريم في فكر النورسي: ٣٥٢.

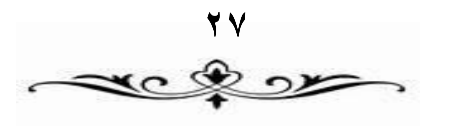
(٢) الكلمات القصار ـ السيد محمد باقر الصدر، مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الاولى ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: ٥.

(٣) [سورة الحجرات: الآية ١٣].

(٤) (يُنظَر) طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م:٣٩٧.

(٥) الاجتهاد المقاصدي: ٤٦.

(٦) (يُنظَر) طريق الهجرتين وباب السعادتين:٣٩٧.



المبحث الثاني: مسالك معرفة المقاصد العقدية وضوابطها

كما سلَك علماء الشريعة مناهجهم لاستنباط المقاصد الشرعية، فكذلك المقاصد العقدية، ذلك أن مصدر التشريع واحد، والإسلام إنما يتألف من عقيدةٍ وشريعة، فقد (حظيت قضية طرق اثبات المقاصد باهتمام العلماء، فتفاوتت أنظارهم وأفهامهم بين متساهلٍ ومتشدد فيها، مما يقف عائقاً أمام تجددها وشموليتها ومواكبتها للقضايا المعاصرة والمستجدة؛ ذلك لأن الأحكام الشرعية جد متفرعة ومعقدة، بينما الأحكام الاعتقادية محدودة ومضبوطة، وما دام الحديث عن المقاصد الشرعية كان متقدماً عن المقاصد العقدية تأليفاً وتدويناً، فإن اللاحق يستفيد من السابق ـ منهجاً وطريقةً واستدلالاً)[1].

ومن خلال متابعة جهود العلماء الأوائل[2] في طرقهم لاستخلاص المقاصد الشرعية، فقد وجدنا أن المقاصد العقدية تتحدد في استنباطها من نفس المسالك التي تُعرَف منها المقاصد الشرعية ومصادر العقيدة الإسلامية، وذلك من دليلين رئيسيين للعقيدة الإسلامية وهما الأدلة النقلية والأدلة العقلية، وعلى أساسهما يتفرع هذا المبحث الى مطلبين، أحدها في المسالك النقلية للمقاصد العقدية، والمطلب الثاني في المسالك العقلية.

المطلب الأول: المسالك النقلية للمقاصد العقدية ومواطنها

وذلك عن طريق استنباط المقاصد بالتدبر في آيات القرآن الكريم وروايات السنة النبوية المطهرة، يقول الشيخ العز بن عبد السلام[3] رحمه الله (ت ٦٦٠هـ): (ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمرَ بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يُعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يُعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[4] وهذا ظاهر في الخير الخالص والشر المحض)[5].

ولأجل بيان هذه المسالك وضوابطها المحددة لها فسنرجعها الى مصدَرَيها ودليليها الأساسيين، هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم نبين مواطن هذه المقاصد منها بإيجاز.

---

(١) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٨.

(٢) ومنهم الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) والامدي (ت٦٣١هـ) وعز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، والشاطبي (ت٧٩٠هـ) رحمهم الله تعالى وغيرهم.

(٣) الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب، ومفيد أهله، قرأ الأصول على الآمدي وبرع في الفقه والأصول والعربية، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال الناس ومآخذهم، وصنَّف التصانيف المفيدة، منها كتابه [قواعد الأحكام]، و[ملحة الاعتقاد]، توفي رحمه الله في مصر سنة (٦٦٠هـ)، وكان لطيفا ظريفا يستشهد بالأشعار مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين. (يُنظَر) سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٣/ ٢٤١، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: ٧/ ٥٢٢.

(٤) [سورة الزلزلة: الآيتين ٧،٨].

(٥) قواعد الاحكام في مصالح الأنام. المحدِّث عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ)، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩١م: ٢/١٦١.

أولاً: القرآن الكريم

القرآن الكريم هو العمدة والاساس في استنباط المقاصد العقدية؛ إذ وردَ في العديد من آياته الكريمة ذكر مصالح الدارين جلباً لها، وكما عرَّفَ بمفاسدها دفعاً لها[1]، ويبين ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) وضوح هذه المصالح وظهورها بقوله: (أدلة القرآن الواضحة الدلالة التي يضعف احتمال ان يكون المراد منها غير ظاهرها بحسب الاستعمال العربي، بحيث لا يُشَكُّ في المُراد منها إلا من شاء أن يُدخل على نفسه شكَّاً لا يُعتَدُّ به)[2].

كما يذكر الدكتور نور الدين الخادمي[3] أن جميع المقاصد الشرعية المعتبرة والمعلومة والمُقررة في الدراسات الشرعية إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها، تصريحاً أو تضميناً الى هَدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته، فيقول في ذلك: (المقرر شرعاً وعقلاً، اعتقاداً وتفصيلاً، إن القرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها، وأعلى المصالح وأعظمها، فهو أصل الاصول، ومصدر المصادر، وأساس النقول والعقول، وقاعدة أي بناء حضاري يهدف الى الإعمار والتنمية والازدهار والتقدم والصلاح، وغير ذلك من الغايات والمقاصد التي ترنو جميع الشعوب والامم الى تحقيقها وتحصيلها)[4].

ثم يشرع في بيان مواطن هذه المقاصد في أمورٍ عدة، منها استفادة مقاصد الشارع الحكيم من إرسال الرسل وتنزيل الكتب وبيان العقيدة والأحكام، وتكليف المكلفين ومجازاتهم، وبعث الخلائق والحياة والكون والوجود[5].

وقد تحتاج بعض الآيات القرآنية لأجل معرفة مدلولها ومقاصدها الى علومٍ أخرى وضوابط متعددة لا ينبغي لمن يريد فهم القرآن ومقاصده من جهلها، وهي نوعين[6]:

١ـ العلوم اللغوية

وهي العلوم التي قد يحتاجها المفسر لتعينه في تفسير الآيات الكريمة، وذلك لأن القرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب، وقد لا يمكن فهمه إلا بإتقان ما يحتاج اليه من هذه اللغة، وإليها نبه الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) في العلوم التي يتضمنها هذا النوع، وقد سماها (المقدمات)، بقوله: (وهي التي تجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو كما العلوم الشرعية، فإنها آلةً لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما، ولكن يلزم

(١) (يُنظَر) الموافقات: ٤/٢٧.

(٢) مقاصد الشريعة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ١٩٣.

(٣) الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي، تونسي الجنسية، تولد سنة ١٩٦٣ م، وحاصل على شهادة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية من جامعة الزيتونة، تخصص أصول الفقه ومقاصد الشريعة، أستاذ التعليم العالي بالمعهد العالي لأصول الدين، بتونس، ومدير مدرسة الدكتوراه بجامعة الزيتونة بتونس ،مقتبس من صفحته الشخصية على الموقع:

https://www.facebook.com/pg/khadminoureddine/about/?ref=page_internal

(٤) الاجتهاد المقاصدي: ٦٩.

(٥) المصدر نفسه: ٦٩، وما بعدها.

(٦) (يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٧م:٥٣٦.

الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة)[1].

ومن أمثلة المقاصد التي نستنبطها من ظاهر آيات القرآن الكريم مع حاجتنا لعلوم اللغة فيها، ما جاء في مقاصد الايمان بالله تعالى، بأنه الإيمان الذي يبتني على تصديق المؤمن بالله تعالى لخبره، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾[2]

فالإيمان في اللغة: من الأمن، ضدَّ الخوف، والفعل منه أَمِنَ يأَمَنُ أَمْناً، والمأمن موضع الأمن، وعليه، فالإيمان هو: التصديق نفسه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾، أي بمصدق[3].

(فالمؤمن بالله هو المصدق لله في خبره، وكذلك المؤمن بالنبي مصدِّق له في خبره، والله مؤمن لأنه يصدق وعده بالتحقيق، وقد يكون المؤمن في اللغة مأخوذاً من الأمان، والله تعالى مؤمن أوليائه من العذاب)[4].

فالإيمان الذي يبتني على التصديق هو الباعث على توحيد القلوب وبناء امة واحدةٍ متكاملة، وهذه من أسمى المقاصد التي من الممكن تحصيلها في حال ترسيخ هذه العقيدة في نفوس المؤمنين بها.

٢ـ العلوم التفسيرية

وهي العلوم التي تُعين المفسر للآيات الكريمة بالاعتماد على المصادر التفسيرية للدلالة على الكثير من المعاني المُرادة[5]،إذ إن اللغة قد لا تستقل لوحدها في فهم القرآن الكريم، فتحتاج العلوم التفسيرية الروائية مساندةً لها، وهو ما أطلق عليه الغزالي رحمه الله بـ(المتممات)، (وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضاً على النقل؛ إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه، كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر)[6].

ومثال ذلك في استنباط المقاصد من قضية معينة كشفاعة النبي محمد ﷺ في يوم القيامة، فمن ضمن هذه المقاصد بيان تعظيم شأنه ﷺ في ذلك الموقف وهو بشارته وتكريمه بالمقام المحمود الذي وعده به الله تبارك وتعالى،

---

(١) إحياء علوم الدين ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان (د ط).: ١/١٧، و(يُنظَر) جواهر القرآن ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٥م: ٣٦، والأبعاد الشرعية لتربية الأولاد: ٥٣٦.

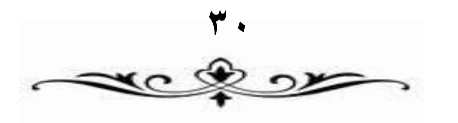
(٢) [سورة يوسف: من الآية ١٧].

(٣) العين: ١/ ٩٠، باب الهمزة، و(يُنظَر) اصول الدين، الإمام أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي (ت٤٢٩هـ)، طبع ونشر مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية،، مطبعة الدولة، اسطنبول، الطبعة الأُولى ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م: ٢٤٨، وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الكريم تتان، ومحمد أديب الكيلاني، دار البشائر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م: ٢٣٨.

(٤) اصول الدين للبغدادي: ٢٤٨.

(٥) (يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد: ٥٣٦.

(٦) إحياء علوم الدين: ١/١٧، و(يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد: ٥٣٦.



فمع هول الموقف وخشوع الأبصار لأمر الله تعالى، إذ يتم وعده لنبيه بهذا المقام المحمود في قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(١).

ولا يمكن بيان أو معرفة هذا المقصد إلا بالرجوع الى التفاسير القرآنية لمعرفة المُراد بالمقام المحمود الذي يُكرَّم به نبينا محمد ﷺ، وهو، ولا ريب، مقام مرتفع جدّاً يستثير الحمد، و إن الرّوايات الإسلامية التفسيرية تشير إلى أنَّ هذا المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى(٢).

وهذه العلوم بعد أن ذكرها وأوضحها الدكتور نور الدين ابو لحية(٣) فأطلق عليها علوم وسائل، لأنها الوسيلةَ لفهم كتاب الله تعالى، كي تليها علوم المقاصد، وهي ثمرة علوم الوسائل، بل هي العلوم المقصودة بذاتها؛ لأن الغرض منها فهم مراد الله تعالى من كلامه ورسالته لعباده، ومن الخطأ الكبير أن نشتغل بإعراب رسالةً من الله تعالى وتبيين مزاياها البلاغية والاعجازية، ثم نغفل عن المقصود منها(٤)، فالوصول الى مرتبة علمٍ ما، وتحقيق هذه المقاصد هو ما أراده الله تعالى لأجل تحقيق مصالح الدارين لهم.

ويقول في هذه المقاصد القرآنية وأهميتها الإمام الغزالي رحمه الله (ت ٥٠٥هـ) حيث حصر مقاصد القرآن الكريم ونفائسه الى ستة أنواع، فيقول: (سر القرآن ولبابه الأصفى ومقصده الأقصى دعوة العباد الى الجبار الأعلى رب الآخرة والأولى خالق السماوات العلى والأرضين السفلى وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع، ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة، وثلاثة هي الروادف والتوابع المغنية المتمة، أما الثلاثة المهمة فهي:

١ـ تعريف المدعو اليه.

٢ـ تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك اليه.

٣ـ تعريف الحال عند الوصول اليه)(٥).

ثم يذكر متمماتها فيقول فيها: (الثلاثة المغنية المتمة:

---

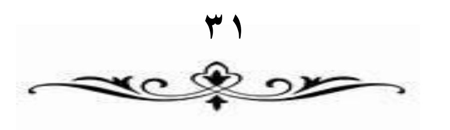
(١) [سورة الاسراء: من الآية ٧٩].

(٢) (ينظر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨٨/٩، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ: ٣/ ٤٥٢.

(٣) نور الدين أبو لحية كاتب وأستاذ جامعي في جامعة باتنة في الجزائر، له أكثر من مائة كتاب في المجالات الفكرية المختلفة، مرتبة على شكل سلاسل، آخرها في الوقت الحالي سلسلة سنة بلا مذاهب في جمع الحديث الشريف والتي يحاول من خلالها أن تكون موسوعة شاملة لكل الأحاديث المقبولة، وهي الموافقة للقرآن الكريم والعقل والفطرة والواقع، والواردة في المصادر السنية والشيعية، فضلاً عن المحاضرات الصوتية لما يزيد عن ذلك، وهو مهتم خصوصاً بمواجهة الفكر المتطرف والعنف والإرهاب، بالإضافة لدعوته لتنقيح التراث، والتقارب بين المذاهب الإسلامية، من دعاة التواصل الإنساني والحضاري بين الأمم والشعوب. مقتبس من سيرته الشخصية على الموقع الالكتروني: http://www.aboulahia.com/sira.htm

(٤) الابعاد الشرعية لتربية الاولاد: ٥٣٥، و ٥٣٨.

(٥) جواهر القرآن: ٢٣.



فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الاجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب

و**ثانيها**: حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق وسره ومقصوده في جنب الباطل الافضاح والتنفير وفي جنب الحق الايضاح والتثبيت والتقهير.

و**ثالثها**: تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد)(١).

أما ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) فقد ذَكَرَ إن هذه المقاصد منها ثمانية رئيسية تتفرع عنها مقاصد وغايات فرعية كثيرة تشمل جميع جوانب حياة الفرد المسلم والامة، والمقصد الأول منها والأهم إنما هو بإصلاح الاعتقاد لأنه السبب الذي يندرج منه مصالح الدنيا والدين، والمقاصد التي ذكرها هي(٢):

١ ـ إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح: وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾(٣)، فأسند تعالى لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة(٤).

٢ ـ تهذيب الأخلاق: والمراد منها تهذيب الاخلاق واصلاحها، وهناك مطالب كثيرة في هذا المجال تجسدت في آي القرآن الكريم، وروايات السنة المطهرة، ومن المعلوم أن جانباً مهماً من نجاح الرسول الأكرم ﷺ في مهمته ورسالته مدينٌ لهذه الخلة الحسنة في تعامله مع افراد مجتمعه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٦)(٧).

٣ ـ التشريع: وهو الأحكام خاصةً وعامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾(٨) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾(٩).

---

(١) جواهر القرآن: ٢٣، ٢٤.

(٢) (يُنظَر) التحرير والتنوير: ١/٤٠، ٤١.

(٣) [سورة هود: من الآية ١٠١].

(٤) (يُنظَر) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٥٩.

(٥) [سورة القلم: الآية ٤].

(٦) [سورة آل عمران: الآية ١٥٩].

(٧) (يُنظر) الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ومجموعة من العلماء، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام ـ قم، الطبعة ٢، ١٤٢٦هـ: ٣/١١٠.

(٨) [سورة النساء: الآية ١٠٥].

(٩) [سورة المائدة: من الآية ٤٨].



٤ ـ سياسة الأمة: وهو باب عظيم في القرآن الكريم القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[(١)].

٥ ـ القصص وأخبار الأمم السالفة: وذلك لأجل التأسي بصالح أحوالهم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[(٢)][(٣)]، وكذلك التأسي (بسنة الابتلاء كما حدث للأنبياء (يعقوب ويوسف، وأيوب، موسى وعيسى.) عليهم السلام، وسنة اهلاك الطغاة كـ (ابن نوح[(٤)]، وقارون، وفرعون.)، وسنة الضلالة والهداية كما في قصص (امرأة فرعون وامرأة لوط)، وسنة التدافع بين الحق والباطل، فقد بين تعالى أن المواجهة بين أهل الحق وأهل الباطل قائمة منذ القدم وماضيةً الى الأبد، وأنه تعالى مؤيدٌ جنده.)[(٥)].

٦ ـ التعليم: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوَّه بشأن الحكمة فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[(٦)]، وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم، وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفراداً اختصوا بفرط ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[(٨)]، فنبه إلى مزية الكتابة[(٩)].

٧ ـ المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير: وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة

---

(١) [سورة آل عمران: من الآية ١٠٣]

(٢) [سورة يوسف: من الآية ٣]

(٣) التحرير والتنوير: ١/٤١.

(٤) كنعان بن نوح أو يام بن نوح، هو الابن الرابع للنبي نوح عليه السلام، وأخو سام وحام ويافث، وأتى ذكره في الإسلام فقط، حسب الديانة الإسلامية فإنه كافر ومات غرقا في الطوفان لأنه رفض ركوب السفينة مع أبيه ولكن لم يذكر الاسم كنعان في القرآن عندما خاطب نوح ابنه الذي اعتلى الجبل بنص الايات. وقد كانت أمه واغلة كافرة أيضا فلاقت نفس المصير لأنها رفضت الركوب كذلك أما إخوته الثلاثة وزوجاتهم وامرأته هو فكانوا كلهم مؤمنين فركبوا جميعاً. (يُنظر) قصص الأنبياء ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م: ١/ ١٠٠.

(٥) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ١٦١.

(٦) [سورة البقرة: من الآية ٢٦٩]

(٧) [سورة العنكبوت: من الآية ٤٣]

(٨) [سورة القلم: الآية ١]

(٩) التحرير والتنوير: ١/٤١.

للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب[1].

وهو الباب الذي يدعو الى سلوك الطريق الأقوم للعقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

ويبين السيد ناصر مكارم الشيرازي[3] مفهوم هذه العقيدة التي يدعو اليها القرآن الكريم بقوله(هو أن القرآن الكريم يمثل أقصر وأفضل طرق الاستقامة والثبات والهداية وبهذا فإن الطريق القويم من وجهة نظر العقائد والأفكار، يتمثل بالعقائد الواضحة، القابلة للهضم والإدراك والفهم، والتي تكون أساساً للعمل؛ وتعبئة الطاقات الإنسانية باتجاه الإعمار والبناء، العقيدة الأقوم هي العقيدة الخالية من الخرافات والأوهام، وهي التي توائم بين الإنسان وعالم الوجود والطبيعة من حوله، والعقيدة الأقوم من هذه الزاوية، هي التي توافق بين الإعتقاد والعمل، والظاهر والباطن، الفكر والمنهج، وتدفع الإنسان والجميع نحو الله تعالى)[4].

٨ ـ الإعجاز: والاعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه، ومتحدى لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5].

ولا يسع المتفهم للقرآن الكريم أو المفسر له أن يغفل عن دراسة مقاصده أو الوقوف على أسرار خطابه وغايات آياته في الإنسان والكون والحياة، وهذا هو ما تتطلبه الدراسة المنهجية في التعامل معه، قراءةً وفهماً وتفسيراً[6].

ثانياً: السنة النبوية

وتتمثل بالروايات الشريفة الصحيحة عن النبي محمدﷺ، فلم تقتصر مقاصد العقائد موافقتها للنصوص الشرعية على آيات القرآن الكريم، بل إنها شملت العديد من الروايات الشريفة، والتي تدعو الى الالتزام بهذه العقيدة الإسلامية عن طريق مقاصد وغايات لا تخفى خلال تدبرها.

(١) التحرير والتنوير: ١/٤١.

(٢) [سورة الاسراء: الآية ٩، ١٠].

(٣) الشيخ ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي، ولد الشيرازي سنة ١٣٤٥هـ (الموافقة لسنة ١٩٢٤)، بمدينة شيراز في جنوب إيران، في أسرة متدينة، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشر من عمره حين كتب حاشية على [كفاية الأصول]، وألف الكثير من الكتب الفقهية المهمة بعد تدريسها، من مؤلفاته [نفحات القرآن]، و[الأخلاق في القرآن]، و[تعليقات على العروة الوثقى]، [الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل]، [المعاد وعالم بعد الموت]. موقعه على الانترنت: http://makarem.ir/biography/?lid

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨/ ٤٠٨.

(٥) [سورة يونس: من الآية ٣٨]

(٦) (يُنظَر) مقاصد القرآن في فكر النورسي: ٣٥١.

بل إن جميع ما قيل في مقاصدية القرآن الكريم يّقال في مقاصدية السنة النبوية الشريفة، ويذكر الامام الشاطبي رحمه الله (ت٧٩٠هـ) إن (الكتاب أتى بها أصولاً يُرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعاً على الكتاب وبياناً لما فيه منها)[١]، وأوضح ذلك الدكتور نور الدين الخادمي بقوله (ان السنة تبين مراد القرآن الكريم ومقاصده، فالنواحي المقاصدية التي أقرَّها القرآن الكريم في الجملة هي نفسها التي عملت السنة الشريفة على ابرازها وتأكيدها وتفصيلها وتفريعها، بحكم العلاقة الوثيقة بينهما في بيان الشرع وتحديد مقاصده وأسراره)[٢].

فقد ورَد في السنة إنها محققةً لمصالح العباد بجلب مصالحهم في الدنيا والآخرة، إذ جعل الله تعالى إرسال النبي ﷺ رحمةً للعالمين، وذلك يقتضي أن تكون الرحمةَ في أقواله وأفعاله وتقريراته[٣]، فمن السنة تُستفاد غايات الوجود الكوني وأهداف الحياة الإنسانية، ويتبين المقصد الكلي المتعلق بتحقيق عبودية الخالق وإصلاح المخلوق[٤].

وللروايات الشريفة ضوابط في صحتها وقبول أسانيدها بأن تكون مستجمعةً لشروط صحة الحديث في السند والمتن، خالية من الاسرائيليات، وقد تعددت فيها الدراسات الحديثية.

ثالثاً: مواطن المقاصد في المسالك النقلية

ورَد في النصوص النقلية من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بيان أغلب مقاصد العقيدة الإسلامية، منها ما يشمل جميع أبوابها بصورةٍ عامة، ومنها ما يخص أركاناً معينة من أركانها، وإنما يمكن معرفة مواطن هذه المقاصد بعدة أساليب في النصوص الكريمة، سواءً من خلال الأمر والنهي الابتدائيين التصريحيين، أو علل الأمر والنهي، أو من خلال النصوص التقريرية، أو تتبع الأدلة حول علةٍ واحدة.[٥].

كما سلك الأنبياء عليهم السلام طرقاً لإيصال الخلق الى مقصودهم، إما بالحوار أو المناظرة، وضرب الأمثال، وتقديم النماذج الضاربة في التاريخ البشري والتزام الأدلة والبراهين الدامغة[٦].

ولا يمكن حصر هذه الاساليب إلا إنه يمكن متابعة العلماء السابقين في تحديد مسالك معينة لها، وأكثر من ذكر هذه الأساليب الامام العز بن عبد السلام رحمه الله (ت٦٦٠هـ)، حيث بين هذه المواطن، ومنها:

---

(١) الموافقات: ٤،٢٧، و(يُنظَر) الاجتهاد المقاصدي: ٧٨.

(٢) الاجتهاد المقاصدي: ٦٠، و(يُنظَر) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية ـ د. محمد سعيد بن أحمد مسعود اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض، البعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م: ١١٢، والاستقراء ودوره في معرفة مقاصد الشارع عند الامام الشاطبي، بحث منشور، ماهر الحولي، مجلة جامعة الازهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد١: ٥٦٦ ـ ٥٦٨.

(٣) (يُنظَر) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١١٣.

(٤) الاجتهاد المقاصدي: ٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٧٩.

(٦) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٨(بتصرف).

١ـ الأمر والنهي الابتدائيان التصريحيان والضمنيان

من أنواع الأمر التي ذكرها الامام العز بن عبد السلام ﷺ (ت٦٦٠هـ) هي: (كل فعل كسبي عظَّمه الشرع، أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو فرح به أو أحبه أو أحب فاعله أو رضي به أو رضي عن فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله، أو نصبه سبباً لمحبته أو لثواب عاجل أو آجل، أو نصبه سبباً لذكره أو لشكره، أو لهدايته أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه أو لتكفيره أو لقبوله، أو لنصرة فاعله أو بشارته، أو وصف فاعله بالطيب أو وصفه بكونه معروفاً، أو نفى الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالأمن، أو نصبه سبباً لولاية الله تعالى، أو وصف فاعله بالهداية، أو وصفه بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء أو دعا الله به الأنبياء فهو مأمور به)[١].

أما النهي فهو(النهي عن كل فعل كسبي طلب الشارع تركه، أو عتب على فعله أو ذمه أو ذم فاعله لأجله، أو مقته أو مقت فاعله لأجله، أو نفى محبته إياه أو محبة فاعله، أو نفى الرضا به أو نفى الرضا عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو الشياطين أو نصبه مانعاً من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو بغضوه، أو نصبه سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم أو لضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو رجس أو نجس، أو بكونه إثماً أو فسقاً أو سبباً لإثم أو زجر أو لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو لارتهان النفوس أو لقسوة أو خزي عاجل أو آجل، أو لتوبيخ عاجل أو آجل أو لعداوة الله تعالى أو محاربته أو لاستهزائه)[٢].

ومن أمثلة ما ورد من هذه الأوامر ما نستقصيه من مقصد إخلاص العبودية لله تعالى والصدق في الاستجابة لدعوته، وهو ما يُفهم من تدبر الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾[٣]، حيث جسَّد في هذه الآيات الكريمة مشهد النبي إبراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام في قصة الذبح، بعدما رأى في منامه رؤيا تخص ذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق وصدق، فعرض الأمر على ابنه اسماعيل فلم يعترض ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٤]، ولم يتردد في القبول والرضا بقدر الله تعالى[٥].

٢ـ التعليل

والتعليل هو (إخباره تعالى أنه فعل كذا لكذا، أو من أجل كذا، أو بأي مسلك من مسالك العلة المعروفة

---

(١) الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: ٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٥.

(٣) [سورة الصافات: من الآية ١٠٢].

(٤) السورة والآية نفسيهما.

(٥) (يُنظَر) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ١٦٨.

وذلك في آياتٍ كثيرة، وهي غالبة في هذا الباب)[1].

ويوضح أغلب هذه التعليلات ابن القيم الجوزية[2] رحمه الله (ت٧٥١هـ) بقوله (والقرآن وسنة رسول الله ﷺ مملوآن من تعليل الأحكام بالحِكم والمصالح وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الإحكام ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة، فتارة يذكر لام التعليل الصريحة، وتارة يذكر المفعول لأجله الذي هو المقصود بالفعل، وتارة يذكر من أجل الصريحة في التعليل، وتارة يذكر أداة كي، وتارة يذكر الفاء وأن، وتارة يذكر أداة لعل المتضمنة للتعليل المجردة عن معنى الرجاء المضاف إلى المخلوق، وتارة ينبه على السبب يذكره صريحاً، وتارة يذكر الأوصاف المشتقة المناسبة لتلك الأحكام ثم يرتبها عليها ترتيب المسببات على أسبابها، وتارة ينكر على من زعم أنه خلق خلقه وشرع دينه عبثاً وسدى، وتارة ينكر على من ظن أنه يسوى بين المختلفين اللذين يقتضيان أثرين مختلفين، وتارة يخبر بكمال حكمته وعلمه المقتضى أنه لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين وأنه ينزل الأشياء منازلها ويرتبها مراتبها، وتارة يستدعى من عباده التفكر والتأمل والتدبر والتعقل لحسن ما بعث به رسوله وشرعه لعباده، كما يستدعى منهم التفكر والنظر في مخلوقاته وحكمها وما فيها من المنافع والمصالح وتارة يذكر منافع مخلوقاته منبها بها على ذلك وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وتارة يختم آيات خلقه وأمره بأسماء وصفات تناسبها وتقتضيها، والقرآن مملوء من أوله إلى آخره بذكر حكم الخلق والأمر ومصالحهما ومنافعهما)[3].

ومن هذه الآيات أغلب السنن التي انتظم بها هذا الكون، ودعا المؤمنين لتبصرها، وسلوك مقتضياتها، فالمقصد العَقَدي من خَلْق العباد قد علَّله تعالى على أنه هو عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، والعبادة بمفهومها الغائي هي المعرفة. معرفة الله تعالى. فالله خلق عباده، بل خلق كل الكون ليعرفه، فيعبدوه، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4][5]، ثم عقب على هذه السنة الكبرى التي تنتظم فيها جميع السنن بقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[6]، ولذلك، فإن انشغال الإنسان عن هذه الغاية بانشغاله بأي شيء آخر

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١٠٧.

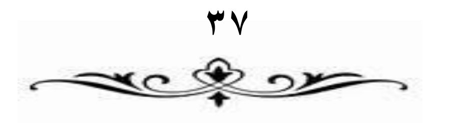
(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ابن قيم الجوزية، تفرد بالرواية عن الشهاب العابر، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيراً، وألّف تصانيف كثيرة منها [إعلام الموقعين]، و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية]، [شفاء العليل]، و[كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء]، ومات رحمه الله في ذي الحجة سنة (٧٦٩هـ) وقيل (٧٥١هـ) (يُنظَر) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ٣/ ١١٥، والأعلام: ٦/ ٥٦.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت، (د.ط): ١/ ٢٢، ٢٣.

(٤) [سورة الذاريات: الآية ٥٦]

(٥) اسرار الأقدار: ١٥٧، و(يُنظَر) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٣.

(٦) [سورة الذاريات: الآية ٥٧]



يجعله قد ينحرف بحياته انحرافاً خطيراً[١].

وقد أنكر الشهرستاني[٢] رحمه الله (ت ٥٤٨هـ) بأن هذه اللام (هي لام المآل[٣] وصيرورة العاقبة لا لام التعليل، كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[٥]، فكما لا تتطرق (لِمْ) الى ذات الباري تعالى وصفاته لم تتطرق الى صنائعه وأفعاله، حتى لا يلزم أن يُجاب لأنه كذا أو لكون هكذا، فلا يُقال: لِمَ وُجِد؟ ولِمَ كانَ العالم؟ ولا يُقال: لم أوجد العالم؟ ولِم خلقَ العباد؟)[٦]، وقد أُجيب عن ذلك: أن لام العاقبة إنما تكون في حق مَن هو جاهل كما في الآية الكريمة: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، أو عاجز عن دفعها، كما في قول الشاعر:

لِدُوا لِلمَوتِ وابنوا للخرابِ ... فكلكُمُ يصيرُ الى ترابِ[٧]

(وقد عُلِم أن الولادة لا يقصد بها الموت، والبناء لا يقصد به الخراب، وإنما عاقبة الأمر فيهما تصير إلى ذلك)[٨]، أما من هو بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيء قدير، فيستحيل في حقه تعالى دخول هذه اللام، وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة[٩].

---

(١) اسرار الأقدار: ١٥٨.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد من أهل شهرستانة، كان إماماً فاضلاً، متكلماً، وكان عالماً حسناً، حسن الخط واللفظ، لطيف المحاورة خفيف المحاضرة طيب المعاشرة، كان قد صنف كتباً كثيرة في علم الكلام منها كتاب [نهاية الاقدام]، و[الملل والنحل]، و[غاية المرام في علم الكلام]، و[دقائق الأوهام]، و[المبدأ والمعاد]، توفي سنة ٥٤٩ أو قريبا منها.(يُنظَر) التحبير في المعجم الكبير ـ عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف ـ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م: ٢/ ١٦٢، معجم البلدان ـ للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م: ٣/ ٣٧٧.

(٣) أي لام العاقبة وتسمى أيضاً لام الصيرورة وهي التي يكون ما بعدها نقيضا لمقتضى ما قبلها نحو ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فإن التقاطهم له انما كان لرأفتهم عليه ولما ألقى الله تعالى عليه من المحبة فلا يراه أحد إلا أحبه فقصدوا أن يصيروه قرة عين لهم فآل بهم الأمر إلى أن صار عدوا لهم وحزناً. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع ـ سوريا (د. ط): ٣٨٣.

(٤) [سورة القصص: من الآية ٨].

(٥) [سورة القصص: من الآية ٧٣].

(٦) نهاية الاقدام في علم الكلام ـ الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تصحيح وتحرير: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ٣٩٧، ومقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١٠٩.

(٧) من ديوان ابو العتاهية. اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية، (١٣٠هـ ـ ٢١١هـ) شاعر مكثر، سريع الخاطر، وكان له ابن شاعر ناسك، وكان أحد المطبوعين، وممّن يكاد يكون كلامه كلّه شعراً.. وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربّما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب. (يُنظَر) الشعر والشعراء ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ: ٣٢/ ٧٧٨، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ العلامة الشيخ آقا بزرك، دار الأضواء، بيروت:١/٣١٨.

(٨) الفرج بعد الشدة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، الناشر: دار صادر، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م: ١/٧٦، ومقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١٠٩.

(٩) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١٠٩.

٣ـ نفي التسوية

والمقصود بها (نفي التسوية بين الفعلين أو الفاعلين أو الجزاءين، إن رجع إلى تفاوتها في الرتبة دل على تفضيل أحد الفعلين على الآخر، وإن رجع إلى الثواب والعقاب دل على الأمر والنهي، وإن رجع إلى مدح أحد الفعلين وذم الآخر رجع إلى أن أحدهما مأمور والآخر منهي)[١].

ويذكر العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) أمثلة عن هذه المراتب، فمثال نفي التساوي في رتبة الثواب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾[٢].

ومثال نفي التسوية بين الجزاءين قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾[٣]، أي في جزأيها، ولذلك أردفه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٤]، وفي الكلام حذف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله إذ لا تصلح المفاضلة بين فعل وفاعل.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[٥] أي ثواباً وعقاباً، ولذلك أردفه بقوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾[٦]، ﴿أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[٨]، ظاهره في جزائهما بدليل قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٩][١٠].

(وقد نفى الله تعالى المساواة بين الفعلين والفاعلين والجزاءين في آية واحدة فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[١١]، فالأعمى الكافر والبصير المؤمن والظلمات الكفر والنور الإيمان والظل الجنة والحرور النار ثم بالغ في نفي تساوي

---

(١) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٣٩، ١٤٠.

(٢) [سورة النساء: من الآية ٩٥].

(٣) [سورة التوبة: من الآية ١٩].

(٤) [سورة التوبة: من الآية ٢٠].

(٥) [سورة السجدة: من الآية ١٨].

(٦) [سورة السجدة: من الآية ١٩].

(٧) [سورة السجدة: من الآية ٢٠].

(٨) السورة والأية نفسيهما.

(٩) [سورة الحشر: من الآية ٢٠].

(١٠) (يُنظَر) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٤٠.

(١١) [سورة فاطر: الآيات ١٩ ـ٢٢].

الفاعلين بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فإن التفاوت بين الحي والميت أبلغ من التفاوت بين الأعمى والبصير ونفي التسوية بين الفاعلين يرجع إلى نفي تساوي الفعلين أو الجزاءين)[١].

٤ـ ضرب الامثال

كذلك يُعَد ضرب الأمثال في القرآن الكريم من مواطن المقاصد في العقيدة الإسلامية، لكونه (تذكيراً ووعظاً ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢]، فما اشتمل من الأمثال على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو على تفخيم أو تحقير أو على ثواب أو عقاب فإنه يدل على الأحكام بحسب ذلك)[٣]، ومواضعها كثيرة جداً في القرآن الكريم.

٥ـ السياق

يُعَرَّف السياق بكونه (بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرةً فقرة أو كلمة معينة، ودائماً ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها، وكثيراً ما يغير المحيط الذي توجد فيه العبارة من المعنى الذي كان يبدو واضحاً في العبارة ذاتها أو يوسعه أو يعدله)[٤].

لذلك يُعَد السياق الوارد في النصوص النقلية من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من المواطن التي تظهر فيها مقاصد ومصالح العباد لكونه (المرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال)[٥].

ذلك أن سياق الكلام هو أسلوبه الذي يجري عليه[٦]، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاء وتهكماً بعرف الاستعمال، مثاله قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٧]، أي الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم وكذلك قول قوم شعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[٨]، أي السفيه الجاهل، لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾[٩]، لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع.

---

(١) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٤١، ١٤٢.

(٢) [سورة الزمر: الآية ٢٣].

(٣) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٤٥.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية. إعداد: إبراهيم فتحي، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس. الجمهورية التونسية. ١٩٨٨م: ٢٠١.

(٥) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٤٥.

(٦) معجم لغة الفقهاء. محمد رواس قلعجي. حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م: ٢٥٢.

(٧) [سورة الدخان: الآية ٤٩].

(٨) [سورة هود: الآية ٨٧].

(٩) [سورة الأحزاب: من الآية ٦٧].

وأما ما يصلح للأمرين فيدل على المراد به السياق كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، أراد به عظيماً في حسنه وشرفه لوقوع ذلك في سياق المدح وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[2]، أراد به عظيماً في قبحه لوقوع ذلك في سياق الذم[3].

المطلب الثاني: المسالك العقلية للمقاصد العقدية

بما أن المقاصد العقدية بشكلٍ عام هي المنطلقات التي تحدد زاوية فهم واستيعاب الأوامر المتعلقة بالإيمان بالله تعالى ورسله وملائكته عليهم السلام وكتبه، وبالقدر خيره وشره، وبالإيمان بالغيب إيماناً مطلقاً، يقوم على أساس فهم المعاني والحكم الملحوظة للشارع منها، أي إنها خطاب يقوم على العقل، ويُبنى على التعليل، ويؤسس لمنهجٍ فكري يقيم للعقيدة وزنها الحقيقي الصحيح.

وبناءً على ذلك، كان هذا المطلب في ذكر السُبل والمسالك التي نستطيع من خلالها استنباط المقصد العقدي من النصوص الكريمة بإعمال العقل البشري، عن طريق النظر والتفكر فيما بين أيدينا من دلائل، حيث يُقسَم الاستدلال الذي يمارسه العقل البشري الى قسمين رئيسين، أحدهما الاستقراء والآخر الاستنباط، ولكل منهما منهجه الخاص وطريقه المتميز.

اولاً: المنهج الاستقرائي

وأبين فيه مفهوم الاستقراء، وأنواعه، ثم أذكر أهمية الاستقراء في معرفة المقاصد العقدية.

١ ـ مفهوم الاستقراء.

ويشمل تعريف الاستقراء في اللغة والاصطلاح.

آـ الاستقراء لغةً

يعرف ابن منظور رحمه الله (ت ٧١١هـ) الاستقراء أنه مأخوذٌ من الفعل الثلاثي" قرأ " الذي من معانيه الجمع والضم، قرأتُ الشيء قرآناً: أي جمعته وضممتُ بعضهُ الى بعضٍ[4]، واستقرأهُ: طلب إليه أن يقرأ[5].

والاستقراء على وزن الاستفعال، مصدر استفعل، وهو أحد أوزان الفعل الماضي الثلاثي المزيد فيه ثلاثة أحرف، ومن معانيه الطلب، نحو: استرحمتُ الله تعالى، أي طلبتُ إليه الرحمة[6].

---

(١) [سورة القلم: الآية ٤].

(٢) [سورة الإسراء: من الآية ٤٠].

(٣) الامام في بيان ادلة الاحكام: ١٦٠.

(٤) لسان العرب، حرف الهمزة ـ فصل القاف:١٢٧/١، و(يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة،، ٣٩٧١: ١٧٨٩/٣.

(٥) (يُنظر) لسان العرب، حرف الهمزة ـ فصل القاف: ١٢٩/١.

(٦) المعجم المفصل في اللغة والأدب ـ د. إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٧: ٩٥/١.

ب ـ الاستقراء اصطلاحاً

تعددت تعريفات العلماء للاستقراء، ولكنها جميعاً ترجع الى أنه (تتبُّع الجزئيّات للوصول إلى نتيجة كُلِّيَّة.وهو الاستدلال العقليّ والانتقال به من الخصوص إلى العموم)[1].

فقد عرَّفه ابن سينا[2] رحمه الله (ت٤٢٨هـ) بأنه: (الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة، مثل حكمنا بأن كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ ـ استقراء للناس والدواب البرية والطير)[3].

كما عرَّفه أبو حامد الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) بأنه: (هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به)[4]، والأقرب إلى تعريفه الآمدي رحمه الله (ت٦٣١هـ) حيث قال فيه: (أما الاستقراء فهو عبارة عن البحث والنظر في جزئيات كلي ما عن مطلوب)[5].

ونبه الجرجاني رحمه الله (ت٨٦١هـ) في تعريفه للاستقراء الفرق بينه وبين القياس، ثم أشار الى الاستقراء الناقص بقوله: (الاستقراء: هو الحكم على كليٍّ بوجوده في أكثر جزئياته، وإنما قال: في أكثر جزئياته؛ لأن الحكم لو كان في جميع جزئياته لم يكن استقراءً، بل قياسًا مقسمًا (والقياس المقسم هو الاستقراء التام[6]).

ويسمى هذا: استقراء؛ لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات، كقولنا: كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ؛ لأن الإنسان والبهائم والسِباع كذلك، وهو استقراء ناقص لا يفيد اليقين لجواز وجود جزئي لم يُستَقرأ ويكون حكمه مخالفاً لما أستقرأ، كالتمساح فإنه يحرك فكه الأعلى عند المضغ)[7].

ثم يبين السيد محمد باقر الصدر رحمه الله (ت١٤٠٠هـ)[8] ان الاستقراء تكون نتيجته أكبر من مقدماته بقوله:

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٩٧١: ٣/١٧٨٩.

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، العلامة الشهير، الفيلسوف، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، له من المؤلفات الكثيرة، منها [الإنصاف]؛عشرون مجلدا، [البر والإثم]، و[الشفاء] في ثمانية عشرة مجلداً، [القانون]، و[الإرصاد]، و[النجاة]، و[الإشارات]، و[المعاد]، وكتب ورسائل كثيرة، توفي في همذان عام (٤٢٨هـ). (يُنظَر) وفيات الأعيان: ٢/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٣١.

(٣) الإشارات والتنبيهات، ابو علي بن سينا (٤٢٧هـ) مع شرح نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة — مصر الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م: ٣٦٧، و(يُنظر) غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١: ٤٥.

(٤) معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، طباعة الباحث: محي الدين صبري الكردي، المطبعة العربية بمصر، الطبعة الثانية ١٣٤٦هـ. ١٩٢٧م: ١٠٢.

(٥) غاية المرام في علم الكلام: ٤٥.

(٦) الإشارات والتنبيهات: ٣٦٧.

(٧) التعريفات، باب الألف: ٨.

(٨) محمد باقر بن محمد بن إسماعيل الموسوي، الشهيد الصدر الأول، من أفذاذ المفكرين والكتَّاب المبدعين، وُلد سنة (١٣٥١هـ)، جال في ميادين متعددة وموضوعات شائكة وفق خطة مدروسة ونظرة شمولية ومنهجية جديدة وفهم واعٍ، منطلقاً من إمكانات علمية واسعة واستيعاب شامل للتيارات الفكرية العالمية والمذاهب الفلسفية والاقتصادية، مستخرجاً فكراً اسلاميً خالصاً متسماً بالشمول والأصالة، من مؤلفاته: [فلسفنا]، و[اقتصادنا]، [الأسس المنطقية للاستقراء]، [المرسل والرسول والرسالة]، [البنك اللاربوي في الإسلام]، وغيرها كثير، استشهد رحمه الله عام (١٤٠٠هـ) بعد اعتقال دام ثلاثة أيام في سجون بغداد. (يُنظَر) معجم طبقات المتكلمين: ٥/ ٣٨٤.

(فالاستقراء هو كل استدلال تجيء النتيجة فيه أكبر من المقدمات التي ساهمت في تكوين ذلك الاستدلال)[١].

٢ـ أنواع الاستقراء

قسَّم العلماء الاستقراء الى نوعين، هما:

آـ الاستقراء التام

الاستقراء التام هو الذي يكون الاستدلال فيه شاملاً جميع جزئياته، وهو قطعي يقيني، يقول فيه الامام الآمدي رحمه الله (ت٦٣١هـ) (وهو الاستقراء الذي قد أتى فيه على جميع جزئياته، وذلك مثل معرفتنا بالاستقراء إن كل حادث هو أما جماد أو نبات أو حيوان، فحاصل هذا الاستقراء صادق يقيني)[٢].

ويبين الامام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) شرط هذا الاستقراء بأن يكون تاماً لجميع جزئياته، وذلك من خلال قوله (ولا يكفي في تمام الاستقراء أن تتصفح ما وجدتهُ شاهداً على الحكم إذا أمكن أن ينتقل عنه شيء، كما لو حكم انسان بأن كل حيوان يحرك عند المضغ فكه الأسفل لأنه استقرأ أصناف الحيوانات الكثيرة، ولكنه لمَّا لم يشاهد جميع الحيوانات لم يأمن أن يكون في البحر حيوان هو التمساح يحرك عن المضغ فكه الأعلى)[٣].

ب ـ الاستقراء الناقص

وهو ما يقابل الاستقراء التام، حيث يشمل الاستدلال به على بعض الجزئيات ولا يشملها جميعاً، يقول فيه الآمدي رحمه الله (أي قد أتى فيه على بعض الجزئيات دون البعض، وحاصل هذا الاستقراء كاذب غير يقيني، إذ من الجائز أن يكون حكم ما أُستقرأ على خلاف ما لم يُستقرأ)[٤].

وقد ضرب الغزالي رحمه الله مثالاً في ذلك الاستقراء في أول بابه، حيث قال: (ومثاله في العقليات أن يقول قائل: فاعل العالم جسم، فيقال له: لم؟ فيقول: لأن كل فاعل جسم، فيقال له: لم؟ فيقول: تصفحت أصناف الفاعلين من خياط وبناء وإسكاف ونجار ونساج وغيرهم، فوجدت كل واحد منهم جسماً، فعلمت أن الجسمية حكم ملازم للفاعلية، فحكمت على كل فاعل به.

وهذا الضرب من الاستدلال غير منتفع به في هذا المطلوب، فإنا نقول: هل تصفحت في جملة ذلك فاعل العالم؟ فإن تصفحته ووجدته جسماً، فقد عرفت المطلوب قبل أن تتصفح الإسكاف والبناء ونحوهما، فاشتغالك به اشتغال بما لا يعنيك، وإن لم تتصفح فاعل العالم ولم تعلم حاله فلم حكمت بأن كل فاعل جسم؟ وقد تصفحت

---

(١) الاسس المنطقية للاستقراء ـ السيد محمد باقر الصدر، ايديندار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٦ ـ١٩٨٠م: ١٨.

(٢) غاية المرام في علم الكلام: ٤٥، ونظرية التغليب والتقريب وتطبيقها في العلوم الإسلامية، د. أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م: ١٠١.

(٣) معيار العلم: ١٠٣.

(٤) غاية المرام في علم الكلام: ٤٦، نظرية التغليب والتقريب: ١٠١.

بعض الفاعلين ولا يلزم منه إلا أن بعض الفاعلين جسم، وإنما يلزم أن كل فاعل جسم إذا تصفحت الجميع تصفحاً لا يشذ عنه شيء، وعند ذلك يكون المطلوب أحد أجزاء المتصفح فلا يعرف بمقدمة تبنى على التصفح.

وإن قال: لم اتصفح الجميع ولكن الأكثر، قلنا: فلم لا يجوز أن يكون الكل جسماً إلا واحداً، وإذا احتمل ذلك لم يحصل اليقين به)[1].

ويذكر السيد محمد باقر الصدرﷺ إن الاستقراء في المعرفة لا يمكن ان يُقسَم الى ناقصٍ وتام، وذلك لأن الاستقراء لو كان تاماً كانت نتيجته مساويةً لمقدماتها، فيكون استنباطاً لا استقراءً، فيقول في ذلك: (ونحن اذا قارنا مفهومنا عن الاستقراء بالمفهوم الارسطي، نجد أن الاستقراء في مفهومنا لا يمكن أن يُقسَم الى استقراء كامل واستقراء ناقص؛ لأننا نريد بالاستقراء كل استدلال يسير من الخاص الى العام، والاستقراء الكامل لا يسير من الخاص الى العام، بل تجيء النتيجة مساوية لمقدماتها. من أجل ذلك يُعتبر الاستقراء الكامل استنباطاً لا استقراءً، وإنما الاستقراء الذي يسير من الخاص الى العام هو الاستقراء الناقص فقط)[2].

٣ـ أهمية الاستقراء في معرفة المقاصد العقدية

ومن خلال تعريف الاستقراء وعلاقته بالمقاصد العقدية نلاحظ أنه يُستَخدم فيه الاتجاه الذي يقصر السير بالاستدلال في جهةٍ واحدة، مما هو أقل كلية الى ما هو أكثر كلية. فهو ينطلق من دراسة جزئيات أو أفراد تجمعها خصائص مشتركة وتنضوي تحت كلي واحد، ليصل من خلال ذلك الى اكتشاف حكم مشترك تتم صياغته بشكل تعميمٍ كلي يشملها ويشمل ما يشبهها[3].

قال البيضاوي[4]ﷺ (ت ٦٨٥هـ) في الاستدلال بالاستقراء على المقاصد (إن الاستقراء دلَّ على أن الله سبحانه شرع أحكامه لمصالح العباد)[5]، ومن دلالته في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله تعالى: ﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا

---

(١) معيار العلم: ١٠٣.

(٢) الاسس المنطقية للاستقراء: ١٨.

(٣) (يُنظر) طرق الكشف عن مقاصد الشارع ـ د. نعمان جُغيم، دار النفائس للنشر والتوزيع ـ الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ٢٠٠ ـ ٢٠٣.

(٤) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، فقيه، اصولي، مفسر، كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، من مصنفاته [المنهاج في أصول الفقه]، وهو مشهور، وقد شرحه غير واحد، وله [شرح التنبيه] في أربع مجلدات، و[الغاية القصوى في دراية الفتوى]، و[شرح المنتخب]، و[الكافية في المنطق]، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة، توفي رحمه الله سنة (٦٨٥هـ)، وقيل (٦٩١هـ). (يُنظَر) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ـ تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ) ـ تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ: ٨/ ١٥٧، البداية والنهاية ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م: ١٣/ ٣٠٩، ومعجم المفسرين ـ من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٣١٨.

(٥) (يُنظَر) مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية: ١٠٦.



لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3][4].

ومثالها استقراء الآيات الكريمة الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة في السموات والارض والتي تدل عند التفكر فيها الى خالقٍ عظيمٍ قادر، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[7]

وكذلك الحال في استقراء الآيات والنصوص من القرآن الكريم الدالة على الترغيب بالكلمة الطيبة والقول الحسن لما لها من أثرٍ عظيم من السعي لتحصيل التقوى وابتغاء القرب من رضا الله تعالى، فعند استقرائها في كتاب الله تعالى نجد قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[10].

وغيرها من الآيات الكريمة التي تبين صفات المؤمنين حقّاً، وذلك هو منطقهم، وسبيلهم التقوى، فيتحصل في نفوسهم إيمان وثيق بالله، إذ امتلأت قلوبهم بتقواه وخشيته، فلا يقولون زوراً ولا ينطقون بهتاناً، وإنما قولهم الحق، ومنطقهم الصدق. وبهذا يصلح الله أعمالهم ويتقبلها منهم، ويغفر ذنوبهم. وهذا لا يكون إلا لمن أطاع الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[11] فيكون هذا الفوز عنده تعالى جميع ما يترقبوه ومقصداً يبتغوه[12].

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٨٧]

(٢) [سورة النمل: الآية ٦٥]

(٣) [سورة القصص: الآية ٨٨]

(٤) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م: ١/١٩٢، و(يُنظَر) الاستقراء ومجالاته، بحث منشور، إعداد طالب الدكتوراه: محمد أيمن الزهر، إشراف الدكتور: حمزة حمزة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٩، العدد الأول: ٢٠١٣م: ٤٧٧.

(٥) [سورة فاطر: من الآية ٤٤].

(٦) [سورة الكهف: من الآية ٤٥].

(٧) [سورة الأحقاف: الآية ٣٣].

(٨) [سورة البقرة: من الآية ٢٦٣].

(٩) [سورة الأحزاب: الآيتين ٧٠، ٧١].

(١٠) [سورة ابراهيم: الآيتين ٢٤، ٢٥].

(١١) [سورة الأحزاب: من الآية ٧١].

(١٢) (يُنظَر) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي ـ القاهرة: ١١/٧٦٠.

ثانياً: المنهج الاستنباطي

وأذكر في هذا القسم ما يتعلق بالمنهج الاستنباطي من بيان مفهومهُ، ثم في أهمية الاستنباط في معرفة المقاصد العقدية.

١ـ مفهوم الاستنباط

ويشتمل على فرعين في تعريف الاستنباط في اللغة وتعريفه في الاصطلاح.

آ ـ الاستنباط لغةً:

من النبط: وهو الماء الذي ينبطُ من قَعر البئر إذا حُفِرت، وأنبطنا الماءَ: أي استنبطناه، يعني: انتهينا اليه[(١)].

وذكره ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ) بقوله: (يقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله عز وجل: قد انتزع معنى جيداً)[(٢)]، وهو (مصدر استنبطَ، أي استخراج المعاني من النصوص بفرط الذِّهن وقوَّة القريحة)[(٣)].

ب ـ الاستنباط اصطلاحاً:

ويُعَرَّف الاستدلال الاستنباطي بانتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات الى قضيةٍ أُخرى هي النتيجة، وفق قواعد المنطق[(٤)].

كما يُعرَّف: (كل استدلال لا تكبر نتيجته المقدمات التي تكوَّن منها ذلك الاستدلال)[(٥)]، فالسير الفكري في الاستدلال الاستنباطي يكون من الكلي الى الجزئي، أو من العام الى الخاص، ويُلاحَظ ان النتيجة فيه تكون عادةً مستنبطةٌ في المقدمات؛ لذلك فهي دائماً إما مساوية أو أصغر من تلك المقدمات[(٦)].

(وتجدر الإشارة هنا الى ان هذا التعريف ينطبق أيضاً على الاستنباط في قضايا العلوم الاجتماعية والإنسانية)[(٧)].

٢ ـ أهمية الاستنباط في معرفة المقاصد العقدية

ثمة علاقة بين الاستقراء والاستنباط، بل وأنها تكاد تكون تكاملية في مسألة المقاصد العقدية واثباتها، فإننا في الاستقراء ننتقل عادةً من جزئيات مسائل العقيدة التي تبدأ بتوجيه المستقرئ فكره نحو المطلوب، لمعرفة حقيقته ومقصده، ثم جمعه لما يتناول الاثبات لتلك الجزئيات والمسائل من النصوص والروايات والأدلة، في حين أننا في

---

(١) (يُنظَر) العين، باب النون:٤/ ١٨٤، ولسان العرب، حرف الطاء، فصل النون: ٤١٠/٧، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب النون، النون مع الباء وما يثلثهما:٢٢٥.

(٢) لسان العرب، حرف العين، فصل الزاي: ٣٥١/٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٠٠٥: ٢١٥٩/٣.

(٤) المعجم الفلسفي ـ مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ـ مصر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: ١٢، وطرق الكشف عن مقاصد الشارع: ٢٠٦.

(٥) الاسس المنطقية للاستقراء: ١٧.

(٦) (يُنظَر) الموسوعة الفلسفية ـ وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، إشراف: م. روزنتال، وب. يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٧م: ٢٧، ٢٨، والاسس المنطقية للاستقراء: ١٨، ١٩.

(٧) طرق الكشف عن مقاصد الشارع: ٢٠٦.



الاستنباط نسير سيراً معاكساً، أي من القوانين العامة التي تمثل الآيات والنصوص التي نجمعها الى الجزئيات من المقاصد التي تندرج تحتها، وإنما يكون ذلك بتفسير أو تأويل هذه النصوص بالإضافة الى أدلتها العقلية وتأملها.

مثال ذلك الاستنباط في مقصد الرحمة الالهية وعظمتها من ظواهر النصوص الكريمة بذكر ما أعده للمقربين العارفين بربهم بكل كيانهم(1)، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(2)، حيث ذكر بعدها ما أعد لهم من النعيم، فقال تعالى﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(3).

وفي الحديث القدسي قالﷺ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) قال أبو هريرة:(اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾)(4).

ولذلك لما سأل النبي موسى عليه السلام ربه في الحديث المرفوع الى النبيﷺ في قوله: (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)، قَالَ ﷺ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾)(5).

فإننا في استقرائنا لهذه النصوص الكريمة، وهو الاستقراء الناقص نكون قد سلكنا الاتجاه الأول في معرفة المقاصد العقدية، ومن خلال بحثنا فيما ورد من كلام علماء العقيدة وما ورد في تفاسيرها من استنباط ما ورد فيها من مواطن هذه الرحمة والكرم الإلهيين، مضافاً للتدبر من ظاهر النصوص نكون بذلك قد سلكنا منهجي مسالك معرفة المقاصد العقدية، لنخرج بمقصد الترغيب بما أعدَّه تعالى لعباده من عظيم عطاءه.

فالقرآن الكريم أول من دعا الى ترسيخ المقاصد في نفوس المؤمنين بها لأجل إنقاذهم مما يواجههم في هذه الحياة من مغريات تحاول جرفهم الى طريق الضلالة والبعد، كما أن التدبر في ظواهر النصوص يمكن أن يكون عوضاً عن لفظ الاستقراء أو الاستنباط؛ لأن فيه نظراً وتفكراً في عواقب الأمور ومآلات المعاني، فهو طريق مطلق في البحث عن المقاصد العقدية كما الشرعية فضلاً عن كونه منهجاً أصيلاً في العربية.

---

(١) اسرار الأقدار: ٥١٥.

(٢) [سورة السجدة: الآية ١٦].

(٣) [سورة السجدة: الآية ١٧].

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ح ٣٠٧٢: ٣/ ١١٨٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ح٣١٢: ١/١٧٦.

المبحث الثالث: أنواع المقاصد العقدية ومراتبها

وسأتناول في هذا المبحث ما يتعلق بأنواع مقاصد العقيدة الإسلامية، ومراتب هذه المقاصد، لأجل توضيح العلاقة بينهما مع نماذج من تطبيقات كلاً منهما، من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أنواع المقاصد العقدية.

المطلب الثاني: مراتب المقاصد العقدية.

المطلب الأول: أنواع المقاصد العقدية

عُنيَ العلماء والباحثون بذكر تقسيمات مختلفة للمقاصد العقدية، ومن بينها: تقسيماتها من حيث ماهيتها، الى المقاصد الوجودية (حقيقية) والمقاصد الفرضية، وتقسيماتها من حيث عمومها الى مقاصدٍ عامة شاملة، وجزئية أو خاصة، ومن حيث تحققها الى دنيوية وأُخروية الى غير ذلك من الأنواع كلاً حسب مناطها الذي تتقيد به المفاهيم.

وهذه المقاصد إنما اختلافها يتغير بحسب طريقة استنباطها من مواردها، ولذلك فقد قسَّمتُ هذا المبحث الى مطالبٍ ثلاث، هي:

أولاً: أقسام المقاصد العقدية من حيث الماهية، الى المقاصد الوجودية (الحقيقية) والفرضية.

ثانياً: اقسام المقاصد العقدية حسب الشمول، المقاصد الكلية والجزئية.

ثالثاً: اقسام المقاصد العقدية بحسب التحقق، المقاصد الدنيوية والأخروية.

فهذه المقاصد قد تكون متحققةً وموجودةً على أرض الواقع متمثلةً بالمقاصد الحقيقية، أو أنها تكون مُفترَضة، فتُسمى مقاصد اعتبارية، وهذه النوعين يكون بتقسيمها حسب ماهيتها وتحققها، وهو الأصل في تحقق مصالح الدارين المرجو من هذه الدراسة.

وبما إن الدراسات المقاصدية تكاد تكون حديثة في عصرنا على المستوى العقدي أكاديمياً وترتيباً وتصنيفاً، فسوف اشرع ببيان هذين النوعين أول الأمر، وبعدها ابين ما نقصد به من بقية الأنواع.

أولاً: انواع المقاصد من حيث الماهية: الى وجودية وفرضية

١ ـ المقاصد الحقيقية (الوجودية)

أشار الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ) الى تعريف الحقيقة بمعناها اللغوي: (هي ما يصير اليه حق الأمر ووجوبه، وبلغت حقيقة هذا، أي يقينٌ شأنهُ)[1]، فالحقيقة هي (استعمال الكلام في معناه الأصلي لا المجازي)[2].

(١) العين، باب الحاء: ١/٣٤٠.

(٢) معجم المغني، حرف الحاء: ١٠٤٤٨.



وترادفها الوجودية، من وجد ضالته وجداناً، ووُجِدَ الشيء عن عدمٍ فهو موجودٌ، مثل حُمَّ فهو محمومٌ[1].

أما اصطلاحاً، فالوجود كالتحقق، وهو مرادف له، وتفسيره بالتحقق لدفع توهم أن الوجود ما به التحقق، وكذلك الحصول والثبوت والكَون، إذ هي ألفاظ مترادفة[2].

(فالحقيقي هو المفهوم الذي يوجد تارة بوجود خارجي فيترتب عليه آثاره، وتارة بوجود ذهني لا يترتب عليه آثاره وهذا هو الماهية)[3].

ويشير الكفوي[4] رحمه الله (ت١٠٩٤هـ) ان الحقيقي لا يحتاج الى تعريف إلا من حيث بيان أنه مدلول للفظ دون آخر، فيُعرَف تعريفاً لفظياً يفيد فهمه من ذلك اللفظ لا تصوره في نفسه، ليكون دوراً وتعريفاً للشيء بنفسه كتعريفهم الوجود بالكون والثبوت والتحقق والشيئية والحصول[5].

وعرَّف ابن عاشور رحمه الله(١٣٩٣هـ) المقاصد الحقيقية بانها (المعاني الحقيقية التي لها تحقق في نفسها، بحيث تُدرِك العقول السليمة ملائمتها للمصلحة، أو منافرتها لها، أي: تكون جالبةً للنفع العام أو للضر العام، إدراكاً مستقلاً عن التوقف على معرفة عادة أو قانون)[6]، وتُسمى بالمقاصد الثبوتية أيضاً.

٢ـ المقاصد العرفية، أو الفرضية

العرفية في اللغة من العُرف: وهو (ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم)[7].

والفرض فهو (مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيءٍ الى شيء)[8].

أما اصطلاحاً: فقد عرَّف الجرجاني رحمه الله (ت ٨١٦هـ) العرف: (هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول)[9].

---

(١) (يُنظَر) القاموس المحيط ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م، باب الدال، فصل الواو: ٤١٤، والصحاح تاج اللغة: باب الدال، فصل الواو: ٥٤٧، والكليات، فصل التاء: ٢٩٦.

(٢) (يُنظَر) العين، باب الواو: ٣٤٨/٤، والصحاح تاج اللغة: باب الدال، فصل الواو: ٥٤٧.

(٣) بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة المعارف الإسلامية: ١٨٦

(٤) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(ت١٠٩٤)، أبو البقاء، صاحب [الكليّات] من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية. (يُنظَر) الاعلام: ٣٨/٢، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ إسماعيل بن محمد أمين بن البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان: ١/ ٢٢٩.

(٥) (يُنظَر) الكليات، فصل الواو: ٩٢٤، ٩٢٥.

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ١٦٦/٣.

(٧) المعجم الوسيط، باب العين: ٢/ ٥٩٥.

(٨) الكليات، حرف الأف، فصل الألف والعين: ١٤٧.

(٩) التعريفات، باب العين: ٦٤.

وكذلك الفرض، إذ ذكر الكفوي رحمه الله (ت١٠٩٤هـ) أنه لفظٌ مشترك بين الايجاب والتقدير[١]، وهنا يشير الى (التقدير)، وعرَّفه بأنه النظر في حقائق الأشياء وجِهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها[٢].

و(الاعتبارات الفرضية: وهي التي لا وجود لها إلا بحسب الفرض)[٣].

أما مفهوم المقاصد العرفية (الفرضية) فأشار اليها ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) وعرَّفها: (المجربات التي أَلِفتها نفوس الجماهير، واستحسنتها استحساناً ناشئاً عن تجربة ملائمتها لصلاح الجمهور)[٤].

ومن ذلك نخلُص الى أن الأنواع التالية من المقاصد قد لا يكون لها وجودٌ حقيقيٌ فتُصَنف بالمقاصد العرفية، أو الفرضية، أو أن يكون وجودها حقيقياً ظاهراً، متمثلةً بالمقاصد الحقيقية أو الوجودية، وبنفس هذا الوجود قد تتغاير وتختلف مراتبها وحقيقتها من انسانٍ لآخر، وإنما يكون هذا التغاير تبعاً للعلم بأصل وأهمية المقاصد العقدية من جهة، ومدى تحققها ومرتبتها من عقيدة المسلم من جهةٍ اخرى.

ثانياً: تقسيم المقاصد العقدية حسب الشمول

ويشمل هذا التقسيم للمقاصد بحسب المباحث التي تُستَنبَط منها؛ وكما هو الحال في مقاصد الشريعة الإسلامية، فإن أي مقصدٍ أو حكمةٍ معين أما أن يُستَنبَط من مسألةٍ معينة بذاتها، أو أن يكون استنباطه هذا من مجموع المسائل في الباب الذي احتواه، ليتحدد هذا التقسيم في مجالين، فإن كانت المقاصد المستنبطة عموماً لا تفصيلاً من ركنٍ عقديٍ عام كمسائل الإلهيات أو النبوات أو السمعيات، أو من مجموع هذه الأركان العقدية، كانت هذه المقاصد عامة وكلية فيها، وما تفرع من مقاصد في مسائل هذه المباحث كانت مقاصدَ خاصة، كمسائل الالهيات، أو النبوات أو السمعيات، منفصلةً لا بالإجمال، وكذلك المقاصد في مسائلها الجزئية المتفرعة عنها، وما الى ذلك، وسنشرع في بيان كِلا القسمين:

١ـ المقاصد العامة

تُعَرَّف المقاصد العقدية العامة بأنها: (الحكم والمعاني والأسرار الملحوظة في كل اصول العقيدة، فلَّما كانت الرسالات السماوية واحدة من حيث المصدر، كانت أهدافها ومقاصدها واحدةً ومبثوثة في كل الرسالات السماوية السابقة)[٥].

وعليه، أمكننا بعبارة أخرى صياغة هذا التعريف للمقاصد العامة بكونها: الحِكَم والغايات والمعاني التي

---

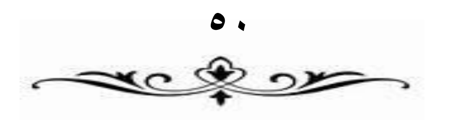
(١) (يُنظَر) الكليات، فصل الفاء: ٦٨٨.

(٢) (يُنظَر) المصدر نفسه، حرف الأف، فصل الألف والعين: ١٤٧، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ـ محمد علي التهانوي، تقديم واشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٩٩٦م: ٢٢٧.

(٣) الكليات، حرف الأف، فصل الألف والعين: ١٤٧.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ١٦٥/٣

(٥) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٣٩.



تتحصل من الايمان بجميع اصول العقيدة الإسلامية بصورةٍ عامة والتي ينعكس تحققها لمصالح العباد في الدارين، كتحقيق التوحيد والعبودية لله تعالى، وعدم عبثية الخَلق.

وقد وردت الإشارة الى هذه المقاصد وتنوعت وتوزعت كثيراً في آيات القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي متسقةً في شمولها مع شمول الخطاب القرآني، وجميع مفاصل العقيدة الإسلامية الحقة، بل إنها تُعَد من كبريات العقائد التي أنزلت بها الكتب وبُعث لأجلها الأنبياء عليهم السلام. ومما ورد من هذه المقاصد:

١ ـ توحيد الله تعالى، وهو المقصد الأساس الذي خلق تعالى لأجله الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

وقد أشار الدكتور طه جابر العلواني[٢] رحمه الله (ت ١٤٣٧هـ) الى هذا المقصد بالنسبة للمقاصد العامة: (وقمة الهرم في هذه المقاصد هو تحقيق توحيد الله تعالى، لإنه إن خالطت بشاشته القلب، واستيقنه الضمير، واستنار به العقل، واستضاء به الوجدان، انعكس على سائر جوانب الحياة الفردية والاسرية والاجتماعية، وهو يمثل منطلق العلاج الشافي لكل أمراض ومشكلات وأزمات الحياة والأحياء، بل والأشياء، إنه آنذاك ينعكس على الفكر فيقيمه، وعلى التصور فينقيه، وعلى الاعتقاد فيصححه ويطهره. وإن عجر عن تحقيق ذلك كله أو شيء منه فإنه يحتاج الى مراجعةٍ شاملة لوجود ملازمةٍ بينه وبين آثاره؛ إذ إن عدم ظهور آثاره يشير الى ان هناك خللاً في التحقق بحقيقته، أو أن هنالك شوائب قد شابته فحالت دون انعكاسه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِّ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤])[٥].

كذلك فإن في تحقق هذا المقصد آثاره في توجه العبد في جميع أعماله الى الله تعالى، لتحقيق مقصد العبودية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦].

(١) [سورة يوسف: الآية ١٠٦].

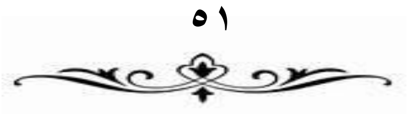
(٢) مفكر وفقيه إسلامي عراقي كان رئيس المجلس الفقهي بأمريكا، ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية (SISS) بهرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية .حصل على الدكتوراة في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر في القاهرة، مصر، عام ١٩٧٣، وكان أستاذاً في أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ عام ١٩٧٥حتى١٩٨٥، في عام ١٩٨١شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة، من مؤلفاته [أدب الاختلاف في الإسلام]، و[إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم]، و[التعددية]، و[حاكمية القرآن]، و[الأزمة الفكرية ومناهج التغيير]، و[لا إكراه في الدين]، وغيرها، توفي رحمه الله في مارس ٢٠١٦.، (يُنظَر) سيرته على الموقع:
https://web.archive.org/web/٢٠٠٩٠٦٢٢٠٣٣٠٤١/http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/politic/٢٠٠١/article١-٨.shtml

(٣) [سورة الذاريات: الآية ٥٦].

(٤) [سورة الأنعام: الآية ٨٢].

(٥) التوحيد والتزكية والعمران ـ محاولة في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، د. طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م: ١٧.

(٦) [سورة الأنعام: الآية ١٦٢]



(فالمستقرئ لكتاب الله تعالى ولآياته، يجد المقصود واضحاً وجلياً، كتخصيصه تعالى بالألوهية والربوبية والحاكمية، وإفراده بالعبودية، والتوجه اليه بالذل والخضوع، ومن أهم الوسائل الموصلة اليها العلم به عز وجل، مما يشكل تلازماً بين المقصد والوسيلة، وقد خصص الإمام الشاطبي ﷺ (ت٧٩٠هـ) في مقدمات كتابه الموافقات[١]حديثاً عن العلم والعمل، فاعتبر الأول وسيلة والثاني مقصداً، وفي موضع آخر تحدث عن مقاصد العلم وحدد له مقصداً أصلياً وهو التعبد، ومقصداً تبعياً وهو ما يحصل لصاحبه والمنشغل به من مناقب حميدة ومنازل عليا، لكن شريطةَ أن تكون كلها خادمة المقصد الأصلي، ومن الآيات الواردة في هذا الشأن قوله تعالى:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٢][٣].

٢ ـ مقصد النبوة، إي إثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام وما جاؤا به من عند الله تعالى، فالمقصد العام من بعثة الرسل عليهم السلام عامٌ ومشترك بينهم وهو هداية الناس الى عبادة الخالق وإفراده بالوحدانية والطاعة، وحفظ عقول الناس من كل ألوان الشرك والهوى، وتعليمهم امور دينهم ونشر الرحمة وإقامة القسط، فمتى ما حُفِظت هذه المقاصد وتحققت، حُفِظَت معالم الدين واصوله من كل هوانٍ واختلال[٤].

وكذلك المقاصد العقدية من الايمان بالكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام وما يتعلق بالملائكة وتنزيههم وعبادتهم لله تعالى، فعند استقراء النصوص الواردة في ذلك نستحصل عدة مقاصد عامة تتعلق بتزكية الاخلاق وتقوية العقيدة في النفوس، ومقاصد الابتلاء نظراً لما وقع للأنبياء من الابتلاءات والأعراض، بالإضافة الى المقصد الاهم في تقوى الله تعالى والهداية الى صالح الأعمال، وغيرها كثير.

٣ ـ مقاصد البعث والمعاد، حيث يندرج معه عدد من المقاصد العامة، ومن أهمها تحقيق الابتلاء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٦]، (فأخبر سبحانه عن خلق العالم والموت والحياة وتزيين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أحسن عملاً فيكون عمله موافقاً لمحاب الرب تعالى فيوافق الغاية التي خلق هو لها وخلق لأجلها العالم وهي عبوديته المتضمنة لمحبته وطاعته ورضاه، وقدَّر سبحانه مقادير تخالفها بحكمته في تقديرها، وامتحن خلقه بين أمره وقدره ليبلوهم أيهم أحسن عملاً)[٧].

(١) (يُنظَر) الموافقات: المقدمة الرابعة والخامسة والسادسة.

(٢) [سورة محمد: الآية ١٩]

(٣) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٧.

(٤) (يُنظَر) المصدر نفسه: ٣٩.

(٥) [سورة الكهف: من الآية ٢].

(٦) [سورة الملك: من الآية ٢].

(٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م: ٦١.

وكذلك مقصد العدالة الإلهية وعدم عبثية الخلق، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[2]، وكفر الإنسان بهذا الركن من أركان الإيمان يستلزم كفره بحكمة ربه وعدله في خلقه وكفره بنعمته بخلقه في أحسن تقويم، وبتفضيله على أهل عالمه (الأرض) حيث سخرها تعالى وكل ما فيها لمنافعه[3].

ومقصد عدالة الجزاء الأخروي والتربية الإلهية التي تقود لتحلي المسلم بكافة المكارم الفاضلة، التي قاده اليها تمسكه بعقيدته الصحيحة، متنحيةً عمَّا يخامرها من المساوئ المستترات في أشكال الفضائل.

ويبين الامام ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) مسببات تلك المكارم بقوله: (وللإعانةِ على اندفاع النفوس الى الخير وعلى تسلي أصحاب الخير فيما تجره مخالفة تلك الفضائل من فواتِ لذاتٍ كثيرة تحصل للمتلبسين بأضداد خيراتهم، أقام الله تعالى بحكمته نظام الجزاء في العالم الأخروي ونبه عليه بالوعد والوعيد، فقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[4] أي طريقي الخير والشر، ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[5]، أي لم يتجشم[6] الإنسان سلوك سبيل الهدى الذي هو لصعوبة اتيانه يشبه عقبة يعسر السير فيها لتوصل الى المبتغى. فالإسلام يفضُل ما سواه من الشرائع والدعايات بأنه أقام مبانيه على أساس جميع الفضائل الحقة دون الوهمية)[7].

وكذلك من مقاصده العامة اثبات القدرة والرحمة الإلهية التي أعدها تعالى للمؤمنين، والتي سنتناول جزئياتها في الفصول التالية بإذنه تعالى.

وهكذا الحال في بقية المقاصد الكلية التي تُستَنبَط من المصادر الصحيحة للعقيدة الإسلامية وتوافقها مع معطيات العقل والفطرة السليمة.

٢ ـ المقاصد الخاصة

والمقاصد الخاصة: هي الحِكم والأسرار والمعاني التي راعاها الشارع عند كل فرع من فروع العقيدة بشكلٍ خاص، وهي المقاصد الخادمة والمتممة للمقاصد الكلية العامة[8].

فيتحصل في العبد مقاصد عدة أثر يقينه وعبوديته الخالصة لله تعالى، منها مقصد التوكل على الله تعالى، ومقصد

---

(١) [سورة المؤمنون: الآية ١١٥].

(٢) [سورة القيامة: الآية ٣٦].

(٣) (يُنظَر) التوحيد والتزكية والعمران: ٤٣.

(٤) [سورة البلد: الآية ١٠].

(٥) [سورة البلد: الآية ١١].

(٦) يتجشم: يتكلف الأمر على مشقةٍ وعناء. (يُنظَر) لسان العرب، مادة (جشم): ١١/ ٧٤٠.

(٧) اصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٥م: ١٢٨.

(٨) (يُنظَر) المقاصد العقدية في القصص القرآني:٣٩.

الدعاء، والاستعاذة، ومقاصد الإيمان بالربوبية التي تشمل شكر الله تعالى بالتوحيد وترك الكفر، وتنزيهه تعالى عن النقائص، وتقوى الله ومراقبته في الخلوة والجلوة، بالإضافة الى مقاصدٍ عدة تنبع من إيمان المسلم بأفعال الله تعالى كالقضاء والقدر وإيمانه بأسمائه الحسنى وتجلياتها في الأخلاق والسلوك(١).

أما طريق تحقق هذه المقاصد في نفوس العباد إنما هو إيمانهم بكل فرعٍ من فروع العقيدة، الذي يعتمد على معرفتهم لها وتيقنهم بها لتتكون مقاصد خاصة لكلٍ منها، ومن أمثلة هذه المقاصد:

١ـ المقاصد العقدية الخاصة من الإيمان بمباحث الإلهيات، حيث بالإمكان استنباطها عند استقراء ما ورد في كل جزئية من هذه المسائل، بعد معرفتها وتيقنها في النفوس، فعند الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته نتعرض لمقاصدها في الرحمة والرأفة الإلهية التي تفوقها، وملكه ومالكيته تعالى للكون، وتدبيره لأمور العباد وصبره على معاصيهم، ومغفرتها بالتوبة، الى غير ذلك من المقاصد.

وكذلك عند استقراء ما ورد في أفعال الله تعالى فيقودنا للإيمان بالقضاء والقدر الذي قدره على عباده، كما يقودنا لتوجيه ما يصدر عن العباد من أفعال وإرجاعها الى مقدِّرها الأول بالكسب أو بالأمر بين الأمرين، وهذه كلها تُعَد مقاصد خاصة في حاكميته تعالى وقاهريته وفصله بين العباد بالحق الى غير ذلك كثير.

٢ـ المقاصد العقدية الخاصة من الإيمان بمباحث النبوات، كهداية الناس لطريق الحق، وتعريفهم بخالقهم، وابراز وحدانية الله نقيةً صافيةً من الشوائب، فضلاً عن تقديم النموذج للعبادة والأخلاق، وإلزام المعاندين بالحجة.

كما ان العلم بما تحمَلَّه الأنبياء في سبيل الدعوة الى الله تعالى يدفع بالإنسان المؤمن اتخاذهم قدوةً حسنة في الصبر والزهد للدنيا، (ولهذا كان رسول الله ﷺ يستحضر مواقف الأنبياء ليُعيد إحياءها من جديد، فكان يستحضر في المواقف المختلفة ما حصل لإخوانه من الأنبياء ﷺ، ومن هذه المواقف ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين، قال رجل من الأنصار ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه، ثم قال (رَحْمَةُ اللهِّ عَلَى مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر)(٢))(٣).

٣ـ المقاصد العقدية الخاصة من مباحث السمعيات، من آثار الإيمان باليوم الآخر وغاياته، وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال، وهو من أركان الإيمان بالله تعالى (الذي بعث الله تعالى به الرسل عليهم السلام، وبه يكمل الإيمان بالله تعالى، وهو من أهم البواعث على العمل الصالح، وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان)(٤).

(١) (يُنظَر) مقاصد العقائد عند الامام الطاهر بن عاشور: ١٣٣ وما بعدها

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح٤٠٨٠: ٤/١٥٧٦.

(٣) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٦١.

(٤) التوحيد والتزكية والعمران: ٤٠.



ومثال هذا النوع من المقاصد، مقاصد الإيمان بالبرزخ من اثبات قدرته تعالى في إعادة الارواح وتمثل الأعمال في البرزخ وسعة القبر وضيقه، فضلاً عن مقاصد البعث للحياة من جديد وما يشمله من وزن الأعمال والشهود والصراط، وجميع مسائله حتى استقرار الأرواح في الجنة أو النار وما يتعلق بمقاصدها من اثبات عدل الله تعالى ورحمته لعباده وتربيته لهم.

ولهذه المقاصد عند استيقانها تأثير كبير في نفوس العباد، يتمثل في مقاصد أخرى تابعة لهذه المسائل، ومنها التعجيل بالتوبة من الذنوب، فضلاً عن اجتنابها، وهو ما يجتاح قلب المؤمن حين إيمانه بطريق التوبة عن الذنوب بشروطها المعهودة، فيسارع إليها عند ارتكابه لذنبٍ ما ويطلب المغفرة من الله تعالى لتصديقه ويقينه بأنه تعالى يقبل هذه التوبة، كما يعلم بعقابه ان أصرَّ على الذنب ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[١].

فيكون إيمانه هذا رادعاً له عن ارتكاب الذنوب، وسبباً في صلاحه نحو السلوك المرضي لله تعالى إن ارتكب الذنب بسبب ما وعد به ابليس من الغواية والضلال لعباد الله تعالى، فتتحقق عندئذٍ طمأنينته التي مصدرها الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

الى غيرها من المقاصد التي تُستنبط من متعلقات ومسائل العقيدة بصورة تفصيلية بعد استقراء مواردها التي اشتملت عليها لكل مبحثٍ منها، وهو ما سنخصص فيه الفصول التالية لهذه الدراسة بإذنه تعالى.

ثالثاً: المقاصد العقدية حسب وقت تحققها

نعلمُ يقيناً إن الرسل جميعاً إنما أرسلهم تعالى لمصالح الدارين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، فما من مصلحة دنيوية إلا وفيها مصلحة أخروية، والعكس صحيح، و(إن ما درج عليه بعض الباحثين من تقسيم الأحكام الشرعية إلى ما هو حق لله تعالى (أي مصلحة أخروية) وحق للعباد (أي مصلحة دنيوية) لا بد من حمله على محمل التجوز والتغليب فقط، إذ الأحكام كلها من حيث ضرورة استسلام العباد لها وارتباطها بالجزاء الاخروي قائمة على أساس حق الله تعالى في أن يلزم الناس موقف العبودية له بوصفه مالكهم وخالقهم. وكل حكم متضمن في الوقت نفسه حقاً للعباد على تفاوت في مدى ظهور هذه الحقوق والاختلاف في تعلقها بالدنيا والآخرة)[٤].

وعليه فسأبين هنا المراد من هذه المصالح والمقاصد بإيجاز على المراد منها، مع يقيننا بتلازم هاتين المصلحتين للإنسان المؤمن بالله تعالى:

---

(١) [سورة الحجر: ٤٩، ٥٠].

(٢) [سورة البقرة: الآية ١٦٠].

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

(٤) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م: ٤٩.

١ ـ المقاصد الدنيوية

المقاصد الدنيوية هي ما يرجع الى تحقيق مصالح دنيوية أو دفع مفاسدها، وهي تتفاوت لدى العلماء حسب التضلع بالوسائل المفضية لها، والتفطن لعللها الظاهرة والباطنة وقرائنها الغالبة عليها[١].

ويقول الامام الشاطبي رحمه الله (ت٧٩٠هـ): (فالمصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى ما غلب فإذا كان الغالب جهة المصلحة فهي المصلحة المفهومة عرفاً، وإذا غلبت الجهة الأخرى فهي المفسدة المفهومة عرفاً)[٢].

فالمعاني التي يجدها المؤمن في نفسه وذاته، وتتحقق في حياته بما تجلب له من مصالحَ ومنافع قد تكون سلوكية حسية أو معنوية وجدانية، ومن ذلك ما يحصل له عند التخلص من كل الأوصاف القبيحة والاخلاق الدنيئة، من الطمع والشره والحسد والشقاوة والاضطراب، بل إنه يُوَفق الى التحلي بالقناعة والزهد والصبر والسعادة والثبات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

ويذهب أكثر المفسرين إن هذه الحياة الطيبة هي الحياة الدنيوية، فيقول الشيخ الطوسي[٤] رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة: (وقال قوم: الاولى ان يكون المراد بها القناعة في الدنيا، لأنه عقيب ما توعد غيرهم به من العقوبة فيها مع ان اكثر المؤمنين ليسوا بمتسعي الرزق في الدنيا، ثم أخبر تعالى انه يجزيهم زيادة على الحياة الطيبة ﴿أَجْرَهُمْ﴾ وثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾)[٥].

وذهب الى ذات المعنى أبو السعود[٦] رحمه الله (ت٩٨٢هـ) في تفسيره فقال: (فلنحينه حياةً طيبةً في الدنيا يعيش

---

(١) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٤٢.

(٢) الموافقات: ٢/٢٦.

(٣) [سورة النحل: الآية ٩٧].

(٤) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، عالِم جليل القدر ثقةٌ عين، عارف بالإخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، له مؤلفاتٍ عدة، منها كتاب [تهذيب الأحكام]، و[الاستبصار]، [النهاية]، و[مقدمة في المدخل إلى علم الكلام]، وغيرها كثير ولم يبرح شيخ الطائفة في النجف الاشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف والهداية والإرشاد حتى توفي سنة (٤٦٠هـ).(يُنظَر) رجال النجاشي ـ الشيخ ابو العباس احمد بن علي بن العباس النجاشي (ت٤٥٠هـ)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ـ٢٠١٠م:٣٨٥، الوافي بالوفيات ـ صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢/٢٥٨، اعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م: ٩/١٩٥.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب العاملي، نشر: دار إحياء التراث ـ قم:٦/٤١٩.

(٦) مفسر، أصولي، شاعر، عارف باللغات العربية والتركية والفارسية، من فقهاء الحنفية وعلماء الترك المستعربين، من مؤلفاته [معاقد الطراف في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف]، و[حاشية على الكشاف للزمخشري]، و [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم]، وقد اشتهر صيته وانتشر نسخه في الأقطار، ووقع التلقي بالقبول من الفحول والكبار، لحسن سبكه ولطفت تعبيره، فصار يقال له خطيب المفسرين. (يُنظَر) معجم المفسرين: ٢/ ٦٢٦، والأعلام للزركلي: ٧/ ٥٩.

عيشاً طيباً، أما إن كان موسراً فظاهر، وأما إن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم.)[1].

وهذا التفسير لأن استشعار المؤمن للمعاني والقيم المعنوية (الوجدانية) أعلى وأشرف؛ لأنه ينتشل النفس من حضيض البهيمية الى أوج الملكية، حيث تستكمل طهارتها وصفاءها.

لذلك نجد العديد من الآيات الكريمة التي تنبه المؤمنين الى هذه المعاني السامية، فتعدها هي الحياة الحقيقية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، حيث يورد ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) كلاماً دقيقاً في معنى الحياة، إذ يقول: (أي دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية. والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة)[3].

فيتبين لنا من ذلك أن المقاصد الدنيوية التي تتعلق بالعبد هي ما يتحقق في نفس المؤمن من مقاصد وجدانية في نفسه أو سلوكية في تصرفاته وطِباعه وتعامله مع مجتمعه، وهو ما يكون سبيله لنيل المقاصد العقدية الأخروية.

فهذا النوع من المقاصد يعمل على تقويم حياة الإنسان وتوجيهها وفق المنهج العقدي السليم، الذي يكفل لها السعادة الحقيقية من عزة وكرامة وتمكين في الحياة الدنيا قبل الآخرة[4].

٢ ـ المقاصد الأخروية

تتعلق المقاصد الأخروية بالدار الآخرة، (وهي ما يرجع الى تحصيل مصالح تتعلق بالآخرة أولاً وأصلاً في الغالب؛ إلا إنها لا تمنع أن تؤدي الى مصلحة دنيوية)[5].

وثمة نصوص كثيرة تدل على أن هناك مصلحة أخروية تحوي في طياتها مصالح دنيوية عدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[6]، حيث تبين الآيتان الكريمتان حال

(١) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار احياء التراث ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٩٩٩م: ١٣٩/٥.

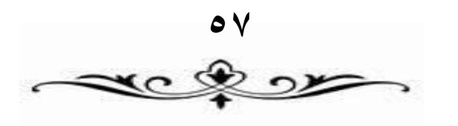
(٢) [سورة الأنفال: من الآية ٢٤].

(٣) التحرير والتنوير: ٣١٢/٩، ٣١٣.

(٤) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٤٣.

(٥) الاجتهاد، تأثيره وتأثره في فقهي المقاصد والواقع، د. عبد الرؤوف بن محمد أمين الإندونيسي، دار الكتب العلمية (د. ت): ٤٩٢.

(٦) [سورة المائدة: من الآية ٦٥، و٦٦].



أهل الكتاب وفقا لما تقتضيه مبادئ التربية الإنسانية لتفتح باب العودة والتوبة أمام المنحرفين منهم، لكي يعودوا إلى الطريق القويم، ولتريهم الدرب الحقيقي الذي يجب أن يسيروا فيه، ولتثمن دور تلك الأقلية من أهل الكتاب التي عاشت في ذلك العصر لكنها لم تواكب الأكثرية في أخطائها فحرمت نفسها من هذه المنافع الدنيوية، بل ذهبت إلى أبعد من هذا فوعدهم تعالى بالجنة ونعيمها، إذ قالت: ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وهذه إشارة إلى النعم المعنوية الأخروية[1].

ويذكر السيد ناصر مكارم الشيرازي المراد في الآية التي تليها (ثم تشير الآية الثانية إلى الأثر العميق الذي يتركه الإيمان والتقوى في الحياة الدنيوية للإنسان، فتؤكد أن أهل الكتاب لو طبقوا التوراة والإنجيل وجعلوهما منهاجا لحياتهم وعملوا لكل ما نزل عليهم من ربهم، سواء في الكتب السماوية السابقة أو في القرآن، دون تمييز أو تطرف لغمرتهم النعم الإلهية من السماء والأرض، فتقول الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2].

والمقاصد الأخروية لا تخرج عن جلب الثواب ودفع العقاب[3]، وإنما هذا الجلب للثواب والدفع للعقاب رهين بقوة الإعتقاد ودرجته، (ولما كان هناك تلازم بين صلاح الاعتقاد وفساده، والمعاش والمعاد، جاءت معظم المقاصد الأخروية مقرونةً بالأولى (الدنيوية)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[4].

فتثبيت الله تعالى للمؤمنين يكون في الدنيا باطمئنان قلوبهم وانشراحها للتقوى، وعدم مخامرتها بما يشوش ويعكر عليها صفاء الايمان، أما في الآخرة فلا يعتريهم الخوف ولا الفزع ولا الاضطراب لقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6]، وهم في تلك الأحوال مراتب ودرجات لا تبلغ عقول البشر تفاصيلها ولا احصائها إلا ما جاء على سبيل النقل والأخبار لأنها مخصوصة بعالم الغيب)[7].

ومن هذه المقاصد أيضاً مسألة فلاح النفس في الآخرة، فقد وردت في القرآن الكريم آيات قد رسمت الأصول الكافية للأخلاق، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ﴾[8]، بأن أول ما يشرع فيه الإنسان هو

(١) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/ ٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٧٩.

(٣) (يُنظَر) الاجتهاد، تأثيره وتأثره في فقهَي المقاصد والواقع: ٤٩٢.

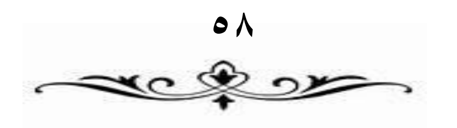
(٤) [سورة ابراهيم: الآية ٢٧].

(٥) [سورة الأنبياء: الآية ١٠٣].

(٦) [سورة الزمر: الآية ٦١].

(٧) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٤٤.

(٨) [سورة لقمان: من الآية ١٢].



شكر المنعم تعالى، ثم تتطرق الآية الكريمة لمسألة التوحيد بقوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللهِّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وفي المرحلة الاخرى يتناول القرآن الكريم مسألة المعاد، كونها من الأركان المهمة والأساسية للمعارف الدينية، ويقول تعالى: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُّ إِنَّ اللهَّ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[2]، ثم تتوالى الآيات في بيان الأصول الأساسية للأخلاق والحكمة العملية، فتشير الى مسألة احترام الوالدين، وأهمية الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على نوائب الدهر، وحسن الخلق مع الناس بالتواضع وعدم التكبر، والاعتدال والقصد في كل شيء[3].

حتى إذا زكّى الإنسان نفسه بالسلوك المؤدي الى رضا الله تعالى فإنه سوف يكون بالتأكيد من المفلحين، بينما إذا دساها لا يكون إلاّ من الخائبين الذين خسروا الدنيا والآخرة، كما يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[4]، فيجدر بالإنسان أن يهذّب هذه النفس ويزكّيها، لكي لا يذهب عمره سدىً، وليتحقق المقصد الأسمى الذي أراده تعالى من خلقه من تحقيق العبودية الحقة لله تعالى لينال ما أعدَّه له من الفوز في الآخرة والفلاح.

ولكي نستعلم كيفية تحقق هذه المقاصد في الوجدان والسلوك لأجل الوصول لأعلى مراتبها، فقد رأينا فصل هذا التحقق في المطلب التالي، في مراتب المقاصد العقدية.

المطلب الثاني: مراتب المقاصد العقدية

تتعلق مراتب المقاصد العقدية بمراتب العقائد ذاتها، وهي مراتب الإيمان بالله تعالى، حيث أنها تتباين وتختلف تبعاً لمنزلة العقيدة في تعلق القلب بالله تعالى أثر معرفته وإخلاص توحيده والخضوع اليه، وتعلق القلب بغيره تعالى مما لا يملك شيئاً إلا بإذنه.

فبين منزلتي الايمان بالله تعالى وضده من القوة والهوان منازل ومراتب مختلفة تبعاً للبعد والقرب من أحد هذين الجانبين، ومن الدليل على ذلك الأخلاق والصفات المتمكنة في النفوس التي قد تخالف مقتضى ما تعتقد من حق أو باطل، فضلاً عن السلوكيات والأعمال الصادرة عنها[5].

وبناءً على ذلك فسأتناول في هذا المطلب مراتب المقاصد العقدية في ثلاثة فروع، بحسب تدرجها وتمكنها في النفوس، المقاصد المعرفية، والمقاصد الوجدانية والمقاصد السلوكية، ويسبقه تمهيد في مفهوم هذه المراتب.

---

(١) [سورة لقمان: من الآية ١٣].

(٢) [سورة لقمان: الآية ١٦].

(٣) (يُنظَر) الأخلاق في القرآن: ١/ ٨٩، ٩٠.

(٤) [سورة الشمس: الآيتين ٩، ١٠].

(٥) (يُنظَر) الميزان في تفسير القران ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م: ١٣/ ٢٧٨.

تمهيد: مفهوم مراتب المقاصد

المراتب: جمع رتبة ومرتبة، وتُعَرَّف الرتبة في اللغة: الدرجة، والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها[١].

والمرتبة: هي المنزلة الرفيعة[٢]، قالﷺ: (مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣]، أراد بها النبيﷺ الغزو أو الحج أو نحو ذلك[٤].

ولم أجد في الدراسات الأكاديمية السابقة من تطرق لموضوع مراتب المقاصد العقدية، إلا الدكتور نور الدين أبو لحية، في بحثٍ له بعنوان مقاصد العقائد وسبل تحصيلها، ونظراً لرؤيتنا في أهمية الموضوع فقد رأينا تأصيله في هذا المطلب، لكون هذا الإنسان مجموعةً من المعارف الذهنيَّة، والعواطف الوجدانيّة، والسلوكيات الظاهريّة[٥].

ولأجل توضيح ذلك، فإن المعرفة الذهنية الفكرية المستنيرة بالدلائل النقلية والعقلية تُعَد المرتبة الأولى من مراتب المقاصد؛ إذ هي المقصودة بذاتها كما إن العقائد مقصودة بنفسها، والتلازمُ بيِّنٌ بين المعتقد وقصدُ معرفته.

فإذا حازَ العبد المرتبة المعرفية، سهُلَ عليه الترقي الى المرتبة الثانية، وهي مقصودة أيضاً، ويكون العبدُ في هذه المرتبة بحيث تنقاد عواطفه ونفسه للمعرفة الذهنية، ليجتمع العقل والوجدان في التعبير عن مقاصد العقيدة، ثم يكون الطريق سالكاً للترقي الى المرتبة الثالثة، وهي مرتبة المقاصد السلوكية. وبهذا تنقاد أعماله للعقل والوجدان، فيتوافق السلوك معهما لتتكامل المراتب الثلاث المقصودة.

ويُعَد هذا الترقي إنما أساسه في قوة ويقين ما يترسخ في نفس المؤمن من عقيدته مما يؤهله لعلو مرتبته في مقام عبوديته لله تعالى، وتحقيقه لمقصد خلقه الأساس في تحققه بشرف العبادة الحقيقية، مرتقيةً به لنيل الغايات والمقاصد المرجوة لنيل سعادة الدارين وما يحقق هذه السعادة وأسبابها.

ويُعَد هذا من الحقائق البديهيّة، فالإيمان المقيّد بضوابط الشرع المراعي لمقاصده هو المدرسة التربويّة الكبرى التي تجعل الإنسان غير محتاجٍ إلى أيِّ رقابةٍ غير رقابته الإيمانيّة[٦].

ولذلك نشرعُ بتقسيم هذا المطلب الى فروع ثلاث في هذه المراتب، تبدأ بالمقاصد المعرفية في المرتبة الاولى، والمقاصد الوجدانية في مرتبتها الثانية، والمقاصد السلوكية في المرتبة الثالثة.

---

(١) (يُنظَر) العين، باب الراء، مادة رتب: ٢/٩٤، ولسان العرب، كحرف الباء، فصل الراء، مادة (رتب): ١/٤٠٩.

(٢) (يُنظَر) لسان العرب، حرف الباء، فصل الراء، مادة (رتب): ١/٤١٠.

(٣) مسند الإمام أحمد ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة قرطبة، القاهرة، مسند الأنصار، مسند فضالة ابن عبيد الانصاري، ح٢٣٩٩٠: ٦/ ١٩، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، و(يُنظَر) لسان العرب، حرف الباء، فصل الراء، مادة (رتب): / ٤٠٩.

(٤) المصدران نفسيهما.

(٥) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه: ١٥٥.

المرتبة الأولى: المقاصد المعرفية

ونبين فيها مفهوم هذه المرتبة من المقاصد، ووسائلها المؤدية إليها، ثم بيان المقاصد المعرفية للعقيدة الإسلامية.

أولاً: مفهوم المقاصد المعرفية

بما إننا قد عرَّفنا مفهوم المقاصد في المبحث الأول من هذا الفصل، فستتناول في هذا المطلب مفهوم المعرفية بإيجاز مما يعيننا في تعريف هذه المرتبة من المقاصد العقدية.

فالمعرفية: من (المعرفة)، وتأتي في اللغة: من عرَفَهُ معرفةً وعرفاناً: أي علِمَهُ بأحد الحواس الخمس فهو عارفٌ[(١)].

والمعرفة اصطلاحاً: فهي الإدراك المسبوق بالعدم.أو هي ما يُتَوصَل إليه بتفكرٍ وتدبر[(٢)].

أما المقاصد العقدية المعرفية: فهي المقاصد التي ترتبط بمعرفة اصول العقيدة الإسلامية، والتي وردت في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأيدها العقل الإنساني.

فالمقاصد المعرفية هي أوَّل مراتب المقاصد العقدية وأهمُّها باعتبار أنَّ جميع المقاصد تنطلق منها، وهي الأمر الأول الذي ينطلق منه الإنسان للرقي الى غاية خلقه، فالإنسان كما يقال (ابن أفكاره) ولهذا، فإنه مُطالب بمعرفة كل ما له وما عليه، لكي يحتاط لنفسه ويؤمنها، ولذلك عليه أن يحافظ على الوسائل التي توصله الى تلك المعرفة، وهذه الوسائل هي مداركه، وآلات إدراكه كالحواس والعقل[(٣)].

ذلك أن معرفة الإنسان لله تعالى وكافة أركان عقيدته تُعَد اللبنة الأولى لبنائه عقدياً وتوجهه نحو العقيدة السليمة المتحققة في أخلاقه وسلوكياته للسير به نحو أعلى مرتبة في مقاصدها.

فإن استقرت المعرفة العقدية سليمةً خاليةً من الانحرافات والتشويهات عندئذٍ تتحقق هذه المقاصد من العقيدة الإسلامية على كونها المعاني والحكم والغايات التي وضعها الله تعالى لعباده متمثلةً بصفاتٍ سلوكية علمية أو عملية بما يعود على هذه الشخصية والأمة أجمع بالصلاح الدنيوي والأخروي.

ثانياً: وسائل المقاصد المعرفية للعقيدة الإسلامية

علِمنا ان علم العقائد هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية، وهذا هو معنى العقائد الدينية، أي المنسوبة إلى دين محمدﷺ[(٤)].

أما ادلة العقائد الدينية اليقينية فهي الحقائق التي ترتبط بمعرفتها، وهي ذاتها الوسائل لاستنباط ومعرفة المقاصد العقدية منها، والوسيلة الى بلوغها، وهي قسمان:

---

(١) أقرب الموارد، باب العين:٢/ ٧٦٨، و(يُنظَر) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٣٤٥ مادة (ع ر ف):٢/١٤٨٥.

(٢) (يُنظَر) الكليات، فصل الميم: ٨٢٤، و٨٦٨.

(٣) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٣٩.

(٤) شرح المقاصد للتفتازاني:١/١٦٥، و(يُنظَر) المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام:٧.

١ـ الأدلة النقلية

وتتمثل بالحقائق العقدية الثابتة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مثالها ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[١]، والتي اشتملت على جميع أركان العقيدة الإسلامية، كذلك ما وردَ في السنة النبوية المطهرة في بيان هذه الأركان، منها ما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان، فقال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، قَالَ جبريل عليه السلام: صَدَقْتَ)[٢].

وكذلك سائر أركان العقيدة الإسلامية من مباحث الإلهيات والنبوات والسمعيات، بالدِلالة عليها مما ورد في القرآن الكريم أو روايات السنة النبوية المطهرة، على أن تكون هذه الروايات صحيحةً يقينيةً معتبرة، وخالصةً مما لحِق بها من الخرافات والاسرائيليات، كي تكون المقاصد الناتجة عنها قويةً ويقينية.

فبقدر ما تكون هذه المعارف سليمةً وصادقة وصحيحة بقدر ما يثمر الإيمان بها من المقاصد الصحيحة، أما إن كانت هذه المعارف الأولية مشتملةً على الخرافات والتأويلات من الاسرائيليات وغيرها، فإن هذه الحقائق تظل مضرةً لمعتقدها الضرر الكبير؛ لأن مبنى عقيدته بمعرفتها سيكون أساسه على الخرافات لا العلم الصحيح.

٢ـ الأدلة العقلية

وهي الادلة المختلفة بحسب القضية العقدية، وتعود اهمية هذه البراهين في ترسيخ المعاني العقدية، حيث يكون هذا الدليل مسانداً للأدلة النقلية من نصوص الكتاب والسنة، وكثيراً ما ترتبط هذه البراهين بمباحث الإلهيات والنبوات من العقيدة الإسلامية.

أما (عالم الغيب أو السمعيَّات ـ كمصطلح ـ قُصِرَ على ما لا يُمكن الاستدلال عليه بالعقل المجرَّد، وما كان في نفس الوقت في حيِّز الإمكان، فتخرج أبواب الألوهيّة والنبوّات لانسجام العقل مع النصوص في الدلالة عليها.

فلذلك يُكتفى في مثل هذه المسائل بالأدلّة المعصومة، ويُعزل العقل عن البتّ فيها بقول أو بدليل إلا دليل الإمكان، ولهذا قال تعالى بعد ذكر كثيرٍ من الأخبار والقصص: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤])[٥].

---

(١) [سورة البقرة: من الآية ١٧٧].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، جزء من ح ٨: ١/ ٣٦.

(٣) [سورة آل عمران: الآية ٤٤].

(٤) [سورة هود: الآية ٤٩].

(٥) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٦٢.

والفرق بين ما ذكرناه هنا وما سبق ذكره في مسالك معرفة المقاصد العقدية في المبحث الثاني، إن الكلام هنا عن مراتب المقاصد للدلالة على تدرج تجلياتها في النفوس بمجرد المعرفة الأولية للعقائد إن كانت صحيحة وخالية مما يشوبها، ومن دون الحاجة الى مسالك الاستقراء والاستنباط، وهو ما أشرنا إليه بالنظر والتدبر العقدي من ظواهر النصوص الكريمة من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثالثاً: المقاصد المعرفية لأركان العقيدة الإسلامية

إنَّ الإيمان بوجود الله تعالى وصفاته واسمائه تعد من المعارف العقدية الاساسية، لكونها العقيدة الاولى التي على المكلف ان يدين ويؤمن بها، وتتدرج من هذه المعرفة سائر العقائد الايمانية التي شرَّعها الله تعالى على عباده، والتي يبينها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[١] وغيرها من الآيات الكريمة وأحاديث النبيﷺ.

وانطلاقاً من هذا، فقد قسَّم علماء التوحيد قضايا الإيمان إلى ثلاثة أركان هي الإلهيَّات، والنبوَّات، والسمعيَّات، أو هي الإيمان بالله تعالى، وبالرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وبعالم الغيب، ولهذا التقسيم أهميّة كبرى بسبب اختلاف مناهج التعامل مع كلِّ ركنٍ من هذه الأركان[٢].

وفي هذا المقام، سأبحثُ بإيجاز المقاصد المعرفية لكل ركنٍ من أركان العقائد الإسلامية، وكما يأتي:

١ ـ الإلهيات

المعرفة الإيمانية هي أول واجب على المكلف، إذ (إن مقصد الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] أي ليكونوا عبيداً لي ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية)[٤].

والإلهيات هي المباحث التي تُعنَى بمعرفة ما يجب لله تعالى وما يجوز وما يستحيل عليه جلَّ شأنه، وتندرج تحت هذا الأصل من العقيدة معرفة أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، عن طريق العلم بها، بل إن القرآن الكريم يذكر أنَّ العلم الحقيقيَّ الكامل هو منبع الإيمان، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِراطِ الْعِزيزِ الْحَميد﴾[٥]، وهو منبع الخشوع والخضوع لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ

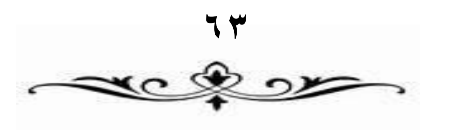
(١) [سورة البقرة: من الآية ١٧٧].

(٢) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٧.

(٣) [سورة الذاريات: الآية ٥٦].

(٤) إحياء علوم الدين: ١٩/٤، و(يُنظَر) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م: ٥٤٦/٧، والكليات، فصل الميم: ٨٢٤، و٨٦٨.

(٥) [سورة سبأ: الآية ٦]



قَبْلِهِ اِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ للاَذْقانِ سُجَّداً (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا اِنْ كانَ وَعْدُ رَبِنا لَمَفعولا﴾[١].

لذلك كان العلم بهذا الركن من العقيدة هو الأساس في تحصيل المقاصد كافة؛ لأن العلم والمعرفة بحسب النصِّ القرآنيّ هو منبع التقوى والخشية من الله تعالى والتي يتولَّد عنها بعد ذلك كلُّ خيرٍ[٢]، (فلم يكن العلم في يومٍ من الأيام غاية العلماء العاملين ولا ديدنهم، فالعلم من غير عمل يجر الى المِراء والجدال والتعالي، وهو ما نهى الشرع عنه وحذر منه وتوعد أهله، بينما نوَّه بالعاملين به لما يوصلهم اليه من مقاصدٍ سامية ـ كالخشية والذلة والخوف)[٣].

٢ ـ النبوات

تُقاس أهمية المقاصد المعرفية المرتبطة بالنبوات من أهمية معرفة مباحث النبوات ذاتها والاعتقاد بها؛ كونها العنصر الثاني من الأركان الأساس للإيمان، ولذلك امتلأت آيات القرآن الكريم بالثناء على الأنبياء عليهم السلام، وذكر قصصهم وأحوالهم لتملأ القلوب محبَةً لهم وإجلالاً، وتشحن الطاقات قدوة وسلوكاً، وخير مصدر للتعرّف إلى حقيقة الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ هو القرآن الكريم، فهو الكتاب المؤرِّخ لحياتهم المرشد لكمالهم المصحح للأخطاء الكثيرة والتحريفات العظيمة التي لحقتهم[٤].

كما يمكن التعرف عقلاً على فضلهم واصطفائهم ومكانتهم بأنه لم يكن اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام أمراً عشوائياً، بل كان لحكمةٍ وهدفٍ فيمن يكون قادراً على تحمل أعباء هذه الأمانة العظيمة التي وُكِّل بإيصالها الى الناس كافة، ونبينا صلى الله عليه وآله واصطفاء الله تعالى له بهذه المنزلة العظيمة، بإرساله الى امم العالم كافه وخاتماً للنبيين قد زاد في فضله من الله تعالى.

ولم يكن هذا التكريم والتفضيل له صلى الله عليه وآله مقتصراً على الحياة الدنيا الزائلة، بل أنه يمتد الى اليوم الآخر واصطفاءه وتكريمه بالمقام المحمود الذي وعده به تعالى[٥].

٣ ـ السمعيات

إذا ورد عنه صلى الله عليه وآله ما هو نصٌ صريح في خبرٍ ماضٍ أو أمرٍ مستقبلٍ أو غير ذلك، فلا شبهةَ في إن نصه صلى الله عليه وآله حجة شرعية للاعتقاد به، أو العمل على طبقه، وإنه صلى الله عليه وآله لم يخبر عن شيء، ولم يأتِ بحكم من عند نفسه المقدسة، ولم ينطق شيئاً عن شهوة نفسه البشرية واتباع الهوى، وليس ما نصَّ عليه إلا أمراً و وحياً أُوحي اليه صلى الله عليه وآله من الله تعالى، كما صرَّح

(١) [سورة الإسراء: الآيتين ١٠٧، ١٠٨].

(٢) (يُنظر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٤٠.

(٣) المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٧.

(٤) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٩، ١٦٠.

(٥) (ينظر) كشف المراد في شرح تجريد ـ العلامة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، شرح: العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ٣٩٣، و تفسير جوامع الجامع ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ:٣/٣٨٩.

بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾(١)(٢).

لذلك سُميت العقائد التي كانَ طريق العلم بها السمع الوارد في القرآن الكريم أو السنة النبوية المُطهرة مما لم يسبق للعقل فيه مجال للاستدلال عليها بـ(السمعيات)، فلا قدرة لحواسنا البشرية في معرفة كنهها وكيفيتها وبالتالي لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بمعرفتها أو إدراكها، ومن خلال النظر في مباحثها نجدها تتعلق بكل ما يرتبط بالعالم الآخر الذي أمرنا تعالى أن نؤمن ونصدق به وهو عالم الغيب، ولعلَّ هذا هو السبب في إطلاق أكثر العلماء بتسميتها بهذا الاسم؛ لاعتمادنا في الإيمان والتصديق بها عن طريق السمع(٣).

فالمقاصد المعرفية من الإيمان بهذه العوالم تنفي وجود عبثية الخلق، وعدم تساوي الصالحين مع المفسدين، كما ذكر ذلك الامام ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾(٤)، بقوله((أم) منقطعة، أفادت إضراباً انتقالياً وهو ارتقاء في الاستدلال على ثبوت البعث وبيان لما هو من مقتضى خلق السماء والأرض بالحق. فلأجل ذلك بني على استفهام مقدر بعد أم، وهو من لوازم استعمالها، وهو استفهام إنكاري، والمعنى: لو انتفى البعث والجزاء كما تزعمون لاستوت عند الله أحوال الصالحين وأحوال المفسدين)(٥).

فالله تعالى ينفي على مَن نسب الى حكمته وعدله التسوية بين المختلفين (المتقين والفجار، المصلحين والمفسدين)، ويثبت من هذا النفي تنزيهه تعالى عمّا لا يليق بجلاله ومقامه، ومثال هذا أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٦)، فالعبثية في الوجود أمرٌ منبوذ ومتروك، ولمَّا كانت المخلوقات في الكون دالةٌ على دقة الصانع المبدع، دلَّ هذا على حسن التدبير لها، وأن وراءها غاية في الآجل والعاجل، وعُرِف المقصد منه هو البعث والحساب والجزاء، فتطابقت بذلك شهادة العقل والوحي على توحيد شرعه، وصدق وعده ووعيده(٧).

المرتبة الثانية: المقاصد الوجدانية

وتتعلق هذه المقاصد بالنشاط الوجداني بعد معرفة الإنسان لعقيدته الحقة، وقد لا يمكن أن يشعر به أو يدركه

(١) [سورة النجم: الآيات ٣ ـ ٥].

(٢) نور الافهام في علم الكلام ـ العلامة السيد حسن الحسيني اللواساني (ت١٤٠٠هـ)، تحقيق: السيد ابراهيم اللواساني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ ايران، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م: ٢/٢٤٦، و(يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٦٢.

(٣) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٦٢.

(٤) [سورة ص: الآية ٢٨].

(٥) التحرير والتنوير: ٢٣/٢٤٩.

(٦) [سورة المؤمنون: الآيتين ١١٥، ١١٦].

(٧) (يُنظَر) محاضرات الدكتور محمد أمين الإسماعيلي، وحدة المقاصد والعقيدة في الفكر الإسلامي، نقلاً عن المقاصد العقدية في القصص القرآني: ٢٨.

أو يلاحظه إلا صاحبه وحده دون غيره من الناس، لذا قد تُسمى هذه المقاصد بالحالات أو الخبرات الشعورية أو النفسية، لأنها قد لا تكون ظاهرة كما سيأتي في المقاصد السلوكية[١].

وسأتناول بيان هذه المقاصد وبعضٍ من نماذجها فيما يأتي:

أولاً: مفهوم المقاصد الوجدانية

وسأتناول هنا معاني الوجدان في اللغة والاصطلاح، ثم أبين نوعَيها.

١ـ الوجدان في اللغة

قال الفراهيدي رحمه الله (ت ١٧٠هـ): (الوجدان والجِدَة: من قولك وجَدتُ الشيءَ، أي أصبتُهُ)[٢].

الوجدان: من وَجَدَ، ووجداً، وجِدةً وجوداً، ووجداناً: أدرَكَه وأصابه[٣].

٢ـ الوجدان في الاصطلاح

ويُطلَق الوجدان على: ١ـ كل إحساس أوليٍّ باللذةِ أو الألم. ٢ـ ضربٌ من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذةِ أو الألم في مقابل حالات اخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[٤].

كما يُعَرَّف بأنهُ حالة نفسية تجعل الإنسان متأثراً بعواطفه اكثر من تأثره بفكره[٥].

والمقاصد الوجدانية نقصد بها الجوانب المرتبطة بالنفس، ونريد بها مقصداً مهمّاً من مقاصد الشارع من المعارف العقديَّة، وهو تحوّلها من عالم الذهن والفكر الذي وصلته عن طريق معرفة العقيدة إلى عالم الوجدان والنفس. فتنفعل النفس بالمعارف العقديَّة وتتلَوَّن بألوانها[٦].

ففي المرحلة الأولى (المقاصد المعرفية) تبدأ المعرفة بمعانٍ عقليّة لها وجودها الذهني، أمّا في هذه المرحلة فتتحوَّل المعارف إلى كيانٍ نفسيٍّ له تأثيره بعد ذلك في جميع مناحي الحياة[٧].

فمن أخلص رغبته لله تعالى تحصل المعرفة الحقيقية لديه بذات الله سبحانه وبصفاته وأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى

(١) (يُنظَر) اصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع الساحل ـ القاهرة، الطبعة السابعة: ٦.

(٢) العين، باب الواو، مادة (وجدَ): ٤/ ٣٤٨.

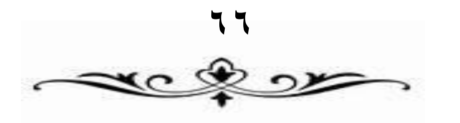
(٣) (يُنظَر) الدين والإسلام: ١/١٤١.

(٤) (يُنظَر) المعجم الوسيط:١٠١٣.

(٥) (يُنظَر) معجم لغة الفقهاء: ١/٤٩٩.

(٦) التفسير الكبير:١٣٩/٩، و(يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها:١٣٩.

(٧) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٣٩.



بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة، وأن الذي أعده الله لعباده الصالحين (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)[3][4].

٣ ـ أنواع المقاصد الوجدانية

يُمكن تقسيم المقاصد المرتبطة بهذه المرتبة إلى نوعين، هما:

آ. المقاصد الوجدانية النفسية

وهي دور العقائد في تشكّل النفسيّة السوِية الممتلئة بالطمأنينة والسلام[5].

فحقيقة المقاصد الوجدانية تتمثل في الانفعالات والتأثر الذي يعتري الإنسان عندما يعلم بقضيةٍ عقديةٍ معينة، فضلاً عن تأثره الحاصل حال معرفته كافة أركان العقيدة، ويُشير إلى هذه الناحية من مقاصد العقائد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[6]، ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أنّ المعارف الإيمانية بذكر الله تعالى تجعل القلب مطمئناً مرتاحاً سعيداً[7].

كذلك عند قراءة النصوص الكريمة أو سماعها في الجنة ووصفها اشتاقت النفس إليها، كما أن سماع أو قراءة آيات النار والعذاب وجِلَت النفس منها، لذلك نجد أن اسلوب القرآن الكريم في دعوة الناس الى الايمان إنما كان في الترغيب بالثواب العظيم، والترهيب من العقاب الأليم، مما يصاحبه تأثيراً كبيراً في نفس الإنسان.

ب. المقاصد الوجدانية الذوقيَّة

وهي درجة أعلى، ونعني بها تذوّق الحقائق الإيمانيّة والعروج من خلالها في سلّم المعرفة بالله تعالى[8].

ويبين الدكتور نور الدين ابولحية أن هذه الناحية هي التي عبر عنها الامام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) بـ(اليقين) بقوله:(وهذه الناحية الذوقية يعبر عنها الامام الغزالي بـ (اليقين)، معتبراً إياه رأس مال الدين، وهو لا يقصد منه ما

---

(١) [سورة الإسراء: من الآية ١٤].

(٢) [سورة العنكبوت: من الآية ٦٤].

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم﴾، ح٤٧٧٩: ١٦/١٦، و٣٦٢/٢٤، وروضة الواعظين: ٣٨٢/١.

(٤) (يُنظَر) احياء علوم الدين: ٢٠/١.

(٥) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٣٩.

(٦) [سورة الرعد: الآية ٢٨].

(٧) التفسير الكبير:١٣٩/٩.

(٨) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٣٩.

يقصده المتكلمون من التصديق الجازم بالشيء، والذي ينفي عنه الظن أو الشك أو الوهم، فإن ذلك لا يحتل إلا حيزاً بسيطاً من الإنسان هو حيز الذهن المصدق، أما اليقين الحقيقي، فهو غلبة التصديق على القلب، حتى يصير هو المتحكم والمتصرف في النفس الإنسانية بالإجازةِ والمنع)[1].

وقد أخبر النبيﷺ عن علامات ذلك فقال: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)[2]، ففي هذا الحديث إشارةٌ إلى أنَّ المعاني الإيمانيّة في مرحلتها الوجدانيّة بعد طمأنينة النفس بها، تتحوَّل إلى طعام وشراب يذوقه صاحبه ويتنعَّم به، وقد ورد هذا بصيغٍ مختلفة منها قوله ﷺ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[3][4].

ثانياً: علاقة المقاصد المعرفية بالمقاصد الوجدانية

إن العقيدة الإسلامية سلسلة دروس تربوية يتعلمها الإنسان لتحقيق المقصد الأعلى فيها، وهذا المعنى للمقاصد من العقيدة يقتضي منهجاً خاصاً يختلف عن المنهج الذي يحقّق المقاصد المعرفية، فهذا المنهج يعتمد على كثرة ذكر الله تعالى كما قال النبيﷺ: (يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُم، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَبتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)[5]، ففي هذا الحديث الشريف إشارة الى دور الذكر في رحلة العروج والتقرب الى الله تعالى، فبين ﷺ عن الله تعالى أنه (من تقرب إلي بطاعتيّ تقربت إليه برحمتي والتوفيق والاعانة وان زاد زدتُ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي اتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها، ولم احوجه إلى المشي الكثير في الوصول الى المقصود والمراد ان جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه)[6].

ومن هذه المعرفة تتحقق الغايات والآثار فتظهر في الإنسان المؤمن بالله تعالى على قَدَر رسوخ العقيدة في قلبه وعقله، لذلك فقد نرى ممن يؤمن بالله تعالى، ثم يخاف وترتعد فرائصه من أي نائبة أو مصيبة تهدده، وهو يذكر أن لا

---

(١) الاصلاح الاجتماعي عند ابي حامد الغزالي ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ: ١٨٢، عن إحياء علوم الدين: ٧٣/١، ٧٤.

(٢) صحيح مسلم، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن،ح٥٦:١/٦٢.

(٣) صحيح البخاري ـ باب حلاوة الإيمان، ح١٦:١/١٤، وبلفظ مقارب في صحيح مسلم ـ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ح٦٧:١/٦٦.

(٤) (يُنظَر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها:١٥٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾[آل عمران: من الآية ٢٨]، ح٦٩٧٠: ٦/٢٦٩٤، باب الحث على ذكر الله تعالى: ٤/٢٠٦١.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ح١٧:٢٦٧٥/٣، و(يُنظر) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٥.

قوة إلا بالله، ويلتمس العزة والجاه من غيره وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، ويقرع كل باب يبتغي الرزق منه حتى يكاد يهلك، وهو يعلم أن الله تعالى ضمِن له رزقه، ويعصي الله ولا يستحيي، وهو يرى أن ربه عليم بما في نفسه سميع لما يقول بصير بما يعمل، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[2].

أمَّا إذا تجلت هذه المعرفة في نفس الإنسان المؤمن بالله تعالى ووجدانه، عندئذٍ تتحقق المقاصد النابعة من قوة عقيدته وقوة يقينه بالله تعالى، وإن الكاذب لَيتخلى عن كذبه، إذا علم أن الله يحب الصدق، والعامل يبادر الى عمله بإتقان إن علِمَ أن الله يحبُ إذا عمِل أحدٌ عملاً أن يتقنه، وهكذا في سائر الأعمال[3].

ثالثاً: تجليات المقاصد الوجدانية

ومن التجليات التي تظهر في هذه المرحلة من المقاصد العقدية:

١ ـ مخافة الله تعالى وخشيته

إن المقصد الأهم مما يبتغيه الإنسان جراء سلوكه طريق القرب من الله تعالى هو تقواه ومخافته في السر والعلن، إذ ارشده تعالى أول أمره الى سلوك سبل معرفته والايمان به من خلال الآيات البينات، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلناسِ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾[5]، كي يبشره بأن من تبع ذلك واتقى الله تعالى فله البشرى في جنات النعيم، قال تعالى:﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[6]، كما بشر تعالى الخائفين من مقام عظمته بقوله:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[7].

فالخوف هو خشية سببها ذل العبد، والخشية خوف سببه العلم بعظمة المخشي، ومعرفته، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[8]، لأنهم عرفوا عظمة الله فخافوه واتقوه لا لذل منهم، بل لعظمة جانب الله، فجعل الخوف منحصراً فيهم[9].

فإن المؤمنين بالله تعالى يخافونه وقلوبهم وجلةً منه تعالى، ولا يطمئنون إلى أعمالهم الصالحة التي عملوها ولا

(١) [سورة يونس: الآية ٦٥].
(٢) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١٣/ ٢٧٨.
(٣) (يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد: ١١٠.
(٤) [سورة الحشر: الآية ١٨].
(٥) [سورة البقرة: الآية ١٨٧].
(٦) [سورة القلم: الآية ٣٤].
(٧) [سورة الرحمن: الآية ٤٦].
(٨) [سورة فاطر: من الآية ٢٨].
(٩) (يُنظَر) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب ـ محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٢٩/٣٦٩.

يتكلون عليها، بل يخافونه أبداً، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(١)] وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الإنسان بالله تعالى أتم، كان الخوف منه أعظم، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء، إذ إن معرفة عظمة الباري تعالى وقدرته تبعث الخوف في قلوب أوليائه خضوعاً وخشوعاً له تبارك وتعالى[(٢)].

وفي ذلك قوله ﷺ: (أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ خَوْفَ اللهِ وَتَذَكَّرُوا مَا قَدْ وَعَدَكُمُ اللهُ فِي مَرْجِعُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِهِ كَمَا قَدْ خَوَّفَكُمْ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ شَيْئاً حَذِرَهُ وَمَنْ حَذِرَ شَيْئاً تَرَكَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ الْمَائِلِينَ إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾[(٣)])[(٤)]، وقوله ﷺ: (طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ خَوْفُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْ خَوْفِ النَّاسِ)[(٥)].

ويجسِّد الإمام علي عليه السلام هذا الخوف والإجلال له تعالى بقوله له تعالى بقوله في دعواته: (من ذا يعلم قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك)[(٦)]، ذلك لأن العارف بالله تعالى لا يرى لنفسه شأناً ولا لأعماله، ولا يتكل عليها، بل يثق بالله تعالى وبرحمته. كما أنه لا يستطيع أن يؤدي شكر أنعُم الله تعالى عليه؛ لأن التوفيق الى معرفة النعمة وشكرها نعمة تستوجب الشكر أبداً، ولذا لا يرى نفسه إلَّا مقصراً في حقه تعالى[(٧)].

ومن ذلك الخوف من الله تعالى تتحصل الموعظة للنفس من جراء محاسبتها لذاتها كما في قول الامام زين العابدين عليه السلام: (يا بن آدم انك ما تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همتك، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً، يابن آدم انك ميت ومبعوث ومسؤول فاعِدَّ جواباً)[(٨)].

٢ـ الرجاء

والرجاء كالخَوف، وهو مما وُصِف به المؤمن الموقن بمعرفته لله تعالى، (فهو إذا عمل حسنة، أيقن بثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد، وإذا عمل سيئة أيقن بالكراهة لها، وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتوعد، من قبل أن دخوله في الطاعة، دخول في محبة الله تعالى ومرضاته لما دلّ العلم عليه؛ فهذا رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا،

(١) [سورة النحل: الآية ٥٠].

(٢) (يُنظَر) مفاتيح الغيب: ٢١٨/٢٠، ومعرفة الله تعالى: ٤٢١، ٤٢٢، ودور العقيدة في بناء الإنسان ـ مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، قم ـ ايران، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ: ٧٥.

(٣) [سورة النحل: الآية ٤٥].

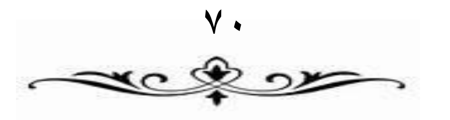
(٤) الكافي للكليني، كتاب الروضة، كلام علي بن الحسين عليه السلام، ح ٢٩: ٨/ ٧٤.

(٥) المصدر نفسه، كتاب الروضة، حديث الناس يوم القيامة، ح ١٩٠: ٨/ ١٦٩.

(٦) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار ـ العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، باب الاستشفاع بمحمد وآل محمد في الدعاء، وأدعية التوجه اليهم والصلوات عليهم، ح١١: ٩١/٢٤٥.

(٧) (يُنظَر) معرفة الله تعالى: ٤٢٨.

(٨) روضة الواعظين: ٢/ ٢٨.



فكيف لا يسرّه رضاه، ومن قبل أن دخوله في المعصية دخول في غضب الله تعالى ومكارهه، بما دلّ العلم عليه فذلك الذي يسوءه؛ لأن مقت الله تعالى اليوم معاصيه وسخطه غداً تعذيبه)[1].

وإنما تتحقق هذه المرضاة من الله تعالى برجائه وحسن الظن به، فقد رُويَ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَتَّكِلِ الْعَامِلُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي فَإِنَّهُمْ لَوِ اجْتَهَدُوا وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَعْمَارَهُمْ فِي عِبَادَتِي كَانُوا مُقَصِّرِينَ غَيْرَ بَالِغِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ كُنْهَ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كَرَامَتِي وَالنَّعِيمِ فِي جَنَّاتِي وَرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي جِوَارِي وَلَكِنْ بِرَحْمَتِي فَلْيَثِقُوا، وَفَضْلِي فَلْيَرْجُوا، وَإِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِي فَلْيَطْمَئِنُّوا، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تُدْرِكُهُمْ، وَمَنِّي يُبَلِّغُهُمْ رِضْوَانِي، ومَغْفِرَتِي تُلْبِسُهُمْ عَفْوِي، فَإِنِّي أَنَا اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَبِذَلِكَ تَسَمَّيْتُ)[2].

وكما أن الخوف هو الباعث لسلوك طريق طاعة الله تعالى بطريق الرهبة، فإن الرجاء هو باعثٌ آخر لسلوك طريق الطاعات، وأثرٌ آخر لقوة العقيدة في النفوس، لكنه عن طريق الرغبة، إذ إن حال الرجاء هو ما يورث طول المجاهدة بالطاعات، والمجاهدة بالأعمال كيفما تقلبت الأحوال[3].

كما يبين الامام الغزالي رحمه الله أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، فالدنيا مزرعة الآخرة، والقلبُ كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، فالعبد إذا بثَّ بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهَّر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى وقت الموت وحُسن الخاتمة المفضية الى المغفرة، وكان انتظاره رجاءً حقيقياً محموداً في نفسهِ باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة الى الموت[4].

أما اليأس فضد الرجاء، وكما أن الرجاءُ محمودٌ لأنه باعث الى العمل، وهو نتيجة حتمية لقوة العقيدة وترقيها في نفس المؤمن، فإن اليأس هو نتيجة لضعف هذه العقيدة، وهو مذمومٌ لأنه صارف عن العمل، بل إنه يُعَد ذنباً لكونه نقصاً في المعرفة بسعة رحمة الله تعالى، ولذلك فقد حذَّر القرآن من اليأس من رحمة الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[5][6].

٣ ـ السكينة والطمأنينة

يلازم قلب المؤمن بالله تعالى الذي يخشى عقابه ويتأمل ثوابه، ويتوالى على قلبه المعرفة الحقيقية بمعتقده الحق

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٣٦٤/١.

(٢) الكافي للكليني، باب حسن الظن بالله عز وجل، ح١: ٧٢/٢.

(٣) (يُنظَر) إحياء علوم الدين: ١٤٤/٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٣/٤.

(٥) [سورة يوسف: من الآية ٨٧]

(٦) (يُنظَر) إحياء علوم الدين: ١٤٤/٤، ومعرفة الله تعالى: ٤٣١، دور العقيدة في بناء الإنسان: ٦٣.

السكينة والطمأنينة، أما السكينة فهي(ما يجده القلب من طمأنينة عند نزول الغيب، وهي نورٌ في القلب يسكن الى شاهده ويطمئنُ، وهو مبادئ عين اليقين)(١).

ومن مقتضيات هذه السكينة الحياة الطيبة المطمئنة الخالية من المنغصات النفسية والاضطرابات الروحية؛ ولهذا نجد روح المؤمن بالله تعالى هادئة طيبة تعيش منسجمة مع ذاتها ومع محيطها، تحيطها السكينة والأمن، محصنة من عوادي النفس الإمارة بالسوء، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢)(٣).

وترادفها الطمأنينة، التي من مقتضياتها الشعور بالسكينة والأنس وراحة البال، وذلك ما يتحقق للمؤمن الذي يشعر أنه في حِمى الله تعالى، ومن كان تحت رعاية الله وحفظه لا يضيع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(٦)(٧).

فالإنسان المؤمن بالله العارف به تعالى يجد في العقيدة اطمئناناً على الرغم من عواصف الأحداث من حوله، فهي تدفع عنه القلق والتوتر، وتهيء له أجواء نفسية مفعمة بالطمأنينة والأمل، حتى ولو كان يعيش في بيئة غير مستقرة أو خطرة.

ومن مقتضيات هذه السكينة والطمأنينة صلاح البال والقلب والعقل والنفس، ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان، ذلك أن كل هذه اللطائف لا تستقر إلا به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(٨)، وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلَّبس بها أهل الشرك(٩).

ولا يتوقف تأثير هذه الطمأنينة والصلاح للأفراد، إنما ينعكس على جميع أحوال المجتمع لو اتسموا بالمعارف

---

(١) التعريفات، باب السين:٥٢.

(٢) [سورة النحل: من الآية ٩٧].

(٣) (يُنظَر) كيف تناظر ملحداً، إحصاء لإشكالات الملاحدة.. وبيان لكيفية الإجابة عليها. د. نور الدين أبو لحية، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ. ٢٠١٨م: ٢٦٧.

(٤) [سورة الحج: من الآية ٣٨].

(٥) [سورة الزمر: من الآية ٣٦].

(٦) [سورة الطلاق: الآية ٣].

(٧) (يُنظَر) كيف تناظر ملحداً: ٢٦٨.

(٨) [سورة محمد: الآية ٢].

(٩) (يُنظَر) كيف تناظر ملحداً: ٢٦٨.

التي تقودهم الى ذلك؛ ودليله ما كان حادثاً في زمن النبيﷺ، ومع كون الدعوة الإسلامية في بدايتها، إلا إنهم كانوا مطمئنين لكل ما يأتيهم به النبي ﷺ، وتاريخ الإسلام يحدثنا بما لا يحصى من مصاديق ذلك، فعلى الرغم من إنهم كانوا يعيشون ظروفاً صعبة، حيثُ الحروب المتوالية التي أثارتها قريش وحلفاؤها، وما صاحبها من مقاطعة اقتصادية وعزلة اجتماعية وضغوط نفسية، إلاّ أنّهم كانوا يتمتعون بمعنوية عالية، ويندفعون للقتال بنفس مطمئنة إلى ثواب الله ورحمته[1].

ويذكر ذلك ابن عاشور ﵀(ت ١٣٩٣هـ) بقوله: (وكان المسلمون يعملون بما جاء في الشريعة من تلقاء أنفسهم، ويتحاكمون فيما أُشكِل من الحقوق الى رسول الله ﷺ، فينصرفون عن رضاً بما حكم، فلم تلتجئ الشريعة الى إيجاد وَزَعة، ولا شرطة ولا قضاة ولا شهود، ولكنها قررت ذلك الوازع النفساني الذي هو وازع التقوى في العمل بالشريعة بوازعٍ نفساني آخر من جنس الوازع الأول، وهو إعلان وجوب الرضا بما يحكم به الرسول بين المتخاصمين، إذ نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3]، فذلك تعزيز للوازع النفساني الفردي بإيجاد وازع نفساني في الشؤون الاجتماعية)[4].

المرتبة الثالثة: المقاصد السلوكية

وسأتناول في هذا المطلب المرتبة الثالثة والاخيرة من مراتب مقاصد العقائد من خلال تجلياتها في أفعال الإنسان وسلوكه من عدمه، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: مفهوم المقاصد السلوكية

وأذكر فيه معنى السلوك في اللغة والاصطلاح، ثم انتقل الى بيان مفهوم المقاصد السلوكية.

١ ـ السلوك لغةً

من سَلَك المكان سَلكاً وسلوكاً، وسلكَهُ غيره، وفيه، وأسلَكَهُ إياه، وفيه، وعليه، ويده في الجيب، وأسلَكَها: أدخَلَها فيه[5].

والمسلك الطريق، سلكته سلوكاً[6]، وهو النفاذ في الطريق والذهاب فيه، ويقال في المحسوسات كما في قوله

---

(١) (يُنظَر) المصدر نفسه: ٢٦٨، ودور العقيدة في بناء الإنسان: ٦١.

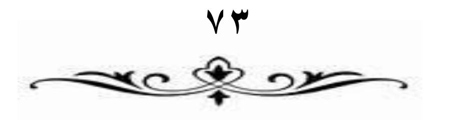
(٢) [سورة النساء: الآية ٦٥].

(٣) [سورة الأحزاب: من الآية ٣٦].

(٤) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ٩١.

(٥) (يُنظَر) العين، باب السين: ٢/ ٢٦٧، والقاموس المحيط: ٩٤٣.

(٦) (يُنظَر) العين، باب السين: ٢/ ٢٦٧.



تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[١]، وغير المحسوسات، كما في قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٢]، أي ما أدخلكم فيها![٣].

٢ ـ السلوك اصطلاحاً

يعبر السلوك عن كل ما يصدر عن الإنسان من قولٍ أو فعل[٤] بغض النظر عن حسنها أو قبحها، ولكن تميز ما يتوافق مع الشريعة الإسلامية بـأنه سلوك حسن، وهو ما نقصده في هذه المرتبة من المقاصد العقدية.

وبناءً على ذلك فإننا نقصد بالسلوك اصطلاحاً: (تهذيب الأخلاق ليستعد العبد للوصول، بتطهير نفسه عن الأخلاق الذميمة مثل حب الدنيا والجاه، ومثل الحقد والحسد والكبر والبخل والعجب والكذب والغيبة والحرص والظلم ونحوها من المعاصي، وبالنهج على الأخلاق الحميدة، كلعلم والحلم والحياء والرضا والعدالة ونحوها)[٥].

أما المقاصد السلوكية: فهي تحوّل الإيمان من معانٍ عقليّة وأذواقٍ وجدانيّة إلى حياةٍ عمليّة تظهر على الجوارح في عالم الفرد والمجتمع[٦]، وتشمل هذه المقاصد كل ما يرتبط بتصرفات الإنسان، من العبادات والمعاملات والأخلاق الى غير ذلك من الامور في جميع مناحي الحياة بما فيها السلوك القلبي.

وقد علمنا أن أحد مفاهيم المقاصد العقدية بأنها ما يرمي الشارع الحكيم الى تحققه من سلوكياتٍ عملية ومنهجية من وراء تشرب العقائد الإيمانية بما يعود على المؤمن بصلاح العاجل والآجل[٧]، فنعلم عندئذٍ أن تحقيق أصل المقاصد إنما يعتمد على هذه السلوكات التي تنتج لتشرب العقيدة في نفس المؤمن وتحولها الى الصفات المحمودة.

فمن دون هذا التحول السلوكي للمؤمن قد لا يستفيد من عقيدته شيئاً، ذلك أن الإيمان بالله تعالى والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة النابعة من معرفته تعالى، وهي مرحلة تحقق المقاصد المعرفية، يستوجب صلاح الباطن، التي نشأت في مرحلة تذوق العقيدة وتحققها ورسوخها في القلب، أي مرحلة المقاصد الوجدانية، ليترتب نتيجةً الإيمان بكافة الصفات الإلهية صلاح الظاهر، وفيه استقامة السلوك، مع الله سبحانه وتعالى ومع جميع العباد، مما يستوجب صلاح أعمال القلوب والجوارح، وهو المقصد الأهم المترتب عليه العيش الآمن المطمئن للمجتمع كله، والأُمة جمعاء[٨].

---

(١) [سورة نوح: الآيتان ١٩، ٢٠].

(٢) [سورة المدثر: الآية ٤٢].

(٣) (يُنظَر) العين، باب السين:٢/ ٢٦٧، مفردات الفاظ القرآن الكريم، كتاب السين: ١/٤٩٣، ولسان العرب: ١٠/٤٤٢.

(٤) (يُنظَر) اصول علم النفس: ٥.

(٥) معجم المصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م: ١٣٣، و(يُنظَر) الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء والطرق الصوفية وأثرها في التعامل بينهما، د. نور الدين ابولحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م: ١٧٦.

(٦) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٥.

(٧) مقاصد العقائد عند الامام العز بن عبد السلام: ٣٠.

(٨) (يُنظَر) القبر ـ عذابه ونعيمه ـ حسين العوايشه، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة ـ الجيزة ـ والمكتبة الإسلامية، عمان ـ الأردن، البعة الرابعة ١٤٠٤هـ ـ

ثانياً: تأثير المقاصد الوجدانية في مقاصد العقيدة السلوكية

إذا كانت الحال الوجدانية أثراً للمقاصد المعرفية، فالمقاصد الوجدانية تُعَد طريق الترقي الى المقاصد السلوكية التي تتجلى في الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، والاجتهاد في العمل الصالح.

ذلك أن سلوك الإنسان وعمله رهين عقله وعاطفته وشهواته، وليس هذا الكلام شاملاً لجميع من يتبع شهواته ورغباته، وانما مع السلوك الناشئ من التعقل والعاطفة، ومن المعلوم ان التعقل لوحده ليس بأداةٍ قوية لجلب المسلمين للالتزام بعقيدتهم والشريعة والسلوك الحسن؛ إذ ما أكثر المثقفين والمنظرين في الشريعة الإسلامية ممن لهم براعة في برمجة أحكامها وقوانينها وفق الأُسس الفلسفية العقلية العلمية، ومع ذلك فهذه الثقافة من حيث العمل والسلوك لا تغني ولا تشبع من جوع، فقليلٌ ممن يعمل وفق عقله[١].

إنما تتوضح هذه العلاقة أكثر عن طريق تقسيم الأعمال كما قسمها علماء السلوك الى نوعين، أعمال القلوب، وأعمال الجوارح[٢].

١ ـ أعمال القلوب:

وقد تمت الإشارة الى هذه الأعمال في المقاصد الوجدانية، وهي العبادات والأعمال التي ليس لها جارحة تُؤدى بها، ولا مظهر يدل عليها، إنما هي مجموعة مشاعر وأحاسيس يمتلئ بها القلب وينفعل لها الوجدان، فهي عبادات الباطن كما أن الشعائر التعبدية هي عبادات الظاهر، وتُعَد الوسيلة والطريق الى اصلاح السلوك الظاهري[٣]، ومن أهم المقاصد التي تتجلى أثر أعمال القلب واطمئنانه التوكل على الله تعالى والزهد في الحياة الدنيا والحياء، وغيرها.

آـ التوكل على الله تعالى:

من آثار ومقاصد استقرار العقيدة الصحيحة بالنفوس تحقق أثر التوكل عليه تعالى، فإن من عرَف ربه بالقدرة والعظمةِ والرحمة وأنه قائمٌ على كل نفس، ويتولى أمر المتوكلين عليه، لا يترك التوكل عليه تعالى في جميع أموره[٤].

فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين، وهو عمل قلب وليس عمل جوارح، ويختلف عن التواكل الذي يعني تعطيل عمل الجوارح، إنما الجوارح تعمل والقلوب تتوكل[٥].

ومن تجليات هذا التوكل عليه تعالى في حالات الخوف التي تنتاب الإنسان فتنغّص عليه حياته، وهو الخوف

١٩٨٤م: ٣، ومقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٥.

(١) (يُنظَر) ثمرة الأبحاث العقائدية ـ محاضرات لشيخ أحمد الماحوزي، إعداد وتعليق: السيد مصطفى المزيدي، مكتبة أهل الذكر (د. ط): ٤٠.

(٢) احياء علوم الدين: ٤/١.

(٣) (يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الاولاد: ١٠١.

(٤) (يُنظَر) معرفة الله تعالى: ٤٣٢.

(٥) تفسير الشعراوي ـ الخواطر ـ محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (د ط)، رقم الإيداع عام ١٩٩٧م: ٦٦٤/٢.

من الفقر أو الموت أو المرض، لكن العقيدة تبدد هذا الخوف من خلال التأكيد على حقيقة واضحة كالشمس في رابعة النهار، وهي أنّ مقادير كل الأمور بيد الله تعالى، وقد ضمنها لعباده، وعليه فلا مبرّر لهذه المخاوف، ومن يقرأ القرآن يجد آيات كثيرة، تحثّ على إزالة أسباب الخوف من الفقر أو الموت أو المرض أو غيرها(1).

ومما ورد في هذا التوكل وثماره ما أخبر الله تعالى عنه من تحدي الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، فلم يبهرهم ما أُعِد لهم من أصناف الفتن، قال تعالى ذاكراً قول النبي هود عليه السلام لقومه بعد تكذيبهم له: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(2).

وأخبر الله تعالى عن موقف النبي موسى عليه السلام عندما وقع بين البحر وجيش فرعون، فقال بكل هدوء: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(3)، فموسى عليه السلام لم يثق في ذلك الموقف الحرج بنفسه، وقد أُعطي من المعجزات وخوارق العادات ما أعطي، وإنما كانت ثقته بتوكله على الذي يستطيع أن يجعله فوق الإمكانات البشرية(4).

ومثل ذلك أخبر عن رسول الله ﷺ والذين معه عند معاينتهم للأحزاب الذي تجمعوا لحربهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إِيْمَاناً وَتَسْلِيماً﴾(5)، وذكر موقفهم من تلك التهديدات التي كانت توجه لهم كل حين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(6)(7).

ومثلها تلك النصوص التي تخاطب رسول الله ﷺ باللجوء إلى الله في كل حين؛ فالمراد منها جميع الأمة، لا شخص رسول الله ﷺ فقط، ذلك إن آيات القرآن الكريم صالحة وجامعة لجميع الأوقات والأزمان، ومنها قوله تعالى:﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(8) (التوبة:٥١)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(9).

كما ورد في السنة المطهرة هذا التوكل وما أعده تعالى للمؤمنين المتوكلين من إعفائهم من الحساب وأهواله

---

(١) (يُنظَر) دور العقيدة في بناء الإنسان: ٧١، مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٠، ١٥١.

(٢) [سورة هود: الآيات ٥٤ ـ ٥٦].

(٣) [سورة الشعراء: من الآية ٦٢].

(٤) منازل النفس المطمئنة ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م: ١٠١.

(٥) [سورة الأحزاب: الآية ٢].

(٦) [سورة آل عمران: الآيتان ١٧٣، ١٧٤].

(٧) منازل النفس المطمئنة: ١٠١.

(٨) [سورة التوبة: الآية ٥١].

(٩) [سورة التوبة: الآية ١٢٩].

يوم القيامة، لما ذكره الامام مسلم رحمه الله في صحيحه قوله ﷺ: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ)، قالُوا: ومن هم يارسول الله ؟ قال ﷺ: (هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)[1].

ب ـ الزهد بالحياة الدنيا

فمن استقرت معرفة الله تعالى في قلبه ووجدانه هانت عليه هذه الحياة الدنيا بزينتها وزبرجها، وتطهرَ من الغرور الذي حذَّر منه تعالى في العديد من آيات القرآن الكريم، ومنه ما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[2]، فالذي يؤمن ويعتقد بما وعَد الله تعالى به من البعث والنشور والجنة والنار بأنه صحيحٌ كائنٌ لا محالة، فينهاه الله تعالى عن الاغترار بملاذها وزينتها، وترك ما أمره الله تعالى به، فيؤمن بقلبه بأنها فانية وإن الآخرة هي دار القرار.

ومن جهة أُخرى فإن أجر من هانت الدنيا عليه وزهد بها يعظُم؛ لأنه كلّما أراد الإنسان أن يتذكّر الآخرة ومحكمة العدل الإلهي ومقاومة الجاذبية الشديدة للدنيا وخِدعها، فانّ الشيطان يغريه بعفو الله ورحمته، فيدفعه بالنتيجة إلى التسويف والطغيان وارتكاب الذنوب، غافلاً عن أنّ الله سبحانه مع كونه في موضع الرحمة و «أرحم الراحمين» فهو تعالى في موضع العقوبة «أشدّ المعاقبين»، فإنّ رحمته لا يمكن أن تكون أبداً باعثاً على المعصية، كما أنّ غضبه لا يمكن أن يكون سبباً لليأس والقنوط[3].

لذلك فقد توالت الآيات الكريمة في جزاء الزهد ورغَّبت فيه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4]، (فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن كل ما في الدنيا من متاع وزينة يوجد ما هو خير منه وأدوم في الآخرة. لذلك فإن الزاهد في الدنيا، لن يضيع زهده، بل سيكسب أضعاف ما يتوهم المتثاقلون أنه خسره، بإضافة عنصر الزمان وامتداده، والذي حرم منه المتثاقلون إلى في الدنيا، وقد عقب الله تلك الآية الكريمة بقوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[5]، وهي تدل على أنه لا وجه للمقارنة بين المؤمن الذي وثق في وعد الله الذي سيلقاه لا محالة، وبين ذلك الذي اكتفى بالنصيب المحدود الذي يعيش به في الدنيا، ثم يلاقي في الآخرة الأهوال بسبب تثاقله)[6].

وقد قال في هذا الزهد الإمام الصادق عليه السلام:(لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بلا حساب، ح٢١٨: ١/ ١٩٨.

(٢) [سورة فاطر: الآية ٥].

(٣) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٣/١٤.

(٤) [سورة القصص: الآية ٦٠].

(٥) [سورة القصص: الآية ٦١].

(٦) مثالب النفس الأمارة. د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ. ٢٠١٩م: ١٩٣.

إلى ما متع الله به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، ولنعِموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إن معرفة الله عز وجل أُنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم)(١).

ج ـ الحياء

يُعَد الحياء من أعمال القلوب ومن أعمال الجوارح؛ ولقد آثرنا ذكره كنموذج دون الصفات الكثيرة التي تندرج تحت أعمال القلوب لرؤية البعض له أنه من صفات الضعف التي تتعارض مع العقيدة الصحيحة للمؤمن، ويدل عليه ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه، (عن النبي ﷺ قال: (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) فقال رجل من الحي: إنه يقال في الحكمة: إن منه وقاراً لله، وإن منه ضعفاً، فقال له عمران رضي الله عنه: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن الصحف)(٢).

إن حقيقة الحياء تجعله مرتبطاً بكل الأعمال الظاهرة والباطنة، ولهذا كان من صفات الكمال، التي لا يتحلى بها إلا من كملت نفسه، وتنزهت وتهذبت عن النواقص، بل إن رسول الله ﷺ أخبر أنه من صفات الله تعالى، فقال: (إِنَّ اللهَّ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)(٣).

ودعا ﷺ إلى الاتصاف به في مواطنٍ عدة ورغَّب فيه، منها ما ورد في مسند الامام أحمد من قوله ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)(٤).

ومنها قوله ﷺ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ)(٥).

ذلك أنه يُعَد من آثار تثبت العقيدة الصحيحة في النفوس ومن مقاصدها؛ لأنه يؤثر في أعمال الإنسان وسلوكاته بصورة كبيرة، سواء مع الله تعالى أو في أخلاقه وتعامله مع الناس، مما يجعله مقبلاً على كل خير، مدبراً عن كل شر(٦)، ولهذا ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال ﷺ: (دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ)(٧).

---

(١) الكافي، كتاب الروضة، كلام علي بن الحسين عليه السلام، ح٨: ٣٤٧/٢٠٢.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند البصريين، حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ح ١٩٩٢٨: ٤/ ٤٣٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير خالد بن رباح، فهو صدوق لا بأس به.

(٣) سنن الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، ح ٣٥٥٦: ٥/ ٥٥٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه.

(٤) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح ٩٣٦١: ١٥/ ٢١٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح ١٠٥١٩: ٢/ ٥٠١، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٦) مثالب النفس الأمارة: ٢٠٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب الحياء من الإيمان، ح ٢٤: ١/ ١٧، وبلفظ مقارب الكافي للكليني، باب الإيمان والكفر، باب الحياء، ح ١: ٢/ ١٠٦.

بل ورد عنهﷺ أنه يقرنه مع الإيمان بالله تعالى ويزول ايمان العبد بزواله، وهو مما رواه الحاكم رحمه الله في المستدرك من قولهﷺ: (الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ)[١].

ولهذا تقترن الجرأة على المعاصي بفقدان الحياء من الله تعالى، والذي يعود لضعف العبد في عقيدته وإيمانه؛ ذلك أنه الجدار الحامي عنها، فمن كسر الجدار، صار في صحبة الشيطان، وسهل عليه أن يمارس كل المعاصي[٢]، ولهذا روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قوله ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ هَلَاكَ عَبْدٍ نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِناً مُخَوناً فَإِذَا كَانَ خَائِناً مُخَوناً نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا فَظّاً غَلِيظاً فَإِذَا كَانَ فَظّاً غَلِيظاً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِيمَانِ)[٣].

ويقول في ذلك ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ): (من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب. ذلك أنّ الذّنوب تضعف الحياء من العبد، حتّى ربّما انسلخ منه بالكلّيّة، حتّى إنّه ربّما لا يتأثّر بعلم النّاس بسوء حاله، ولا باطّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع. فإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيّاه، وقال: فديت من لا يفلح.فمن لا حياء فيه ميّت في الدّنيا، شقيّ في الآخرة)[٤].

٢ ـ أعمال الجوارح:

جوارح الإنسان، عوامل جسده، من يديه ورجليه، الواحدة "جارحة "، واجترح عملاً: أي اكتسب، قال النابغة الذبياني[٥]:

وكُلُّ فتىً بما عمِلت يداهُ   وما اجترحت عوامِلُهُ رهينُ[٦]

والجوارح هي العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد والرجل[٧].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م، كتاب الإيمان، ح ٥٨: ١/ ٧٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته و لم يخرجاه بهذا اللفظ، تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما.

(٢) مثالب النفس الأمارة: ٢٠٩.

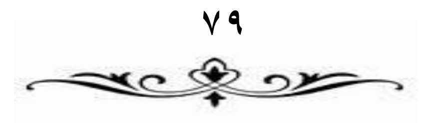
(٣) الكافي للكليني، باب الإيمان والكفر، باب في أصول الكفر وأركانه، ح ١٠: ٢/ ٢٩١.

(٤) الداء والدواء ـ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج الأحاديث: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ: ١/ ١٧٠، بتصرف، ومثالب النفس الأمارة: ٢٠٩.

(٥) زياد بن معاوية بن ضباب... بن مرة بن ذبيان، عاش عند مناذرة العراق في الحيرة زمناً ثم عند الغساسنة في الشام زمناً آخر، واستطاع العيش مع الخصمين وإرضاء النقيضين، شاعراً جاهلياً مكيناً في فنه أمكنه الإجادة في مختلف الأغراض، أول من جمع شعره أبو سعيد عبد الملك بن قريب (الأصمعي) فاختار له ٢٤ قصيدة، وقيل أنه كان يجلس مجلس الحكم بين الشعراء في سوق عكاظ (ت ٦٠٤م).(يُنظر) شرح المعلقات العشرة للقاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ١٩٨٣: ٢٨٤ـ٢٩١.

(٦) العين: ١/ ٢٢٨.

(٧) المعجم الوسيط، باب الجيم: ١١٥.



وتتجلى هذه المقاصد فيما يقوم به الإنسان وما يصدر عنه من أعمالٍ وعباداتٍ ظاهرة، لكنها مع ذلك لا تكون حقيقية ما لم تكُنْ مصحوبةً بأعمال القلوب والمقاصد الوجدانية آنفة الذكر.

ومما يُستَدَلُّ به على هذه المقاصد ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[1]، وهو ما ذكره ابن القيم ﷺ بقوله (فإن هؤلاء الفتيةَ كانوا بين قومهم الكفار، وفي خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلَّا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق، وذاقوا حلاوته وباشَرَ قلوبهم، فساندت قلوبَهم جوارحُهم، فقاموا من بين قومهم و﴿قَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾، والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبت، وتقويتها تأييدها بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العَيش وفروا بدينهم الى الكهف)[2].

ثالثاً: تجليات المقاصد السلوكية

تُعَد العقيدة المؤثر الأول في الحياة الإنسانية، سواء التعبدية مع الله تعالى أو حياته المادية والاقتصادية والتعاملات كافة مع الناس جميعاً بل مع جميع المخلوقات، ذلك لأن القانون لا يسعد إلا بإيمانٍ تحفظه الأخلاق الكريمة، والأخلاق الكريمة لا تتم إلا بالتوحيد، وهو الأصل الذي تنمو عليه شجرة السعادة الإنسانية وتتفرع بالأخلاق، وهذه الفروع هي التي تثمر ثمراتها الطيبة في المجتمع، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[3]، فجُعِلَ الإيمان بالله تعالى كشَجرةٍ لها أصل وهو التوحيد لا محالة ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[4]، وهو الأعمال الصالحة[5].

ومن أجل توضيح شمولية هذه المقاصد، فسنبين هنا تأثيرها وتجلياتها في كل ركنٍ من أركان حياة الإنسان المؤمن بالله تعالى من عباداتٍ ومعاملاتٍ وأخلاق.

١ ـ العبادات

وتتجلى المقاصد السلوكية من خلال سلوك الإنسان مع خالقه تعالى لما كلفه به من عباداتٍ ظاهرةٍ وباطنة، كالصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد، وسائر الأعمال التعبدية، يقول محمد رشيد رضا[6] ﷺ (ت١٣٥٤هـ):

(١) [سورة الكهف: الآية ١٤].

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب، بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، البعة السابعة: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م: ٣/ ٦٧.

(٣) [سورة ابراهيم: الآية ٢٤].

(٤) [سورة ابراهيم: الآية ٢٥].

(٥) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١١/ ١٥٨، والدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر، ٢٠١٢م: ٩٩، ومقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٦.

(٦) محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، أشهر آثاره مجلة [المنار] أصدر منها ٣٤ مجلداً، و[تفسير القرآن الكريم] اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله، و[تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ

(مدار العبادات كلّها على اتباع ما جاء به النبي ﷺ فى الظاهر، فليس لأحد فيها رأى شخصي ولا رئاسة، ومدارها فى الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النية، والآيات والأحاديث فى الأمرين كثيرة)[1].

(والعبادات الظاهرة، حسب ما تدل عليه النصوص لا تكفي ما لم تكن مصحوبة بالمعاني الروحية والعبادات القلبية، فالصلاة مثلاً عمل جسد بلا روح إن لم يصحبها الخشوع، الذي هو عبادة قلب، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[2]، فجعل تعالى الخشوع وصفاً مفرقاً بين صلاة المؤمنين وغيرهم)[3].

لذلك تتوقف صحة العبادات على قصد التقرب بها الى المعبود، وهو التقرب المعنوي والقلبي الى الخالق، الذي لا ينقدح في النفس إلا بعد معرفته بما يتصف به من كمالات ـ ولو بوجه عام ـ ولا يكفي مجرد معرفة أنه موجود؛ لأن التقرب ليس لقلقة لسان، بل حالة فناء ذاتي في محضر المتقرَب اليه، بمعنى أن يستشعر العبد، في حالات التقرب عظمة المعبود، وأنه مليك أمره في مبدئه ومعاده، ومدبر أمره فيما بينهما في جميع شؤونه الحياتية[4].

لهذا وصف تعالى عبادات الصالحين بكونها عبادات خاشعين لا عبادات متحركين، قال تعالى﴿ :وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[6]، فهذه الصلاة التي هي أهم العبادات لا تؤثر في صاحبها فتعمق في نفسه معاني الإيمان وتجتث منه منابع الفحشاء والمنكر إلاإن قُرِنَت بالخشوع[7].

كما وردت نصوص كثيرة تبين أن الحكمة والغاية من العبادات إنما هي تحقيق مصلحة الإنسان، وأن الله تعالى غني عن العبادة والطاعة، فلا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، فقال عز وجل عن الهدف من العبادة عامة ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[8]، فالقصد من العبادة التزود بالتقوى للإنسان، وهو ما جاء مفصَّلاً في كل عبادة من العبادات؛ ففي الصوم قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[9]، وفي الحج قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ

محمد عبده]، و[نداء للجنس اللطيف]، و [الوحي المحمدي]، و[يسر الإسلام وأصول التشريع العام]. وغيرها، وللأمير شكيب أرسلان كتاب في سيرته سماه [السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة]، (يُنظَر) الأعلام: ٦/ ١٢٦.

(١) الوحي المحمدي ـ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ١٩٧.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيتان ١، ٢].

(٣) الابعاد الشرعية لتربية الأولاد: ١٠٧.

(٤) (يُنظَر) بداية المعرفة: ١٨.

(٥) [سورة البقرة: الآية ٤٥].

(٦) [سورة الأنبياء: الآية ٩٠].

(٧) (يُنظَر) الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد: ١٠٨.

(٨) [سورة البقرة: الآية ٢١].

(٩) [سورة البقرة: الآية ١٨٣].

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

فالحج دورة تدريبية وتربوية للمسلم في التعود على الفضائل والأخلاق الكريمة، والبعد عن الفساد والرذائل، فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل، وإنما يجب عليه التزود بالتقوى في مناسك الحج، وقال تعالى عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2][3].

وقال تعالى عن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾[4]، فهي تزكية للمسلم وتطهير له، لتعود الفائدة الخالصة للمزكي بالأجر من الله تعالى، (والمنتفع الأول بها هم الفقراء، إلا أن الله تعالى اعتبر الرياء الذي هو فقدان الاخلاص ــ وهو عبادة من عبادات القلوب ـ عند أدائها محبطاً لها، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[5]، ثم شبَّه تعالى هذا الانفاق وعدم انتفاع صاحبه به، فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[6]. وهكذا جميع أعمال البر لا يستقيم أمرها ولا ينتفع بها ما لم تكن مصحوبة بعباداتٍ قلبية تتوجه بها حقيقةً الى الله تعالى)[7].

وكذلك في الجهاد، حيث قال مخاطباً الذين تثاقلوا إلى الحياة الدنيا، جواباً على اعتراضهم الذي عبروا عنه بقولهم: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[8]، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[9].

والغاية والمقصد الأساس إنما راجعٌ الى الإنسان ذاته لغنى الله تبارك وتعالى عن الناس أجمعين، فقال ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)[10].

---

(١) [سورة البقرة: الآية ١٩٧].

(٢) [سورة العنكبوت: من الآية ٤٥].

(٣) (يُنظَر) موسوعة قضايا إسلامية معاصرة. د. محمد الزحيلي، (بحث) مقاصد الشريعة الإسلامية، دار مكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط): ٦٢٨.

(٤) [سورة التوبة: من الآية ١٠٣].

(٥) [سورة البقرة: من الآية ٢٦٤].

(٦) [سورة البقرة: من الآية ٢٦٤].

(٧) الأبعاد الشرعية لتربية الاولاد: ١٠٨.

(٨) [سورة النساء: من الآية ٧٧]

(٩) [سورة النساء: من الآية ٧٧].

(١٠) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح٥٥: ٤/١٩٩٤.

وبناءً على ذلك، نلاحظ تحقق المقصد من عبادته بتحصيل التقوى التي سبيلها الرغبة في الله وإرادة وجهه والشوق إلى لقائه، وهي رأس مال العبد وملاك أمره وقوام حياته الطيبة وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه وقرة عينه، ولذلك خلق وبه أمر وبذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله عز وجل وحده فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده(١).

٢ـ المعاملات

لم يقتصر تجلي المقاصد السلوكية على علاقة الإنسان بالله تعالى من خلال عبادته له، بل إنها تتسع لتشمل علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان في مجتمعهما الخاص بما يشمله من علاقات وأواصر وأخلاقيات.

وبما أنه لا قيام للحياة في الجماعة إلا بالتعاون بين أعضائها، وهذا التعاون إنَّما يتم بقانون ينظّم علاقاته، ويحدد حقوقه وواجباته، وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس، ويمنع انتهاك حرماته، وبما أنه ليس على وجه الأرض قوّة تكافئ قوّة التديّن، أو تدانيها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع، واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه(٢).

ففي المعاملات بين الناس قد بيَّن تعالى المقصد منها، وأنها لتحقيق مصالح الناس بجلب المنافع لهم ودفع المفاسد والأضرار والمشاق عنهم، وإزالة الفساد والغش وغيره من معاملاتهم، قال تعالى في آية المداينة من سورة البقرة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، إلى قوله تعالى محددًا الهدف والغاية من ذلك ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾(٣)، وقال تعالى في النهي عن أكل المال بالباطل، وأنه ظلم وإثم وطغيان ومفسدة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

الى غير ذلك من الأحكام العملية في الشريعة الإسلامية، من حكمة تحريم الخمر، ومشروعية القصاص، وكذلك يبين تعالى أنه لا يهدف من وراء ذلك التكليف والارهاق، بل على العكس، فالهدف هو رفع المشقة عن الناس، وتأمين الحياة البشرية بما يحقق مصالح الدارين الدنيا والآخرة(٥).

والحق أن العقيدة هي الأصل في هذه التصرفات، ويظهر ذلك جلياً في النصوص التي دَعَت الى الاصلاح والتعاون الجماعي في معاملات الإنسان مع أخية الإنسان، فتترتب عليه آثار اجتماعية أيضاً حيثُ إنّه يدفع الفرد إلى

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٤٠٥، والابعاد الشرعية لتربية الاولاد: ١١٠.

(٢) (يُنظَر) الدين: ١٠٠، ومقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٦.

(٣) [سورة البقرة: من الآية ٢٨٢].

(٤) [سورة البقرة: الآية ١٨٧].

(٥) (يُنظَر) مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد الزحيلي: ٥.

مدّ يد العون إلى الآخرين[1]، قال تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].

والسرّ في ذلك أنّ الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحيّة بأنّ حركاته وتصرّفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، وإنّما هو معنىً إنسانيّ روحانيّ اسمه الفكرة والعقيدة، ولقد ضلَّ قوم قلبوا هذا الوضع، وحسبوا أنّ الفكر والضمير لا يؤثّران في الحياة المادية والاقتصادية، بل يتأثران بها[3].

٣ـ الاخلاق

إن لرسوخ العقيدة الإسلامية وتحققها الأثر الكبير في أخلاق المسلم حيث تحصنه من الوقوع في المهالك والخطايا، ويظهر ذلك واضحاً في العديد من آيات (القرآن الكريم عندما يذكر الأخلاق العالية فيربطها بالمؤمنين، كما قال تعالى في أوّل سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4]، فالسورة الكريمة تبدأ بتقرير الفلاح للمؤمنين، ثمّ تصفهم بعد ذلك بما تصفهم به من صفات تشمل سلوكهم في جميع العلاقات، مع الله تعالى، ومع النفس، ومع الخلق. وكأنّها تقول: إنّ الأساس في صلاح هذه العلاقات جميعاً هو ذلك الإيمان العميق بالله تعالى)[5].

فأساس معرفة الله تعالى وتوحيده تعتبر المرتكز الأساسي لصالح الأخلاق، وفي ذلك يقول العلاّمة الطباطبائي[6] ﷺ(ت١٤٠٢هـ): (إنّ الأخلاق لا تفي بإسعاد المجتمع ولا تسوق الإنسان إلى صلاح العمل إلاّ إذا اعتمدت على التوحيد، وهو الإيمان بأنّ للعالم ـ ومنه الإنسان ـ إلهاً واحداً سرمدياً لا يعزب عن علمه شيء، ولا يُغلَب

(١) (يُنظَر) دور العقيدة في بناء الإنسان:٧٦.

(٢) [سورة الإنسان: الآيات ٨ ـ١٠].

(٣) (يُنظَر) الدين:٩٩، ومقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٦.

(٤) [سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ١١].

(٥) مقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٥.

(٦) محمد حسين بن السيد محمد الطباطبائي التبريزي القاضي، نشأ وتعلم في نظام الحوزة، الذي يعود في أصل نشأته إلى الحلقات العلمية الأولى التي تُعقَد في المساجد، وتطورت بمرور الزمن، ولم تنحصر اهتمامات الطباطبائي في الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية، بل تعدته إلى دراسة دورة كاملة في الرياضيات القديمة من الأصول لأقليدس إلى المجسطي لبطليموس وكذلك علوم الفلسفة والكلام، من مؤلفاته [أصول الفلسفة]، [بداية الحكمة في الفلسفة]، و[تعليقات على كتاب الأسفار]، [رسالة في الاعتبارات]، [رسالة في الإنسان بعد الدنيا]، [الميزان في تفسير القرآن]، وغيرها كثير. (يُنظَر) الطباطبائي ومنهجه في الميزان في تفسير القرآن ـ على الآلوسي، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي ـ طهران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ٤٤ ـ ٥٣.

في قدرته عن أحد، خلقَ الأَشياء على أكمل نظام، لا لحاجة منه إليها وسيعيدهم إليه فيحاسبهم فيجزي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته، ثم يخلدون منعّمين أو معذّبين)[1].

فالعقيدة تشكّل مرتكزاً متيناً للأخلاق، لأنها تخلق الواعز النفسي عند الإنسان للتمسك بالقيم الأَخلاقية السامية، على العكس من العقائد الوضعية التي تساير شهوات الإنسان، وتنمّي بذور الأَنانية المغروسة في نفسه[2]، والمصدر الأول لهذه العقيدة الإسلامية هو القرآن الكريم.

ويذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي[3] أن القرآن الكريم احتوى على منظومة متكاملة لهذه الأخلاق وراعاها كهدفٍ ومقصدٍ أساس لجميع تعاليم البشرية، ومن التقسيمات التي يمكن استيحاؤها واستفادتها من مجموع الآيات القرآنية هو تقسيم اصول الأخلاق الى أربع أقسام، هي:

١ ـ المسائل الأخلاقية المتعلقة بالخالق. كمسألة شكر المنعم والخضوع أمام الباري تعالى والرضا والتسليم لأوامره وما شابهها.

فقد وردت في القرآن الكريم آيات قد رسمت الأصول الكافية للأخلاق، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِّ﴾[4]، حيث تشير الآية الكريمة الى شكر المنعم تعالى، وهو أول خطوة في طريق معرفة الله تعالى، ويستدل على هذا القول، بأن الدافع للحركة الى الله تعالى هو شكر النعمة؛ لأن الإنسان عندما يفتح عينيه يرى نفسه غارقاً في بحر النعم، فيدعوه الضمير مباشرةً الى معرفة المنعم، وهذا إنما هو بداية الطريق لمعرفة الله تعالى[5].

٢ ـ المسائل الأخلاقية المتعلقة بالخلق. كالتواضع والايثار والمحبة وحسن الخلق، والمواساة، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[6].

٣ ـ المسائل الأخلاقية المتعلقة بالنفس. كتزكيتها وتطهير القلب من الأدران وتفعيل عناصر الخير لمقاومة الضغط، والتحديات التي يواجهها الإنسان في حركة الواقع والحياة، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[7].

٤ ـ المسائل الأخلاقية المتعلقة بالكون والطبيعة. من عدم الاسراف والتبذير وإتلاف المواهب الإلهية)[8]، كما

(١) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١٥٨/١١، والدين:٩٩، ومقاصد العقائد وسبل تحصيلها: ١٥٦.

(٢) دور العقيدة في بناء الأخلاق: ٨٣.

(٣) الأخلاق في القرآن: ٨٨/١.

(٤) [سورة لقمان: من الآية ١٢].

(٥) الأخلاق في القرآن: ١/ ٨٩.

(٦) [سورة لقمان: الآيتان ١٨، ١٩].

(٧) [سورة الشمس: الآيتين ٩، ١٠].

(٨) الأخلاق في القرآن: ٨٨/١.



في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾(1).

وكذلك الروايات الشريفة من أقوال النبي محمدﷺ حيث بينت إن مقصد البعث والنبوة إتمامه للأخلاق، قال الرسول الأكرمﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)(2).

كما إن من المقاصد المهمة لبعثة النبي الأكرمﷺ هو تزكية النفوس وتربية الإنسان، وبلورة الأخلاق الحسنة في واقعه الوجداني، بحيث يمكن أن يُقال إن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(3) يُعَد مقدمة لمسألة تزكية النفوس وتربية الإنسان، والذي بدوره يشكل الغاية الأساسية لعلم الأخلاق ومكارمها(4).

فالعقيدة الإسلامية إنما ترغّب الإنسان بالتحلي بالأخلاق الحميدة من خلال إبرازها للمعطيات الإيجابية ـ الأخروية والدنيوية ـ التي سيحصل عليها إذا سار في طريق التزكية، وبالمقابل تردعه عن الأخلاق السيئة من خلال بيان الآثار السلبية ـ الأخروية والدنيوية ـ المترتبة عليها(5).

فالإسلام يربط بين الدين الحق والأخلاق، مثل هذه الرؤية تتوضح خطوطها في أنّ الدين يحثُّ على الأخلاق الحسنة ويقوم بتهذيب الطباع ويجعل ذلك تكليفاً في عنق الفرد يستتبع الثواب أو العقاب، وعليه فلم يقدّم الدين توجهاته الأخلاقية المثالية بصورة مجردة عن المسؤولية، وإنّما جعل الأخلاق نصف الدين، لأن الدين اعتقاد وسلوك، والأخلاق تمثل الجانب السلوكي للفرد(6).

فضلاً عن العديد من الصفات التي تتجلى في شخصية المؤمن بالله تعالى، الذي صفت عقيدته عن الأدران التي تشوبها، لتعد هذه الصفات مقاصدَ يسعى لنيلها وتحصيل أسبابها.

نعلم من خلال دراستنا لهذه المطالب ونتيقن من شمولية المقاصد العقدية وواقعيتها في جميع المجالات الدنيوية والأخروية، ولجميع ما يتعلق بشؤون الإنسان سواء في علاقاته مع الله تعالى، أو مع جميع الخَلق شريطةَ أن تستند على معارف يقينية صحيحة نابعة من عقيدة مؤمنة بالله تعالى متمثلةً بالمعرفة الصحيحة واليقينية بجميع أركانها وفروعها.

---

(1) [سورة الإسراء: الآية 25].

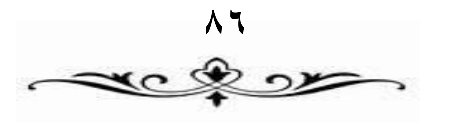
(2) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﵁، ح 8939: 2/ 381، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث، ولفظ مقارب في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري المتقي الهندي (ت975هـ)، تحقيق: بكري حياني ـ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ ـ 1981م، ح5217، 2/16.

(3) دور العقيدة في بناء الإنسان: 88.

(4) (يُنظَر) الأخلاق في القرآن: 1/11.

(5) الأخلاق في القرآن: 1/98.

(6) دور العقيدة في بناء الإنسان: 83.



خلاصة الفصل الأول

ومن خلال ما ذكرنا في التأصيل لهذه الدراسة المقاصدية في العقيدة الإسلامية، نخلُص منها بنتائجَ عدة، تصبُّ جميعها في التساؤل الأول الذي سقناه في مقدمة أطروحتنا، ومنها:

١ـ إن هذه الدراسة ليست حديثة النشأة، بل إن أغلب علماء الكلام إنما يبنون آراءهم الكلامية وأدلتهم العقلية بحسب رؤيتهم المقاصدية، وإن هذه الدراسة مع كونها قد غُبِنَ حقها في الدراسات الأكاديمية، إلا إن نشأتها كانت مع أصول العقائد نفسها وتعليل الدعوة إليها، وأساليب الترغيب والترهيب فيها، فضلاً عن قصد التوجه الحاصل لهذه الدراسات في الوقت الحالي الذي يُؤمَلُ أن يكون شاملاً لجميع أبوابها.

٢ـ للمقاصد العقدية غايات تصل إليها في حال تحققها، أهمها، تعميق العقيدة في النفوس وتثبيتها، والتي تبني علاقة العبد مع ربه، ومع الناس، وما فيها من البعد عن التعصب المذهبي الذي كان ولا يزال سبب الاختلافات.

٣ـ تتوافق أهمية المقاصد العقدية مع أهمية العقائد نفسها، فلم يفرض تعالى من العقائد شيئاً إلا لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية، وتكتسب هذه المقاصد أهميتها من جهاتٍ عدة، منها لتوافقها مع مصادر التشريع الأساسية، وتوافقها مع الفطرة السليمة، فضلاً عن توافقها مع متبنيات العقل الإنساني.

٤ـ يُعَد المسلك النقلي للنَص الصحيح المتمثل في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المصدر الأول والأساس في المقاصد العقدية، من خلال استقراء النصوص الواردة في مقصدٍ معين، وإن كان الاستقراء ناقصاً ليس تاماً، أما المسلك العقلي فهو وسيلة لاستنباط هذه المقاصد من النصوص الكريمة.

٥ـ تختلف أنواع المقاصد العقدية بحسب ماهيتها، أو بحسب شمولها، أو وقت تحققها، كما أنها تتباين بحسب قوة العقيدة وضعفها، فهي ليست على مرتبةٍ واحدة في جميع العباد، فبقدر معرفة العبد وأيمانه بأصول عقيدته يتكون لديه الأساس من المقاصد المعرفية والتي تُعَد الأصل الأول لتحصيل المراتب التي تليها.

٦ـ انعكاس فائدة الدراسات المقاصدية العقدية على صلاح أحوال الأفراد في الدنيا والآخرة، تبعاً لصلاح عقائدهم، مما يعود بالصلاح في عبادته ومعاملاته وظاهره وباطنه، وانعكاسه على صلاح الأفراد في المجتمع.

٧ـ النظر المستمر والتدبر في آيات الله تعالى يؤدي دوراً كبيراً للربط بين العلم والعمل، والذي يحذو بدوره بالإنسان الى الرقي في سيره التكاملي الذي أراده تعالى له، والذي أُرسل به الأنبياء عليهم السلام كافة والنبي ﷺ خاصة.

وهذا وغيره كثير يدعو الى ضرورة البحث والتفكر في كل أبواب العقائد، والتأكيد على مقاصدها؛ إذ إن معرفة الإنسان لله تعالى وأركان عقيدته تُعَد اللبنة الأولى لبنائه عقدياً وتوجهه نحو مقاصد العقيدة الصحيحة المتحققة في سلوكياته وأخلاقه للسير به نحو أعلى مرتبة منها، وبعكس ذلك، إن كانت العقيدة غير راسخة أو لم تُبنَ على أسسها الإيمانية الصحيحة.



من الإيمان بالحياة البرزخية

ويشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول: المقاصد العقدية العامة المرتبطة بالحياة البرزخية

المبحث الثاني: المقاصد العقدية الخاصة المرتبطة بالإيمان بالموت، وفتنة القبر وضغطته

الفصل الثاني: المقاصد العقدية من الإيمان بالحياة البرزخية

نحاول في هذا الفصل التعرف على المقاصد العقدية المرتبطة بعالم البرزخ، باعتباره أول العوالم الغيبية التي يمر بها الإنسان بعد خروجه من الدنيا، فهو يبدأ من وفاة الإنسان، أو قبل وفاته بلحظات معدودة، وينتهي بالبعث، وبميلاد النشأة الآخرة.

وقد رأينا أن نقسم هذا الفصل بحسب أنواع المقاصد المرتبطة به إلى مبحثين رئيسين:

أولهما ـ البحث في المقاصد العقدية العامة المرتبطة بوجود عالم البرزخ نفسه، واستمرارية الحياة بعد الموت، وقد رددنا فيه بتفصيل على الذين ينكرونه نظراً لعدم معرفتهم بمقاصده، فضلاً عن بيان علاقة استمرارية الحياة بعد الموت بمقاصد القدرة والعدالة والرحمة والحكمة الإلهية.

ثانيهما ـ البحث في المقاصد المرتبطة بالموت والقبر والأحداث التي ورد الحديث عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، واتفق عليها علماء العقيدة الإسلامية.

وقد اعتمدنا في استنباط المقاصد على القرآن الكريم والسنة المطهرة بالدرجة الأولى، وأضفنا إليها فهوم العلماء، سواء كانوا علماء عقيدة، أو مفسرين أو محدثين.

المبحث الأول: المقاصد العقدية العامة المرتبطة بالحياة البرزخية

تمهيد: مفهوم الحياة البرزخية

قبل أن نذكر المقاصد العامة المرتبطة بعالم الحياة البرزخية، نودُ أن نذكر أن هذا المصطلح [البرزخ[١]]، ورد في القرآن الكريم، ولهذا لا نجد اختلافاً كبيراً بين العلماء من المدارس الإسلامية حوله، بل إن القرآن الكريم لم يكتف بذكره المجرد، وإنما ذكر بدايته ونهايته، فقد قال تعالى ذاكراً بدايته: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]، فهاتان الآيتان الكريمتان تذكران أن الإنسان عندما يأتيه الموت، أي في اللحظة التي تنزع فيها روحه، يشعر بالمصير الذي سيصير إليه. ولذلك يطلب الرجوع[٣].

ثم ذكر بعدها النهاية التي ينتهي إليها، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤]، وهي النفخ في الصور، الذي يكون بمثابة دق جرس نهاية الدنيا[٥].

وهكذا نجده تعالى يذكر هذه المرحلة، وبتفصيل أكبر في سورة الواقعة، حيث ذكر بعض المشاهد التي يراها الإنسان في ساعة احتضاره، وقبل موته، والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٦].

بناء على هذا فقد عرَّف العلماءَ البرزخُ تعريفات كثيرة متقاربة، منها ما عبر عنه الشريف الجرجاني رحمه الله (ت ٦٨١ هـ) بقوله: (هو الحائل بين الشيئين، ويُعَبَر به عن عالم المثال، أي الحاجز من الأجسام الكثيفة، وعالم الأرواح المُجردة، أي الدنيا والآخرة)[٧].

---

(١) البرزخ لغةً: هو (ما بين كل شيئين، والميِّت في البرزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة، وبرازخ الإيمان: ما بين الشك واليقين، والبرزخ: أَمَدٌ ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق، وما بين الظل والشمس برزخ، ويُقال: البرزخ فسحةٌ ما بين الجنة والنار)، العين، باب الباء: ١/ ١٣٠، و(يُنظَر) لسان العرب، حرف الخاء، فصل الراء: ٣/ ٨.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠].

(٣) (يُنظَر) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٤٩٣، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٠٦.

(٤) [سورة المؤمنون: الآية ١٠١].

(٥) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٠٦.

(٦) [سورة الواقعة: الآيات ٨٣ ـ ٩٦].

(٧) التعريفات: ٤٥.



وعرَّفه أبو البقاء الحنفي رحمه الله(ت١٠٩٤هـ) في الكليات بقوله: (البرزخ هو كل فاصل بين شيئين)[(١)]، كما عرفه محمد بن أحمد السفاريني[(٢)] رحمه الله(ت١١٨٨هـ) بقوله ـ تعليقاً على قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[(٣)]، (أي: حاجزٌ يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر، ووجه تسمية ما هاهنا برزخاً؛ لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة)[(٤)].

ومن هذه التعريفات نستنتج أن عالم البرزخ، أو عالم القبر ـ كمركب إضافي ـ يعني: (المرحلة التي يمر بها الإنسان ما بين موته وقيام الساعة، وإن لم يُدفَن)، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٥)].

وبذلك فإن هذا العالم ليس قاصراً على المدفونين في القبور، بل هو يشمل كل من مات، بغض النظر عن طريقة موته، فـ (الداعي إذا قال (أعوذ بالله من عذاب القبر) إنما يعني الاستعاذة من عذاب البرزخ، فهو الثواب والعقاب ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ)[(٦)].

بناء على هذا، ومن خلال استقرائنا للمقاصد العامة المرتبطة بهذا العالم، نجد مقصدين كبيرين، هما:

١ . ارتباط الحياة بعد الموت بقدرة الله، ولذلك نرى ارتباط الحياة الأخرى بالقدرة، رداً على الذين يجحدون قدرة الله تعالى المطلقة.

٢ . ارتباط الحياة بعد الموت بالجزاء الإلهي، والذي يتناسب مع صفات الله تعالى من العدل والرحمة والحكمة الإلهية وغيرها.

علماً إننا إن أردنا ذكر جميع ما وردَ من مقاصد فإننا قد نقع في الإسهاب الذي من شأنه أن يُسبب لنا الخروج عن الموضوعية في دراستنا، إنما نختصر الكلام في هذه الأبواب المقاصدية لتأثيرها الكبير في تثبيت هذه العقيدة في النفوس، مع تركيزنا على إمكان الدفاع عنها وخصوصاً أمام ما يشوبها من شبهاتٍ.

وقد خصصنا كل مقصد منها بمطلب خاص.

---

(١) لسان العرب، حرف الخاء، فصل الراء: ٣/٨، والكليات، فصل الباء: ٢٢٦.

(٢) السفاريني شمس الدين أبو العون محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني (سفارين من قرى نابلس) الفقيه الحنبلي، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد بقريته سنة ١١٤٤ ونشأ بنابلس، له من التصانيف [الاجوبة النجدية عن الاسئلة النجدية الاجوبة الوهبية عن الاسئلة الزعية]، و[البحور الزاخرة عن علوم الآخرة]، و[تحبير الوفاقى سيرة المصطفى ﷺ]، و[تحفة النساك في فضل السواك]، وغيرها كثير، وتوفى رحمه الله في نابلس في شوال سنة ١١٨٨م. (يُنظر) هدية العارفين: ٢/ ٣٤٠.

(٣) [سورة الرحمن: الآية ٢٠].

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ـ شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية: العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني(١١٨٨هـ)، تعليقات: الشيخ عبد الرحمن أبا بُطَين، والشيخ سليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م: ٢/٤، والتذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي(ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ: ٣٠٢، و(يُنظَر) اصول العقائد في الإسلام ـ السيد مجتبى الموسوي اللاري. تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، مطبعة الهادي ـ قم، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ١٥٣.

(٥) [سورة المؤمنون: الآية: ١٠٠].

(٦) (يُنظَر) لسان العرب، حرف الخاء، فصل الراء: ٣/ ٨، ومجمع البحرين ومطلع النيرين، فخرالدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوي ـ طهران، إيران،الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ، كتاب الخاء، باب ما أوله باء: ٢/٤٣٠.

المطلب الأول: مقاصد استمرارية الحياة بعد الموت وعلاقته بقدرة الله تعالى:

فالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تشير إلى قدرة الله تعالى على كل شيء، وكونه متكرماً عليهم بالإيجاد والحياة، ويُعد هذا المقصد من أهم المقاصد العقدية التي نستنبطها من الأدلة النصية، باعتباره مقصداً تصديقياً تعبدياً، يقودنا الى صحة الايمان بهذه المسائل الغيبية، لذلك فالمنكرين للحياة البرزخية لم يلاحظوا هذا البعد، حيث تصوروا أنه لا معنى لهذه الحياة، وكأن الله تعالى لا يقدر على أن يكرم عباده الصالحين، أو يعاقب المسيئين إلا بعد قيام الساعة.

ومن الأمثلة على تلك المقولات ما ذكره بعض المتقدمين من أمثال ضرار بن عمرو[١] (ت١٩٠هـ) وبشر المريسي[٢] (ت٢١٨هـ) غفر الله لهما ومن وافقهما[٣]، والذين أنكروا عالم البرزخ بناء على قولهم: (إننا نرى الميت مُشاهدةَ وهو غير مُعذّب، ويقولون أن الميت ربما تأكله السِباع والطير والوحوش)[٤].

ومن بعض الباحثين المعاصرين، ممن يدَّعون الحداثة على حساب الدين وعقائده الثابتة، سامح عسكر[٥] الذي قال في أحدى مقالاته التي خصصها للرد على الايمان بهذه المسألة (إن الإسلام ـ كدين ـ لم يُشرّع، وبالتالي لم يُشير إلى وجود حياة ما بين موت الإنسان وبعثه يوم القيامة، وأن كافة ما ورد في هذا الشأن يُشير إلى."البرزخ". وهو الحاجز الذي يفصل ما بين الحياتين الدنيا والآخرة، وأن الشعور بالزمان والمكان وراء هذا الحاجز معدوم)[٦].

---

(١) قيل أنه قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها، فخالفهم، فكفروه وطردوه، وإليه تُنسَب الطائفة الضرارية، وصنف نحو ثلاثين كتابا، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة، وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحيّ فأفتى بضرب عنقه، فهرب، وقيل: إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه، قال الجشمي: ومن عده من المعتزلة فقد أخطأ. (يُنظَر) تاريخ الإسلام: ٥/ ٧٣٨، الأعلام: ٣/ ٢١٥.

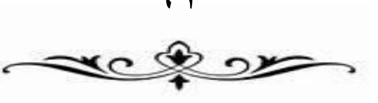
(٢) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب رضي الله عنه، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وصنف كتابا في التوحيد، وكتاب [الإرجاء]، و[الرد على الخوارج]، و[الاستطاعة]، و [المعرفة]، و[الوعيد]، وتوفي في ذي الحجة سنة ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، ببغداد. (يُنظَر) وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٧، و ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٢٠٠، و٢٠١.

(٣) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد ـ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ـ ١٩٨٦م: ٢١٩، و(يُنظَر) شرح الاصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار بن احمد الهمذاني الآسدآبادي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ـ القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م: ٧٣٠، العقيدة الإسلامية للسبحاني: ٢٣٢، المعاد ـ رؤية قرآنية، السيد كمال الحيدري ـ بقلم الشيخ خليل رزق، مؤسسة الامام الجواد للفكر والثقافة، بغداد ـ العراق، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ١/ ١٩٣.

(٤) (يُنظَر) الإقتصاد في الإعتقاد ـ الإمام محمد أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، شرح وتحقيق وتعليق: د. إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م: ١٥٧.

(٥) باحث تاريخي وفلسفي وكاتب مصري مستقل، من أعماله (١٢) كتاب: ١ـالإخوان بين الجمود وتحديات المرحلة. ٢ـالأزمة السورية محاولة للفهم. ٣. فلسفة الأخلاق. ٤. مسرحية: لطمية رابعة. ٥. مشروع تثقيف القرية المصرية. ٦. مدينة الإخوان ٧. رسائل في التجديد والتنوير ٨ـرحلتي من الإخوان إلى العلمانية ٩. تحرير الفكر ١٠. مراد وهبة كاهن أم فيلسوف؟ ١١. رواية: نهاية الشك ١٢. الفلسفة هي الحل.
alquran.com/arabic/profile.php?main_id=٦١٠٣http://www.ahl

(٦) مصدر خرافة عذاب القبر، سامح عسكر، الحوار المتمدن، ٢٣ فبراير ٢٠١٣.
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=٣٤٦٧٦٠&r=٠



ومنهم الدكتور علي منصور كيالي(١) الذي ادعى استحالة حياة البرزخ، وراح ينشر ذلك في مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنت المختلفة، مما سبب آثاراً سلبية على الكثير من عامة الناس ممن لم يكلفوا انفسهم النظر في أمور العقيدة والأحكام، فقد نشر في أحد مواقعه مقالاً في عذاب القبر ابتدأه بقوله (كلّ آيات القرآن الكريم تقول أنّه [لا عذاب قبل الحساب]، حتى [الظالمين] الذين لهم أقسى أنواع العذاب، فإنّ الله سبحانه لن يُعذّبهُم قبل الحساب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾(٢)، هل انتبهت لكلمة: [يؤخّرهُم]، والكافر يوم القيامة سوف يندهش من البعْث للحساب)(٣).

ومنهم الباحث محمد شحرور(٤) الذي قال: (أن أحاديث عذاب القبر كثيرة، لكنها جميعاً تتناقض مع قوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(٥)، ومع كل آيات البعث والحساب، والله تعالى لن يعذب أحداً قبل حسابه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ(٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ(٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(٦)، وهذه الأحاديث ارتبطت بالخرافات التي كانت سائدة في الحضارات السابقة للإسلام)(٧).

ومنهم الدكتور أحمد صبحي منصور(٨) الذي ألف كتاباً في ذلك بعنوان (اكذوبة عذاب القبر) يقول في

---

(١) علي كيالي، تولد ١٩٥٣، باحث إسلامي اشتهر في الفترة الأخيرة بكونه من المجددين في الخطاب الديني، مهندس سوري، عمل في الكثير من الوظائف خلال حياته، كما اهتم بالعلوم الإسلامية فعمل في مجال التأليف، بدأ اهتمامه في البحث في القرآن الكريم بعد الثلاثين من عمره وأصبح يقدّم برنامجاً تلفزيونياً يشرح فيه نظرته، https://www.arageek.com/bio/ali-mansour-kayali#biographyAbout ٣٥٠٣١١، إلا إنه قال بتفسير بعض الآيات القرآنية بعيداً عما قال به عامة المفسرين، فقط لأجل جعلها متناسبة مع ما يذهب إليه في القول بعدم وجود الحساب في القبر، فضلاً عن عدم اعتقاده بكل ما في السنة النبوية المطهرة: https://www.youtube.com/watch?v=GtXIPHaAzjI.

(٢) [سورة ابراهيم: الآية ٤٢].

(٣) الباحث علي منصور كيالي:

https://m.me/DrAliKayali?fbclid=IwAR١bsTcPogwguB٦HE١١G٨fBqUJqgc٥hBS٤Pu٤٢pDAD٠jZ٠sgK٧JtmjZA.

(٤) الباحث محمد شحرور مهندس وباحث ومفكر سوري، وأحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق، مؤلف ومنظر لما أُطلِق عليه القراءة المعاصرة للقرآن، بدأ كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي، في سنة ١٩٩٠أصدر كتاب الكتاب والقرآن الذي حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن مما أثار لغطاً شديداً استمر لسنوات، وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة فيه ومحاولة دحضها أو تأييدها. توفي في ٢١ ديسمبر ٢٠١٩م./https://ar.wikipedia.org/wiki

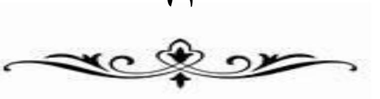
(٥) [سورة البقرة: الآية ٢٨١].

(٦) [سورة الزلزلة: الآيات ٦ - ٨].

(٧) الباحث محمد شحرور

https://m.me/Dr.Mohammad.Shahrour?fbclid=IwAR٢x٠YuGRLG٦L٣SSlbQyW٨uK٢٧ANnEWT٤dw٤٨HepwpfPFz٩Dlk٤lP٦Vshow

(٨) الدكتور أحمد صبحي منصور. تولد ١٩٤٩م، مؤسس حركة أهل القرآن التي تقول (القرآن وكفى)، وهي مجموعة تكونت مع نهاية السبعينيات حول مقالاته وخطبه، وكان وقتها طالباً بجامعة الأزهر، من مؤلفاته [الأنبياء في القرآن الكريم]، [الإسلام دين السلام]، و[حرية التعبير فى الإسلام]، [عذاب القبر والثعبان الأقرع]. http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=٦٥٠١.



مقدمته (العقائد التي لا وجود لها في القرآن يحاول أصحابها إيجاد سند شرعي لها، ونسبتها للرسول ﷺ، وذلك ما ينطبق على موضوع عذاب القبر ونعيمه والثعبان الأقرع أو الشجاع الأقرع)[1].

وغيرهم من الحداثيين، والذين ينشرون أمثال هذه المقولات سواء في مؤلفاتهم أو على الفضائيات التلفزيونية، أو في مواقع التواصل الاجتماعي، ولهذا سنذكر هنا ما ورد من أدلة تبين المقصد في قدرته تعالى من جهة، وترد على شبهاتهم هذه وغيرها من جهة أخرى.

أولا . الأدلة من القرآن الكريم على استمرارية الحياة بعد الموت:

وقد بدأنا بهذا الدليل باعتبار إيمان كل الذين ذكرناهم بالقرآن الكريم، ولهذا، فقد رأينا إن أفضل رد هو دعوتهم لقراءته قراءة تدبرية، وحسب تفاسير العلماء لها، لا أن يحكمون فيها تفكيرهم الرغبوي، ومن هذه الأدلة:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2] (وهذه الآية واضحة في الدلالة على الحياة بعد الموت، بل لا تدانيها آيةً أخرى)[3]، ومثلها قوله تعالى:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4]، ومثلهما كثير مما هو رد على من أنكر عذاب القبر، وفيها (دلالةً على بقاء الإنسان بعد الموت ما بينه وبين يوم القيامة)[5].

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[6]، فعلى الرغم من الاختلاف في هاتين الموتتين والاحيائين إلا إن أكثر وجوه معناها تدل على الاحياء في القبر، ومما ذكره الطبرسي[7] رحمه الله (٥٤٨هـ) في وجوه معناها:

آ ـ الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الآتي في القبر للمساءلة، والثاني في الحشر.

ب ـ ان الاماتة الأولى حال كونهم نطفاً، فأحياهم الله تعالى في الدنيا، ثم أماتهم الموتة الثانية، ثم أحياهم للبعث، فهاتان حياتان وموتتان[8].

---

(١) اكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع، د. أحمد صبحي منصور، القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م (د. ط): ٢.

(٢) [سورة البقرة: الآية ١٥٤].

(٣) دراسات عقائدية ـ إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ: ٣٦١.

(٤) [سورة آل عمران: الآية ١٦٩].

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٦٣، و(يُنظَر) معالم أصول الدين، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي ـ لبنان: ١٢٧، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٢٧٦.

(٦) [سورة غافر: الآية ٤٦].

(٧) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المعروف بأمين الإسلام، نسبته إلى طبرستان، من أبرز علماء الشيعة الإمامية في القرن السادس الهجري، مفسر محقق لغويّ، له المصنفات الكثيرة منها [مجمع البيان في تفسير القرآن]، و[جوامع الجامع] في التفسير أيضاً، و[غنية العابد]، و[مختصر الكشاف]، و[إعلام الورى بأعلام الهدى]، توفي في سبزوار، عام (٥٤٨هـ) على أشهر الأقوال. (يُنظَر) أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٧ ـ ٤٠٠.

(٨) انكر القاضي عبد الجبار هذا الرأي بقوله (ومتى قالوا: إن إحدى الإماتتين إنما هو خلق الله تعالى الخلق نطفةً هي موات، قلنا: إن الإماتة في الحقيقة هي إبطالٌ للحياة وإزالتها وتفريق للبنية التي تحتاج هي في الوجود إليها، وذلك لا يُتصور في النطفة التي لم تكن حيةً أصلاً، وبعد، فقد أثبت الله تعالى

ج ـ إن الحياة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر، ولم يُرد الحياة يوم القيامة، والموتة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر[1].

٣ـ قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2]، حيث إن هذه الآيات عبرت بصراحة عن وجود هذا العالم، أي إن آل فرعون يعرضون صباحاً ومساءً على النار قبل القيامة، وذلك كنوع من العقاب البرزخي لهم[3].

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4]، فمما جاء في تفسير الآية الكريمة إنه (البرزخ ما بين الموت الى البعث، وقيل: هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون)[5].

ومع وضوح هذه الأدلة نجد المنكرين للحياة البرزخية يستعملون كل ما لديهم من أدوات القص والكتمان والحذف لأجل تقرير ما يريدوه، ومن أمثلة ذلك اقتباس بعضهم لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[6]، مع حذفه لتتمة الآية، والتي تقول:﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[7]، ثم تعقيبه على النص الذي اقتبسه بقوله: (إذاً يقول الحق، هو موت فى البداية، ثم الحياة الدنيا التى نحياها الآن، ثم الموت، ثم الحياة فى الآخرة. موتتان وحياتان، أي: ٢+٢ = ٤. إذًا اضفنا [حياة القبر] تصبح هذه المعادلة خاطئة لأننا نضيف حياة أخرى لمشاهدة الفلم المرعب [منكر و نكير والثعبان الأقرع.]، ثم بعد ذلك موتة أخرى. أي ٣+٣، وهذا لا يساوى ٤ كما قال الحق)[8].

لكنه لو قرأ فقط تتمة الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لرد على نفسه بنفسه، فالله تعالى ذكر رجوعه إليه، أي يوم القيامة بعد الحياتين والموتتين، وذلك ما يتطلب وجود حياة برزخية[9].

كذلك إنكارهم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

الإماتةَ مرتين، وعلى هذا الذي ذكرتموه يقتضي أن يكون ذلك مراراً) واتفقوا في بقية الرأيين، شرح الاصول الخمسة: ٧٣١.

(١) (يُنظر) مجمع البيان في تفسير القرآن، الامام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ٨/ ٣٢٦، و(يُنظر) مختصر الأصول: ٢٧٧، و(يُنظَر) شرح الاصول الخمسة: ٧٣٠.

(٢) [سورة غافر: الآية ٤٦].

(٣) (يُنظر) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٣٧/٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٢٧٦، معالم أصول الدين: ١٢٧.

(٤) [سورة المؤمنون: من الآية ١٠٠].

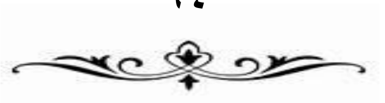
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: ٣/ ٣٧٤.

(٦) [سورة البقرة: من الآية ٢٨].

(٧) السورة والآية نفسيهما.

(٨) الاعتقاد بخرافة عذاب القبر يخالف قول رب العالمين: ١٢٣٢١٤٥١٣.htmlblog.com/articlehttp://daikiri.over، و(يُنظر) التنويريون والصراعات مع المقدسات ـ د. نور الدين أبولحية، مؤسسة العرفان لثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ: ١٢٦.

(٩) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٢٦.



تَشْعُرُونَ﴾[1]، فحملوا الآية الكريمة على المجاز، فقالوا إنّها بمعنى أنّ الشهداء يبقون بعد موتهم أحياء في قلوب الناس، أي إنّ ذكر الشهداء وأسمائهم خالدة حيّة بعد فقدهم، فهي من قبيل التعبير لقول الإمام علي عليه السلام: (أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة)[2].

وفي الواقع هذا الكلام في غير محلّه:

أولاً: إنّ تعبير الآية الكريمة في آخرها ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ينافي تماماً ما ذُكِر، إذ لو كان المعنى أنّه مع عدم حياتهم فإنّهم ما زالوا خالدين في النفوس والقلوب، فيشعر الناس بهم كأنّهم أحياء، فكيف يعود ليخاطبهم القرآن بأنه ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؟!

ثانياً: إنّ الآية الثانية التي كرّرت مفاد هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إنّ هذه الآية تتحدّث بصراحة عن أنّ هؤلاء الشهداء بعد موتهم يُرزقون ويفرحون ويستبشرون، وهذا يتنافى مع القول بأنّ حياتهم مجرّد خلود أسمائهم في القلوب[3].

ثمّ إنّ البعض ادّعى اختصاص هذه الحياة بالشهداء، لأنّ هذه الآية خاصّة بهم؛ ولكن نقول: صحيح أنّ تلك الحالة من الرزق والفرح والاستبشار خاصّة بالشهداء، إلا أنّه من غير المحتمل في المقابل أن تكون الأصناف الأخرى من البشر ـ غير الشهداء ـ يلفّها سكون وفناء مطلق، بل لا بدّ أنّهم يعيشون حياة تتناسب مع ما يليق بما عملوه في هذه الدنيا، كما استحقّ الشهداء هذا النوع من الحياة، فالآية حينما تشير إلى الحياة السعيدة التي يحياها الشهداء بعد موتهم، فهي تنبّه إلى أنّ لكل بني البشر حياةً بعد الموت تناسب ما عملوه في الدنيا[4].

وهكذا نجدهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[6]، ويتصورون أن العذاب سيؤخر إلى الآخرة، لأن الله تعالى لا يؤاخذ الظالمين قبل ذلك[7].

فيُرد على مدعاهم هذا بأنهم (لو قرأوا مع تلك الآيات آيات أخرى كثيرة جداً، تذكر تعجيل الله تعالى العقوبة

(١) [سورة البقرة: الآية ١٥٤].

(٢) نهج البلاغة للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام. شرح الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، من قصار الحكم، الحكمة ١٤٧: ٤/ ٤٢٤، و(يُنظَر) دراسات عقائدية: ٣٦٢.

(٣) دراسات عقائدية: ٣٦٣.

(٤) (يُنظر) المصدر نفسه: ٣٦٣.

(٥) [سورة إبراهيم: الآية ٤٢].

(٦) [سورة النحل: الآية ٦١].

(٧) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٢٦.

لعباده في الدنيا قبل الآخرة، لفهموا تلك الآيات الكريمة فهماً صحيحاً؛ فهي لا تنفي العذاب المطلق، وإنما تنفي العذاب الأكبر الحقيقي، والذي لا يكون إلا في الآخرة، أما ما عداه؛ فهو هين جداً مقارنة بعذاب الآخرة، ولكن لا يعني أنه ليس عذاباً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، والتي فسرها ابن عباسٍ رضي الله عنهما بقوله: (عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة)[2].

وهكذا نجد القرآن الكريم نفسه يخبرنا بأن العذاب المرتبط بالكافرين والمنحرفين لا يصيبهم في الآخرة فقط بل في الدنيا أيضاً، وفي حال الاحتضار خصوصاً؛ فقد قال تعالى في أقسام المحتضرين، وكيف يعاينون العالم الذي سيفدون إليه: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[3].

وهكذا أخبرنا تعالى عن فزع الإنسان عند اكتشافه لحقيقة المصير الذي سيصير إليه مباشرة بعد موته؛ فقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4].

وقد أقر أحمد صبحي منصور في كتابه الذي حاول أن يستدل فيه على عدم وجود عذاب القبر بحياة الشهداء في البرزخ، لكنه جعله خاصاً بهم، كما خصص العذاب بقوم فرعون ونوح، وهذا كله تصرف بالهوى المجرد مع النصوص الكريمة التي من شأنها أن تذكر الحقائق، لا أن تؤرخ لجهة من الجهات[5].

كما نجده يستعمل كل الوسائل للفرار مما تقتضيه الآيات الكريمة الواردة في آل فرعون، فراح يجادل في مصطلح[عذاب القبر]، فقال: (إن عذاب فرعون ليس فى القبر، ولكنه عذاب فى البرزخ لأن الخصوصية التالية لفرعون أن الله أنجى جسده وقال له عند الموت ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[6]، ولو كان هناك عذاب قبر كما يقول أشياع الثعبان لظل جسد فرعون فى القبر ينهشه الثعبان)[7].

ونحن وكل من يؤمن بعذاب القبر يقره على هذا؛ فمصطلح [عذاب القبر] ليس المراد به القبر فقط، فحتى الذي لا يُقبر قد يُعذب، وقد يُنعم. إذ إن القبر ليس فقط محلاً للعذاب، وإنما هو أيضا محل للنعيم، لكن جرى الاصطلاح على تسميته بالعذاب، ولا مشاحة في الاصطلاح[8].

(١) [سورة الطور: الآية ٤٧].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢٢/ ٤٨٧.

(٣) [سورة الواقعة: الآيات ٨٣ ـ ٨٥].

(٤) [سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠].

(٥) (يُنظَر) اكذوبة عذاب القبر والشيطان الاقرع: ١٢، والتنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٣.

(٦) [سورة يونس: الآية ٩٢].

(٧) اكذوبة عذاب القبر والشيطان الاقرع: ١٥، والتنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٤.

(٨) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٥.

ثانيا ـ الأدلة من السنة المطهرة على استمرارية الحياة بعد الموت:

للمنكرين للحياة البرزخية موقفان من الأحاديث النبوية المطهرة، والتي تنص صراحة على حياة البرزخ، بما فيها من نعيم أو عذاب، ذكرهم الدكتور نورالدين أبو لحية في كتابه [التنويريون والصراعات مع المقدسات]، وهما:

١ . (موقف من يسمون أنفسهم [قرآنيين]، فهو لا يهتم بتلك الأحاديث، ولا يراعيها، لأنه لا يعتبرها مصدراً مقدساً؛ فهو يرى أن القرآن الكريم وحده يمكن أن يهديه للحقائق، ولا خطاب لنا مع هذا الصنف عند هذه الشبهة، لأنا خاطبناه في الشبهة السابقة، وبينا أن القرآن الكريم ينص صراحة على عذاب القبر. وهو نوع من الهروب من الحقيقة القرآنية التي دلت عليها كل الأدلة.

٢ . موقف من يقر بالسنة، ولكنه يتعامل تعاملاً مزاجياً معها، ذلك أنه يضع حدوداً للسنة المقبولة تتناقض كل حين، بحيث لا يستطيع هو نفسه أن يضع ضابطاً يطبقه على الجميع. فإن أراد بالسنة المتواترة تواتراً لفظياً فقط، فسيلغي الكثير من العقائد والشرائع التي يقر بها، ذلك أن مثل هذا التواتر لا يكاد يوجد. وإن أراد بالسنة ما تواتر معنوياً، فعذاب القبر مما تواتر معنوياً)[١].

وهذه الأحاديث قد رويت عن كثير من الصحابة، لا كما يذكر التنويريون بأنها لم ترو إلا عن خمسةٍ منهم، فقد قال عبدالغني المقدسي[٢] رحمه الله (ت ٦٠٠هـ): (الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم، رواه عن النبي ﷺ: علي بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو بَكْرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، وعائشة زوج النبي ﷺ، وأختها أسماء، رضي الله عنهم وغيرهم)[٣].

ولهذا حكى الكثير من العلماء تواتر هذه الروايات في المدرسة السنية[٤]، ومما يقوي ذلك التواتر الأحاديث والروايات الكثيرة في مدرسة أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهو ما يعطي المسألة قوة كبيرة تفوق التواتر، لأنه حينها يصبح إجماعاً للأمة، لا مجرد إجماع لطائفة، والإجماع أكبر من التواتر، لأن التواتر قد يحصل في مدرسة واحدة، ويعبر عن وجهة نظرها فقط، بخلاف الإجماع الذي يدل على اتفاق الجميع[٥]، ومن تلك الأحاديث:

---

(١) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٥

(٢) تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، الإمام العالم، كان لا يكاد يُسأل عن حديث إلا ذكره وبينه، وذكر صحته أو سقمه، ولا يسأل عن رجل إلا قال: هو فلان بن فلان الفلاني، ويذكر نسبه، له من المصنفات الكثيرة، منها كتاب [المصباح في عيون الأحاديث الصحاح] مشتمل على أحاديث الصحيحين، و[نهاية المراد]، و[اليواقيت]، و[تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين]، و[فضائل خير البرية]، و[الترغيب في الدعاء]، و[الأمر بالمعروف]، توفي رحمه الله سنة (٦٠٠هـ). (يُنظَر) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٤٣ وما بعدها.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ـ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي (ت٦٠٠هـ)، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي ـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ١٧٢، ١٧٣.

(٤) فتح القدير ـ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ: ١/ ١٨٤، و(يُنظَر) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ـ حافظ بن أحمد حكمي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م: ٢/١١٧.

(٥) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٩ ـ ١٤٠.



الحديث الأول: قوله ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1].

فالحديث الشريف يدل على العرض للإنسان بعد موته و(العرض لا يكون إلا على حيٍّ. وفيه دلالة على بقاء الأرواح؛ لأنها التي يعرض عليها، ويحتمل أن يريد بالغداة والعشي: كل غداة وكل عشية، وذلك لا يكون إلا بإحياء جزء منه، فإنا نشاهد الميت ميتًا بالغداة والعشي، وذلك يمنع إحياء جميعه، وإعادة جسمه، ولا يمتنع أن تعاد الحياة في جزء أو أجزاء منه)[2].

الحديث الثاني: ما ورد أن رسول الله ﷺ كان يدعو في صلاته قائلاً: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَالمَمَاتِ)[3].

فهذا الحديث يدل على أن عذاب القبر حق، حيث استعاذ منه ﷺ وهو معصوم مطهر مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[4].

الحديث الثالث: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: (يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ[5]، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا)، فقيل له تدعو أمواتاً؟ فقال ﷺ: (مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ)[6].

كذلك مما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في وجود الحياة البرزخية واستمرارية الحياة بعد الموت، إذ يقول الإمام علي عليه السلام: (يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار)[7].

ومما وردَ عن الامام الباقر عليه السلام: (فإذا دخلَ حفرته رُدَّت الروح في جسده وجاءهُ ملكا القبر وامتحناه)[8]، ومن خلال هذا الامتحان ونتائجه يكون ثواب القبر ونعيمه أو عذابه وعقابه، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي، ح١٣١٣: ١/ ٤٦٤، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، ح٢٨٦٦: ٤/٢١٩٩.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: ١٠/ ١٦٢

(٣) صحيح البخاري،كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ح١٣١١: ١/ ٤٦٣، وصحيح مسلم،كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، باب ما يستعاذ منه فيالصلاة، ح ٥٨٩: ١/ ٤١٢.

(٤) (ينظر) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ١٠/ ١٦٠.

(٥) (أهل القليب) قتلى المشركين يوم بدر، هو البئر التي لم تطو وقيل العادية القديمة التي لا يعرف صاحبها فائدة، والظاهر أن البئر لم يكن فيها ماء معين. (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ: ١/ ٣٥٢.

(٦) صحيح البخاري،كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ح١٣٠٤: ١/ ٤٦٢.

(٧) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ٦/ ٢١٨.

(٨) الكافي للكليني، باب أنَّ الميت يُمَثَّل له ماله وولده وعمله قبل موته، جزء من ح٣: ٣/ ٢٣٤.



(البرزخ القبر وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة)[1]، وكذلك ما رُويَ عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، إذ يقول فيها عليه السلام: (يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا)[3].

ثالثاً ـ إجماع الأمة على استمرارية الحياة بعد الموت:

حيث اتفقت المدارس الإسلامية على وجود الحياة البرزخية والنعيم والعذاب في القبر، وقد صرَّح كل علمائهم بذلك، وسنقتصر هنا على ما قاله علماء أكبر مدرستين في العالم الإسلامي:

١ ـ علماء المدرسة السنية: من الاشاعرة والماتريدية وغيرهم، فقد قالوا بوجود عالم البرزخ والقبر، حيث يقول أبو الحسن الأشعري[4] رحمه الله (ت٣٢٤هـ) فيه: (وقد رُوي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوَجَب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي ﷺ)[5].

وتبعه فخر الدين الرازي[6] رحمه الله (ت٦٠٦هـ) بقوله: (إنا بينا أن الإنسان جوهر لطيف نوراني ساكن في هذا البدن فبعد خراب هذا البدن إن كان كاملاً في قوة العلم والعمل، كان في الغبطة والسعادة، وإن كان ناقصاً فيهما كان في البلاء والعذاب، ثم القرآن القديم يدل عليه)[7].

وقال حافظ الحكمي[8] رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ): (نصوص السنة في إثبات عذاب القبر قد بلغت في ذلك مبلغ

---

(١) تفسير القمي: ٣/ ٢٠.

(٢) [سورة آل عمران: الآيتان ١٦٩، ١٧٠].

(٣) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ٦/ ٢١٨.

(٤) اسحاق بن سالم بن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة، ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري، وكان اولاً قد أخذ الكلام عن ابي علي الجبائي وتبعه في الإعتزال حتى صار للمعتزلة إماماً، ثم رجعَ عن الاعتزال، وبرع في العديد من المؤلفات، منها كتاب [اللمع] و[الموجز]، و[التبيين عن أصول الدين]، توفي رحمه الله تعالى سنة (٣٢٤هـ). (يُنظَر) وفيات الأعيان:٣ /٢٨٤، الانساب ـ للإمام عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م: ١/٢٧٣، وتبيين كذب المفتري في ما نُسِب لأبي الحسن الأشعري ـ علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، مطبعة القدسي ـ دمشق الشام ١٣٤٧هـ: ٣٤.

(٥) الإبانة: ٢٤٧.

(٦) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع، وكان شافعياً أشعرياً، ناظر المعتزلة، وانقطع في أواخر أيامه للوعظ فكان يحضر مجلسه الخاص والعام، له مصنفات كثيرة أقبل الناس عليها في حياته يتدارسونها، من كتبه [مفاتيح الغيب]، وترجع شهرة الرازي ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي إلى هذا الكتاب، وله أيضا [نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز]، و[مفاتيح العلوم]، و[تفسير سورة الإخلاص]، و[أسرار التنزيل وأنوار التأويل]، وغيرها، توفي سنة (٦٠٦هـ). (يُنظَر) معجم المفسرين: ٢/ ٥٩٦.

(٧) معالم أصول الدين: ١٢٧.

(٨) أحد علماء أهل السنة والجماعة، وأحد أعلام شبه الجزيرة العربية، نشأ في بيئة صغيرة متماسكة محافظة، في منطقة يعمل أغلب سكانها بالزراعة، ركزَ على الدعوة إلى العقيدة السليمة لما كان عليه مجتمعه وبيئته، من مؤلفاته [سلم الوصول إلى علم الأصول]، و[معارج القبول]، و[جوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة]، توفي رحمه اله أثر مرض ألَمَّ به وهو يبلغ من العمر (٣٥) عاماً، في سنة (١٣٧٧م). (يُنظَر) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢ ـ ١٣٧٧هـ) حياته وآثاره، إعداد: سعود بن صالح بن محمد السيف، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ: ٥٦، و٦٩ ـ ٩٧.

التواتر؛ إذ رواها أئمة السنة وحَمَلة الحديث ونقَّاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: أنس بن مالكٍ، وعبدالله بن عباسٍ، والبراء بن عازبٍ، وعمر بن الخطاب، وابنه عبدالله، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت أبي بكرٍ، وأبو أيوب الأنصاري، وأم خالدٍ، وأبو هريرة، وأبو سعيدٍ الخدري، وسمرة بن جندبٍ، وعثمان، وعلي عليه السلام، وزيد بن ثابتٍ، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي وقاصٍ، وزيد بن أرقم، وأبو بكرة، وعبدالرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبوه عمرو، وأم مبشرٍ، وأبو قتادة، وعبدالله بن مسعودٍ، وأبو طلحة، وعبد الرحمن بن حسنة، وتميم الداري، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، والنعمان بن بشيرٍ، وعوف بن مالكٍ رضي الله عنهم)[1].

٢ ـ علماء المدرسة الإمامية: حيث يقول الشيخ الصدوق رحمه الله (ت٣٨١هـ): (إعتقادنا في المساءلة في القبر، أنه حقٌ لا بدَّ منها، فمن أجابَ بالصواب فازَ بروحٍ وريحان في قبره، وبجنة النعيم في الآخرة، ومن لم يُجِب بالصواب فله نزلٌ من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة[2].

وقال الشريف المرتضى[3] رحمه الله (ت ٤٣٦هـ): (إن عذاب القبر جائز غير مُحال ولا وجه فيه للقبح، أما الدِلالة على صحته ورفع استحالته: فمن حيث أن الميت إذا أُعيد حيّاً صحَّ أن يُعاقب كما صحَّ ذلك فيه قبل الموت، ولعلَّ من أحاله ظنَّ أنه يُعاقب وهو ميت، أما ضيق القبر عن العقاب فإنه يجوز أن يوسَع حتى يمكنه المعاقبة، على أنَّ المتولي من الملائكة للمعاقبة لا يحتاج سعة موضع للطافته، ولا وجه للإحالة)[4].

وهذا قول أكثر المعتزلة، حيث يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي[5] رحمه الله من كبار أئمتهم لمن سأله (فإن قال: أفتجوزون ما ورد في الأخبار من عذاب القبر ومنكر ونكير والمسائلة والمحاسبة والميزان والصراط وغير ذلك؟ قيل له: نعم نؤمن بجميع ذلك على الوجه الذي نجوز له، لا على ما يظنه أهل الحشو[6] من إنه يعذبهم وهم موتى في

(١) معارج القبول لحافظ حكمي: ١١٧/٢.

(٢) الاعتقادات في دين الامامية: ٥٨.

(٣) علي بن الحسين بن محمد بن موسى ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أبو القاسم المرتضى الموسوي البغدادي (ت٤٣٦هـ) لازَمَ الفقيه الشيخ المفيد رحمه الله تعالى وأفاد منه كثيراً، كان مُقدَّم في العلوم وأكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، كثير الإطلاع وكان إماماً في الكلام والأدب والشعر والبلاغة كثير التصانيف حدَّثَ عن سهل بن أحمد الديباجي وأبي عبد الله المرزباني وغيرهما وهو جامع كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وله كتاب الشافي في الإمامة والذخيرة في علم الكلام في الأُصول.(يُنظَر) سير أعلام النبلاء: ٥٨٩/١٧، ٥٩٠، ومعجم طبقات المتكلمين:٢٢٢/٢.

(٤) الذخيرة في علم الكلام ـ علم الهدى السيد علي بن الحسين بن موسى، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: ٥٢٨، و(يُنظَر) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد: ٢٢٠.

(٥) عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار بن احمد، القاضي أبو الحسين الهمداني الأسد أبادي، الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، درس الاعتزال حتى فاق الأقران وخرج فريد دهره، من مؤلفاته المشهورة، كتاب [المغني في أبواب العدل والتوحيد]، و[الأصول الخمسة]، و[الدواعي والصوارف]، و[الخلاف والوفاق]، و[الخاطر]، وغيرها. (يُنظَر) باب ذكر المعتزلة وطبقاتهم ـ أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ)،تحقيق: توما آرلند، شركة دار الوراق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨م: ١٠٩، ومذاهب الإسلاميين ـ د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٨م: ٣٨٠.

(٦) اختلفت الاقوال فيهم، فقيل هم مَن يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، وسمّوا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلّمون كلاماً فقال: ردّوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين، وقيل سمّوا بذلك لأنّ منهم المجسّمة والجسم حشو. فعلى هذا القياس فيه الحشوية بسكون الشين نسبة إلى الحشو. وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذّر اجراؤها على ظاهرها

قبورهم، ولا كما تقوله المجبرة[1] من إنه لا أصل لعذاب القبر. وقد تظاهرت الأخبار بذلك، ولا يمتنع من يُلقَب من الملائكة بمنكر ونكير، ليكون أعظم في التعذيب)[2]، أما ما يرد في المؤلفات من إنكار المعتزلة لعذاب القبر فهو لنسبة ضرار بن عمرو إليهم، حيث يقول فيه القاضي عبد الجبار: (كان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا نرى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول: ان المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به)[3].

رابعاً ـ الأدلة العقلية على استمرارية الحياة بعد الموت:

يصور الكثير من المنكرين للحياة البرزخية أنفسهم بكونهم يستعملون العقل، ولذلك نحتاج في الحوار معهم إلى استعمال الأدلة العقلية، ولو أن كل مباحث السمعيات في الأصل تكتفي بالدليل النصي، لأنها مرتبطة بالإيمان بالغيب، ولكن مع ذلك نذكر هنا بعض الأدلة العقلية التي ساقها المتكلمون في الرد على الشبه المرتبطة بهذا الجانب، لكونها تشكل مقصداً عقدياً مهماً في توافق هذه المباحث مع ما يذهب إليه العقل الإنساني:

الدليل الأول: دليل الفطرة

وهو من البراهين التي استدل بها الفلاسفة وغيرهم، ويمكن لأي شخص أن يكتشفها في نفسه، فالله تعالى أودع فينا من المعارف ما نتفق عليه جميعاً.

ويشير إلى هذا الدليل قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5]، كما أشار إليه بديع الزمان النورسي[6] رحمه الله (ت١٣٧٩هـ) بقوله: (يرى العلماء المحققون أن أفكار البشر وتصوراتِه الإنسانية التي لا تتناهى المتولّدةَ من آماله غير المتناهية، الحاصلةَ من ميوله التي لا تُحد، الناشئةَ من قابلياته غير المحصورة، المندمجةَ في

بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأنّ الظاهر غير مراد ويفوّضون التأويل إلى الله تعالى، وقيل غير ذلك. (يُنظر) كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٦٧٨.

(١) من الفرق الإسلامية التي ترى أن الإنسان لا يخلق أفعاله، وليس له مما يُنسَب إليه من الأفعال شيء، أي نفي حقيقة الفعل إلى العبد وإضافته إلى الله تعالى، إذ العبد لا يُوصَف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار له، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتُنسَب الأفعال إليه مجازاً كما تُنسَب إلى الجمادات. (يُنظر) تاريخ المذاهب الإسلامية الإسلامية ـ في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية ـ محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر (د ت): ٩٨.

(٢) المختصر في أصول الدين على مذهب أهل التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار: ٢٧، و(يُنظَر) شرح الاصول الخمسة: ٧٣٠ ـ ٧٣٣.

(٣) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٠.

(٤) [سورة الذاريات: الآية ٢١].

(٥) [سورة فصلت: الآية ٥٣].

(٦) بديع الزمان النورسي ـ مؤسس النورسية، وهي جماعة دينية أقرب في تكوينها إلى الطرق الصوفية، في الثامنة عشر من عمره ألمَّ بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلاً عن حفظه القرآن الكريم، آخذاً نفسه بالزهد والتقشف، عمل مدرساً لمدة خمسة عشر عاماً، عين عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية، وكان العلمانيون الذين حكموا تركيا بعد زوال الخلافة يخشون من دعوته ويعارضونها، وأصدرت المحاكم ضده أحكاماً بالإعدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عن تنفيذ الحكم خوفاً من ثورة أتباعه وأنصاره، من مؤلفاته [الكلمات]، و[المكتوبات]، و[رسائل النور]، [صيقل السلام[،وغيرها. توفي سنة (١٣٧٩هـ). (يُنظَر) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية لطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ: ١/ ٣٢٤، ٣٢٥.

استعداداته الفطرية غير المحدودة، المندرجةَ في جوهر روحه، كلٌّ منها تمدّ أصابعَها فتشير وتحدُق ببصرِها فتتوجّه إلى عالم السعادة الأبدية وراء عالم الشهادة هذا، فالفطرةُ التي لا تكذب أبداً، والتي فيها ما فيها من ميلٍ شديد قطعي لا يتزحزحُ إلى السعادة الأخروية الخالدة تعطي للوجدان حدساً قطعياً على تحقق الحياةِ الأخرى والسعادة الأبدية)[1].

ويقول ﷺ: (نعم، إنّ دارَ الدنيا القصيرة هذه لا تكفي ـ كما أنها ليست ظرفاً ـ لإظهار ما لا يحدّ من الاستعدادات المندمجة في روح الإنسان وإثمارِها، فلابدّ أن يُرسَل هذا الإنسان إلى عالم آخر. نعم، إنّ جوهر الإنسان عظيم، لذا فهو رمز للأبدية ومرشّح لها، وإنّ ماهيتَه عالية وراقية؛ لذا أصبحت جنايتُه عظيمة؛ فلا يشبه الكائنات الأخرى، وإن نظامَه دقيق ورائع، فلن تكونَ نهايتُه دون نظام، ولن يُهمَل ويذهب عبثاً، ولن يُحكم عليه بالفناء المطلق ويهرب إلى العدم، وإنما تفتح جهنمُ أفواهَها فاغرةً. تنتظره. والجنة تبسط ذراعيها لاحتضانه)[2].

ويذكر الدكتور نور الدين أبولحية بأن (هذا الدليل يشبه كثيراً الدليل الأنطولوجي لأنسلم وديكارت، ودليل الصديقين للفارابي وابن سينا والملا صدرا. فكل هذه الأدلة تعتمد على تلك الحقائق التي ركزت في نفس الإنسان، فأصبحت من البديهيات التي لا يحتاج إلى الاستدلال لها)[3].

وكمثال على ذلك فإن الدليل الذي ينص على أن (الموجود الذي لا يمكن تصور شيء أعظم منه لا يمكن أن يوجد في العقل وحده، وبالفعل، حتى إذا كان موجوداً في العقل وحده، فمن الممكن أن نتصور موجوداً مثله له وجود في الواقع أيضاً، وهو بالتالي أعظم منه، وعليه، إذا كان موجوداً في العقل وحده، فإن الموجود الذي لا يمكن تصور شيء أعظم منه سيكون من طبيعة تستلزم أن يكون بالإمكان تصور شيء أعظم منه)[4].

والذي ينسب إلى أنسلم يمكن تطبيقه هنا، فالإنسان يشعر بأن هذه الحياة لا تكفي لتلبية رغباته الكثيرة، ولا تفي برد حقوقه المستلبة، ولذلك يتطلع إلى حياة أخرى، يجد في نفسه شوقاً كبيراً إليها.

وهذه ليست عقدة نفسية كما يتوهم الذين يجعلون من الحياة بعد الموت نوعاً من التفكير الرغبوي، ذلك أن هذه الرغبة متفق عليها بين البشر جميعاً، وفي جميع العصور، وهي تدل على أن لها واقعاً لم نكتشفه لأننا لم نرحل بعد إلى ذلك العالم.

ولو كانت تفكيرا رغبوياً لانحصرت في أشخاص دون أشخاص، أو طائفة دون طائفة، مثلما نرى الكثير من النزغات الشاذة، أو العقد النفسية التي يحاول المرضى أن يحولوا منها حقائق واقعية، ولو كانت كذلك لما اشترك البشر جميعاً في الانفعال لها، مثلما يشتركون في عطشهم وجوعهم وأشواقهم المختلفة[5].

---

(١) الكلمات ـ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصّالحي: ٦٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ٦١٢.

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل ـ د. نور الدين أبولحية، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ: ٢١.

(٤) تاريخ الفلسفة، إميل برهييه، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، البعة الأولى ١٩٨٧م: ٣/ ٥١.

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢.



الدليل الثاني: اتفاق الأديان والفلاسفة القدامي

فالبشر بأديانهم المختلفة، متفقون على هذا، وهم في العادة لا يتفقون إلا على شيء واقعي، مركوز في فطرهم، ومن الأمثلة على ذلك الحضارة المصرية القديمة، والتي كانت تقوم على الكثير من المعتقدات، وكان من أهمها تلك المعتقدات المرتبطة بالحياة بعد الموت، حتى أن (إيمان المصريين بولادة جديدة بعد الموت أصبحت القوة الدافعة وراء ممارسات جنازة خاصة بهم، وكأن الموت مجرد انقطاع مؤقت، بدلاً من التوقف الكامل عن الحياة، وأنه يمكن ضمان الحياة الأبدية عن طريق وسائل مثل التقوى للآلهة، والحفاظ على الشكل المادي من خلال التحنيط، وتوفير التماثيل والمعدات الجنائزية الأخرى)[1].

ويذكر الباحثون أن المصريين في حضارتهم القديمة كانوا يؤمنون بالبعث، وأن معتقداتهم تذكر أنه يمكن للإنسان أن يحافظ على حياته بعد الموت إذا حافظ على كينونته، وهي تتركب عندهم من أربعة أجزاء: الاسم (رين)، الروح (با)، الظل (شيوت) والنفس (كا).

وجميع هذه الأجزاء ـ كما يرى المصريون القدامى ـ (تولد مع الإنسان، فالاسم والروح والظل والنفس ترافقه مدى الحياة وما بعد الحياة كجزء من كيانه، وعند الموت تبقى هذه المركبات ملازمة للميت، وتبقى الـ [با]؛ أي الروح، حية حتى بعد موت الجسد. وهي أمور يحتاجها الميت للمثول أمام محكمة الآلهة للمحاسبة على أفعاله، ومن ثم يُبعث من جديد في الحياة الأخرى)[2].

وللأسف فإن هذا الدليل مع قوته واعتباره، إلا إنه كان شبهة للمنكرين للحياة البرزخية، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه سامح عسكر تحت عنوان [مصدر خُرافة عذاب القبر]، والذي أعاد فيه هذه العقيدة لمصادر مختلفة عبر عنها بقوله: (بما أن اليهود هم أصل هذه العقيدة عند المسلمين؛ فهذا يعني حدوث واحد من أمرين اثنين: إما أن اليهود ـ حينها ـ كانوا يؤمنون بالحياة في البرزخ، وأن البعث يكون مرتين الأولى في القبر، والثانية يوم القيامة، وبالتالي فهم يؤمنون بثلاثة أنواع من الحيوات، وهذه العقيدة هي نفسها عقيدة من يؤمن بعذاب القبر من المسلمين. أو أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث يوم القيامة أصلاً. ولكن يؤمنون بالبعث في القبر، وأن الحساب الأخروي لديهم موجود بداخله، وهذا يعني أن عذاب القبر لديهم هو نفسه عذاب الآخرة)[3].

ثم راح يرجح الاحتمال الثاني، ليبني عليه أن مصدر هذه العقيدة هم المصريون القدامى، فقال: (وأنا أرجح الثانية. لأن هذا الاعتقاد هو بعينه اعتقاد المصريون القُدماء، فنشأة اليهود بالأصل كانت مصرية حتى مع الخلاف حول هذه النتيجة. حتى أن عقائد اليونان القدماء لم تَخلُ من هذا الطرح. وعقيدة الحساب والجزاء لديهم كانت في

(١) (يُنظَر) إشكالية الموت في الديانات السماوية والأرضية، بحث من إعداد ـ يسرى وجيه السعيد، مجلة ذوات: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، عدد ٤٣.

(٢) هاجس البعث: الموت والقيامة في الحضارات الإنسانية، أحلام رحال، مدونة الأجنحة والنور:https://ahlam٠٠٢.wordpress.com

(٣) (يُنَظَر) خُرافة عذاب القبر، سامح عسكر، الحوار المتمدن، ٢٣ فبراير ٢٠١٣م.



القبور وهذا ما حملهم على دفن متاع الميت معه.)[١].

ومثل ذلك ما كتبه أحمد صبحي في [أكذوبة عذاب القبر] الذي قال في مقدمته: (فى الوقت الذى يستعد فيه العالم لارتياد القرن الحادى والعشرين بمزيد من التقدم فى العلوم تقدماً يقترب من الخيال، يحصر المسلمون اهتماماتهم حول قضايا ترجع إلى خرافات تنتمى إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد. وهكذا ينفصل المسلمون عن عصرهم بأكثر من أربع آلاف سنة مع أن الإسلام حين نزل فى القرن السابع الميلادى وقف موقفاً حازماً من الأساطير والخرافات ووضع منهجاً علمياً تجريبياً فى القرآن للبحث والاكتشاف.)[٢].

ونفس الأمر نجده يُردَد في كتب ومقالات تنويرية كثيرة، تحاول أن تربط هذه العقيدة بعقائد الأمم السالفة، لتقوم بنسفها بعد ذلك، وكأن القاعدة الشرعية هي أن الإسلام لا يقصد سوى مخالفة عقائد الأمم.

ولو طبقنا هذه المعايير التي ذكروها على أحكام الحج، لألغوها جميعاً، فقد كان الحج أيضاً موجوداً في الديانات المختلفة، بل إن القرشيين المشركين كانوا يتفقون مع المسلمين في كثير من أحكام الحج، وهكذا نجد أكثر الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم هم أنفسهم المذكورون في الكتاب المقدس، بل نفس قصصهم موجودة، والاختلافات بين ما ورد في القرآن الكريم والكتاب المقدس محدودة؛ فهل نعتبر تلك القصص مستمدة من الكتاب المقدس، وأنها إرث من الديانات الأخرى تسلل لكتاب المسلمين ودينهم[٣].

ولو أن هؤلاء تواضعوا قليلاً، وحاولوا أن يتخلصوا من ذلك الفكر الرغبوي والمزاجي، وعادوا إلى نصوص القرآن الكريم نفسها، ومثلها إلى السنة المطهرة التي هي بيان للكتاب، وشرح له، لوجدوا الأدلة الكثيرة جداً، والتي تكفي آحادها لكف المؤمن عن التجرؤ على مخالفتها.

ولذلك، فإن مجرد اتفاق المسلمين مع أهل الكتاب أو غيرهم من أهل الأديان على هذه العقيدة لا يعني إلغاءها، بل إنه يعني أن هذه العقيدة من العقائد المقررة في الأديان الأخرى، والتي لا زالت تحتفظ بها[٤].

وعلى ذلك أيضاً إجماع الفلاسفة القدامى (على أن النفس لها أصل إلهي سابق على البدن، وهم من هذا المنطلق اعتقدوا بضرورة مفارقتها له بعد اكتمال مهمتها من بلوغ الحد الذي يجعلها قابلة للانفصال عنه كلياً، مما يعني أن النفس لا بد لها أن تعود إلى عالمها الالهي الذي تنزلت منه، أي فكما أن هناك تنزلاً، فهناك عود وصعود)[٥].

---

(١) مصدر خُرافة عذاب القبر، نقلاً عن التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٢٢.

(٢) أكذوبة عذاب القبر: ١.

(٣) (يُنظَر) التنويريون والصراعات مع المقدسات: ١٣٥.

(٤) (يُنظَر) المصدر نفسه: ١٣٦.

(٥) الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية: دراسة معرفية تعنى بتحليل نظام الفلسفة والعرفان وفهمه للإشكاليات الدينية، يحيى محمد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م: ١٤٦.

الدليل الثالث: التفريق بين التعقل والتصور

وهذا ما وقع فيه المنكرون للحياة البرزخية حيث أنهم ينكرون ما لا يدركونه بحواسهم وليس له وجود واقعي، وهذا غير صحيح، لأن عذاب القبر مثله مثل سائر عالم الغيب، لا علاقة للحواس به، فلذلك يكون التعامل معه بالتعقل، لا بالتصور.

ومن هذا الباب توهمهم أن المراد من عذاب القبر ونعيمه، ارتباطه بالقبر الحقيقي المعروف، وهذا غير صحيح، وإنما جائت التسمية من باب الغالب، لا من باب الحقيقة المطلقة، والتسمية الصحيحة لذلك، بحسب ما يذكر القرآن الكريم هي البرزخ، وهي المرحلة الفاصلة بين الحياتين الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، ولهذا نرى العلماء ينبهون كل حين إلى أن المراد بالقبر هي حياة البرزخ، لا القبر في حد ذاته[2].

وقال في ذلك الإمام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ): (فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة، وأسرار خفيّة، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها، بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم)[3].

كما قال فيها أبو زكريا النووي[4] رحمه الله (ت٦٧٦هـ): (لا يمنع من سؤال الملكين وعذاب القبر كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، كما نشاهد في العادة، أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك، فكما أن الله تعالى يعيده للحشر، وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك، فكذا يعيد الحياة إلى جزءٍ منه أو أجزاءٍ وإن أكلته السِباع والحيتان، فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره، فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟! فالجواب أن ذلك غير ممتنعٍ، بل له نظير في العادة، وهو النائم، فإنه يجد لذةً وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذةً وآلمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرائيل عليه السلام يأتي النبي ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي، وأما ضربه بالمطارق فلا يمتنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويضرب)[5].

ذلك أنه لا يخفى على كلِّ مؤمن بالله تعالى عظيم القدرة الإلهية وإمكانها، فهو تعالى الذي لا يُعجِزه شيء،

---

(١) [سورة المؤمنون: الآية ١٠٠].

(٢) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٥٠

(٣) احياء علوم الدين: ٤/ ٥٠٠.

(٤) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي، العلامة محيي الدين أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته، كان له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة والمصابرة على أنواع الخير، مع التفنن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وتصوفاً وغير ذلك، من مصنفاته: [تهذيب الأسماء واللغات]، و[منهاج الطالبين]، و[تصحيح التنبيه]، و[الدقائق]، و[المنهاج في شرح صحيح مسلم]، و[حلية الأبرار]، ويعرف بالأذكار النووية. (يُنظَر) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٨/ ٣٩٥، و٣٩٦، الأعلام: ٨/ ١٤٩.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ٢٩١.



لذلك فإن الإيمان بوجود الحياة البرزخية يُعَد من المسائل التي تثبت هذه القدرة من خلال الإيمان بحقيقة الموت وعدم فناء الإنسان بعده.

ويذكر السيد ناصر مكارم الشيرازي حقيقة الموت بقوله: (يتصوّر أغلب الناس أنّ الموت أمر عدمي ومعناه الفناء، إلاّ أنّ هذه النظرة لا تنسجم مع ما ورد في القرآن المجيد وما تدلّ عليه الدلائل العقلية ولا توافقها أبداً، فالموت في نظر القرآن أمر وجودي، وهو انتقال وعبور من عالم إلى آخر، ولذلك عُبّر عن الموت في كثير من الآيات بـ «تُوفّي» ويعني تسلّم الروح واستعادتها من الجسد بواسطة الملائكة.

والتعبير في الآية الكريمة ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾(١)، هو إشارة إلى هذا المعنى(٢) أيضاً)(٣).

ويقول ابن حجر رحمه الله(٤) (ت٨٥٢هـ) (لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه، والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهَد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من اقعاد ولا غيره ولا ضيق في قبره ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب، وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وألما لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألما أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يدرك ذلك جليسه)(٥).

فالذي يؤمن بالله تعالى، ويتلو ما ورد في كتابه ﴿اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التي وردت عشرات المرات سيؤمن حتماً بإحياء الله تعالى للميت في قبره ولو لم يُدفَن ويسأله عما وردت به الأحاديث، وإن ذلك ليس بمُحالٍ في عظيم قدرة الله تعالى ومالكيته لأمور العباد.

---

(١) [سورة ق: الآية ١٩].

(٢) (في المراد من الباء في كلمة بالحقّ هناك احتمالات عديدة، فمنهم قال معناه التعدية والحقّ معناه الموت، ويكون معنى الجملة إنّ سكرات الموت لها واقعية أي أنّ السكرات تصحب معها الموت، وقيل أنّ الباء للملابسة، أي أنّ سكرات الموت تأتي مع الحقّ). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٣٦.(هامش الصفحة).

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٣٦.

(٤) أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ، شهابُ الدين، المصريُّ، الشافعيُّ (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) ابن حجر العسقلاني، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، جدَّ في الفنون حتى بلغ الغاية، وتصدى لنشر الحديث، وقصر نفسه عليه مطالعةً وقراءة وإقراءً وتصنيفًا، وزادت تصانيفه التي انتهى معظمها في فنون الحديث، والأدب، والفقه، وغير ذلك على مئة وخمسين تصنيفًا، ورزق فيها السعد والقبول، خصوصًا [فتح الباري في شرح البخاري]، أما تصانيفه الأخرى فكثيرة جليلة، منها [الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة]، و[لسان الميزان]، و[الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام]، و[ذيل الدرر الكامنة]، و[الإصابة في تمييز أسماء الصحابة]. (يُنظَر) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ـ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ٣٥٦، والأعلام: ١/ ١٧٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣/ ٢٣٥.



المطلب الثاني: استمرارية الحياة بعد الموت وعلاقته بالجزاء الإلهي:

بعد أن بينا في المطلب الأول إثبات هذه العقيدة ومقاصدها المرتبطة بقدرة الله تعالى والرد على منكريها بكل ما راحوا يحتجون به لأجل انكارها، نتناول هنا المقاصد والتجليات التي تُستَنبَط من الايمان بوجود عالم البرزخ واستمرارية الحياة بعد الموت، من حيث النعيم والعذاب الذي يلاقيه الإنسان لما قدَّمه خلال حياته من أعمال، وارتباط هذا العمل بجزائه وعقابه.

وبناءً على ذلك فقد تكون هذا المطلب من مقاصدَ عدة، أولها ارتباط عالم البرزخ واستمرارية الحياة بعد الموت بالعدالة الإلهية، وثانيها علاقته بالرحمة الإلهية، والثالث في اختلاف هذا الجزاء بحسب اختلاف الأعمال ودرجاتها، والرابع منه ما ارتبط بالحكمة والتربية الإلهية، وكلٌ حسب العنوانات التالية:

المقصد الأول: استمرارية الحياة بعد الموت وعلاقته بالعدالة الإلهية

وتتجلى هذه المقاصد في ترسيخ عدالة الله تعالى المطلقة في ذلك الموقف، يقول السيد كمال الحيدري[1] في كتابه المعاد رؤية قرآنية في فلسفة الحياة البرزخية: (إن من أهم خصائص الحياة الآخرة كونها نتيجة لأعمال الإنسان، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، سواءٌ كانت نعيماً أو شقاء، فهي نتيجة لأعمال الإنسان في الحياة الدنيا، وحيثُ أن الحشر الأكبر لم يتحقق للجميع؛ لكون الحياة ما زالت مستمرة وما زال فيها أحياء، وسيأتي اليها أُناس لم يُولَدوا بعد، فاقتضت الحكمة الإلهية وجود حياة تسبق الحياة الأُخروية، وهي الحياة التي تكون الوسيط بين الدنيا والآخرة)[2].

وفي تلك الدار تتمثل لكل انسان أعماله التي استحق بها النعيم والعذاب البرزخي، ذلك (إن جزاء الآخرة هو تجسم لأعمال الدنيا، والنعيم والعذاب هناك هما نفس العمل الصالح والسيء الذي أداه الإنسان هنا، وقد كُشف عنهما الغطاء فظهرا للعيان، فمثلاً تلاوة القرآن تتجسم هناك بصورة جميلة وتستقر الى جانب صاحبها، أما الغيبة وظلم الناس فهما يتجسمان بصورة طعام كلاب جهنم للممارسين لهما.

وبعبارةً أخرى فإن لأعمالنا وجهين، الأول هو الوجه الظاهري الأرضي، وهو فانٍ ومؤقت، وهو الأعمال التي تظهر في الدنيا بصورة قول أو فعل، والثاني الوجه الغيبي الأخروي، حيث إن الأعمال بعد صدورها منا لا تفنى، وإنما تبقى ملازمةً لنا وتدور حولنا دوران الدائرة حول مركزها، وهذا الوجه الغيبي باقٍ وسوف نلتقي به في تلك الدار)[3].

---

(١) السيد كمال بن باقر بن حسن الحيدري، تولد١٩٥٦، مرجع شيعي عراقي معاصر مقيم الآن بمدينة قم الإيرانية، من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي اشتهر بمناظراته العقائدية مع المذاهب والفرق الأخرى عبر مؤلفاته وبرامجه التلفزيونية، له العديد من المؤلفات العقائدية والعرفانية والفلسفية والتاريخية، منها [دروس في التوحيد]، و[بحوث في العقيدة]، و[المعاد رؤية قرآنيّة]، و[الولاية التكوينية حقيقتها ومظاهرها]، [فلسفة الدين]، وغيرها. (يُنظَر) السيد كمال الحيدري ـ سيرته، منهجه، آثاره ـ د. حميد مجيد هدو، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ١٨٤.

(٣) العدل الإلهي ـ الأستاذ مرتضى مطهري، ترجمه إلى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م: ٢٦٤، ٢٦٥، و(يُنظَر) مفاهيم القرآن ـ العلّامة جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: ٨/ ٣٣٠.



وبما إن الموت أول مرحلة من منازل الآخرة، فإن منذ اللحظات الاولى لهذه المرحلة يرى الإنسان نتيجة أعماله وآثارها بالإضافة الى تمثلها أمامه في عالم البرزخ، يقول السيد كمال الحيدري: (يعتقد الحكماء والفلاسفة وكثير من المتكلمين في مسألة تمثلات أعمال الإنسان في عالم البرزخ، أو ما يُسمى عندهم بتجسم الأعمال يوم القيامة أن الحقائق أو الأعمال من قبيل الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك من الأعمال التي نقوم بها لها وجودٌ آخر في عوالمٍ أُخرى في عالم الملكوت)(1).

ثم يذكر المعنى المراد من الأعمال (المُراد من العمل في قولنا (تمثل الأعمال) ليس ما يقابل العقيدة فقط، بل العمل الذي هو أهم من الاعتقاد، أي العمل الجوارحي (المرتبط بالجوارح)، والعمل الجوانحي (المرتبط بالقلوب والاعتقادات والإيمان). وإن جميع أعمال الإنسان سوف تتمثل له في البرزخ، وستتجلى له، وكلُّ عملٍ سوف تكون له صورة تناسبه)(2).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾(3)، حيث تشير هذه الآية الكريمة (إلى حضور الأعمال الصالحة والسيئة يوم القيامة، فيرى كلّ امريء ما عمل من خير وما عمل من شرّ حاضراً أمامه، فالذين يشاهدون أعمالهم الصالحة يفرحون ويستبشرون، والذين يشاهدون أعمالهم السيّئة يستولي عليهم الرعب ويتمنّون لو أنّهم استطاعوا أن يبتعدوا عنها)(4).

كذلك قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(5)، فالآية الكريمة تدل على أن نفس العمل يؤتى به يوم القيامة، فيؤتى بالصلاة والزكاة بثوبهما المناسب للنشأة الأُخروية، وهكذا الحال في الأعمال غير الصالحة(6).

كما ورد فيما يدل على تجسم الاعمال في البرزخ قوله ﷺ: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(7)، فدلَّ الحديث الشريف بتمثل ظلم الظالمين الى ظلمات يوم القيامة، التي يُعَد الموت أول مراحلها. (فلو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً)(8).

ونعلم من ذلك إن النعيم والعذاب في الحياة البرزخية ما هو الا صورة عما قدمه الإنسان لنفسه في هذه الحياة الدنيا حيث تتجلى هذه الأعمال لصاحبها، إن كانت خيراً تجلت له بأبهى الصور وإن لم تكن كذلك فساءت بحسب

---

(1) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/، و(يُنظَر) مفاهيم القرآن: ٨/ ٣٣٠.

(2) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ٢٠٨.

(3) [سورة النساء: الآية ١٠].

(4) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٤٦٢.

(5) [سورة لقمان: الآية ١٦].

(6) مفاهيم القرآن: ٨/ ٣٣٥، واسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٦٢.

(7) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ح٢٣١٥: ٢/ ٨٦٤، وبحار الأنوار: ٦/ ٣٢١.

(8) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: ٥/ ١٠٠.

مقدارها، فلذلك لا يلقى الإنسان في قبره إلا ما قدمه من عمل صالح، أو عمل سيء، كما أشار إلى ذلك قوله ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى: (يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)(١).

المقصد الثاني: استمرارية الحياة بعد الموت وعلاقته بالرحمة الإلهية

يتوهم الكثير من المنكرين للحياة البرزخية أنها تتنافى مع رحمة الله تعالى، وهذا غير صحيح؛ فحين يؤمن الإنسان بما أعده تعالى له جزاء إيمانه ويقينه من أول لحظات رحيله عن هذه النشأة من سعة القبر ونعيمه المتتالي، ان كان ايمانه حقيقياً صادقاً، أصبح هذا الإنسان يرجو رحمة الله تعالى ساعياً الى الحصول عليها بما يستطيعه من أعمال محمودة العاقبة، خائفاً مما عملته يداه من المعاصي السابقة.

فالرحمة الإلهية من المقاصد المهمة والتي تكون متضمنة لجميع المباحث السمعية، حيث تتمثل في بيان تكريم الله تعالى للمطيعين، وذلك بتبشيرهم بما سينالون خلال هذه المرحلة من حياتهم عن إيمانهم وطاعتهم لله تعالى، ويتبين لنا ذلك من خلال عدة نصوص دلت على هذا التكريم والجزاء الحسن خلال الحياة البرزخية.

ومن مظاهر هذه الرحمة العظيمة للمؤمنين والتي تتجلى لهم في برزخهم:

١ـ توعد الله تعالى المؤمن بسعة قبره، ويُبَشَر بما أعده له تعالى من النعيم الدائم الى يوم البعث، بدليل ما روي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فيقول: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ)، قَالَ ﷺ: (فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ)، قَالَ ﷺ: (وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي)(٢).

٢ـ وفي حديث آخر له ﷺ: (يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(٣)، فمما ورد في شرحه بأنه (يملأ نعماً غضة ناعمة وأصله من خضرة الشجرة. ويحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا رُدَت إليه روحه.)(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح: ٤/ ١٩٩٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب ح١٨٥٥٧: ٤/،٢٨٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح ٢٨٧٠: ٤/ ٢٢٠٠.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ٢٠٤.



٣ـ ومن مظاهر هذه الرحمة الإلهية للعبد المؤمن مدافعة أعماله الصالحة وعباداته عنه منذ أول لحظات برزخه ويستمر معه التكريم الإلهي حتى بعثه من قبره، ويدل على ذلك ما رُويَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت تحدِّث عن النبي ﷺ، بقوله: (إِذَا دَخَلَ الإنسان قَبْرَهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، أَحَفَّ بِهِ عَمَلُهُ، الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ). قَالَ: (فَيَأْتِيهِ الْمَلَكُ مِنْ نَحْوِ الصَّلَاةِ، فَتَرُدُّهُ، وَمِنْ نَحْوِ الصِّيَامِ، فَيَرُدُّهُ)، قَالَ ﷺ: (فَيُنَادِيهِ: اجْلِسْ)، قَالَ ﷺ: (فَيَجْلِسُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، (يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ) قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ) قَالَ: (يَقُولُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ أَدْرَكْتَهُ؟ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ). قَالَ: (يَقُولُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ)(١).

أما المكذب بأحوال الحياة البرزخية فإنه (لن يتميز بأي شيء آخر عن المؤمن به، فلا هو يسعد في حياته الدنيا سعادة زائدة، ولا هو يتخلى عن الآلام التي تصيب المؤمن بالله، لأن الآلام تصيبهم وتصيب البشر جميعاً، ولكنها تُهون للمؤمن نتيجة إيمانه وتعظم للكافر نتيجة جحوده، ولهذا أخبر الله تعالى أن تنعم الإنسان في الآخرة لن يحول بينه وبين التنعم في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢))(٣).

المقصد الثالث: استمرارية الحياة بعد الموت وعلاقته بالحكمة والتربية الإلهية:

من خلال دراستنا للمسائل المتعلقة باليوم الآخر، وملاحظة التدرج في المحاسبة التي تبدأ من أول لحظات موت الإنسان وبدء حياته في البرزخ، نلاحظ من خلال مصاديق النصوص الكريمة في هذه الحياة التحقيق التام للحكمة الإلهية التي أرادها تعالى منذ الأزل في تربيته لعباده المؤمنين كي ينالوا عظيم ما أعدَّه تعالى لهم من جزاء ونعيم.

فالإنسان بطبعه إذا علِم أن الموت لا محالةَ صائرٌ إليه، لكنه إن علِم بما سيلاقيه ويراه من نعيمٍ أو عذاب بمجرد خروج روحه من الجسد المحرك لها فإن ذلك يكون بمثابة درسٍ تربويٍ كافٍ في توجيهه لفعل الخيرات، واجتناب الشر، فالناس جميعاً يعلمون أن الموت أمرٌ حتمي، ولا خلود لأحد على هذه الأرض سواءٌ كان مؤمناً كامل الإيمان، أو كافراً أو فاسقاً متمادياً بفسقه.

ولمنكري عذاب القبر شبهةً في ذلك بتصورهم أن المصلحة الشرعية تقتضي تغليب الرجاء على الخوف، وأنه لا يصح أن يُذكر للناس عذاب القبر ونحوه، لأن ذلك قد يؤذيهم، ويخيفهم، ويقنطهم من رحمة الله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عدنان إبراهيم(٤) في مقطع فديو متداول له تحدث وهو يستهزئ بالذين يخوّفون

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند النساء، حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه، ح٢٧٠٢١: ٦/ ٣٥٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) [سورة النحل: الآية ٩٧].

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١١.

(٤) عذاب القبر، حقيقة أم خرافة، د. عدنان إبراهيم https://www.youtube.com/watch?v=Y٩hkqTx٣QME.

الناس من عذاب يوم القيامة، ومن عذاب القبر، لكن، ما المانع من ذلك إن كان الغرض منه الدعوة إلى التقوى والصلاح.

فالقرآن الكريم نفسه مارس هذا المبدأ، فقد قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

وهو نفسه الذي أخبر عن حال المؤمنين، والمقربين منهم، وخشيتهم لله تعالى؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2]، ثم عقب على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[3]، وهكذا عندما ذكر عباد الرحمن، قال عنهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[4]، وهكذا نرى القرآن الكريم يتوعد المؤمنين بالعذاب الشديد على المعاصي المختلفة، ولم يذكر أبداً أنهم ما داموا مؤمنين، فهم مُعفَون من ذلك[5].

ثم إن هذا الإنذار والتبشير بحد ذاته يُعَد من المقاصد المهمة للإيمان بذلك الموقف، وله حكمتُه العظيمة (فإن من علامات المؤمنين تذكر الأهوال وأنواع العذاب، حتى تردع النفس الأمارة وتؤدَب، ولهذا ورد في النصوص المقدسة بيان الأعمال التي يُعذَب بها صاحبها في القبر، حتى تكون تحذيراً له، وليس من الأدب مع الله تعالى، ولا مع رسوله ﷺ، والذي استعمل هذه الوسيلة التربوية في أن نقوم نحن بالتهوين منها وتحقيرها)[6].

كما إننا قد نجد إن الكافر أو المنكر للحياة البرزخية بعد الموت وما فيها من نعيمٍ وعذاب، كلما ذُكِر الموت قد يزداد ضراوةً وشراهة في التمتع بالشهوات، وازداد اعتداؤه على حقوق غيره مالم يردعه رادعٌ مادي من العقاب، ليأسه من أي نعيمٍ فيما بعد حياته الدنيوية هذه، فيسعى لتحصيل ما تتمناه نفسه خلال الحياة الدنيا، مهما كانت السبل تقوده لمعاصي الله تعالى وتمرداً وبعداً منه تعالى.

أما الإنسان المؤمن بالله تعالى عندما يتيقن أنه سيُعوض بعد موته وفي نشأته الثانية (جزاء كل ألم أصابه، وأجر كل جهد بذله، وأن كل من أصابه بأذى سينال عقابه الذي لم ينله في الدنيا، سيشعر بالراحة، وسيهون عليه الألم،

(١) [سورة التحريم: الآية ٦].

(٢) [سورة الإنسان: الآيات ٥ ـ ١٠].

(٣) [سورة الإنسان: الآية ١١].

(٤) [سورة الفرقان: ٦٣ ـ ٦٦].

(٥) التنويريون والصراعات بين المقدسات: ١٥٥.

(٦) (يُنظَر) المصدر نفسه: ١٢١. ١٥٨.

وسيقبل على جميع المكارم ينهل منها، ويضحي في سبيلها بكل راحته ولذاته، وهو ما يساهم في رفعه إلى المقامات العليا من سلم الأخلاق والقيم النبيلة)[١].

ونجد ذلك كثيراً في تجسد الصفات القويمة في نفس المؤمن، والتي تعتبر امتداداً لمقصد التربية الإلهية، منها:

١ـ تزكية النفس

من مهمات المقاصد وكبرياتها التي نستنتجها مما ورد في هذه النشأة البرزخية، والتي تُعَد من المقاصد المهمة التي يربي الله تعالى عليها عباده لإنقاذهم من المهالك وقتئذٍ، تزكية النفوس وتربية الإنسان وتعليمه من خلال بلورة الأخلاق الحسنة في واقعه الوجداني والسلوكي، وإنما تتجسد هذه القيم في شخصيته جراء تزكية نفسه عن رذائل الاخلاق ويقينه أنه تعالى قد وفقه بهذه التزكية للنفس لأجل الوصول الى مرتبة الفلاح.

يظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢]، (فنجد القرآن الكريم وبعد ذكر أحد عشر قَسَماً مهماً، وهي من أطول الأقسام في القرآن ـ قسماً بالشمس والقمر والنجوم والنفس الإنسانية ـ وبعد ذلك يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

وهذا التأكيد المتكرر والشديد في هذه الآيات الكريمة يدلُّ على أن القرآن الكريم يولي أهمية بالغة لمسألة الأخلاق، وأن التزكية هي الهدف الأهم للإنسان، وتكمن فيها كل القيم الإنسانية بحيث تكون نجاة الإنسان بها)[٣].

كما بين الإمام الطبرسي رحمه الله (ت٥٤٨هـ) هذه المرتبة في الفلاح، فقد أفلحَ من زكّى نفسه، أي طهرها وأصلحها بطاعة الله تعالى وصالح العباد، وخابَ من أخملها وأخفى محلها، وقيل أضلها وأهلكها، وقيل أفجرها[٤].

وهو ما بشر به ﷺ كما ورد في صحيح البخاري (أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟) قال ﷺ: (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى وَلا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا وَلِفُلانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ)[٥].

٢ـ الاستقامة

ان السفر الى النشأة الثانية في البرزخ تعتبر سفراً عن هذه الحياة الدنيا الفانية، وخير ما يتزود الإنسان لنفسه منها بالاستقامة[٦] التي تورِث حسن الخلق، بعد عبادة الله سبحانه وتعالى، لذلك حين قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله،

(١) اسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٠.

(٢) [سورة الطلاق: من الآية ٢].

(٣) الأخلاق في القرآن: ١/ ١٢.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٢٨٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، ح ١٣٥٣: ٢/٥١٥.

(٦) الإستقامة: وتعني الثبات على الطريق المستقيم الخط الصحيح. وفسرها بعض علماء اللغة بمعنى «الإعتدال» ولا يستبعد الجمع بين المعنيين.الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٣٩٧.

قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قالﷺ: (قُلْ: آمَنْتُ بِالله، فَاسْتَقِمْ)[1].

وقد صرحت بالاستقامة نصوص في كتاب الله، مع ما أعدَّه تعالى للمستقيمين، منها ما جاء في الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[2]، (وهذا من بدائع جوامع الكلم فقد جمعتا جميع معاني الإيمان والإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً، إذ الإسلام توحيد وهو حاصل بالجملة الأولى ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ والطاعة بسائر أنواعها في ضمن الثانية ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ إذ الاستقامة امتثال كل مأمور وتجنب كل منهي وعرفها بعضهم بأنها المتابعة للسنن المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية)[3].

فقد بشر الله تعالى أهل الاستقامة﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ منذ أول لحظات احتضارهم بأنهم تتنزل عليهم الملائكة لتبشرهم ملائكة الله تعالى بسبع مواهب عظيمة عندما تهبط عليهم، ففي ظل الإيمان والاستقامة يصل الإنسان إلى مرحلة بحيث تنزل عليه الملائكة وتعلمهُ، نذكرها هنا كما قالها السيد ناصر مكارم الشيرازي، وهي:

فبعد البشارتين الأولى والثانية والمتمثلتين بعدم (الخوف) و(الحزن)، تصف الآية المرحلة الثّالثة بقوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

والبشارة الرّابعة يتضمّنها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فلن نترككم وحيدين، بل نعينكم في الخير ونعصمكم عن الانحراف حتى تدخلوا الجنّة.

والبشارة الخامسة قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ أي في الجنّة.

أمّا البشارة السادسة فلا تختص بالنعم المادية وما تريدونه، بل الاستجابة إلى العطايا والمواهب المعنوية: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

أمّا البشارة السابعة والأخيرة فهي أنّكم ستحلون ضيوفاً لدى الباريء عزّوجلّ وفي جنته الخالدة، وستقدم لكم كلّ النعم تماماً مثلما يتمّ الترحيب بالضيف العزيز من قبل المضيف: ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[4][5].

٣ـ الابتعاد عن مسببات عذاب القبر

يُعَد الابتعاد عن مسببات عذاب البرزخ من الجرائم والذنوب هو ذاته ما يجلب النعيم في تلك الدار، يقول في ذلك الدكتور نور الدين ابو لحية: (إن الإنذار نفسه يتضمن تبشيراً، ذلك أن التحذير من تلك الجرائم والذنوب، يبين أن الابتعاد عنها، يقي صاحبها من المهالك التي تعترضه، وفي ذلك أعظم بشارة، ولذلك قيل: (إنك إن تخالط أقواماً

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ح ٣٨: ١/ ٦٥.

(٢) [سورة فصلت: الآيات ٣٠ ـ ٣٢].

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، الشيخ عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، نشر المكتبة التجارية الكبرى. مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦: ٤/ ٥٢٣.

(٤) [سورة فصلت: الآية ٣٢].

(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٣٩٧، ٣٩٨.



يخوفونك حتى يدركك أمن، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف)[1])[2].

ويضيف الدكتور نور الدين في كتابه أسرار ما بعد الموت: (البرزخ مدرسة من المدارس التربوية التي يربي الله فيها عباده، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتهذيب نفوسهم لتصلح للدخول للجنة التي لا يدخل إليها إلا الطيبون، فقد اهتمت النصوص المقدسة بأنواع الدروس التي تقدم في هذه المرحلة أكثر من اهتمامها بالنعيم الذي يلقاه المقيمون فيها. وهي تدخل ضمن الإنذار النبوي، وهو لا يقل أهمية عن التبشير النبوي، إن لم يكن يفوقه، فالتبشير قد يكفي فيه الحديث والحديثان، لكن الإنذار يحتاج إلى المزيد من التفاصيل)[3].

وقد جمع ابن القيم رحمه الله (ت٧٥١هـ) في كتابه(الروح) مسببات العذاب البرزخي بقوله (جوابها من وجهين مجمل ومفصل، أما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فان عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب)[4].

لذلك يُعَد الايمان بنعيم القبر وعذابه درساً بليغاً في إصلاح الإنسان وانقاذه من الهلاك، وذلك من خلال ما روي فيه من ذكر أسباب هذا العذاب ومقدماته، وسنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد في النصوص الكريمة من ذلك[5]، لنرى من خلالها دور الإيمان بالبرزخ في التربية والإصلاح.

١ـ الظلم والطغيان والاستبداد: ولعله من أكبر أسباب العذاب في البرزخ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[6]، وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ)[7]. ويوم القيامة، لا يشمل الموقف فقط، بل يبدأ من الموت نفسه، كما ورد في الحديث (مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ)[8].

٢ـ الكفر والنفاق: ويشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[9]، فقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ يشير

(١) ذكر هذا القول الغزالي في الإحياء بقوله: (وقيل للحسن، يا أبا سعيد كيف نصنع نجالس أقواماً يخوفوناً حتى تكاد قلوبنا تطير!!، فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً...) إحياء علوم الدين: ٤/ ١٦٢.

(٢) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٨١.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٩، ١٨٠.

(٤) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م: ٧٧.

(٥) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٨٣ ـ ١٨٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ح٢٣١٥: ٢/ ٨٦٤، وبحار الأنوار: ٦/ ٣٢١.

(٧) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح٢٥٧٨: ٤/ ١٩٩٦.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب سكرات الموت. ح ٦١٤٦: ٥/ ٢٣٨٧.

(٩) [سورة التوبة: الآية ١٠١].

إلى أن أحدهما في الدنيا، والآخر في البرزخ[1].

٣ـ الذنوب المرتبطة باللسان: كالغيبة والنميمة والكذب وغيرها، والتي ورد فيها قوله ﷺ في ان الجزاء والعذاب البرزخي إنما يكون بما يقدمه الإنسان في حياته من قولٍ أو فعلٍ دلَّ على خيرٍ أو شر، وهو درس تربوي بليغ في الحرص عن الوقوع في مهالك آفات اللسان وغيرها، ومما ورد في ذلك في صحيح البخاري حين اتى ﷺ يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقالﷺ: (قَدْ قَضَى؟)، قالوا لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، ولما رأى القوم بكاءه بكوا فقال ﷺ: (أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَّ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا ـ وأشارَ إلى لسانه ـ أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)[2].

وكذلك ما رُويَ من قوله ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟) قلت بلى يا نبي الله فأخذ ﷺ بلسانه وقال: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال ﷺ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟!)[3].

وقد ورد في الأحاديث والروايات أيضاً ما يدل على ذلك، ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وجَل مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ)[4].

وفي حديث الإسراء بالنبي ﷺ، حيث يصف ما يحصل في البرزخ للكذابين، إذ يقول ﷺ: (فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ[5] إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ ﷺ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللهَّ! مَا هَذَانِ؟). ثم قال عن هذا المعذب في آخر الحديث: (فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ)[6].

٤ ـ الذنوب المرتبطة بالطهارة: ومما رويَ إنه ﷺ مرَّ بقبرين فقال: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ من كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ)[7].

---

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ح ١٢٤٢: ١/ ٤٣٩.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الايمان، حرمة الصلاة، جزء من ح٢٦١٦: ٥/ ١١، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٤) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح ١٣٣٦٤: ٣/ ٢٢٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم من جهة عبد الرحمن بن جبير، وأما متابعه راشد بن سعد، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة.

(٥) يشرشر شدقه: شدقه أي يقطعه ويشقه، والشرشرة أصلها أخذ السبع بفيه. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/ ١٣٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ح ٦٦٤٠: ٦/ ٢٥٨٣.

(٧) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب الجيد على القبر، ح ١٢٩٥: ١/ ٤٥٨.



ومنها ما ورد عنه ﷺ في قوله: (إِنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ)[1].

٥ ـ الذنوب المرتبطة بالأموال: وقد أشار إليها في حديث الاسراء والمعراج، والذي يُعَد بحد ذاته دليلاً على الحياة البرزخية إذ رأى النبي ﷺ أصناف النعيم للأنبياء والمقربين الذين فارقوا الحياة الدنيا، وكذلك أصناف العذاب للعصاة، ومنها ما وردَ بقوله ﷺ: (فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا) إلى أن قال ﷺ: (وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا)[2].

ومنها ما ورد في المتهاونين في أداء ما عليهم من ديون، فعن سعد بن الأطول قال: مات أخي وترك ثلاث مائة دينار، وترك ولدا صغاراً، فأردت أن أنفق عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنِهِ، فَاذْهَبْ، فَاقْضِ عَنْهُ)، قال: فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت فقلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه ولم يبق إلا امرأة تدعي دينارين، وليست لها بينة، قال: (أَعْطِهَا، فَإِنَّهَا صَادِقَةٌ)[3].

٦ ـ الذنوب المرتبطة بالأعراض: ويشير إليها قوله ﷺ في الاسراء السابق: (فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا [أي: صاحوا] قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَؤُلَاءِ ؟) وفي آخره: (وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي).

٧ ـ الذنوب المرتبطة بالتهاون بالعبادات: وقد أشار إليها قوله ﷺ في المتهاونين في قراءة القرآن الكريم والمتهاونين في الصلاة، في نفس حديث الاسراء، إذ قال ﷺ: (أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ).

وفي الحديث نفسه يذكر المتهاونين في صيام رمضان، قال ﷺ: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا فَقَالَا لِيَ: «اصْعَدْ» فَقُلْتُ: «إِنِّي لَا أُطِيقُهُ»، فَقَالَا: «إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ»، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ فَقُلْتُ: «مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ؟» قَالُوا: «هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ»، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٌ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، قَالَ: قُلْتُ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ)[4].

---

(١) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، ح ٩٠٤٧: ٢/ ٣٨٩، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ح٦٦٤٠: ٦/ ٢٥٨٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، بقية حديث سعد بن الأطول، ح ١٧٢٦٦: ٤/ ١٣٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الصوم، حديث شعبة، ح ١٥٦٨: ١/ ٥٩٥، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.



٨ ـ الذنوب المرتبطة بالمسيئين للدين: وهم الذين يمثلونه تمثيلاً خاطئاً، فيقفون حجاباً بين الخلق والدين الصحيح، وإليهم الإشارة بقوله ﷺ: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ ﷺ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ)[١].

المطلب الثالث: تباين مراتب الجزاء بعد الموت بتباين مراتب الأعمال

بناءً على تمثل الأعمال للعباد يوم القيامة، سأذكر في هذا القسم من المقاصد أهم تجلياتها التي تظهر بعد الموت مباشرةً، متمثلةً بمختلف مظاهر الثواب والنعيم، أو العقاب والعذاب البرزخيين، وذلك بحسب ما دلت عليه النصوص الكريمة، والتي ذكرت أن تلك التجليات تختلف بحسب اختلاف درجات العاملين ومراتبهم، وهي درجات لا نهاية لها، لكن القرآن الكريم قسمها إلى ثلاثة أقسام كبرى: المقربين، وأهل اليمين، وأهل الشمال.

فالمؤمنون المطيعون قد تجلت في جزائهم بكرمه تعالى ولطفه بهم حسب ما قدموه من طاعات وأعمال صالحة، سواء كانوا من المقربين أو من أصحاب اليمين، أما أصحاب الشمال، والذين خلطوا بين الأعمال الصالحة والأعمال السيئة في حياتهم الدنيا، فتتجلى عدالة الله تعالى لهم بتأديبه للمسيئين منهم.

ولذلك تظهر في تلك الحياة التي تلي الموت مباشرة الأشياء على ما هي عليه في الواقع، كما قال تعالى مخبراً عن ساعة الاحتضار: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٢].

فتبين الآيات الكريمة إن البشر بعد موتهم يُصَنفون الى ثلاثة أصناف، المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ويأتي هذا التصنيف بعد الآيات التي تحدثت عن وصول الروح الى الحلقوم، والتعبير عن التصنيف فيه بـ(إما) التي تدل على الاتصال في اللغة، فدلَّ ذلك الى ان هذا التصنيف يُصار اليه مباشرةً بعد الموت بلا إي تأخير، أي قبل يوم القيامة[٣].

وبناءً عليه سيكون تقسيم مقاصد هذا المطلب بحسب أصنافهم الثلاث.

(١) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ح ١٢٢٣٢: ٣/ ١٢٠، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

(٢) [سورة الواقعة: الآيات ٨٣ ـ ٩٤].

(٣) (يُنظَر) دراسات عقائدية: ٣٦٦.



المقصد الأول: تجليات نعيم القبر للمقربين

يذكر القرآن الكريم أنَّ أفضل التجليات وأعظمها وأسعدها التجلي المرتبط بمصير المقربين؛ ذلك لأنهم كانوا أكثر الخلق رغبة في الله تعالى وفيما عنده، ولهذا بمجرد أن تزاح عن أعينهم غمامة الحجاب تبرز لهم الجنان العظيمة التي كانت مخفية عنهم، وقد ذكر الله تعالى ذلك، فقال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[١]، وقد ورَد في معنى الرَوح هنا (وجوه الأول: هو الرحمة قال تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾[٢] أي من رحمة الله، الثاني: الراحة، والثالث: الفرح، وأصل الروح السعة)[٣]، وجميعها تدل على الخير والعوض الذي أعدَّه تعالى لهم.

كما أشار إلى ذلك قوله تعالى في خطاب هذا النوع من النفوس الممتلئة بسكينة الإيمان: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٤]، ففي وصفه تعالى لاطمئنان النفس إشارة إلى صفة أخرى من صفات المقربين، وربما تكون السبب في جعل الموت يسيراً عليهم، وهو الاطمئنان الحاصل من الإيمان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٥].

يقول ناصر مكارم الشيرازي مبينا أسباب التحلي بهذه الصفة وأهميتها: (ويعود اطمئنان النفس، لاطمئنانها بالوعود الإلهية من جهة، ولاطمئنانها لما اختارت من طريق. وهي مطمئنة في الدنيا سواء أقبلت عليها أم أدبرت، ومطمئنة عند أهوال حوادث يوم القيامة الرهيبة أيضاً)[٦].

فتبدأ ملامح نجاة المؤمن الذي زكَّى نفسه عن رذائل الصفات والأعمال منذ أول لحظات توفي الملائكة لروحه وانتقاله الى النشأة البرزخية، حيث قال فيهم تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧].

أما سر هذا السلام في الآية الكريمة الذي حظي به هؤلاء الطيبون من قِبَل الملائكة في ذلك الموقف فقد أشار إليه الإمام الرازي رحمه الله (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره قائلاً: (وقوله: طيبين كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به، واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة مبرئين عن الأخلاق المذمومة، ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية متوجهين إلى حضرة القدس

(١) [سورة الواقعة: الآيتان ٨٨، ٨٩].

(٢) [سورة يوسف: من الآية ٨٧].

(٣) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٤٣٧.

(٤) [سورة الفجر: ٢٧- ٣٠].

(٥) [سورة الرعد: الآية ٢٨].

(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ١٩٨.

(٧) [سورة النحل: الآية ٣٢].

والطهارة، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح وأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها، ومن هذا حاله لا يتألم بالموت)[1].

وهذه المرتبة من المقربين لا ينالها جميع الخَلْق، إلا من زكَّى نفسه عن الكثير من مغريات الحياة الدنيا الفانية، وقدَّم لها من الأعمال الصالحة في حياته الدنيا ما جعله مستحقاً لهذه المنزلة العظيمة، ويدخل فيمن حملوا هذه الصفات كلُّ مَن زكَّى نفوسَهم اللهُ تعالى من موبقات الذنوب وسيئات الأعمال، ممن ارتضاهم ليكونوا أهلاً لهذه المنزلة، ومن بين المقربين الأنبياء عليهم السلام والشهداء والصديقون والصالحون، ومن اتبعهم في طريق رضوان الله تعالى فحصل على منزلتهم ومراتبهم العالية.

١ـ تجليات نعيم القبر للأنبياء عليهم السلام

فضلاً عن المنزلة العظيمة التي وعد تعالى بها عباده المقربين في الجنة، فقد تواترت الأخبار عن حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، إذ إن حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء عليهم السلام معلومة علماً قطعياً، لما قام من الأدلة في ذلك، وتواترت بها الأخبار الصحيحة[2].

ومن هذه الأخبار ما روي من قوله ﷺ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ)[3]، وهذه تُعَد فضيلة بحد ذاتها، وكذلك قوله ﷺ: (الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ)[4].

وفضلاً عن حياتهم في قبورهم فإن لهم النعيم العظيم من جزاء الله تعالى في هذه الدار من قبل دخولهم جنات الخلود؛ بدليل ما رُوي في منازلهم وعلو مقاماتهم في جنة البرزخ في حديث النبي ﷺ ليلة الاسراء، فقد رآهم عليهم السلام في حياته، برغم وفاتهم عليهم السلام وقبل بعثهم من قبورهم، ولما ثبُت من صدق رؤياه ﷺ، ومما ورد في هذا الحديث الشريف (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٥.

(٢) (يُنظَر) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ـ محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت١٣٤٥هـ)، المحقق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية ـ مصر، الطبعة الثانية ١٣٢٨هـ، ح ١١٥: ١٣٥

(٣) مسند الامام احمد، مسند المدنيين، حديث أوس بن أبي أوس الثقفي، ح ١٦٢٠٧: ٤/ ٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح غير صحابيه فمن رجال أصحاب السنن.

(٤) مسند أبي يعلي الموصلي ـ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مسند أنس بن مالك، ثابت البناني عن أنس، ح ٣٤٢٥: ٦/ ١٤٧، وقال محقق المسند حسين سليم أسد: إسناده صحيح.



بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ اُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى)[2]. الحديث.

وقال ابن القيم رحمه الله (ت٧٥١هـ) في كتاب الروح: (صح عن النبي ﷺ إنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء، خصوصاً بموسى عليه السلام، وقد أخبر ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ)[3]، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء عليهم السلام إنما هو راجع إلى أن غُيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة عليهم السلام، فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم)[4].

وإن منازلهم في ذلك العالم كما أشار إليها حديث الإسراء وغيره من الروايات بأنها في أعلى عليين، فـ(الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء)[5].

أما ما قد يَرِد في بعض الأخبار من ذكر لما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته، فذكر القرطبي[6] رحمه الله (٦٧١هـ) في التذكرة إن هذا له فائدتان:

---

(١) [سورة مريم: الآية ٥٧].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء، جزء من ح ١٦٢: ١/ ١٤٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح ١٠٨٢٧: ٢/ ٥٢٧، وتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناد حسن.

(٤) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء: ٣٦، و(يُنظَر) نظم المتناثر: ١٣٥، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تدقيق وتعليق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، بيروت: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ١/ ٣٨٢.

(٥) الروح: ١١٥، و(يُنظَر) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١: ٣٩٦.

(٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، وكان ورعاً متعبداً، طارحا للتكلف، من كبار المفسرين. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه [الجامع لأحكام القرآن]، و[الأسنى في شرح أسماء الله

إحداهما: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً، ويرى سهولة خروج روحه، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم: شدة ألمه، مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم، قطع الخلق بشدة الموت الذي يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار.

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله، وأنبياؤه ورسله، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين، كما قال في قصة إبراهيم عليه السلام: أما إنا قد هونا عليك.

فالجواب: أن أشد الناس بلاء في الدنيا (الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ)[١]، فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضلهم لديه، ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك في حقهم نقصاً، ولا عذاباً.

بل هو كما قال، كمال رفعة، مع رضاهم بجميل ما يجزي الله عليهم، فأراد الحق، سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم، ليرفع منازلهم، ويعظم أجورهم قبل موتهم[٢].

كما ابتلى الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالنار، وموسى عليه السلام بالخوف والأسفار، وعيسى عليه السلام بالصحارى والقفاز، ونبينا محمداً ﷺ بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار، كل ذلك لرفعة في أحوالهم عليهم السلام ،وكمال في درجاتهم، ولا يُفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم، ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا[٣].

٢ـ تكريم شأن النبي ﷺ في البرزخ وتواصله مع أمته

كما تدل رواية حديث الاسراء والمعراج بأن الأنبياء عليهم السلام مع علو شأنهم في البرزخ فإنهم مع تواصل في الحياة الدنيا، ورؤية النبي ﷺ لهم وصلاته بهم تدل على ذلك، فضلاً عن قوله ﷺ: (مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ) وزادَ في حديث عيسى (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي)[٤]، كما تدل روايات كثيرة على تواصل النبي ﷺ مع أمته ولو بعد وفاته، وعرض أعمال أمته عليه ﷺ، ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥]، كما يدل عليه قوله ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: قَالُوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتنا عليك، وقد أرِمتَ ـ يقولون بليتَ ـ؟ فقال ﷺ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ

الحسني]، و[التذكار في أفضل الأذكار]، و[التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة]، وغيرها. (يُنظر) الأعلام للزركلي: ٥/ ٣٢٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولى فالأولى، ح ٤٣٢٤: ٥/ ٢١٣٩.

(٢) (يُنظر) التذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة: ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﷺ، ح ٢٣٧٥: ٤/ ١٨٤٥.

(٥) [سورة التوبة: الآية ١٠٥].



وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ)[١].

كما ورد في الروايات سعة تأثيره ﷺ في حياة الأمة جميعاً، وهم لذلك يمكنهم أن يتوسلوا به أو يستغيثوا مثلما كانوا يفعلون في حياته تماماً، وقد روي في ذلك قوله ﷺ: (حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم)[٢]، وهو دليلٌ على أن موته ﷺ لم يقطع صلته بالله، بل إنه زادها.

وقد ألف في هذا الحديث المحدث الكبير عبد الله بن الصديق الغماري[٣] جزءا حديثياً خاصاً سماه (نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال) قرظه له شقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري الحسني، وذكر فيه بتفصيل كلمات من صححوه من أمثال الحافظ النووي، والحافظ ابن التين، والقرطبي، والقاضي عياض، وابن حجر العسقلاني، والحافظ زين الدين العراقي، وولده الحافظ ولي الدين العراقي أبو زرعة، والحافظ السيوطي، والحافظ الهيثمي كما في (مجمع الزوائد)، والمناوي في (فيض القدير)، والحافظ المحدث السيد أحمد الغماري، وعبد الله بن الصديق رحمهم الله تعالى، وغيرهم كثير[٤].

ولهذا فهم كل العلماء من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٥] شمولها لكل الأزمنة، وعدم اقتصارها على زمان حياته ﷺ[٦].

والروايات الكثيرة حول الاستدلال بالآية من لدن السلف الأول، تدل على اشتهار ذلك واعتباره، منها ما رواه ابن الجوزي[٧] رحمه الله (ت ٥٩٧هـ) عن محمد بن حرب الهلالي رضي الله عنه، قال: (دخلت المدينة، فأتيت قبر رسول الله

---

(١) سنن أبي داود سنن أبي داود ـ الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، ضبط وتحقيق وتعليق: شُعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق ـ الحجاز، طبعة خاصة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، في تفريع أبواب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، ح ١٠٤٧: ٢/ ٢٧٩، وقال شعيب الأرنؤوط ومحمد فودة محققي السنن: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ـ مصر، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م، باب ما يحصل لأمته ﷺ من استغفاره بعد وفاته، ح ١٤٢٥٠: ٩/ ٢٤، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي، المحدِّث الحافظ، فقيه أصولي، متكلم متفنن، ولد بطنجة، ودرس في فاس على شيوخها، ثم دخل القرويين، ودرَّس بالزاوية الصديقية، وأكثر من المطالعة في مختلف الفنون، له مصنات عديدة منها: [إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيد الأنبياء]، و[بيني وبين الشيخ بكر أبو زيد]، [سمير الصالحين]، وغيرها. (يُنظر) تكملة معجم المؤلفين ـ وَفيات (١٣٩٧ ـ ١٤١٥هـ) (١٩٧٧ ـ ١٩٩٥م)، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م: ٣٤٩ ـ ٣٥٤، وتتمة الأعلام للزركلي، ويليه المستدرك الأول والثاني ـ محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ: ٢/ ٢٣ ـ ٢٥.

(٤) (يُنظَر) نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال، العلَّامة محمد ابن صديق الغمازي الادريسي، مكتبة القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

(٥) [سورة النساء: من الآية ٦٤].

(٦) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٩٤.

(٧) عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الجوزي، إمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة، منها [زاد المسير في علم التفسير]، و[المنتظم]، في التاريخ، و[الموضوعات]، و[المعارف]، وكتبه أكثر من أن تعد. وكتب بخطه شيئاً كثيراً، وله محاسن كثيرة يطول شرحها. وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان، وقيل عشر وخمسمائة. وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. (يُنظَر) وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٠.

ﷺ، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل! إن الله [عز وجل] أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، إني جئتك مستغفراً إلى ربك من ذنوبي، مستشفعاً بك، ثم بكى وأنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فرقدتُ، فرأيت رسول الله ﷺ في نَوْمِي وهو يقول: (الْحَقِ الرَّجُلَ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي)(١).

يقول تقي الدين السبكي(٢) رحمه الله (ت ٧٥٦هـ): (دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة، فهي رتبة له لا تنقطع بموته، تعظيماً له. والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة، فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى)(٣).

وقال الشوكاني رحمه الله(٤) (ت١٢٥٠هـ) في نيل الأوطار(ووجه الاستدلال بها أنه ﷺ حي في قبره بعد موته كما في حديث (الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ)(٥) وقد صححه البيهقي وألف في ذلك جزءاً.

قال الأستاذ أبو منصور البغدادي(٦) رحمه الله (ت ٤٢٩هـ): (قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا ﷺ

---

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ـ المؤلف: جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، تقديم: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م: ٢/ ٣٠٢.

(٢) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام الخزرجي السبكي قاضي دمشق تقي الدين السبكي، كان واسع المعرفة بالحديث والفقه والأصول والنحو وغير ذلك ووصف بالاجتهاد، وله تواليف حسنة منها [شرح على منهاج النووي]، في مجلدات انتهى فيه إلى الطلاق وقطعة شرح بها بعض المهذب للشيخ أبي إسحاق كمل به على شرح الشيخ محيي الدين النووي، سمع على الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي جميع كتاب الحلية لأبي نعيم الأصبهاني وكتاب [المستخرج على صحيح مسلم] له، ومات في ثالث جمادى الأخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة بجزيرة الفيل ظاهر القاهرة وله اثنان وسبعون سنة. (يُنظَر) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ـ محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م:٢/ ١٩٨، ١٩٩.

(٣) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، العلّامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، اعتنى به: منصور خليفة الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ٦٦.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. كان ممنيرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها [نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار]، و[البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع]، و[إتحاف الأكابر]، وفتح القدير] في التفسير، و [إرشاد الفحول]، وغيرها، ولي قضاء اليمن سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. (يُنظر) الأعلام: ٦/ ٢٩٨.

(٥) مسند أبي يعلي الموصلي، مسند أنس بن مالك، ثابت البناني عن أنس، ح ٣٤٢٥: ٦/ ١٤٧، (وقال محقق المسند حسين سليم أسد: إسناده صحيح). (سبق تخريجه)

(٦) الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب؛ كان ماهراً في فنون عديدة لا سيَّما علم الحساب، وله فيه تواليف نافعة، منها كتاب [التكملة]، وكان عارفاً بالفرائض والنحو، وله أشعار، وكان ذا مال وثروة وأنفقه على أهل العلم ولم يكتسب بعلمه مالاً، وصنف في العلوم وأربى على أقرانه في الفنون ودرس في سبعة عشر فناً، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة بمدينة إسفراين. (يُنظر) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٣.

حي بعد وفاته)[١]، ويؤيد ذلك ما ثبت أن الشهداء أحياء يرزقون في قبورهم والنبي ﷺ منهم، وإذا ثبت أنه حي في قبره كان المجيء إليه بعد الموت كالمجيء إليه قبله)[٢].

كما يبين ناصر مكارم الشيرازي إن الآية الكريمة تصرح بأن الاستشفاع بالنّبي ﷺ إلى الله تعالى، وطلب الاستغفار لمغفرة المعاصي، مؤثر في قبول التوبة وشمول الرحمة الإلهية؛ وغاية ما في الباب أنّ على العصاة والمذنبين أنفسهم أن يتوبوا هم ويرجعوا عن طريق الخطأ، ثمّ يستفيدوا ـ لقبول توبتهم ـ من استغفار النّبي ﷺ، ومن البديهي أنّ النّبي ﷺ ليس من شأنه أن يغفر الذنوب، بل شأنه في المقام أن يطلب من الله المغفرة خاصّة[٣].

وقد أُيد ذلك بأحاديث عدة تشير إلى مدى تأثيره ﷺ في حياة الأمة، بعد وفاته، ومنها ما رُوِي عن عثمان بن حُنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال رسول الله ﷺ: (ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَيُجَلِّي لِي عَنْ بَصَرِي، اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي)، قال عثمان: فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط)[٤].

وقد فهم الصحابة وكل العلماء من الحديث شموله لحياة رسول الله ﷺ وبعدها، حتى راوي الحديث فهم منه ذلك، فقد روي عنه رضي الله عنه أنّ رجلاً كان يختلف على عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجته، وكان رضي الله عنه لا يلتفت إليه، فلقي ابن حنيف رضي الله عنه وقال له: (ائت الميضأة ثم ائت المسجد فصلّ فيه ركعتين وقل: ((اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمةِ، يا محمدُ إنِّي تَوَجَهتُ بِكَ إلى ربِّي فتقْضِي لي حاجَتي) وتذكر حاجتك، ورُح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال رضي الله عنه : حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجّة، فاذكرها، ثم إنّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمتَه فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمتُه فيك، ولكنّي شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي ﷺ. الحديث[٥].

---

(١) نُقِل قوله هذا عن كتاب أجوبة مسائل الجارميين لكنني لم أعثر عليه، إلا إنه أورده الكثير من العلماء غير الشوكاني، منهم السيوطي في تنوير الحلك في رؤية النبي والملك ـ جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ١٥.

(٢) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ٥/ ١١٣.

(٣) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣/ ٣٠٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح، ح ١٩٣٠: ١/ ٧٠٧، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يُخرِجاه.

(٥) المعجم الكبير ـ الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج الأحاديث: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، باب العين، عثمان بن حنيف الأنصاري من أخباره، الأثر ٨٣١١: ٩/ ٣٠.



٣ ـ تجليات نعيم القبر في مصير الشهداء

يدخل الشهداء الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى، ممن أرادوا بشهادتهم نيل الفوز بأجر الدار الأخرة ونعيمها ضمن مرتبة المقربين الذين بشرهم تعالى بهوان موتهم على أنفسهم لما سينالون من عظيم الأجر حال خروج أرواحهم من أجسادهم، وحياتهم البرزخية المتواصلة، وهو ما يشير إليه قوله تعالى في وصف مصيرهم، وكونهم أحياء في حياتهم هذه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

ويذكر العلامة الطباطبائي رحمه الله (ت ١٤٠٢هـ) في معرض تفسيره للآية الكريمة فيهم: (أنهم فرحون بما وجدوه من الفضل الإلهي الحاضر المشهود عندهم، ويطلبون السرور بما يأتيهم من البشرى بحسن حال من لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون[٢]، ومن ذلك يظهر:

أولاً: أن هؤلاء المقتولين في سبيل الله تعالى يأتيهم ويتصل بهم أخبار المؤمنين الباقين بعدهم في الدنيا.

وثانياً: إن هذه البشرى هي ثواب أعمال المؤمنين، وهو أن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وليس ذلك إلا بمشاهدة هذا الثواب في دارهم التي هم فيها مقيمون)[٣].

ودلالة هذا الجزاء أيضاً ما تلت هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهَّ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَّ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، حيث إن (هذا الاستبشار أعمُّ من الاستبشار بحال غيرهم وبحال أنفسهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَّ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنه بإطلاقه شاملٌ للجميع، ولعل هذه هي النكتة في تكرار الاستبشار، وكذا في تكرار الفضل)[٥].

كما رُوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قوله: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟) قلت يا رسول الله استشهد أبي قُتل يوم أحد وترك عيالاً ودَيناً قال: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُّ بِهِ أَبَاكَ ؟) قال: قلت بلى يا رسول الله، قال ﷺ: (مَا كَلَّمَ اللهُّ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ﴾، قَالَ ﷺ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٦].

كما ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله قوله ﷺ فيهم: (الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ ـ نهرٍ بباب الجنة ـ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ

---

(١) [سورة آل عمران: الآيتان ١٦٩، ١٧٠].

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٦٣.

(٤) [سورة آل عمران: الآيتين ١٦٩، ١٧٠].

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٦٣.

(٦) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة آل عمران، ح ٣٠١٠: ٥/ ٢٣٠، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[1].

حيث بشَّر تعالى بكرامتهم وما أعدَّه لهم من الجزاء، بدلالة تبليغ النبي ﷺ وتبشيره بأحوالهم هذه، ومنها ما رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس رضي الله عنها قريبة منه إذ رد السلام، ثم قال: (يا أسماءُ هذا جَعْفرُ بنُ أبي طالبٍ مع جِبْريلَ وميكائيلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعليهما، مَرُّوا فسلَّموا علينا فردَدْتُ عليهم السَّلامَ، وقد أخبَرَني أنَّه لقي المُشرِكينَ يومَ كذا وكذا، فأُصِبْتُ في جسَدي مِن مَقاديمي ثلاثًا وسبعينَ بَيْنَ طَعْنةٍ وضَرْبةٍ، ثمَّ أخَذْتُ اللِّواءَ بيدي اليُمنى فقُطِعَتْ، ثمَّ أخَذْتُه باليدِ اليَسرَى فقُطِعَتْ، فعوَّضني اللهُ مِن يدي جَناحَيْنِ أطيرُ بهما مع جِبْريلَ وميكائيلَ في الجنَّةِ، أنزِلُ منها حيثُ شِئْتُ وآكُلُ مِن ثمارِها ما شِئْتُ)[2].

فهذا الحديث يشير إلى أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عوض مباشرة جسداً جديداً متناسباً مع نفسه المطمئنة الممتلئة بالإيمان، وأنه في تلك اللحظات مباشرة، صار يطير مع الملائكة، ويأتي فيسلم على النبي ﷺ، فيتعامل مع كلا العالمين: عالم الدنيا، وعالم الآخرة، أو عالم الملك وعالم الملكوت[3].

كذلك يدل الحديث الشريف على استحباب السلام عليهم لفعل النبي ﷺ لذلك، فضلاً عما روي عنه ﷺ من قوله حين يدخل المقبرة: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)[4].

ويقول فيه أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي[5] رحمه الله (ت ٦٥٦هـ): (وتسليمه ﷺ عليهم لبيان مشروعية ذلك، وفيه معنى الدعاء لهم، ويدل أيضاً على حسن التعاهُد وكرم العَهد، وعلى دوام الحُرمة، ويحتمل أن يَرد الله تعالى أرواحهم فيسمعون ويردون)[6].

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ) (وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلَّموا على أهل القبور أن يسلموا

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، ح ٢٣٩٠: ١/ ٢٦٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) المعجم الأوسط. الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، قسم التحقيق بدار الحرمين، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين، القاهرة. مصر ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م، باب الميم، مَن اسمه محمد، ح ٦٩٣٦: ٧/ ٨٧، وقال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن عطاء إلا سعدان بن الوليد، تفرد بها: الحسن بن بشر، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ح ١٥٤٩٥: ٩/ ٢٧٣، وقال في إسناده سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، جزء من ح ٢٤٩: ١/ ٢١٨.

(٥) أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، القر طبي المالكي، المحدث المدرس،وُلد بقرطبة سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وسمع بها من علي بن مُحَمَّد بن حفص اليحْصبي، اختصر الصّحيحيْن، ثم شرح [مختصر مسلم] بكتاب سمّاه [المفهم]، وأتى فيه بأشياء مفيدة. وكان بارعا في الفقْه والعربية، عارفا بالحديث، توفي بالإسكندرية في رابع عشر ذي القعدة، ويُعرف في بلاده بابن المزين سنة (٦٥٦هـ)، حمل عنه القاضي جمالُ الدين المالكي، وجماعة. (يُنظَر) تاريخ الإسلام: ١٤/ ٧٩٥.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ . ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو. أحمد محمد السيد. يوسف علي بديوي. محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق. بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق. بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ. ١٩٩٦م، باب الغرة والتحجيل من الاسباغ، ح ١٨٥: ١/ ٥٠٠.

عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به)(١).

ويدلُّ عليه أيضاً ما رواه الحاكم(٢) رحمه الله (ت ٤٠٥هـ) في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين انصرفَ من أُحد مرَّ على مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له ثم قرأ هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(٣)، ثم قال رسول الله ﷺ: (أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ; إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ)(٤).

والشهداء الذين شملهم الله تعالى بهذه المنزلة العظيمة قد ذكرهم النبي ﷺ فيما رواه الترمذي رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: (الشُّهَدَاءُ خَمْسٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(٥)، وكذلك الحديث الشريف الذي يليه من قوله ﷺ: (مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ)(٦).

فضلاً عن ذلك كله، فإن للشهداء منازلهم ومراتبهم المختلفة في جناتهم، إنما أعلاهم منزلةً من يكون مع المقربين من الأنبياء والصديقين الذين نالوا هذا الجزاء لهوان نفوسهم عليهم أمام ما أعدَّه تعالى لهم، بينما منهم من يُحبَس عن الجنة لعمل أو دَينٍ بقيَ بذمته، ومما يدلُّ على ذلك ما رُوي أن رجلاً جاءَ الى النبي ﷺ فسأله: يا رسول الله، ماذا لي إن قتلتُ في سبيل الله؟ قال ﷺ: (الْجَنَّةُ) فلما ولَّى قال ﷺ: (إِلَّا الدَّيْنُ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنِفًا)(٧).

ويعود ذلك لأهمية الأمانة وأدائها، إذ روي عن سعد بن الأطول، ما قاله للنبي ﷺ: أن أخاه مات، وترك ثلاث مائة درهم، وترك عيالاً، فأردت أن أنفقها على عياله، فقال النبي ﷺ: (إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ)،

---

(١) الروح: ٥.

(٢) الحافظ النيسابوري، إمام أهل الحديث في عصره، وواحد زمانه، في معرفة علومه، وكان قد أكثر من سماع الحديث، وجمع لنفسه معجماً يشتمل على ألفي شيخ، وله كتاب [الصّحيحين]، و[علل الحديث]، و[الأمالي]، و[الفوائد]، و[تراجم المسند على شرط الصّحيحين]، وكان إماماً في معرفة الفقه على مذهب الشافعي، وتوفّي عن مرض أيام قلائل في يوم الثلاثاء ثالث صفر من سنة خمس وأربع مائة. (يُنظر) الدر الثمين في أسماء المصنفين. علي بن أنجب بن عثمان، تاج الدين ابن السّاعي (ت٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين. محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م: ١٠١.

(٣) [سورة الأحزاب: الآية ٢٣].

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، قراءات النبي ﷺ مما لم يخرجاه وقد صَح، ح ٢٩٧٧: ٢/ ٢٧١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي قي التلخيص: أنا أحسبه موضوعاً.

(٥) سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الشهداء مَن هم، ح ١٠٦٣: ٣/ ٣٦٩، قال الترمذي: حديث أبي هريرة حسنٌ صحيح.

(٦) سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الشهداء مَن هم، ح ١٠٦٤: ٣/ ٣٦٩، قال الترمذي: حديث حسنٌ غريب.

(٧) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث عبد الله بن جحش، ح ١٩١٠٠: ٤/ ٣٥٠، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

فقال: يا رسول الله، فقد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليس لها بينة، قال: (فَأَعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ)(١).

ولا يقتصر أصناف المقربين على الأنبياء عليهم السلام والشهداء، بل إنه يشمل جميع الصديقين والصالحين الذي صدَّقوا النبي محمد ﷺ في حياته وبعد مماته ونالوا بإيمانهم وتصديقهم له الدرجات العليا التي استحقوا بها حصولهم على الرحمة الإلهية في النعيم المقيم في حياتهم البرزخية وما يتلوها في جنات الخلود.

المقصد الثاني: تجليات نعيم القبر لأصحاب اليمين

وقد ذكر القرآن الكريم التجليات المرتبطة بمصير هؤلاء، فقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾(٢).

وهي تشير إلى الرتبة التالية لرتبة الفائزين المقربين، والتي يعبر عنها بعض العلماء برتبة الناجين، ولهذا وصف القرآن الكريم جزاءها بكونه سلاماً، بخلاف جزاء المقربين الذي وصفه بكونه روحاً وريحاناً وجنة نعيم(٣).

وقد وصفهم الإمام الصادق عليه السلام، وفرق بينهم وبين المصدقين، فقال: (المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدَّق بعهد الله ووفى بشرطه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ﴾، فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يَشفع ولا يُشفع له، ومؤمنٌ كخامة الزرع، تعوجُّ أحياناً وتقوم أحياناً، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة وذلك ممن يُشفع له ولا يَشفع)(٤).

ويدخل في هؤلاء من يسميهم القرآن الكريم [المقتصدين]، والذين وضعهم الله تعالى ضمن أصناف المؤمنين المتبعين لورثة الكتاب: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(٥).

ويدخل فيهم أولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٦).

وما ورد في النصوص الكريمة يشير إلى أن نعيم البرزخ بعد الموت بصورته الكاملة الجميلة لا يناله إلا المقربون، أما أصحاب اليمين، فنعيمهم أقل، بل قد يختلط نعيمهم ببعض العذاب الناتج عن تقصيرهم في الطاعات أو قيامهم ببعض المعاصي، وكل ذلك عائدٌ الى عدالته تعالى في جزائهم على ما قدموه من أعمال وظهور آثارها في تلك

(١) مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، بقية حديث سعد بن الأطول، ح ٢٠٠٨٨: ٥/ ٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الملك أبي جعفر

(٢) [سورة الواقعة: الآيتان ٩٠، ٩١].

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٦

(٤) الكافي، كتاب الايمان والكفر، باب ان المؤمن صنفان، ح١: ٢/٣٥٤.

(٥) [سورة فاطر: الآية ٣٢].

(٦) [سورة التوبة: الآية ١٠٢].



النشأة. ولهذا يتحول الموت لهم إلى مدرسة تستمر فيها تربيتهم وإصلاحهم حتى يتخلصوا من تلك السيئات التي كانت تختلط مع أعمالهم الصالحة[1].

(ولهذا قد يشعر هؤلاء بسكرات الموت الشديدة، ويتألمون لها، وربما يتذكرون حينها ما اقترفوا من المعاصي، ويندمون عليها، وبذلك يتخلصون من الكثير منها.

فإن لم يكف ذلك عاينوا من أنواع الآلام في فترة البرزخ ما يساهم في تطييبهم وتطهيرهم. فإن لم يكف ذلك، أو كانت معاصيهم من الذنوب المتعدية، مروا على مواقف الحساب، وهناك يتعرضون للمزيد من عمليات التطهير والإصلاح التي تؤهلهم لدخول الجنة المناسبة لمرتبتهم)[2].

وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: (ما من المؤمنين عبدٌ يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتَّى يُبتلى ببليّة تُمَحَّصُ بها ذنوبه، إمّا في مالٍ، وإمّا في ولدٍ، وإمّا في نفسه، حتَّى يلقى الله عزّ وجلّ وما له ذنبٌ، وإنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيُشدَّدُ به عليه عند موته)[3].

أما سلام المؤمنين من الأحياء عليهم فقد ورد إن ذلك التكريم لا يقتصر على المقربين من أصحاب اليمين، بل إنه يشمل المؤمنين جميعاً، بدلالة ما نقله ابن عبد البر[4] رحمه الله (ت ٤٦٣هـ) قول النبي ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)[5].

ثم يعقب بعد ذكره للعديد من الأخبار في ذلك بقوله: (وهذا المعنى في الأخبار كثير جداً، وليس كتابنا هذا موضعاً لإيرادها، وفيما ذكرنا منها دليل على المراد من الاعتبار بها والفكرة في المصير إليها)[6].

ويستدل ابن القيم رحمه الله بـ(ما جرى عليه عمل الناس قديماً وإلى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثاً، وقد سُئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل)[7].

---

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٠.

(٣) الخصال ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ـ الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين ـ قم، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م: ٢/ ٦٣٥.

(٤) حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، مولده سنة ثمان وستين وثلاث مائة في شهر ربيع الآخر،وقيل في جمادى الأولى، وطلب العلم بعد التسعين وثلاث مائة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وكان فقيهاً عابداً متهجداً، علامة، متبحراً، له مصنفات كثيرة، منها: [الكافي في مذهب مالك]، و[الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو]، و[التقصي في اختصار الموطأ، و[البيان في تلاوة القرآن]، و[الإنصاف في أسماء الله]، وقد عاش خمسة وتسعين عاماً، ومات سنة ثلاث وستين وأربع مائة. (يُنظر) سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٥٣ ـ ١٥٩.

(٥) الاستذكار ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء: ١/ ١٨٥.

(٦) المصدر نفسه: ١/ ١٨٦.

(٧) الروح: ١٣.



كما يستدل رحمه الله بحديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ماتَ أَحَدٌ من إخوانِكم فسوَّيتمُ الترابَ عليهِ فليقمْ أحدُكم على رأسِ قبرِه ثم ليقلْ يا فلانَ بنَ فلانِ بنِ فلانةَ، فإنهُ يسمعُ ولا يُجيبُ، ثم يقولُ يا فلانَ بنَ فلانةَ فإنهُ يستوي قاعدًا ثم يقولُ يا فلانَ بنَ فلانةَ فإنهُ يقولُ أرشدْنَا رحِمَكَ اللهُ، ولكن لا تشعرونَ فليقلْ اذكرْ ما خرجتَ عليهِ من الدنيا شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ وأنكَ رضيتَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دِينًا وبمحمدٍ نبيًّا وبالقرآنِ إمامًا فإنَّ منكرًا ونكيرًا يأخذُ كلُّ واحدٍ منهما بيدِ صاحبِهِ ويقولُ انطلقْ بنا ما نقعدُ عندَ من لُقِّنَ حُجَّتَهُ فيكونُ اللهُ حجيجَهُ دونَهما) قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ فإن لم يَعرفْ أُمَّهُ؟ قال ﷺ: (فينسبُه إلى حوَّاءَ، يا فلانَ بنَ حواءَ)(١).

ثم يقول ابن القيم في الحديث الشريف (فهذا الحديث وإن لم يثبت فإتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير انكار كاف في العمل به، وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمةً طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وهي أكمل الأمم عقولاً وأوفرها معارف تطيق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك، لا ينكره منها منكِر بل سنَّه الأول للآخر ويقتدي فيه الآخر بالأول، فلولا أنَّ المخاطَب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وان استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه)(٢).

المقصد الثالث: تجليات عذاب القبر لأصحاب الشمال

اهتم القرآن الكريم بعرض مشاهد كثيرة لأصحاب الشمال، وهم الذين حادوا الله، إما بعدم الإيمان مطلقاً، أو بعدم الخضوع لما يتطلبه الإيمان من تكاليف وعباداتٍ وأعمال، مع الإصرار على ذلك، حيث نجد فيه المشاهد الكثيرة التي تصور أنواع الآلام التي يمر بها المجرمون أو العاصين من المؤمنين جزاء أعمالهم التي قاموا بها في المراحل المختلفة التي تمر بها حياتهم ابتداء من البرزخ، وانتهاء بدار القرار، ومن تلك المشاهد ما ورد من نصوص حول بيان مصيرهم عند الموت، ومنها ما ورد في آخر سورة الواقعة بعد ذكر المقربين وأصحاب اليمين، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(٣).

وهي تدل على أن هذا الصنف كان يعيش في هذه الأجواء بروحه ونفسه، وباطن دنياه، ولذلك بمجرد أن يرفع عنه الحجاب في تلك اللحظات الخطيرة، يكتشف الحقيقة، ويعرف أنه لم يكن سوى مثل ذلك المخدَّر الذي يعيش كل ألوان العذاب، وإن كان يتوهم أنه يعيش بسلام وطمأنينة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، باب الصاد، صدى بن عجلان أبو امامة الباعلي نزل الشام، ح ٧٩٧٩: ٨/ ٢٤٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزائد ومنبع الفوائد، باب تلقين الميت لا إله إلا الله، ح ٣٩١٨: ٢/ ٣٢٤، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير، وفيه من لا أعرفه، جماعة.

(٢) الروح: ١٣.

(٣) [سورة الواقعة: الآيات ٩٢ ـ ٩٤].



وبناء على هذا، فإن هذا الصنف يعاين العذاب ابتداء من تلك اللحظات التي تخرج فيها روحه، وهو جزاء موافق لعمله، لأنه لا يبدو له حينها إلا الصور الحقيقية لأعماله التي قدمها[1].

وقد ورد في نصوص القرآن الكريم ما يدل على أن هذا الصنف، وفي تلك اللحظات العصيبة، يطلب العودة للحياة لتصحيح ما أخطأ فيه، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَالله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

وإنما إخبار الله تعالى لهذه النتائج التي يتلقوها نتاج أعمالهم إنذاراً لهم لما سيلاقون بمجرد مغادرتهم هذه الحياة الدنيا بموتهم وانتقالهم الى النشأة الثانية، لذلك يحذرهم تعالى من هذا المصير، حيث ذكر أن هذه الحسرة ستظل في قلوبهم يرددونها كل حين، مع علمهم أنها لن تجديهم شيئاً، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[4][5].

كما ورد في الحديث الشريف ما يتلقوه من مسائلة الملائكة حال خروج ارواحهم من أجسادهم، وقد رُوي وصفه ﷺ لحالهم منذ انتزاع أرواحهم بقوله: (.ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ)، قَالَ ﷺ: (فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ)، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[6]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا)[7]الحديث.

---

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٣٢.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠].

(٣) [سورة المنافقون: الآيات ٩. ١١].

(٤) [سورة إبراهيم: الآيتان ٤٤، ٤٥].

(٥) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٣٣.

(٦) [سورة الأعراف: الآية ٤٠].

(٧) مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ح١٨٥٥٧: ٤/ ٢٨٧، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

لذلك فهؤلاء في البرزخ سيلاقون فضلاً عن الإهانة والسخط، فإنهم ستكون حسرتهم دائمة عليهم لما فرَّطوا بها خلَّفوه بعدَهم في الحياة الدنيا، وقد رُوي عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ، ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقام عليهم فناداهم، فقال: (يا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا) فسمع عمر ﷺ قول النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا) ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قليب بدر[١].

وتبعاً للعدالة الإلهية فإن عذابهم هذا قد يكون لفترة معينة حسب انتهاء فترة مؤاخذتهم عن ذنوبهم إن كانوا من عصاة المؤمنين، أو يكون مؤبداً إن كان من الكافرين، لذلك فالله تعالى يخاطب المسرفين على أنفسهم بألوان الذنوب قائلاً: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢]، فالله تعالى عرَّف نفسه لهؤلاء المسرفين بكونه غفوراً رحيماً، وإن هذا التعريف هو الذي يحرك القلوب للسير نحو الله، ويكبح الغرائز عن معارضة الرحيم الودود[٣].

ونخلُص من هذا المطلب في تباين مراتب الجزاء في البرزخ، أن ما ورد فيه من مظاهر النعيم والعذاب جميعها تعود الى الرحمة الإلهية في تطييب النفوس، حيث يعود النعيم الذي يلاقيه المقربين من أصحاب اليمين الى بشارة المؤمنين الصادقين بالجنان التي وعدهم بها تعالى، فتقر بها أنظارهم منذ لحظة رحيلهم عن هذه الدار الفانية، مع طمأنينتهم عمَّن يخلفوهم في الدار الدنيا وطمأنتهم على أحوالهم إن كانوا مؤمنين مع الدعاء لهم.

اما من خلطَ عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين فإنه قد يرى من عذاب البرزخ ما يراه بحسب ما قدَّمه من أعمال في حياته؛ لأجل أن يكون طاهراً من أدران ذنوبه، فيكون ما يراه من العذاب بمثابة درساً تربوياً يجعله أهلاً لمنزلة الجنة وكراماتها، فيندرج تحت عدالته تعالى ورحمته في هذا الجزاء.

أما أصحاب الشمال من العصاة والكافرين فإنهم سيجدون من المنغصات والضيق في القبر، ما يستمر بهم حتى استقرارهم الجحيم، وهذا ليس بظلمٍ من الله تعالى، بل بمحض قوته وعدالته وقدرته لأنهم لم يسلكوا طريق الحق، فحالوا أنفسهم عن طريق الإيمان الى الكفر والجحود والعصيان.

وقد أشار ابن قيم الجوزية ﷺ (ت٧٥١هـ) الى حال الأرواح في تلك الدار بقوله (وان لها شاناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة، فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، واثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح٢٨٧٤: ٤/ ٢٢٠٣.

(٢) [سورة الزمر: الآية ٥٣].

(٣) أسرار الأقدار: ٤٢٢.



وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار)[1].

لذلك (يجب اليقين بأن في البرزخ - إجمالاً - ثواباً وعقاباً، أي إن الإنسان يواجه آثار عقائده وأفعاله، حتى يصل الى القيامة الكبرى والثواب الكلي الإلهي والجنة الخالدة، أو نعوذ بالله العذاب الدائم، وكثير من المؤمنين الذين كانت لهم أعمال قبيحة يُسَوى حسابهم بذلك العذاب البرزخي.

ولازم اليقين المذكور السعي في تمتين المُعتَقد الحَق بحيث يستقر في القلب؛ حتى لا يبقى الإنسان عند السؤال (في القبر) مرتبكاً وحيراناً، وكذلك لكي يصبح من المبادرين الى كل عمل خير من الواجبات والمُستحبات)[2].

---

(١) الروح: ١١٦

(٢) القلب السليم. السيد عبد الحسين دستغيب، ترجمة: الشيخ حسين كوراني، دار البلاغة، الطبعة الثانية: ١٩٩٠م. ١٤١٠هـ: ١/ ٢٨٠.

المبحث الثاني: المقاصد العقدية المرتبطة بالإيمان بالموت، وفتنة القبر وضغطته

بعد بحثنا مهمات المقاصد العقدية التي ترتبط بالإيمان بأساس وجود الحياة البرزخية وما يلاقيه فيها الإنسان من جزاءٍ لأعماله، من قدرة الله تعالى وعدالته، ورحمته وتربيته لعباده، نتناول في هذا المبحث من الفصل المقاصد العقدية الخاصة بالإيمان بأول لحظة من لحظات الاحتضار في خروج الروح من الجسد، وما يعانيه من سكرات الموت وانتقال روحه الى عالم البرزخ، وسؤال المَلَكين له وضم القبر لجسده.

وبناءاً على ذلك، فقد قسَّمنا هذا المبحث الى مطالبٍ ثلاث، الأول مسائل الاحتضار وسكرات الموت والموت ومقاصدها العقدية، والمطلب الثاني في سؤال القبر ومقاصده العقدية، والمطلب الثالث في ضغطة القبر ومقاصدها العقدية، وقد قدَّمنا كل مطلب بتمهيد في بيان المُراد من المصطلحات بعيداً عن الاسهاب الذي يخرجنا عن مقصودنا، ولم أخصص الأدلة النقلية بالذكر المنفصل خشية التكرار لاعتمادنا عليها من خلال عرض هذه المقاصد.

المطلب الأول: الاحتضار والموت ومقاصدهما العقدية

تمهيد: مفهوم الاحتضار والموت وسكراته

قبل حدوث الموت وخروج الروح من الجسد، تحدّث القرآن الكريم عن فترة الاحتضار، وهي أول مراحل الانتقال الى ذلك العالم الواسع، وما يرافقها خلال هذه اللحظات من سكرات الموت التي تختلف من انسانٍ لآخر. فإذا حان الأجل وشارفت حياة الإنسان في الدنيا على الانتهاء أرسل الله تعالى رسل الموت لسل الروح المدبرة للجسد والمحركة له، وسنتحدث عن هذا من خلال العناوين الآتية:

١ـ مفهوم الاحتضار

الاحتضار في اللغة يأتي على معانٍ عدة، منها ما ذكره ابن منظور ﷺ (ت٧١١هـ): (من حضر فلان واحتضر إذا دنا موته)[١]، و(حَضَره الموت واحتضره، أشرَف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر)[٢].

أما اصطلاحاً، فالاحتضار: هو حضور الموت ونزوله بالعبد[٣]، فإذا حان أجل العبد وأراد الله تعالى قبض روحه أرسل إليه ملك الموت ومعه ملائكة يعاونونه على قبض روح ذلك العبد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٤][٥]، فقوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ

(١) لسان العرب، حرف الراء، فصل الحاء المهملة:٤/١٩٩.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الحاء، الحاء مع الضاد وما يثلثهما: ٥٤.

(٣) أحوال المحتضر ـ محمد عبد العزيز أحمد العلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة ٣٦ العدد ١٢٤ – ١٤٢٤هـ: ٧١.

(٤) [سورة الأنعام: الآية ٦١].

(٥) احوال المحتضر: ٩٣، و(يُنظَر) القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى ـ د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، الطبعة السابعة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م: ١٩

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي احتضر وحان أجله[1].

٢ ـ مفهوم سكرات الموت

السكرات لغةً: من (سكر)، والسكر: حالة تعرض بين المرء وعقله[2].

وسكرة الموت: شدته وهمه وغشيته[3]، وهي (التي تدل الإنسان على أنه ميت، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[4]، فقوله تعالى ﴿بِالْحَقِّ ﴾، أي بالموت الحق)[5].

واصطلاحاً، سكرة الموت: (شدته الذاهبة بالعقل)[6]، و(هي حال تشبه حالة الثمل السكران، إذ تظهر على الإنسان بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدّل، وربّما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان، وسلبت شعوره واختياره[7].

كما تُعرَّف السكرات (بشدائد الموت وأهواله وكربه التي تصيب المحتضر، بسبب نزع الروح)[8]، ومثلها غمرات الموت: بمعنى شدائده وسكراته[9].

٣ـ الموت، وأنواعه

آ . مفهوم الموت

الموت لغةً: أشار الفراهيدي ﷺ (ت ١٧٠هـ) إن اشتقاق لفظة الموت من مَيِّت، في الأصل (مَوْيِتٌ)، مثل سَيِّد وسَوْيِد، فأُدغِمَت الواو في الياء وثُقُلَت الياء، وقيل مَيْوِت وسَيْوِد، ويُخَفف فيقال مَيْت. والمِيتَةَ الموت بعينه[10].

والموت هو السكون، وكل ما سكن، فقد مات[11]، أما الأجل فهو غاية الوقت في الموت[12].

الموت اصطلاحاً: فقد تعرَّض العلماء لتعريف الموت في كتب العقيدة والتفسير والشروح وغيرها، ونذكر من بين تلك التعريفات:

---

(١) احوال المحتضر: ٩٣.

(٢) مفردات الفاظ القرآن الكريم، كتاب السين، مادة (سكر): ١/ ٤٨٤.

(٣) (يُنظَر) العين، باب السين، مادة (سكر): ٢/ ٢٦٠، القاموس المحيط، باب الراء، فصل الياء: ٤٠٩.

(٤) [سورة ق: الآية ١٩].

(٥) لسان العرب، حرف الراء، فصل السين المهملة، مادة (سكرى): ٣٧٣/٤.

(٦) الكليات، فصل السين: ٨٢٠.

(٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٣٠.

(٨) أحوال المحتضر: ٧٥.

(٩) التفسير الكاشف: ٣/ ٢٢٨.

(١٠) العين، باب الميم: ٤/ ١٧٢.

(١١) (ينظر) لسان العرب، باب التاء، فصل الميم:٩٢/٢، وتاج العروس من جواهر القاموس، مادة (موت): ٥/ ٩٨.

(١٢) العين، باب الهمزة: ١/ ٥٨.

تعريف الكفوي رحمه الله (ت١٠٩٤هـ) في الكليات إن (الموت هو عدم الحياة عمّا وُجِد فيه الحياة؛ لئلا ينتقض بالجنين[1])، وعرفه محمد جواد مغنية رحمه الله[2] (ت١٤٠٠هـ) في تفسيره الكاشف أنه (عبارة عن قطع العلاقة بين الروح والبدن)[3].

أما الآجال فهي الأوقات، وأجَل الحياة وقتها، وأجل الموت وقته الذي يوجد فيه، وكذلك الأجل في الدَين، إنما هو وقت وجوبه[4].

وكذلك الوفاة، فهي والموت مفهوم واحد، وهو عدم الحياة، وتُستعمل كلتا الكلمتين في النوم مجازاً؛ لأن الحواس تتعطل أعمالها بسببه، ومنه قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[5]، أي ان الله يقطع صلة الأرواح بالأبدان ظاهراً وواقعاً حين الموت، ويمسكها عنده، ويقطع هذه الصلة ظاهراً لا واقعاً حين النوم)[6].

ب ـ أنواع الموت

ورد ذكر المَوت في العديد من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، واختلف المُراد منه حسب موقع وروده، فرأينا هنا ذكر أنواعه باختصار لأجل الإشارة لما يطابق مجال دراستنا هذه، فقد ذكر الراغب الأصفهاني رحمه الله (ت٥٠٢هـ) أنواع الموت بحسب أنواع الحياة، وتبعه في ذلك ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ) في لسان العرب، ونحا الكثير من المفسرين لهذه المعاني خلال تفاسيرهم، حسب دلالة الآيات الكريمة، منها:

ب ـ ١ـ ما هو بإزاء القوَّة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنّبات، نحو قوله تعالى: ﴿يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾[7]، ﴿وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[8].

---

(١) الكليات، فصل الميم: ٨٥٧.

(٢) محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي آل مغنية العاملي، المجتهد الإمامي، الباحث، الكاتب الموسوعي الشهير، نال قسطا وافرا من مختلف العلوم الإسلامية، فكتب في العقائد والتفسير والفلسفة والتاريخ والفقه والأصول والأخلاق والأدب وغيرها بأسلوب واضح ورؤية عصرية، وتصدّى لدحض الشبهات و إزالة التشكيكات المثارة حول الإسلام و أصوله، وكشف عن زيف و تمويه و تناقض الأفكار المادية و التيارات الإلحادية، له من المؤلفات الكثيرة والهادفة منها: [الله والعقل]، و[النبوة والعقل]، و[الآخرة والعقل]، و[فلسفة التوحيد والولاية]، و[شبهات الملحدين والإجابة عنها]، و[الإسلام بنظرة عصرية (يُنظر) أعيان الشيعة: ٩/ ٢٠٥، ومعجم طبقات المتكلمين: ٥/١٩٨ ـ ٤٠٢.

(٣) تفسير الكاشف لمغنية، ٦/ ٤١٩.

(٤) كنز الفوائد ـ الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان:١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ٢/١٥٥، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحمد، مطبعة السعاد، ومكتبة الخانجي ـ مصر، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م: ٣٦١، الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد: ١٧٠.

(٥) [سورة الزمر: الآية ١٤٢].

(٦) تفسير الكاشف لمغنية: ٣/ ٢٠١.

(٧) [سورة الروم: الآية ١٩].

(٨) [سورة ق: الآية ١١].



ب ـ ٢ـ زوال القوّة الحاسَّة، قال تعالى: ﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا﴾[١]، و﴿أَإذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[٢].

ب ـ ٣ـ زوال القوَّة العاقلة، وهي الجهالة، كما جاء في قوله تعالى:﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ﴾[٣]، وإيّاه قصد بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾[٤].

ب ـ ٤ـ الحزن المكدِّر للحياة، وإيّاه قصد بقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[٥].

ب ـ ٥ ـ المنامُ، فقيل: النّوم مَوْتٌ خفيف، والموت نوم ثقيل[٦]، وعلى هذا النحو سمّاهما الله تعالى توفِّياً، فقال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾[٧]، ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ﴾[٩]، قد قيل: نفي الموت هو عن أرواحهم فإنه نبّه على تنعّمهم، وقيل: نفى عنهم الحزن المذكور في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾[١٠][١١].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[١٢] عبارة عن زوال القوّة الحيوانيَّة وإبانة الرُّوح عن الجسد. تنبيها أن لا بدّ لأحد من الموت، كما قيل: والموت حتم في رقاب العباد[١٣][١٤].

---

(١) [سورة مريم: الآية ٢٣].

(٢) [سورة مريم: الآية ٦٦].

(٣) [سورة الأنعام: الآية ١٢٢].

(٤) [سورة النمل: الآية ٨٠].

(٥) [سورة ابراهيم: الآية ١٧].

(٦) سمي النوم موتا لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلا وتشبيهاً، لا تحقيقاً: لسان العرب، حرف التاء، فصل الميم:٢/٩٢.

(٧) [سورة الأنعام: الآية ٦٠].

(٨) [سورة الزمر: الآية ٤٢].

(٩) [سورة آل عمران: من الآية ١٦٩].

(١٠) [سورة ابراهيم: من الآية ١٧].

(١١) المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ: ٨٧١، و(يُنظَر) لسان العرب، حرف التاء، فصل الميم:٢/٩٢.

(١٢) [سورة آل عمران: من الآية ١٨٥].

(١٣) هذا عجز بيت، وقبله:

شرّده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حرّ الجلاد

منخرق الكفين يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

وهذه الأبيات كان زيد بن علي يتمثل بها، وهي لمحمد بن عبد الله في زهر الآداب ١/ ٣٩.، زهر الآداب وثمر الألباب ـ إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان: ١/١١٨.

(١٤) المفردات في غريب القرآن: ٨٧١.

المقصد الأول: مقصد توحيد الله تعالى في الأمر والتدبير

يندرج هذا المقصد من الايمان بالاحتضار وسكرات الموت في ان الامر كله بيد الله، وأنه تعالى يتوفى الأنفس عن طريق الملائكة الموكلين بذلك. وهذه المسألة (لا تتنافى مع تفرد الله بالتدبير، وهي أن الله تعالى قد يوكل تنفيذ بعض هذه التدابير إلى بعض خلقه، فالله هو الآمر وعباده هم المنفذون، ولذلك جمع القرآن الكريم بين كون الله تعالى هو المتوفي المميت، وبين الإخبار بتوكيل الملائكة بذلك)(1).

فقال تعالى في الأول، وهو الذي يقرر توحيد الله تعالى وتفرده في التدبير: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهَّ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿اللهُّ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾(3).

إلا إن ذلك لا يتنافى مع اخباره تعالى في تولي ملك الموت أو غيره من الملائكة عليهم السلام لروح الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾(5)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾(6)، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(7).

ويعود هذا لأن (المتوفي في الحقيقة هو الله، إلا أنه تعالى فوض في عالم الأسباب كل نوع من أنواع الأعمال إلى ملك من الملائكة، ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت، وهو رئيس وتحته أتباع وخدم فأضيف التوفي في هذه الآية﴿اللهُّ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ إلى الله تعالى بالإضافة الحقيقية، وفي الآية الثانية إلى ملك الموت لأنه هو الرئيس في هذا العمل، وإلى سائر الملائكة لأنهم هم الأتباع لملك الموت)(8).

وكل ذلك لا يؤدي الى تنافٍ بين فعل الله تعالى وفعل ملائكته عليهم السلام، إذ إن الفاعل حين يقوم بفعله بوساطة فاعلٍ آخر يصحُّ حينئذٍ نسبة الفعل الى كليهما، فالله تعالى يقبض الأرواح بواسطة ملك الموت، وملك الموت بدوره يؤدي عمله بواسطة الملائكة الذين يخضعون لأمره(9).

من جهةٍ أُخرى فقد أخبر الله تعالى عن (طبيعة الملائكة، وهي الانقياد التام لله تعالى، فيستحيل على طبيعتها

(1) أسرار الأقدار: ٣٩١.
(2) [سورة البقرة: الآية ٢٨].
(3) [سورة الزمر: من الآية ٤٢].
(4) [سورة السجدة: من الآية ١١].
(5) [سورة الأنفال: من الآية ٥٠].
(6) [سورة النحل: من الآية ٢٨].
(7) [سورة الأنعام: من الآية ٦١].
(8) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٤٥٧، و(يُنظَر) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ٣/ ٣، شرح العقيدة الطحاوية: ٣٩٠.
(9) المعاد، رؤية قرآنية: ١/ ١١٩.



أن تنفذ غير ما طلب منها، ولهذا كان اسمها مشتقاً من (الألوكة)، وهي الرسالة[١]، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره)[٢]، وقد قال تعالى في وصفهم: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون﴾[٤].

كما ورد في الحديث الصحيح كيفية تلقي الملائكة عليهم السلام لأوامر الله تعالى بقوله ﷺ: (إذا قَضَى اللهُ الأمْرَ في السَّماءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأَجْنِحَتِها خُضْعانًا لِقَوْلِهِ، كأنه سِلْسِلَةٍ علَى صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِمْ، قالوا: ماذا قالَ رَبُّكُمْ، قالُوا لِلَّذِي قالَ: ﴿الحَقَّ وهو العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾، فَيَسْمَعُها مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، ومُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذا واحِدٌ فَوْقَ آخَرَ، فَرُبَّما أدْرَكَ الشِّهابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أنْ يَرْمِيَ بها إلى صاحِبِهِ فيُحْرِقَهُ، ورُبَّما لَمْ يُدْرِكْهُ حتَّى يَرْمِيَ بها إلى الذي يَلِيهِ، إلى الذي هو أسْفَلَ منه، حتَّى يُلْقُوها إلى الأرْضِ، فَتُلْقَى علَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ معها مِائَةَ كَذْبَةٍ، فيُصَدَّقُ فيَقولونَ: ألَمْ يُخْبِرْنا يومَ كَذا وكَذا، يَكونُ كَذا وكَذا، فَوَجَدْناهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ)[٥].

المقصد الثاني: لطف الله تعالى وحكمته في لحظات الموت وسكراته

تدل لحظات الاحتضار وشدائد الموت على قرب مفارقة الروح للجسد، وهي تختلف من إنسانٍ لآخر، وحاول الإمام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) أن يقرب هذه الصورة، فقال: (إن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها، وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النَزع على شدة ما هم فيه.

فأما القياس: الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو، جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح، فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم؛ فإن كان من الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده، والنَزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم.

فألم النَزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه؛ فإنه المنْزوع المجذوب من كل عرق من العروق، وعصب من الأعصاب، وجزء من الأجزاء، ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من العرق إلى القدم. فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً، فكيف والمجذوب

(١) (يُنظَر) العين، باب الميم، مادة (ملك): ٤/ ١٦٦.

(٢) أسرار الأقدار: ٣٩٣.

(٣) [سورة الأنبياء: من الآية ٢٧].

(٤) [سورة التحريم: من الآية ٦].

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، باب تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ح ٤٥٢٢: ٤/ ١٨٠٤، (يُنظَر) أسرار الأقدار: ٣٩٤.

نفس الروح المتألم، لا من عرق واحد، بل من جميع العروق)[1].

ولذلك فإنّه حين يُسأل الإمام الصادق عليه السلام عن سبب اضطراب الجسد حين خروج الروح منه يجيب: (لأنّه نما عليها البدن)[2].

ومع شدة ظاهر هذه اللحظات، إلا أنه يتجلى فيها عظيم لطف الله تعالى بعباده حين تتولى الملائكة تنفيذ أمره، حيث صرَّحت الأدلة الصحيحة بأن هذه الشدائد إنما تلحق الكافر أو الفاجر حين تبلغه بسخط الله تعالى وغضبه، بخلاف المؤمن بالله تعالى، ومما دلَّ على ذلك في كتاب الله، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[3].

وهذا التنزل ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائكة﴾ كما قال طائفة من أئمة التفسير إنما يكون حال الاحتضار[4]، وقيل: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم ﴿ أَلاَّ تَخَافُواْ ﴾ وأصله: بأنه لا تخافوا، والهاء ضمير الشأن، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : لا تخافوا، أي: يقولون: لا تخافوا؛ والخوف: غمّ يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارّ، والمعنى: أنّ الله كتب لكم الأمن من كل غمّ، فلن تذوقوه أبداً، وقيل: لا تخافوا ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم، كما أنّ الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم، فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين[5].

كما أشار الى بشارة المؤمن عند حضور الموت نبينا الكريم صلى الله عليه وآله بقوله: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ)، قَالَ صلى الله عليه وآله: (فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ)، قَالَ صلى الله عليه وآله: (فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٦٢، و(يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦/ ١٥٦.

(٣) [سورة فصلت: الآيات ٣٠ - ٣٢].

(٤) تفسير الطبري: ٢١/ ٤٦٦، تفسير الكشاف: ٤/ ١٩٩.

(٥) تفسير الكشاف: ٤/ ١٩٩.

مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى)[1].

(والموت على كل حال أحد بشارات المؤمن؛ إذ كان أول طرقه إلى محل النعيم، وبه يصل إلى ثواب الاعمال الحسنة في الدنيا، وهو أول شدة تلحق الكافر من شدائد العقاب وأول طرقه إلى حلول العقاب؛ إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الاعمال بعده، وصيَّره سبباً لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء)[2].

أما ما ورد من السكرات والشدائد التي يعانيها بعض المؤمنين مما يسبق خروج أرواحهم فقد أشار إليها الامام الصادق عليه السلام حين سُئل: (صف لنا الموت؟) فقال: (هو للمؤمنين كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه، فينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي، وكلدغ العقارب وأشد)، فقيل له: (فإن قوماً يقولون هو أشد من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالحجارة، وتدوير قطب الأرحية في الأحداق؟)، فقال: (كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد، فذلك الذي هو أشد من هذا، إلا عذاب الآخرة، فإنه أشدُّ من عذاب الدنيا)، قيل: (فما لنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يتحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين من يكون أيضاً كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟)، فقال عليه السلام: (ما كان من راحة هناك للمؤمنين فهو عاجل ثوابه، وما كان من شدة فهو تمحيصه من ذنوبه، ليرد إلى الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الله، ليس له مانع دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر، فليوفى أجر حسناته في الدنيا، ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك، فهو ابتداء عقاب الله عند نفاد حسناته، ذلكم بأن الله عَدْلٌ لا يجور)[3].

كما وردَ في فتح الباري لابن حجر (الميت لا يعدو أحد القسمين إما مستريح وإمامستراح منه، وكل منهما يجوز أن يشدد عليه عند الموت وأن يخفف، والأول هو الذي يحصل له سكرات الموت ولا يتعلق ذلك بتقواه ولا بفجوره، بل إن كان من أهل التقوى ازداد ثواباً، وإلا فيكفر عنه بقدر ذلك ثم يستريح من أذى الدنيا الذي هذا خاتمته)[4].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، جزء من ح ١٠٧: ١/ ٩٣، وعلق عليه الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، جزء من ح ١٨٥٥٧: ٤/ ٢٨٧، وتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابي عبد الله العكبري البغدادي (ت٤٣١هـ) تحقيق: حسين دركاهي، مطبعة مهر، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ: ٩٦، وبحار الأنوار، باب سكرات الموت وشدائده: ٦ / ١٦٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ـ الشيخ أبو جعفر الصدوق ـ محمد بن محمد بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة الأمير ـ قم، الطبعة الأولى: ١/ ٢٧٤.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٦٥.



المقصد الثالث: التكريم الإلهي لعباده لحسن ظنهم بالله تعالى في الموت وسكراته

يقول الإمام علي عليه السلام في شدة سكرات الموت: (إن للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا)[1].

وكما يتجلى اللطف الإلهي للمستقيمين في هذه اللحظات، فكذلك بشَّر تعالى بالنزع اليسير المرتبط بأرواح المؤمنين من المقربين وأهل اليمين مقارنة بالنزع المرتبط بأهل الشمال، لمن أحسنوا ظنهم بالله تعالى، مقابل ما يلاقيه الجاحدين، فقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾[2].

إذ روي عن الإمام علي عليه السلام قوله في تفسيرها: (﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾هي الملائكة تنزع أرواح الكفّار، و﴿النَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾ هي الملائكة تنشط أرواح الكفّار، ما بين الأظفار والجلد حتّى تخرجها، و﴿السَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾ الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والأرض، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ هي الملائكة تسبق بعضها بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى)[3].

وبهذا التفسير وردت الأقوال عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما في (الملائكة، حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط)[4].

وعلاقة هذا النزع للروح بحسن الظن بالله تعالى، إنما هو من تجليات مقاصد الرحمة الإلهية للعباد، ويعود لتأثره المباشر في تحصيل حسن العاقبة للمؤمن بالله تعالى من أول مراحله لمغادرة هذه الحياة الدنيا (وذلك لأن استشعار رحمة الله يحبب في لقاء الله، بخلاف اليأس من رحمته، فإن الإنسان يكره لقاء من لا يحبه. ولهذا ورد الأمر بحسن الظن بالله خاصة في موقف الاحتضار)[5]

وقد ورد عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثٍ: (لا يَموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ تَعَالى)[6]، وذكره ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتاب حسن الظن بالله تعالى وزاده: (فإن قوماً أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[7])[8].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١: ٢/ ٢٩٧، وميزان الحكمة ـ محمد الريشهري (١٣٢٥هـ)، مطبعة إعتماد، مركز الطباعة والنشر في دار الحديث، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ: ٩/٣٦١.

(٢) [سورة النازعات: الآيات ١ـ ٤].

(٣) كنز العمال، ح٤٦٨٦: ٢/ ٤٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة: ٨/ ٣١٢، و(يُنظَر) اسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١١٣.

(٥) أسرار الأقدار: ٤٢٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ح ٢٨٧٧: ٤/٢٢٠٥.

(٧) [سورة فصلت: الآية ٢٣].

(٨) حسن الظن بالله ـ أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ح ١٦: ٤، والتذكرة: ١٧٢.

ووردَ في شرح الحديث الشريف إنه هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتم، فمما ورد في معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، ففي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده (يُبعَثُ كلُّ عَبدٍ على ما ماتَ عليه)[1][2].

وأمس حاجة للإنسان في حسن ظنه بالله تعالى لحظات حضور الموت وتوالي سكراته. ويؤيده ما ورد في سنن الترمذي (أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال ﷺ: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟) قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ)[3].

وإنما تكون ضرورة قوة يقين العبد ودوام حسن ظنه بالله تعالى ما لها من التأثير الكبير في تهوين سكرات الموت، وإيمانه بحسن عاقبته الذي يعود لكرم الله تعالى لحسن ظنه برحمته وشمولها إياه في ذلك الموقف وما يتبعه من مواقف اليوم الآخر، كما أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (والذي لا إله غيره لا يحسن عبد مؤمن بالله ظنه إلا أعطاه ذلك، فان كل الخير بيده)[4].

وقد بيَّن تعالى أن كفر الكافرين وضلالهم ناتج عن سوء ظنهم بربهم، ويأسهم من رحمته، كما قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾[6].

وذلك لبيانه تعالى تأثير حسن الظن في تنزل فضل الله عليه، لقوله ﷺ في الحدث القدسي: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي)[7].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ح ٢٨٧٨: ٤/٢٢٠٦.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ٢١٠.

(٣) سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، كتب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ح ٤٢٦١: ٢/ ١٤٢٣، وسنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب كراهية النعي، ح ٩٨٣: ٣/ ٣١١، وقال عنه حديث حسنٌ غريب.

(٤) المصنف في الأحاديث والآثار ـ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، كتاب الزهد ـ كلام بن مسعود رضي الله عنه، ح٣٤٥٦٤: ٧/١٠٨، وشرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور ـ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: ٢٤.

(٥) [سورة فصلت: الآية ٢٣].

(٦) [سورة الفتح: الآية ١٢].

(٧) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ح٦٩٧٠: ٦/٢٦٩٤.

المطلب الثاني: فتنة القبر ومقاصدها العقدية

تمهيد: مفهوم القبر وسؤاله

القَبْرُ لغةً

القبر: مصدر، والقبر موضع القبر، وقبرته أقبره قبراً ومقبراً، والإقبار: ان تهيء له قبراً وتنزله منزلة ذاك[١]، والمراد به مدفن الإنسان، والجمع قبور[٢].

وقال ابن فارس رحمه الله (ت٣٩٥هـ): القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن[٣]، من ذلك: قبر الميت[٤]، ومنه المقبرة وهي موضع القبور[٥]، كما جاء بمعنى الجدث مفرد، وجمعه اجداث[٦].

القبر اصطلاحاً

وقد ورد فيه معنيان، أحدهما مشابه لمعناه اللغوي، وهو الغالب، والآخر يختلف عنه، وهو البرزخ، وبيانهما:

١ـ القبر: (مقر الميت، ومصدر قبرته، جعلته في القبر، وأقبرته: جعلت له مكاناً يُقبر فيه، نحو: أسقيته: جعلتُ له ما يسقى منه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[٧])[٨].

ولكن هذا التعريف للقبر، وهو الحفرة التي يُوضع فيها بدن الإنسان الميت مما يتعلق بالأحكام الفقهية، وهو ما يُسمى (بالقبر الفقهي)[٩] فليس محل بحثنا.

٢ـ تعريف القبر في الاصطلاح الكلامي، وليس المراد به فقط القبر المعروف، بل المراد به نفس البرزخ والبُعد المعنوي والروحاني والنفسي، والمرتبط بالحقيقة القرآنية ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[١٠]، وهي الحقيقة التي لا ارتباط بها بنشأة المادة حتى توضع في الحفرة المادية[١١].

فكل ميت يُقبَر ولو لم يدفَن في قبره، إذ تُعاد روحه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطاب ويرد الجواب، ولا فرق

---

(١) العين، باب القاف، مادة (قبر): ٣/ ٣٥٢.

(٢) القاموس المحيط، باب الراء، فصل القاف: ٤٥٨.

(٣) التطامن: الخفض، (تطأطأ: تطامن. وطأطأ الشيء: خفضه) لسان العرب، حرف الألف، فصل الطاء المهمله، مادة (طأطأ): ١/ ١١٣.

(٤) (ينظر) معجم مقاييس اللغة، كتاب القاف، باب القاف والباء وما يثلثهما: ٥/٤٧.

(٥) (ينظر) العين: ٥/١٥٧، ومجمل اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: ١/٧٤٠.

(٦) (ينظر) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/٣٤٨.

(٧) [سورة عبس: الآية ٢١].

(٨) مفردات الفاظ القرآن الكريم، كتاب القاف، مادة (قبر): ٢/ ٢١٣.

(٩) (يُنظَر) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ١٨٤، و ١/ ٢١٢.

(١٠) [سورة المؤمنون: من الآية ١٤].

(١١) (يُنظَر) المعاد ـ رؤية قرآنية لكمال الحيدري:١/ ١٨٤.

في ذلك بين من دُفن في القبر أو صار في بطن السبع أو في قعر البحر، وبذلك وردت الآثار ويجب به الإيمان[١].

مفهوم فتنة القبر

أما الفتنة، ففي اللغة: الابتلاء والاختبار، والفتنة: الخبرة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾[٢]، ومعناه: أنهم افتتنوا بشجرة الزقوم، وكذبوا بكونها، وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم، قالوا: الشجر يحترق في النار، فكيف ينبت الشجر في النار؟ وصارت فتنة لهم[٣].

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[٤]، أي: لا يختبرون فيُميّز خبيثهم من طيّبهم، ومثلها سؤال القبر أو مسائلته: (من سأل يسألُ سؤالاً ومسألةً)[٥]، و(السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة)[٦].

واصطلاحاً:

سؤال القبر، أو فتنة القبر هي سؤال منكرٍ ونكير إيانا - معاشر أمة الدعوة مؤمنين وعُصاة وكافرين - وهو حقٌّ واجب الإيمان به. ويُراد به: أن الله تعالى يحيي العبد المُكَلَف في قبره برد الحياة اليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يُسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما أتاه من ربه وما أعدَّ له في قبره من كرامةٍ أو هوان[٧].

وهي (حقٌّ لا بدَّ منها، فمن أجابَ بالصواب فازَ بروحٍ وريحانٍ في قبره، وبجنةِ نعيمٍ في الآخرة، ومن لم يأتِ بالصواب فله نزلٌ من حميم في قبره، وتصلية جحيم في الآخرة)[٨].

ويتولى السؤال ملَكَان أسمها منكرٍ ونكير، ويُسَميان أيضاً (فتانا القبر)؛ لأن في سؤالها إنتهاراً، وفي خلقهما صعوبة، وإنما سميا منكراً ونكيراً لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطير ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل لهما خلقٌ بديع، وليس في خلقهما أُنسٌ للناظرين اليهما، جعلهما الله مكرمةً للمؤمن ليثبته

---

(١) (يُنظَر) غاية المرام في عقائد أهل الإسلام، الحاج حمدي الأعظمي، مطبعة العارف ـ بغداد، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م: ٤٣، وأصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت٥٩٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، نشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م:٢١٥.

(٢) [سورة الصافات: الآية ٦٣].

(٣) (يُنظَر) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ـ الإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ: ١٢/ ٩٢، والمحكم والمحيط الأعظم ـ ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي ابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: الطبعة الاولى ١٣٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، حرف التاء، التاء والنون والفاء (مقلوبه): ٩/ ٥٠١.

(٤) [سورة العنكبوت: الآية ٢].

(٥) العين، باب السين، مادة (سأل): ٣/ ٢٠٦، ولسان العرب، حرف السين، مادة (سأل): ١١/ ٣١٨.

(٦) مفردات غريب القرآن: ٤٣٧.

(٧) (يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٢١، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٦٣٣.

(٨) الاعتقادات في دين الامامية: ٥٨، و(يُنظَر)، والتذكرة: ٣٠٢ و(يُنظَر) اصول العقائد في الإسلام: ١٥٣.

وينصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ قبل أن يُبعَث، حتى يحل عليه العذاب[1].

و(قيل هما للمؤمن الموفق مبشرٍ وبشير، وأما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكرٍ ونكير)[2].

المقصد الأول: قدرة الله تعالى وبيان حال المثبتين من غيرهم

يذكر ابن عطية الأندلسي[3] رحمه الله (ت ٥٤٢هـ) دلائل هذه القدرة العظيمة لله تعالى في معرض تفسيره للآية الكريمة ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[4]، بقوله (إن الله يخلق له في قبره إدراكات وتحصيلاً، إما بحياة كالمتعارفة، وإما بحضور النفس وإن لم تتلبس بالجسد كالعرف، كل هذا جائز في قدرة الله تعالى. فسبحان رب هذه القدرة)[5].

وما ورد من الروايات الكريمة في توسعة القبر للميت مد بصره، وإتيانه بالطعام والشراب الذي مصدره من الجنة بمجرد إجابته لسؤال الملكين عن عقائده وعمله، فإن كل ذلك لا يكون ممتنعاً في قدرة الله تعالى وإرادته.

وقد روي بإسنادٍ عن الإمام الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال: (إذا مات المؤمن، شيَّعهُ سبعون ألف مَلَك الى قبره، فإذا أُدخِل قبرَه، أتاهُ منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ في قبره، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[6] في الآخرة) [7].

فمن المقاصد الظاهرة في مساءلة القبر تمييز صادق الايمان من كاذبه، ففيها بيان حال المثبتين من غيرهم، حيث (جعلهما الله مكرمةً للمؤمن ليثبته وينصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ قبل أن يُبعَث، حتى يحل عليه العذاب)[8].

---

(١) (يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٢١، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٦٣٣، والتذكرة: ٣٨٥.

(٢) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٢١.

(٣) الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحيم ابن عطية الغرناطي الاندلسي، واختلف في اسمه ووفاته، فقيل عبد الرحمن وقيل إنه مات سنة إحدى وأربعين وقيل ست وأربعين، كان فقيهًا جليلًا، نحويًا، لغويًا، شاعرًا، عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، من بيت علم وجلالة. روى عن أبيه الحافظ أبي بكر وغيره وعنه ابن مضا وولي قضاء المرّية وصنَّف [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز]. (يُنظَر) سير اعلام النبلاء: ١٩/ ٥٨٧، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر. بيروت، ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨م: ١/ ٦٧٩، الاعلام: ٣/ ٢٨٢.

(٤) [سورة ابراهيم: من الآية ٢٧].

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م: ٣/٣٣٧.

(٦) [سورة الواقعة: الآيتين ٨٨، ٨٩].

(٧) بحار الانوار، أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلق بذلك، ح٢٢: ٦/ ٢٢٢، وجامع الأخبار أو معارج اليقين في اصول الدين. الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: الشيخ علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت . لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، باب في القبر، ح١٣٣٩: ٤٧٧.

(٨) (يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٢١، التذكرة: ٣٨٥، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٦٣.

وقد ورد في تفسير الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية، عن النبي الكريم أنه ﷺ قال: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ شهِدَ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾)[1].

والتثبيت في الحياة الدنيا يكون على كلمة التوحيد بقول لا إله الا الله، واما التثبيت في الآخرة فيكون بمثل ما ثبتهم به في الحياة الدنيا وذلك في القبر عندما يسألون من ربهم ودينهم ونبيهم، واما قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يهدي ولا يوفق المشركين الى الجواب بالصواب عند السؤال في القبر[2].

فلمْ يسأل الملائكة الميت هذه الأسئلة لجهلهم بحاله، إنما جعله تعالى دليلاً كي يتعرف الإنسان على حقيقة إيمانه، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

ومن الأدلة على هذا المقصد قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[4]، أي: لا يختبرون فيميّز خبيثهم من طيّبهم، كما قال تعالى:﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[5]، (أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط، و يقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما تبين به حقيقة إيمانهم، هذا لا يكون، وهذا استفهام إنكار و توبيخ)[6].

المقصد الثاني: تجليات حكمة الله تعالى وعدالته في فتنة القبر

وتتجلى مقاصد الحكمة والعدالة الإلهية في فتنة القبر من خلال أمورٍ عدة، منها:

١ـ تثبيت المؤمنين أمام دعوة الشيطان عليه اللعنة ضد الدين والمبادئ الإسلامية

ذكر العلماء أن الشيطان يأتي الإنسان في تلك اللحظات الحرجة في صورة أبيه أو أمه أو غيرهم ممن هو شفيق عليه ناصح له، ويدعوه إلى اتباع اليهودية أو النصرانية أو غيرها من المبادئ المعارضة للإسلام، فهناك يزيغ الله من كتبت له الشقاوة[7]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[8].

ومما ورد في محاولات الشيطان عليه اللعنة لأجل أن يزيغ الإنسان عن جميع مظاهر العبودية لله تعالى، ما جاء

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة إبراهيم، باب قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، ح٤٤٢٢: ٤/ ١٧٣٥.

(٢) (ينظر) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤/٣٤٩. ٣٥١.

(٣) [سورة التوبة: من الآية ٧٠].

(٤) [سورة العنكبوت: الآية ٢].

(٥) [سورة الأنفال: من الآية ٣٧].

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤.

(٧) (يُنظَر) التذكرة: ٣٣.

(٨) [سورة آل عمران: الآية ٨].



في مسند الامام احمد رحمه الله عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟) قَالَ ﷺ: (فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ) قَالَ ﷺ: (فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ) قَالَ ﷺ: (ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ) قَالَ ﷺ: (فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ وكَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ)[١].

فالذي يستيقن ثباته في الدنيا عن اتباع الشيطان فسوف يتأكد من صدق يقينه وسلامة ايمانه عن الانحرافات الدنيوية فيكتشف وقتئذٍ حقيقة إيمانه هذه، وهي ما ستنقذه من الدركات التي كان سيقع بها لو كان يقينه ضعيفاً أو مزيفاً.

٢ـ إخفاء فتنة القبر عن العيان

ومن تجليات حكمته تعالى في هذه المسألة إخفاؤها عن العيان، فإنه ورد عن النبي ﷺ قوله: (إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ)[٢]، أي: لولا خشية أن يفضي سماعكم إلى ترك أن يدفن بعضكم بعضاً، و(إن الله تعالى ستار العيوب، ولا يسمح لأحد أن يطلع على أحوال الناس في البرزخ، نعم في الحشر الأكبر يختلف الأمر، فهو يوم الخزي والندامة والفضيحة، وهو بتعبير القرآن الكريم ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٣]، ففيه يمكن أن يطلع الكثير من الناس على أحوال الآخرين، وهذا يُعَد من الفوارق الأساسية بين عالم البرزخ وبين الحشر الأكبر.

ويُستثنى من ذلك إخفاء عيوب بعض الناس عن الآخرين، وهم الذين ستروا على عيوب الناس في هذه الدنيا، وما ذلك إلا جزاءاً من الله تعالى وإثابةً لمن كان ستاراً لعيوب الآخرين في الدنيا)[٤].

٣ـ دفاع الأعمال الصالحة على صاحبها

ومن أهم تجليات العدالة الإلهية في المساءلة في ذلك الموقف ماورد من أحاديثه ﷺ في وصف حال الميت المؤمن، في حال انتقاله للنشأة البرزخية، وكيف تدافع عنه عباداته لله تعالى وأعماله الصالحة، وهو ما يدل على تجسمها في صور حسية قد يراها[٥]، وذلك في قوله ﷺ: (إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ

(١) مسند الامام أحمد، مسند المكيين، مسند سبره بن أبي فاكه، ح ١٦٠٠٠: ٣/ ٤٨٣، وتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح ٢٨٦٧: ٢١٩٩/٤.

(٣) [سورة الطارق: الآية ٩].

(٤) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ٢٠٢.

(٥) (ينظر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٧٦، وأسرار الأقدار: ٢٩٣.

الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهُ، وَكَانَ الصَّوْمُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصَّوْمُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْعُدْ فَيَقْعُدُ، وَتُمَثَّلُ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيُقَالُ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِّي عَنْهُ ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِّي ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدًا، أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ، لَوْ عَصَيْتَ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾(١))(٢).

المقصد الثالث: تجليات نعيم المؤمنين في فتنة القبر

يظهر في كل مسألة فرضها تعالى على عباده نعماً ومصالح لا تُعَد ولا تُحصى، ومن هذه المسائل سؤال القبر للمؤمنين، حيث يظهر في حين إجابة المؤمن لسؤال المَلَكين وتثبته بالقول الحق، ما أعدَّه تعالى له من النعيم العظيم الذي بشره به تعالى من رؤية منزله في الجنة وإفساح القبر له، كما يريه تعالى ما أبدله به من منزلٍ في النار لو أنه لم يتثبت بالقول الحق في سؤال الملَكين.

ويدلُّ على ذلك ما وردَ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية، حيث قال ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإنسان دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولَ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ

(١) [سورة إبراهيم: الآية ٢٧].

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، ح١٤٠٣: ١/ ٥٣٥، لم يعلق عليه الحاكم ولكن الرواية عن سعيد بن عامر، وذكر في الحديث الذي بعده (١٤٠٤)، وهو نفس الرواية وبإسناد مختلف، فقال فيه (ورواية سعيد بن عامر أتم، حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ولم يعلق الذهبي على أحاديث كتاب الجنائز في المستدرك.

إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾)[1].

وبما أنّ الآيات السابقة لهذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [2]، حيث جسّدت حال الإيمان والكفر، الطيّب والخبيث من خلال مثالين صريحين، فإنّ هذه الآية تبحث نتيجة عملهم ومصيرهم النهائي، لأنّ إيمانهم لم يكن إيماناً سطحياً وشخصيتهم لم تكن كاذبة ومتلوّنة، بل كانت شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء، وبما أنّ ليس هناك من لا يحتاج إلى اللطف الإلهي، وبعبارة أُخرى: كلّ المواهب تعود لذاته المقدّسة، فالمؤمنون المخلصون الثابتون بالاستناد إلى اللطف الإلهي يستقيمون كالجبال في مقابل أيّة حادثة، والله تعالى يحفظهم من الزلاّت التي تعتريهم في حياتهم، ومن الشياطين الذين يوسوسون لهم زُخرف الحياة ليزلّوهم عن الطريق[3].

وهذا ما يحدث في مسائلة القبر وفتنته، حيث يرى الميت منزله من الجنة ومنزله من النار، فتتجلى أمامه رحمة الله تعالى به، إذ نقله من أشقى المنازل الى أعلاها إن حافظ على جوابه عن هذه المساءلة.

ويشير إلى هذا قوله ﷺ: (الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ)[4]، فهو يشير إلى قرب المنزلين كليهما من العبد، وهو كناية عن سهولة دخولها لمن أطاع، وكذلك دخول النار لمن عصى، أي أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد، وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية[5].

المطلب الثالث: ضغطة القبر ومقاصدها العقدية

تمهيد: مفهوم ضغطة القبر

الضغطة لغةً من الضغط: (وهو عصر الشيء الى الشيء، والضغاط تضاغط الناس في الزِحام وغيره)[6]، (وأعوذ بالله من ضغطة القبر. واللهم ادفع عنا هذه الضغطة، وهي الشدة)[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ح ١١٠١٣: ٣/ ٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٢) [سورة ابراهيم: الآيات ٢٤ ـ ٢٦].

(٣) (ينظر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٧/ ٥٠٣/ ٥٠٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الجنة اقرب إلى احدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، ح٦١٢٣: ٥/ ٢٣٨٠.

(٥) (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٢١، وأسرار الأقدار: ١٢٤.

(٦) العين، باب الضاد، مادة (ضغط): ٣/ ١٩.

(٧) أساس البلاغة ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م، كتاب الضاد، مادة (ض غ ط): ١/ ٥٨٣.

(فالضغط والضغطة عصر شيء إلى شيء، ضغطه يضغطه ضغطاً: زحمه إلى حائط ونحوه، ومنه ضغطة القبر. والضغطة الضيق، والضغطة الإكراه، والضغاط المزاحمة والتضاغط التزاحم)(١).

أما اصطلاحاً: فهي الضغطة أو الضمة التي يتعرض لها الميت عند دفنه في قبره، وهي من أهم العقبات الصعبة التي يتعرض إليها البعض في قبورهم، وقلما ينجو أحدٌ من هذه الضغطة(٢).

وورد ذكر ضغطة القبر في الأحاديث كثيراً وهي تكون على البعض أشد منها على البعض الآخر، وهذه العقبة صعبة جداً وبتصورها تضيق على الإنسان سعة حياته الدنيا هذه(٣).

وقد وردَتْ الأحاديث الشريفة في ضغطة القبر دالةً ظواهرها على قولين، القول الأول منهما ما جعلها عامةً للمؤمنين وغيرهم، والآخر بأنها لمن لا يُغفَر له من أصحاب الذنوب، وأن هنالك من ينجو منها.

حيث وردَ في عددٍ من الأحاديث والأخبار ان ضغطة القبر عامة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، ولا ينجو منها أحد، يقول الشهاب ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ): (قد جاءت الأحاديث الكثيرة بضمة القبر، وأنه لا ينجو منها صالح ولا غيره، إذ أخبر ﷺ في سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس من الأنصار أنه اهتز لموته عرش الرحمن استبشاراً لقدوم روحه، وإعلاماً بعظيم مرتبته، وأنه لم ينجُ منها، وأنه شيع جنازته سبعون ألف ملك، وأنه لو كان أحد ينجو منها لنجا منها هذا العبد الصالح)(٤).

فقد قال فيه ﷺ: (هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ)(٥).

كما روي في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما دُفن سعد، ونحن مع رسول الله ﷺ، سبَّحَ رسول الله ﷺ فسبَّحَ الناس معه طويلاً، ثم كبَّر فكبر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله مم سبَّحت؟ قال ﷺ: (لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنْهُ)(٦).

كما أن عمومية هذه الضغطة يُستدَلُ بها أنها تشمل حتى الأطفال بدليل قوله ﷺ: (لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ)(٧).

---

(١) لسان العرب، حرف الضاد، مادة (ضغط): ٧/ ٣٤٢.

(٢) الكافي للكليني: ٢/٢٤١.

(٣) (يُنظَر) منازل الآخرة، المحدث الشيخ عباس القمي، ترجمة: د. عبد المهدي اليادكاري، دار الزهراء، الطبعة الأولى ـ ١٤٣٣هـ: ٢٣.

(٤) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ـ (حاشية إعانة الطالبين) ـ أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (ت بعد ١٣٠٢هـ)، (وهو حاشية على حل الفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين. لزين الدين بن عبد العزيز المليباري (ت ٩٨٧ هـ))، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م: ٣/ ١٦٤.

(٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته، ح ٢٠٥٥: ٤/ ١٠٠، وقال الشيخ الالباني: حديث صحيح.

(٦) مسند الإمام احمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ح ١٥٠٧١: ٣/ ٣٧٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٧) ذكره ابن حجر في المطالب العالية، باب فتنة القبر وعذاب القبر، ح٤٥٣٢: ١٨/ ٤٧٥، وقال: اسناده صحيح.



ومع ذلك فقد وردت الأخبار أيضاً بعدم شمولية هذه الضغطة للجميع، يقول عبد الله شبر(1) في حق اليقين: (والكلام في ضغطة القبر كثوابه وعقابه. والذي يظهر من الأخبار المعتبرة أنها تقع في البدن الأصلي وليست بعامة، وإنما تابعةً للسؤال، فمن لم يُسأل لم يُضغَط)(2).

ويتضح لنا سبب هذا التباين الظاهري في هذه الأخبار من خلال دراستنا لمقاصدها، والتي سنذكرها فيما يأتي:

المقصد الأول: تجليات العدالة الإلهية في شمولية ضغطة القبر

في جميع مواقف النشآت الإنسانية يتصدر مقصد العدالة الإلهية ما دونه من المقاصد؛ وذلك لأنه الأصل الذي خلقَ تعالى بناءً عليه السمواتِ والأرض، فهو تعالى الحكم العدل الذي حاشاه أن يظلم أحداً، وفي القول بشمول هذه الضغطة لجميع العباد فإنه لا خروج عن هذا المقصد، بل إنه يتوافق معه تماماً، وهو الذي يتبين لنا من خلال بحثنا لما ورد فيها من النصوص الكريمة بما يدل على هذا الاختلاف في الضغطة بحسب إيمان الخَلْق وطاعتهم.

١ـ وردَ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(3)، حيث يذكر البغوي(4) رحمه الله (ت ٥١٦هـ) في تفسيره الآية الكريمة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ (يعني (القرآن) فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، أي: ضيقاً، وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا: هو عذاب القبر)(5)، ويؤيده ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى، ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قوله ﷺ: (يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ)(6).

ودليل ذلك (إن القرآن يسمى ذكراً، قال تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾(7)، وقال تعالى ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(8)، وقال تعالى ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(9)، وقال تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا

(١) السيد عبد الله شبر بن السيد محمد رضا الشبر الحسيني الكاظمي، المحدث الجليل، كان سريع الكتابة والتصنيف. كتب آخر بعض مصنفاته: شرعت فيها عند العشاء وتمت عند نصف الليل .وجاوزت مؤلفاته٥٢ مؤلفاً، منها [حق اليقين في معرفة أصول الدين]، و[مصباح الظلام]، و[صفوة التفاسير]، وغيرها، توفي سنة ١٢٤٢هـ. (يُنظر) الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران ١٣٤٨هـ: ٢/ ٣٥٢.

(٢) حق اليقين في معرفة اصول الدين: ٣٨٩

(٣) [سورة طه: من الآية ١٢٤].

(٤) العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، وكان عالما علامة، زاهدا قانعا باليسير، كان يأكل الخبز وحده، فعذل في ذلك، فصار يأتدم بزيت، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، من ملفاته [شرح السنة]، و[معالم لتنزيل]، و[المصابيح]، و[التهذيب]، و[الجمع بين الصحيحين]، توفي رحمه الله سنة ٥١٦هـ. (يُنظر) سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٤١.

(٥) تفسير معالم التنزيل للبغوي:٣/ ٢٧٨، و(يُنظَر) مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٣.

(٦) اثبات عذاب القبر، احمد بن الحسين بن علي بن موسى. ابو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق: شرف محمود القضاة، دار الفرقان ـ عمان، الاردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥، باب ما يكون على من اعرض عن ذكر الله، ح ٦٠: ١/٦٠، وهو جزء من حديث أورده الإمام أحمد في مسنده بإسنادين، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح ١٢٢٩٣: ٣/ ١٢٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناداه صحيحان على شرط الشيخين.

(٧) [سورة الأنبياء:من الآية ٥٠].

(٨) [سورة آل عمران: من الآية ٥٨].

(٩) [سورة القلم: من الآية ٥٢].



جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾(١)، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾(٢).

وعلى هذا فإضافته كإضافة الاسماء الجوامد التي لا يقصد بها اضافة العامل الى معموله ونظيره. وإنما قصد بها قصد الوصف الثابت اللازم)(٣).

٢ـ ما رواهُ الترمذي ﷺ من قوله ﷺ في مساءلة المنافق(. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ: مِثْلَهُ، لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ، فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)(٤).

وهذا يدل على أن الضغطة إنما يتعرض لها من أعرض ذكر الله تعالى وعن القرآن الكريم في الدنيا، وفيمن كان منافقاً أو جاحداً لما أنزل تبارك وتعالى من الحق، وكذَّب برسالاته.

٣ـ ما رواه ابن ماجة ﷺ في سننه، من قوله ﷺ: (إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللهَ ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا، مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)(٥).

فدلَّ هذا الحديث على شدة ضغطة القبر لمن لم يؤمنوا بالله تعالى بإيمان خالص، أو شابوا إيمانهم بالشك فيه، فتكون هذه الضغطة أشدها عليهم، أما المؤمنين فإنه تعالى يريهم ما أبدلهم ووقاهم منه إيمانهم به وتصديقهم لآياته.

ومما نستخلصه مما أوردناه في شمول هذه الضغطة في القبر، إلا إنها ليست على منحىً واحداً للجميع، فعدالة الله تعالى تأبى ذلك، وهو الرحيم على عباده الغفور لذنوبهم.

أما الأقوال التي تؤيد شمول الصحابي الجليل سعد بن معاذ ﷺ بها، وكذلك الصبي الصغير، وغيرهما. فهي وأن كانت شاملة للجميع إلا إنها تكون للمؤمنين كحنو الام على طفلها، وإن كانت لها من الشدة فسرعان ما

(١) [سورة فصلت: الآية ٤١].

(٢) [سورة يس: من الآية ١١].

(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٣.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ح ١٠٧١: ٣/ ٣٨٣، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب.

(٥) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، ح ٤٢٦٨: ٢/ ١٤٢٦، وقال المحقق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده صحيح.



تُفَرَّج عليهم، كما وردت بذلك الروايات، وهي ليست من عذاب القبر في شيء، بضد ما تكون للكفار والعصاة، وكما هو سائر مبادئ الجزاء الأخروي التي تقوم على العدالة واللطف والرحمة الإلهية، فتكون شاملةً لكن كلاً حسب عمله، حتى أنها تكون للمؤمنين الصالحين بإذن الله تعالى سبباً في سعة قبورهم لهم، وهو ما ستتطرق إليه في المقصد الثاني من مقاصدها.

كما بينت الروايات إنَّ هذه الضغطة كفارة للمؤمنين لمن لا يُغفَر له، إذ قد لا ينجو الإنسان من تبعات الذنوب التي يزينها له الشيطان، فتكون كفارةً عن ذنوبه هذه، ومما ورَد في ذلك قوله ﷺ: (ضَغْطَةُ الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِ كَفَّارَةٌ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَضْيِيعِ النِّعَمِ)[١]، فإن هذا الحديث الشريف يدل على أنها تكون جزاءاً لتضييع النعم التي ينعم الله تعالى بها على عباده، فالله تعالى أعدّل من أن يعذب من لا ذنب له.

كما إنه مما ورد بإمكان ممارسة أعمال معينة في الدنيا، لتجنب أنواع معينة من العذاب، وهذا ما يدل على البعد التربوي للعقائد الإسلامية، وأثرها في تقويم السلوك[٢].

فحين يعلم المؤمن أنه لا محالة سيتعرض الى ضغطة القبر وأنها عامة لجميع المؤمنين، إلا إنها تختلف من انسانٍ لآخر، فإنه سيحاول قدر جهده محاولة تهوينها عليه والتحرز من أسبابها مادام في هذه الحياة الدنيا، فلا يعمل عملاً إلا وتفكَّر في عواقبه وسيئاته، وما من نعمةٍ إلا وحاول شكرها وعدم تضييعها بما يسخط الله تعالى عليه.

فقد يكون إيمان الإنسان بهذه الضغطة سبباً من أسباب سلوكه العمل الصالح، ومحاولته التحرز من شدتها.

المقصد الثاني: تبشير المؤمنين بسعة قبورهم

وهذا المقصد ينطلق من الأحاديث الشريفة في تبشير المؤمن بسعة قبره ونظره الى موقعه من الجنة، لما جاء في العديد من الروايات، منها الحديث الصحيح من قوله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ) قَالَ ﷺ: (يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟) قَالَ ﷺ: (فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ) قَالَ ﷺ: (فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ) قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: (فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا) قال قتادة وذكر لنا (أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[٣].

وقد ورد في شرح الحديث في قوله ﷺ: (وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا) الخضر ضبطوه بوجهين أصحهما بفتح الخاء وكسر الضاد، والثاني بضم الخاء وفتح الضاد والأول أشهر، ومعناه يملأ نعماً غضة ناعمة وأصله من خضرة الشجرة. ويحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره، وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة

(١) علل الشرائع، العلة التي من أجلها يكون عذاب القبر، ح٤: ١/ ٣٠٩.

(٢) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٧٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه، ح٢٨٧٠: ٤/ ٢٢٠٠.



القبر ولا ضيقه إذا رُدَّت إليه روحه.)[١].

ويدلُّ على ذلك أيضاً قوله ﷺ: (إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ)[٢].

وهذا وغيره إنما يفيد على أن هنالك من يفلت منها، وأن الأمر مرتبط بالعمل، وبناء على هذا، فإن كل ما ورد في النصوص الكريمة يدل على ارتباط كل جزاء أو عقوبة بالأعمال التي تناسبها، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الروايات التي تذكر إمكانية تجنب ضغطة القبر، والأعمال المرتبطة بذلك، وهو ما يجعل من القول بعدم شمولها أكثر جدوى، بالإضافة لكونها أقرب لعدالة الله ورحمته بعباده[٣].

كما روي عن الإمام علي عليه السلام قوله فيها: (يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته) الى أن قال: (وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه عذاب القبر)[٤].

ففي قول الامام علي عليه السلام (لمن لا يُغفَر له)، أيضاً دلالةٌ على عدم شمولها للجميع، وهو ما يظهر من بقية الاخبار الدالة على أن المؤمن يُفتح له من قبره بابٌ الى الجنة، وكذلك قوله عليه السلام (التي حذر الله منها عدوه)، وقد خصَّ الله تعالى المؤمنين الصادقين بمحبته وقربه.

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام نجاة المؤمنين الصادقين من هذه الضغطة، بقوله ـ يصف موت المؤمن: (فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره، خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً، وتَلَقَّاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم، فإذا وُضع في قبره رُدَّ إليه الروح إلى وركيه، ثم يسأل عما يعلم، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله ﷺ فيدخل عليه من نورها وضوئها وبردها وطيب ريحها).

فقيل له: جعلت فداك فأين ضغطة القبر؟ فقال: (هيهات ما على المؤمنين منها شيء، والله إن هذه الأرض لتفتخر على هذه فتقول: وطأ على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض: والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري، فأما إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك، فيفسح له مد بصره)[٥].

وبهذا المعنى يقول الحكيم الترمذي رحمه الله: لا نعلم أن للأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ في القبر ضمة ولا سؤالاً، لعصمتهم، وكذلك فاطمة بنت أسد رضي الله عنها سلمت من هذه الضمة[٦].

أما ما وردَ في سعد بن معاذ رضي الله عنه وضم القبر له، وكذلك شمول الصبي الصغير بها، فإنها إن صحَّت فلا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ٢٠٤.

(٢) سنن الترمذي، (لم يُسَمِّ الباب)، ح ٢٤٦٠: ٤/ ٦٣٩، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وبحار الأنوار، باب سكرات الموت وشدائده، ح١٩: ٦/١٥٩، وباب احوال البرزخ والقبر: ٦/٢٠٥.

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٧٤.

(٤) بحار الأنوار، باب أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله، ح ١٣: ٦/ ٢١٨.

(٥) الكافي للكليني، الفروع من الكافي، ح ٤٣٢٥: ٣/ ١٣٠؟

(٦) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: ٢/ ١٦٤.



تكون في شدتها ما يتعارض مع هذه الرحمة الإلهية؛ ذلك إن المؤمنين وإن شملتهم هذه الضغطة، فإنها لا تكون عذاباً عليهم، بل إنها ستكون لهم جزءً من أجرهم الذي أعدَّه تعالى لهم، يؤيد ذلك ما أخرجَه البيهقي رحمه الله (ت ٤٥٨هـ) عن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: (يا رسول الله، إنك منذ يوم حدثتَني بصوتِ مُنكرٍ ونكيرٍ وضغطةِ القبر، ليس ينفعني شيء قال: (يَا عَائِشَةُ إِنَّ أَصْوَاتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالإِثْمِدِ فِي الْعَيْنِ وَإِنَّ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَالأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصُّدَاعَ ؛ فَتَغْمِزُ رَأْسَهُ غَمْزًا رَفِيقًا، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ وَيْلٌ لِلشَّاكِّينَ فِي الله، كَيفَ يُضْغَطُونَ فِي قبُورِهِم))[1].

فقيل هي للمطيع حنو، ولغيره ضمة سخط، ومما ورد في حكمتها: أن الأرض أمهم، ومنها خلقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رُدوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب ولدها ثم قدم عليها، فمن كان مطيعاً لله تعالى ضمته برفق ورأفة، ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها لله عليه[2].

كما يقول الذهبي[3] رحمه الله (ت٧٤٨هـ) في هذه الضغطة على المؤمنين: (إن هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن، كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه)[4].

المقصد الثالث: تواصل السَير التكاملي بين النشأتين

إن الإيمان بما يحدث بمجرد موت الإنسان ومن لحظات احتضاره ومسائلة الملكين وسعة القبر وضيقه، فضلاً عمَّا يليه من مواقف البعث والحساب والموقف وأهواله، يهب العبد حين التيقن به التأهب لما قد يواجهه، فيستدعي منه أن يفكر فيما يقدمه لهذا اليوم وما بعده من زاد، ليقيه من العذاب والخزي والندم يومئذ، ولم يتركه تعالى مخفياً عن عباده، إذ أمرهم بخير ما يتزودوا له من حق تقاته، فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[5].

وللإمام علي عليه السلام كلام بليغ يرسم لحظة الموت وسكراتها بعبارات حيّة بليغة إذ يقول: (اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم وتغيّرت لها ألوانهم، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم ومنطقه، وانّه لبيّن أهله ينظر ببصره ويسمع بأُذنه على صحّة من عقله وبقاء من لبّه، يفكّر فيمَ أفنى عمره؟ وفيم

---

(١) عذاب القبر للبيهقي، ح ١١٦: ٨٥.

(٢) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: ٢/ ١٦٤.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي المعروف بالذهبي شمس الدين، شيخ المحدثين جمع القراءات السبع على الشيخ أبي عبد الله بن جبريل المصري نزيل دمشق، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير وحرز الأماني لأبي القاسم الشاطبي، له تصانيف عديدة فريدة ومفيدة، منها: [تاريخ الإسلام]، و[سير أعلام النبلاء]، و[طبقات القراء]، و[الميزان]، و[المغني في أحوال الرواة]، وتوفي رحمه الله تعالى ٧٤٨هـ. (يُنظر) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ـ عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري الشافعي (ت١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية: ٢/ ٧٠٢، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ـ محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م: ١/ ٥٤.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١ / ٢٩٠

(٥) [سورة البقرة: من الآية ١٩٧].



أذهب دهره؟ ويتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتّعون بها)[1].

لذلك يقول حافظ حكمي رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ) في الإيمان بالمرور بهذه المرحلة لكل إنسان وتعرضه لما ورد فيها وما يليها بأن (المقصود الاعظم التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله؛ اذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، اذ ليس بعده لأحد من مُستعتَب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل، الا القبر وهو اما روضة من رياض الجنة، او حفرة من حفر النار الى يوم البعث والجزاء. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[3])[4]

ويرتبط هذا المقصد في تواصل السير التكاملي للإنسان بجوانبٍ عدة، ولا يقتصر في استعداده بما يتعلق بحاله فقط، بل يُضاف إليه باب البر الذي أمر به تعالى للوالدين والأقربين، زيادةً عمَّا ورد فيه من التوادد والتراحم بين العباد سواء في حياتهم أو بعدها، ذلك أن مَن قضوا آجالهم ولم يُعلَم مصيرهم، فإنهم في تلك الدار، قد انتهي سبيلهم؛ لكنهم قد يتمكنون من إكمال سيرهم التكاملي إن حصل لهم الفرصة في أن يهديهم الأحياء من الأعمال الصالحة لترتفع بهم درجاتهم ان كانوا من المنعمين أو تنقذهم من العذاب أو تقلله عنهم ان كانوا من المعذبين، يقول الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (إن الصلاة والصوم والصدقة والحج والعمرة وكل عمل صالح ينفع الميت حتى أن الميت ليكون في ضيق فيوسع عليه، ويقال: إن هذ بعمل ابنك فلان وبعمل أخيك فلان ـ أخوه في الدين)[5].

فإذا قضى الإنسان أجله وكان مؤمناً، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإن لمن يخلفه أن يتصدق عنه أو يدعو له، كي يخفف عنه من عذابه، او يرفع درجاته في النعيم والثواب، وقد خصصت أغلب الروايات التأكيد على أداء الأبناء من الأعمال الصالحة وإهدائها للوالدين كي يتداركوا بِرهم بعد رحيلهم عن الدنيا، ولا سيَّما حين يعلم الأحياء بما يلاقيه من فارقوا الدنيا من المسائلة وضغطة القبر وغير ذلك.

يقول الإمام النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ): (أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدَين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت اذا كان

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩: ١/ ١٥٢.

(٢) [سورة المؤمنون: من الآية ١٠٠].

(٣) [سورة الحشر: من الآية ١٨].

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٢/ ٧١٠.

(٥) قبس من غياث سلطان الورى ـ علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني رحمه الله (ت٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدى عليه السلام، قم ـ ايران: ٤، وبحار الأنوار، القضاء عن الميت والصلاة له، ح ١٩: ٨٥/ ٣١٢.

حج الاسلام، وكذا اذا وصَّى بحج التطوع على الأصح عندنا، واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه؛ عنه للأحاديث الصحيحة فيه)[١].

ودليله ما ورد في الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ، ومنها ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الإنسان انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[٢].

حيث (قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف)[٣].

كما ورد بأن استغفار الأبناء يرفع من درجات والدَيهم في الجنة، وقد رُوي في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً من قوله ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ)[٤].

وكذلك ورد أن الأعمال الصالحة تُهدى للأموات فينتفعون بها، مثل الصدقة والحج أو العمرة وغيرها، وبالذات إن كانت من الأبناء لآبائهم، ومما يدل على ذلك الرواية عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افتُتِلت نفسها (أي ماتت)، وأظنها لو تكلمت تصدَّقت، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها؟ قال ﷺ: نَعَمْ)[٥].

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال ﷺ: (نَعَمْ). قال سعد بن عبادة رضي الله عنه فإني أشهدك أَن حائطي المخراف صدقة عليها)[٦].

كذلك مما يصل إلى الميت أجر الحجّ والصيام عنه وقبول ذلك، ويدل عليه ما رُوي في المرأة التي تسأله بعد وفاة أمها إذ قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها، قال ﷺ: (صُومِي عَنْهَا)، قالت: إنها لم تحج قَط، أفأحج عنها؟ قال ﷺ: (حُجِّي عَنْهَا)[٧].

ذلك أن هذه الواجبات إنما هي حق الله تعالى، فإن لم يفِ بها العبد في حياتِه، فلمَن يخلفهُ أن يؤدي ذلك عنه،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٧/ ٩٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح ١٦٣١: ٣/ ١٢٥٥.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١١/ ٨٥.

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، ح ٣٦٦٠: ٢/ ١٢٠٧، وقال المحقق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة، ح ١٣٢٢: ١/ ٤٦٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أرضي أو بستاني صدقة عن أمي فهو جائز وإن لم يبين لمن هو، ح ٢٦٠٥: ٣/ ١٠١٣. وورد في شرح الحديث ((حائطي) هو البستان من النخل إذا كان له جدار، (المخراف) اسم لحائطه، والمخراف الشجرة وقيل ثمرها)

(٧) من لا يحضره الفقيه . . الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تعليق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات /الطبعة الاولى ١٩٦٨م، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور، ح ٥٥٤: ١/ ١٨٣.

وكما يُحاسَب الميت على الواجبات فإنه يُحاسَب على ما نذره فانتهى أجله دون وفاءه به، مما يؤدي بذلك الى إمكان الوفاء بالنذر إن لم يستطع هو خلال حياته، فقد روي ان امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرتْ أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال ﷺ: (نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللهَّ، فاللهَّ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ)(١)، ودلاله الحديث واضحة في إن النذر يُعَد من الدَّين الذي يجب وفاءه عن الميت، وهو أهم من الدَّين بين العباد؛ لأن وفاءه إنما يكون لله تعالى.

لذلك فقد عُدَّ ما يهديه الأحياء لأمواتهم والتشجيع عليه من مقاصد عقيدة الايمان بالحياة البرزخية، وما يحدث في هذه الحياة من المسائلة وضيق القبر أو سعته، ذلك أن ما يُهدى إليهم إنما هو يبرء ما بذمتهم من جهة ومن جهةٍ أخرى فهو يُدخِل عليهم السرور في ذلك الموقف، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدى إليه)(٢).

خلاصة الفصل الثاني

نستخلص من بحثنا فيما يلاقيه الإنسان في المرحلة التي تلي موته مباشرةً، وبدأ نشأته التالية لها في الحياة البرزخية، الردود الكافية على من ينكرون هذه الحياة نظراً لما جاء فيها من أدلة ظاهرة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة واعتبار الموت بدء حياة جديدة للإنسان في عالم جديد من عوالم الآخرة هو عالم البرزخ.

ومن خلال دراستنا للنصوص العقدية في هذا العالم، نستنبط مقاصدَ عدة ترتبط بهذه العقيدة، منها:

١ـ ان جميع مظاهر الكون تُعّد علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وربوبيته، كما تُعَد دليلاً على هداية الله تعالى لعباده، ومن ضمنها مسائل الإيمان باليوم الآخر واستمرارية الحياة بعد الموت، وبدءً من أول لحظات موت الإنسان وتحوله الى ذلك العالم، فثبت من مقاصد هذه العقيدة المستنبَطة من النصوص الكريمة، والمتوافقة مع ما يثبته العقل الإنساني من حيث توافقها مع الفطرة السليمة، واتفاق الأديان عليها، فضلاً عن إجماع أغلب الفلاسفة القدامى، وكذلك بالدلالة عليها عن طريق التمييز بين التعقل والتصور، مما يهيئ رداً مباشراً على المنكرين لهذه الحياة على الشبهات التي يتمسكون بها، ويحاولون اثارتها في كل حين.

٢ـ من المقاصد العقدية العامة التي ترتبط بوجود عالم الحياة بعد الموت إثبات عدالة الجزاء الإلهي، والتي يندرج تحتها مقاصد الحكمة الإلهية وتربية الله تعالى لعباده، والتي تهيؤهم لتزكية النفوس واستقامتها وتحصينها عن الخسران الكبير فيما يوصِل الى العذاب في تلك الحياة.

٣ـ تتباين مراتب العباد في الحياة البرزخية وما يليها بحسب إيمانهم وأعمالهم وما استحقوه من جزاء الله تعالى

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، ح ٦٤٥١: ٦/ ١٦٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه، باب التعزية والجزع عند المصيبة، ح ٥٥٥: ٢٩/ ١٢.



عليها، وتبعاً لذلك فإن منهم المقربين الذين يُبشرون بنعيمهم منذ خروج أرواحهم من أجسادهم، ويشملون الأنبياء عليهم السلام - والشهداء والصديقين، ومن تبعهم ممن أنعم تعالى عليهم، ولا يقتصر جزاءهم على ما سيلقونه من نعيم القبر بل يشمل أيضاً طمأنتهم على مَن بعدهم، وتثبيتهم على القول الثابت في توحيده تعالى وإجابة الملكين، ويتبعهم مرتبة أصحاب اليمين، ثم مرتبة أصحاب الشمال من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم فحُرِموا من نعيم ذلك العالم ونالوا الحسرة والخسران المبين، وتبعاً لمنازل المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال تكون قبورهم لهم روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

٤- يُعَد من مقاصد الايمان باحتضار الإنسان مقصد توحيد الله تعالى وإفراده بالأمر والتدبير، فهو وحده محدد الآجال وموعد خروج هذه الروح، وإن كان ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح إلا إنه لا يفعل إلا بأمره تعالى، ويندرج عنه أيضاً مقاصد لطف الله تعالى ورأفته بالمؤمنين في لحظة خروج أرواحهم، فضلاً عن مقاصد حسن الظن بالله تعالى وتأثيره في نيل رضاه ورحمته في هذا الموقف، ونظراً إلى شدة هذه اللحظات، إلّا أنه ثبُت بالنصوص الكريمة تجلي الرحمة الإلهية للمحسنين المتمثلة بالنزع اليسير لأرواحهم مقارنةً بالنزع المرتبط بأهل الشمال.

٥- بيان مقاصد قدرة الله تعالى في مسائلة القبر وبيان حال المثبتين من غيرهم، وتجليات هذه القدرة في أبواب الجزاء من الرحمة والعدالة الإلهية، فضلاً عن تجلي حكمته تعالى فيما أراده من عذاب للمسيئين باعتباره تطهيراً لأصحاب الذنوب من المؤمنين، لأجل تخلصهم من أدران ذنوبهم التي قاموا بها، وكونها بداية ما حذَّر به الكفار والجاحدين.

٦- من مقاصد العدالة الإلهية شمول ضغطة القبر لجميع العباد من الموحدين وغيرهم، إلا إنها وتبعاً لهذه العدالة والرحمة التي وعد بها تعالى عباده، لا تكون مستواً واحداً للجميع، إذ تكون شديدةً على أصحاب الشمال، وضغطة حنو وعطف على المؤمنين، فضلاً عن سعة قبورهم عليهم ونظرهم الى جنانهم التي وعدهم بها تعالى.

٧- ومما ذكرناه من مقاصد عقدية في هذا الفصل بما يتعلق بعموم الحياة البرزخية وما تعلق بها من مسائل خاصة، أن الله تعالى قد هيأ للإنسان السبل لنيل أعلى الدرجات التي وعدها تعالى المؤمنين، على أن يتركز في نفوسهم عقيدة التوحيد والتي ترافقها تقوى الله تعالى، فضلاً عن الاتيان بصالح الأعمال التي تُسهِم في إسعاده في تلك الدار، التي تسبق سعادته يوم الحساب، وتبشيره بالجنان.

٨- وكذلك المقاصد من هذه العقيدة بالتذكير فيما ينتفع به الأموات من صالح الأعمال من الدعاء والصدقة والصلاة والحج والقراءة والعلم وغيرها، والتي تُسهِم في جعل الإنسان متذكراً ذلك اليوم، ليس غافلاً عنه من جهة، ومن جهةٍ أخرى فهو بابٌ لعمل الطاعات مما يزكي النفوس ويشجعها نحو العطاء وأداء الحقوق للوالدين أو الأقربين أو لصالح المؤمنين ولو بعد رحيلهم عن هذه الحياة الدنيا.

ثم نختتم هذا الفصل في مقاصد الحياة البرزخية في أهم ما يتزود به الإنسان لذلك اليوم وما يليه من الأعمال الصالحة التي حثَّ عليها نبينا محمد ﷺ، في موعظته لقيس بن عاصم رضي الله عنه: (يَا قَيْسُ إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلًّا، وَ إِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتاً، وَ إِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً، وَ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً، وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً، وَ إِنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَاباً، وَ لِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَاباً، وَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً.

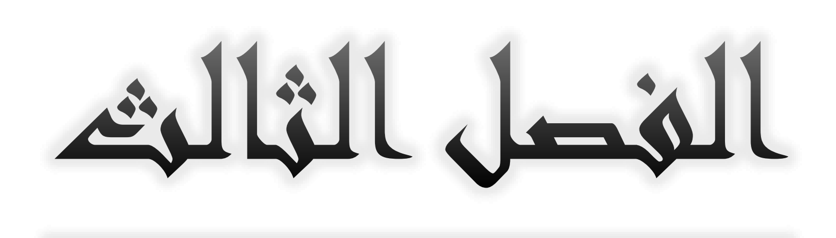
وَ إِنَّهُ يَا قَيْسُ: لَا بُدَّ لَكَ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَ هُوَ حَيٌّ، وَ تُدْفَنُ مَعَهُ وَ أَنْتَ مَيِّتٌ، فَإِنْ كَانَ كَرِيماً أَكْرَمَكَ، وَ إِنْ كَانَ لَئِيماً أَسْلَمَكَ، لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَعَكَ، وَ لَا تُحْشَرُ إِلَّا مَعَهُ، وَ لَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ، وَ لَا تُبْعَثُ إِلَّا مَعَهُ، فَلَا تَجْعَلْهُ إِلَّا صَالِحاً، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صَالِحاً لَمْ تَأْنَسْ إِلَّا بِهِ، وَ إِنْ كَانَ فَاحِشاً لَا تَسْتَوْحِشْ إِلَّا مِنْهُ، وَ هُوَ عَمَلُكَ)(١).

فقال: يا نبي الله أُحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسان (بن ثابت)، قال فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر، فاستتب لي القول قبل مجيء حسان فقلت: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما يريد، فقلت لقيس (ابن عاصم):

تخـــير خليطـــاً مـــن فعالـــك إنـــما	قـــرين الفتـــى في القـــبر مـــا كـــان يفعـــلُ
ولابُـــدَّ بعـــد المـــوت مـــن أن تعـــده	ليـــوم يُنـــادى المـــرء فيـــه فيقبـــلُ
فـــان كنـــت مشـــغولاً بشيـــء فـــلا	بغـــير الـــذي يـــرضى بـــه الله تشـــغلُ
فلـــن يصـــحبَ الإنســـان مـــن بعـــد موتـــه	ومـــن قبلـــه إلا الـــذي كـــان يعمـــلُ
ألا إنـــما الإنســـان ضـــيف لأهلـــه	يقـــيم قلـــيلاً بيـــنهم ثـــم يرحـــلُ (٢)

(١) بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، باب الاجتهاد والحث على العمل الصالح: ٦٨/ ١٧١، مجموع الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ. الشيخ بيوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ)، عناية وتخريج الأحاديث: الشيخ احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ٢٠١٠م، الأربعون السابعة والثلاثون، الأربعون حديثاً في الخطب النبوية، الحديث الثاني: ٣٨٩، وقال في هذه الأحاديث القاضي أبو نصر: (وقد خرجتُ أسانيد هذه الأخبار وجمعتها حتى أكملتُ أربعين حديثاً، تتبعتُ السماعات الى أن صحَّت رجاء المثوبة من الله تعالى لحصول الانتفاع، والتأدب مع الله تعالى وآداب نبيه ﷺ)

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٧١، وأمالي الصدوق ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، قدَّم له: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ٣.



المقاصد العقدية

من الإيمان بالمعاد والموقف وأهواله

ويشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: المقاصد العقدية من النفخ في الصور وبعث الأموات

المبحث الثاني: المحكمة الإلهية ومقاصدها العقدية

المبحث الثالث: الحوض والشفاعة ومقاصدهما العقدية

الفصل الثالث: المقاصد العقدية من المعاد والموقف وأهواله

بعدما ذكرنا حياة البرزخ وما يجري للخَلْق فيها من السؤال ورؤيتهم لأعمالهم وما أعدوا لأنفسهم في حياتهم من نعيم القبر وسعته أو ضيقهِ وعذابه، وبعد استخلاصنا للمقاصد العقدية فيها ننتقل الى المرحلة التي تلي ذلك، وهي معادهم من قبورهم ونشرهم للحساب والمحكمة الإلهية.

وبناءاً على ذلك فقد قسمنا هذا الفصل الى مباحثٍ ثلاثة، هي:

المبحث الأول: المقاصد العقدية من النفخ في الصور وبعث الأموات.

المبحث الثاني: المحكمة الإلهية ومقاصدها العقدية.

المبحث الثالث: الحوض والشفاعة ومقاصدهما العقدية.

واعتمادنا في استخلاص هذه المقاصد إنما هو المستند الأول من القرآن الكريم وما صحَّ من أقوال نبينا ﷺ، وما ورد من تفاسير للآيات الكريمة وشروح الأحاديث الشريفة، فضلاً عن كتب العقائد وغيرها.

ونحن إذ نذكر المقاصد العقدية في هذه المواقف إنما لا يمكن القطع بها أو حصرها فيما نذكره هنا؛ وذلك لقصور التفسير البشري والتعبير الاجتهادي من النصوص الصحيحة، ذلك (إن التعابير الواردة حول القيامة والحياة الأُخرى لا تستطيع ـ بحال ـ أن تكشف القناع عن جميع خصوصيات تلكم الحياة، بل للتعابير ـ أحياناً ـ صفة التشبيه والتمثيل. لأنّ الحياة في ذلك العالم تكون في آفاق أعلى، وهي أوسع بمراتب كثيرة من الحياة في هذا العالم، تماماً مثل سعة الحياة الدنيا هذه بالقياس إلى عالم الرحم والجنين، وعلى هذا فلا عجب إذا كانت الألفاظ والمفاهيم المتداولة في هذا العالم لا تستطيع أن تعكس بصورة كاملة ومعبّرة تلك المفاهيم)[1].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥/ ٥٦.



المبحث الأول: المقاصد العقدية من النفخ في الصور وبعث الأموات

سأذكر في هذا المبحث المقاصد العقدية بما يتعلق بالصور وبعث الأموات ومن خلال مطالب ثلاثة، هي:

المطلب الأول: النفخ في الصور ومقاصده العقدية.

المطلب الثاني: المعاد الجسماني والروحاني ومقاصدهما العقدية.

المطلب الثالث: مظاهر القيامة ومقاصدها العقدية.

واقدم في كل مطلب بتمهيد عام في مفهومه، ثم أذكر ما ورد فيها من المقاصد.

المطلب الأول: النفخ في الصور ومقاصده العقدية

يُعَد النفخ في الصور من أول الأحداث التي تبدأ بها النشأة الآخرة، وتنتهي بها مرحلة البرزخ، وهو من مقدمات يوم القيامة، وقد ورد الحديث عنه في مواضع متعددة من القرآن الكريم[1]،وبصيغ مختلفة، وكلها ـ كما يذكر علماء الكلام والمفسرون ـ تقرب الحقائق إلى الأذهان بما تعودت من صور، أما الحقيقة، فلا يعلمها إلا الله تعالى، وهي تدل على أن ذلك الحدث العظيم ستنتهي به النشأة الأولى، وتبدأ به النشأة الثانية، بشكلها الجديد، وقوانينها الجديدة.

لكن مع هذا الاتفاق بين العلماء على هاتين النفختين، ومقاصدهما إلا أنه وقع الخلاف حول ما ورد في بعض الأحاديث من إضافة نفخات أخرى، اختلف في سرها ومقصدها، واختلف قبل ذلك في مدى صحتها.

وبناءً على ذلك سنحاول في هذا المطلب بيان ذلك الاختلاف مركزين على المقاصد العقدية المرتبطة بها، وقد قدمنا لها بتمهيدٍ في مفهوم النفخ في الصور في اللغة والاصطلاح.

تمهيد: مفهوم النفخ في الصور

الصور في اللغة

تباينت أقوال العلماء في تعريف الصور في اللغة إذ يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، وأبو منصور الأزهري[2] (ت٣٧٠هـ) وابن منظور (ت٧١١هـ) رحمهم الله تعالى: ((الصُور) بمعنى (المَيْل)، يُقال: فلان يصور عنقه إلى كذا، أي مالَ بعنقه ووجهه نحوه)[3]، وهو مصدر صورته أصُورة صَوْراً إذا عطفته[4].

---

(١) ورد ذكر (النفخ في الصور) في أكثر من عشر آيات قرآنية، هي: (الكهف ـ ٩٩) و(المؤمنون ـ ١٠١)، (يس ـ ٥١)، (الزمر ـ ٦٨)، (ق ـ ٢٠)، (الحاقة ـ ١٣)، (الأنعام ـ ٧٣)، (طه ـ ١٠٢)، (النمل ـ ٨٧)، (النبأ ـ ١٨)

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده " الأزهر " عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، من مؤلفاته: [تهذيب اللغة]، و[غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء]، و[تفسير القرآن]، و[فوائد منقولة من تفسير للمزني]، وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٧٠هـ. (ينظر) الأعلام للزركلي: ٥/ ٣١١.

(٣) العين، باب الصاد، مادة (صور): ٤٢١/٤، وتهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، باب الصاد والراء: ١٢/ ١٥٩، ولسان العرب، مادة (صور): ٤/ ٤٧١.

(٤) (ينظر) جمهرة اللغة ـ محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٧م: ٢/٧٤٥.

والصور القَرْن، جاء في تاج العروس: (الصُور (بالضم) القرن يُنفَخ فيه)[1].

وقيل أن الصوُر: جمع صورة، يقول فيه الأزهريﷺ(ت٣٧٠هـ): (وادَّعوا أن الصور جمع الصورة، كما أن الصوف جمع الصوفة، والثوم جمع الثومة)[2]، وقال ابن منظورﷺ(ت٧١١هـ):(ويُقال الصُور جمع الصُّورة، مثل بُسْر وبُسْرة، أي يُنفَخ في صور الموتى الأرواح)[3]

الصور في الاصطلاح

أما الصور في الاصطلاح، فكما في اللغة، للعلماء رحمهم الله تعالى قولين في معناه، ذكرهما الطبري[4] (ت٣١٠هـ) في جامع البيان، والطوسي (ت٤٦٠هـ) في التبيان، والطبرسي (ت٥٤٨هـ) في تفسيره مجمع البيان، والرازي (ت٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب، والشيخ الشيرازي في تفسيره الأمثل، وغيرهم من العلماء، هما:

الأول: الصور هو قَرن يُنفخ فيه، وهو القول الراجح، وذهب الى هذا القول مجموعة من المفسرين، منهم ابن كثير والقرطبي والبغوي ومغنية وابن عطية الاندلسي رحمهم الله تعالى[5].

والثاني: هو جمع صورة، فإن الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم[6].

ويقول الشيرازي في تفسيره الأمثل: (طبقاً لهذا القول، فقد اعتبروا النفخ في الصور يعني النفخ في الوجه، مثل نفخ الروح في بدن الإنسان، ووفق هذا التّفسير ينفخ مرّة واحدة في وجوه بني آدم فيموتون جميعاً، وينفخ مرة أُخرى فيبعثون جميعاً)[7].

(١) تهذيب اللغة، باب الصاد والراء: ١٢/ ١٦٠، وتاج العروس، فصل الصاد المهملة مع الراء، مادة (صور): ٣٦٢/١٢.

(٢) قال الأزهري في قول أن الصور جمع صورة: (قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش، وتحريف لكلم الله عن مواضعها، لأن الله جل وعز قال: ﴿بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ﴾ [غافر: ٦٤]، بفتح الواو، ولا نعلم أحدا من القراء قرأها: ﴿فَأَحْسن صُوْرَكم﴾، وكذلك قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩] فمن قرأها (ونُفخ فِي الصُّوَر) أو قرأ: (فَأَحْسن صُوْرَكم) فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله)، وقال الفراء: كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحدته، فواحدته بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، فإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء، لأن جميع هذا الباب سبق واحدته، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا: صوفة وصوف، وبسرة وبسر، كما قالوا: غرفة وغرف، وزلفة وزلف....وأما الصور القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدته صورة، وإنما تجمع صورة الإنسان صورا، لأن واحدته سبقت جمعه.

قلت: قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب) تهذيب اللغة، باب الصاد والراء: ١٢/ ١٦٠.

(٣) لسان العرب، مادة (صور): ٤/ ٤٧١، وتاج العروس، فصل الصاد المهملة مع الراء، مادة (صور): ٣٦٢/١٢.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها (يُنظَر) وفيات الأعيان: ٤/ ١٩١.

(٥) (يُنظَر) تفسير القرآن العظيم:١٥/ ٤١، وتفسير الطبري: ١٨/ ٣٦٩، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١٦٩/١، معالم التنزيل: ١٥٧/٣، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩١/٧، وتفسير الكاشف لمغنية: ٢٤٢/٥، ٤٣١/٦.

(٦) (يُنظَر) تفسير مجمع البيان: ٦/ ٢٩٩، جامع البيان في تأيل القرآن: ١١/ ٤٦٣، مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٢٩، التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ١١٥.

(٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥٠/١٥.

كما عرَّفه القرطبي رحمه الله (٦٧١هـ) بقوله (والصور قرن من نور يجعل فيه الأرواح، يقال: إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق)[١]، ثم قال: (وسماه الله تعالى ايضاً بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[٢]، قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق)[٣].

وقد ورد في بعض الروايات التي تصف (الصور) الذي ينفخ فيه «إسرافيل عليه السلام» في نهاية العالم، عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام (وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف رأس كلّ منهما إلى الآخر مثل ما بين السماء إلى الأرض...) قال: (فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات، إلاّ إسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل عليه السلام: يا إسرافيل، مت، فيموت إسرافيل.)[٤].

وبناءاً على ذلك، فالنفخ في الصور إما أن يعود الى النفخ في القَرْن، أو الى نفخ الارواح في الاجساد بردها إلى حال الحياة التي كانت عليها، إلا إن القول الأول هو ما نراه راجحاً أكثر لدلالة الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها ما جاء في الحديث ان إعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما الصور؟ قال صلى الله عليه وسلم: (قرن ينفخ فيه)[٥].

إضافة الى اتفاقه مع أكثر التفاسير للآيات الكريمة، وهو ما ذهب إليه أغلب العلماء، يقول الشيرازي عند ذكره للقول في الصور بجمع صورة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[١]: (هذا التّفسير إضافة إلى كونه لا يتطابق مع ما جاء في الروايات، فإنّه لا يتطابق أيضاً مع الآية مورد بحثنا، لأنّ الضمير في عبارة (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ) مفرد مذكر يعود على الصور، في حين لو كان يُراد منه المعنى الثّاني لكان يجب استعمال ضمير المفرد المؤنث في العبارة لتصبح (نفخ فيها).

إنّ النفخ في الوجه في مجال إحياء الأموات يعد أمراً مناسباً (كما في معجزات عيسى عليه السلام) إلاّ أنّ هذا التعبير لا يمكن استخدامه في مجال قبض الأرواح)[٦].

أما عدد النفخات، فقد اتفق جميع المفسرين والمتكلمين والمحدثين وغيرهم على أن هناك نفختين في الصور، واختلفوا في الزائد عليهما، وبناء على ذلك الاختلاف وقع الاختلاف في مقاصد كل نفخة، وسنذكر تلك الأقوال والمقاصد العقدية المرتبطة بها.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١/١٦٩.

(٢) [سورة المدثر: من الآية ٨].

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١/١٦٨. ١٦٩.

(٤) تفسير نور الثقلين. الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت١١١٢هـ)، مؤسسة اسماعيليان، قم. ايران: ٤/ ٥٠٢.

(٥) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع: باب ما جاء في شأن الصور: ٤/١٩٨. ح٢٤٣٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ١٥١، و(يُنظَر) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ١١٥.

أولاً: المقاصد العقدية للنفخ في الصور عند القائلين بالنفختين:

اتفق القائلون بانحصار نفخ الصور في نفختين، على أن أولاهما نفخة إماتة، والثانية نفخة إحياء، وقد أيدَ هذا القول أغلب العلماء، ومما استدلوا به على هاتين النفختين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إذ سمَّى القرآن الكريم النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾(١).

قال الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) في الإحياء: (سبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي النفخة الثانية، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة)(٢).

كما استخدمت في بعض الآيات الكريمة عبارة «صيحة» عن النفخة الأولى، والتي تعني الصوت العظيم، كما في سورة يس ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾(٣)، التي تتحدث عن الصيحة التي تقع في نهاية العالم وتفاجئ كل بني آدم، وصرح بالنفخ بالصور في الثانية، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(٤)(٥).

وكذلك ما رُوي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه، فقال لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الانصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين اظهرنا فذهب اليه، فقال: أبا القاسم إن لي ذمةً وعهداً فما بال فلانٍ لطم وجهي؟ فقال ﷺ: (لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟) فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رؤى في وجهه، ثم قال ﷺ: (لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، (أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ)، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ)(٦).

فهذا الحديث أيضاً يدل على ان النفخ مرتين لا ثلاثة، يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في الفتح (إن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع كما وقع في سورة النمل، ثم يعقب

---

(١) [سورة النازعات: الآيتان ٦، ٧].

(٢) احياء علوم الدين: ٤/ ٥١٣.

(٣) [سورة يس: الآية ٤٩].

(٤) [سورة يس: الآيات ٤٩ - ٥٠].

(٥) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ١٤٩، القيامة الكبرى - د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة السادسة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ٣٩، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب قول الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً)، ح ٣٢٣٣: ٣/١٢٥٤.

ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتاً، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين)[١].

فالقول بالنفختين قد اتفق عليه أكثر العلماء[٢]، أما تفاصيل هاتين النفختين، فهي من الأمور الغيبية التي يجب التسليم لها، يقول الشيخ جعفر السبحاني[٣] في مفاهيم القرآن (وفي الواقع أنّ النفخ في الصور بتفاصيله مازال مجهولاً لنا، وهو من الأُمور الغيبيّة التي يجب الإيمان بها، وقد عبر عنها القرآن بأمر محسوس من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وعلى كلّ حال فالنفخ له مرحلتان:

المرحلة الأُولى: مرحلة الإماتة، وهي قُبيل يوم القيامة يسفر عن هذا النفخ الصعقُ والفزع اللّذان كُنّيَا بهما عن الموت، والمرحلة الثانية: مرحلة الإحياء وإحضار الناس إلى المحشر)[٤].

ونستنبط من خلال توافق النصوص الكريمة وغيرها مع ما يذهب اليه العلماء في ثبوت هاتين النفختين مقاصد عقدية عدة، نستطيع تلخيصها في مقصدين مهمين كبيرين، يتعلق أحدهما بتجليات الأسماء والصفات الإلهية، والآخر في الدور التكويني لهاتين النفختين، وكما يأتي بيانه:

المقصد الأول: تجليات الإرادة والقدرة الإلهية وانقياد العباد تحتها.

مما حوته النصوص الكريمة من مقاصد مقدمات القيامة من النفخ في الصور تجليات الأسماء والصفات الإلهية من إرادة الله تعالى وعظمته وقدرته على البعث والاحياء بعد فناء الخلق وصعقهم، فهو المبدئ والمعيد، وهو المحيي والمميت، فضلاً عن فزَع الخلْق الشديد وصَعقهم وانقيادهم التام لهذه المشيئة والإرادة الإلهية.

ومما ورد في ذلك ما ذكره الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب: (إنه تعالى لما قدَّر كمال عظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريقة أخرى تدل أيضاً على كمال قدرته وعظمته، وذلك شرح مقدمات يوم القيامة؛ لأن نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم، فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، واختلفوا في الصعقة، منهم من قال إنها غير الموت بدليل قوله تعالى في موسى عليه السلام ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾[٥] مع أنه لم يمت، فهذا هو النفخ الذي يورث الفزع الشديد، وعلى هذا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٤٤.

(٢) (ينظر) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٦٧، تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٧٦، الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م: ١٥/ ٢٧٩، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ٢٨٣.

(٣) الشيخ جعفر السبحاني التبريزي أحد الفقهاء المعاصرين، ومن مراجع الدين المعروفين في قم، بدأ في عام ١٣٦١ هـ بتدريس المقدمات وهو في الثامنة عشرة من عمره، وبعد ذلك أخذ بتدريس مرحلة السطوح، وكذلك البحث الخارج، بالإضافة إلى تدريسه علم الكلام، وعلم الرجال والدراية، وتاريخ الإسلام والتشيّع والملل والنحل، وتفسير القرآن وغيرها من البحوث، له مؤلفات كثيرة منها[مفاهيم القرآن]، و [بحوث في الملل والنحل]، و[رسائل ومقالات]، و[تهذيب الأُصول]، و[الموسوعة الرجالية الميسرة.]. (يُنظر) موقع مؤسسة الامام الصادق الذي أسسه: http://imamsadeq.org/

(٤) مفاهيم القرآن: ٨/ ٢٠٧.

(٥) [سورة الأعراف: من الآية ١٤٣].



التقدير فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد، وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[1]، وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس إلا مرتين)[2].

وقال الطباطبائي رحمه الله(ت١٤٠٢هـ): (ولعل انحصار النفخ في نفختي الإماتة والاحياء هو الموجب لتفسيرهم الصعق في النفخة الأولى بالموت مع أن المعروف من معنى الصعق الغشية. يقال: صعق الرجل صعقاً وتصاعقاً: أي غشيَ عليه وأصعقه غيره، وقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾: أي مات)[3].

فكان تفسير النفخة الأولى بنفخة الفزع والصعق، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: (فالظاهر من الآية الكريمة يدل على أن النفخة هنا إشارة إلى النفخة الأُولى التي تقع في نهاية الدنيا، لأنّ التعبير بـ (فزع) وهو يعني الخوف أو الإستيحاش الذي يستوعب جميع القلوب، يعدّ من آثار هذه النفخة. ونعلم أن الفزع في يوم القيامة هو بسبب الأعمال لا من أثر النفخة)[4].

لذلك فإن النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق، فيها من المقاصد العقدية التي تظهر وتبرز فيها قاهرية الله تعالى وقوته ومالكيته، وهي تدعونا للتدبر في هذا الكون العجيب الغريب الذي نعيش فيه، والذي يعجُّ بالحياة والأحياء الذين نشاهدهم والذين لا نشاهدهم، وما هم فيه في حركة دائبة لا تهدأ ولا تتوقف، وسيبقى حاله كذلك إلى أن يأتي اليوم الذي يُهلك الله فيه الجميع، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6].

فعندئذٍ لم يبقَ في هذا الكون إلا وجه الله الكريم، إذ تُنهي هذه النفخة الحياةَ في الأرض والسماء ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾، وهي نفخة هائلة مدمرة، يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر على العودة إلى أهله وخلانه[7].

وكذلك الحال في النفخة الثانية، إذ يشاء تعالى بحكمته وقوته ليذعن له الخَلق أجمعين، ينتظرون ماذا حلَّ بهم، إذ يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، ويقول السيد الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان: (ضمير (فيه) للصور، والمعنى: ونفخ في الصور نفخة أخرى فإذا هم قائمون من قبورهم ينتظرون ما يؤمرون أو ينتظرون ماذا يفعل بهم أو فإذا هم قائمون ينظرون نظر المبهوت المتحير)[8].

---

(١) [سورة النمل: الآية ٨٧].

(٢) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٧٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٩٣.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ١٥٠، ١٥١.

(٥) [سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧].

(٦) [سورة القصص: الآية ٨٨].

(٧) (يُنظَر) القيامة الكبرى: ٣٢.

(٨) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٩٤.

ولا ينافي ما في هذه الآية من كونهم بعد النفخ قياماً ينظرون، مع تحيرهم وفزعهم مع ما ورد في آيات أخرى بل يتوافق معها تماماً، كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[1]، أي يسرعون، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[3]، فإن فزعهم بالنفخ وإسراعهم في المشي إلى عرصة المحشر وإتيانهم إليها أفواجاً كقيامهم ينظرون حوادث متقارنة لا يدفع بعضها بعضاً[4].

كذلك مما يُشير الى هذا المقصد من تجليات القدرة والارادة الإلهية والتسليم لها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (.ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا[5]، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ـ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ ـ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ ـ نعمان (راوي الحديث) الشَّاك ـ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ.)[6].

ويستدل أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) في التذكرة، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في فتح الباري، وشهاب الدين الآلوسي[7] (ت١٢٧٠هـ) وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى بهذا الحديث أنها نفختان لا ثلاث[8]، الأولى يحصل بها الصعق والثانية يحصل البعث، وفيه من التجليات الظاهرة لجميع الأسماء والصفات الإلهية، من القوة والقدرة والقاهرية، وانقياد جميع الناس للأمر الإلهي العظيم.

المقصد الثاني: الدور التكويني للنشأتين الأولى والثانية

نستطيع أن نستنبط هذا المقصد من خلال ما ذكره أغلب العلماء، من القدامى والمحدثين، وهو يعني أَن النفخ في الصور لا يقتصر على التنبيه للنشآت الجديدة، وإنما يتعداه إلى الدور التكويني لهذه النشآت، أي أن النفخة الأولى تكون سبباً في نهاية النشأة التكوينية الأولى، والنفخة الثانية تكون سبباً في نهاية النشأة التكوينية الثانية، كما يشير إلى

(١) [سورة يس: الآية ٥١].

(٢) [سورة النبأ: الآية ١٨].

(٣) [سورة النمل: الآية ٨٧].

(٤) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ١٥٠.

(٥) قوله ﷺ: (أصغى ليتا ورفع لِيتاً) الليت بكسر اللام وآخره مثناة فوق وهى صفحة العنق وهى جانبه وأصغى: أمال، قوله ﷺ: (وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله) أى يطينه ويصلحه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفتن وأشراط الساعة: ١٨/ ٧٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض، ح ٢٩٤٠: ٤/ ٢٢٥٨.

(٧) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان على مذهب أهل السنة والجماعة، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم، منمؤلفاته [روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني]، و[نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول]، و[نشوة المدام في العود إلى دار السلام]، و[غرائب الاغتراب]، وقد ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثاً ومناظرات، و[دقائق التفسير]، و[الخريدة الغيبية]، وغيرها، توفي رحمه الله سنة (١٢٧٠هـ). (يُنظَر) الأعلام للزركلي:/ ٧/ ١٧٧.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٧٠، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١/١٧٥.

ذلك كون النفخ في طين الإنسان سبباً في تشكل الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(١)(٢).

لذلك فبالاستناد إلى آيات القرآن الكريم ـ يظهر أن إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور مرتين، ونستنبط منها المقاصد التي تعود الى زمان هاتين النفختين، التي تقع أُولاهما في نهاية هذا العالم، حيث يموت مَن في الأرض والسماوات، وفي ثانيتهما يبدأ بعث من في القبور، ليعودوا لحياة جديدة، وليستعدّوا للحساب والجزاء(٣).

ويدل لهذا قوله تعالى في بيان الغرض من كلا النفختين: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، أي أن النفخة الأولى في الصور هي نفسها نفخة الموت التي يحدث فيها الصعق والفزع وموت الأحياء جميعاً، أما الثانية فهي نفخة إحيائهم جميعاً، وبناء على هذا فسروا كل الآيات الكريمة التي قد يتوهم منها أن العدد أكثر من نفختين أنَّ من مقاصدها ذكر بعض ما يحصل، لا تعدد النفخ نفسه، فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾، يراد به الفزع عند حصول النفخ لا كونها نفخة أخرى عدا نفخة الصعق، ونفخة الإحياء(٤).

كما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ)(٥).

حيث يتضح من بيانه ﷺ المدة بين النفختين انحصار العدد بهما دون غيرهما، وهما نفخة الإماتة ونفخة الإحياء، ولو كان ثمة نفخة أخرى لبينها النبي ﷺ في قوله.

وهكذا، فإن لتينك النفختين أثرهما التكويني سواء بالصعق والإماتة، أو بالإحياء من جديد، وفق القوانين الجديدة. والصعق والإماتة لا تعنيان إعدام الموجودات، كما عرفنا في النشأة الأولى، وإنما تعني التحول إلى هيئة أخرى متناسبة مع الوضع الجديد، وقوانينه الجديدة(٦).

ثانياً: المقاصد العقدية للنفخ في الصور عند القائلين بالنفخات الثلاث والأربع:

وقد ذهب البعض من العلماء الى القول بأنها ثلاث نفخات، حيث ذكرها الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ)، وابن كثير الدمشقي رحمه الله (ت٧٧٤هـ)، وابن العربي رحمه الله (ت٥٤٣هـ)، فيما نقله عنه ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في فتح

---

(١) [سورة الحجر: الآيتين ٢٨، ٢٩].

(٢) ذلك أن النفخ في الصور يُعَد حدثاً عظيماً (تنتهي به النشأة الأولى، وتبدأ به النشأة الثانية، ولذلك ورد في القرآن الكريم ذكر نفختين في الصور، إحداهما تعلن نهاية النشأة الأولى، والثانية تعلن بداية النشأة الثانية، بشكلها الجديد، وقوانينها الجديدة) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٥.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/ ٥١٥، و١٧/ ٣٢، والعقيدة الإسلامية للسبحاني: ٢٤٠، و(يُنظَر) القيامة الكبرى: ٣٩.

(٤) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، جزء من ح ٢٩٥٥: ٤/ ٢٢٧٠.

(٦) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٥.



الباري، وهذه النفخات هي: النفخة الاولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

أما المقاصد التي تظهر في قولهم هذا فهي لا تخرج عن مقاصد القائلين في كونها نفختين، في تجليات الإرادة والقدرة الإلهية فيما ينتاب الخَلْق من فزع يومئذٍ، فضلاً عن الدور التكويني للنشآت الثلاث.

حيث استدلوا لهذا القول بأن الله تعالى ذكر نفخة الفزع في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[1].

فقال ابن كثير رحمه الله[2] (ت٧٧٤هـ) في معرض تفسيره للآية الكريمة (هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[3] ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول تعالى: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء، ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل عليه السلام، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي: أحياء، بعد ما كانوا عظاماً ورفاتاً، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة)[4].

ويؤيد هذا القول السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ) بقوله (وأما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور، واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، وهي التي يتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[5]. وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة. ـ والنفخة الثانية نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، وقد فُسِّر الصعق بالموت، والنفخة الثالثة نفخة البعث والنشور، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات وأخبار تشير إليها كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[6].)[7]، وغيرهم.

---

(١) [سورة النمل: الآية ٨٧].

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي،نشأ بدمشق، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية وعمل طبقات الشافعية وجرح أحاديث أدلة التنبيه وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي، وكان كثير الاستحضار حسن المفاكهة سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي. (يُنظر) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١/ ٤٤٥.

(٣) [سورة غافر: من الآية ١٦].

(٤) تفسير القرآن العظيم (دار طيبة): ٧/ ١١٦.

(٥) [سورة ص: الآية ١٥].

(٦) [سورة يس: الآية ٥١].

(٧) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٦١ ـ ١٦٤ (بتصرف)

قال القرطبي رحمه الله: (والصحيح انها نفختان فقط؛ لثبوت الاستثناء بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ في كل من الآيتين ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع ان لا يحصلا معاً من النفخة الأولى)[1].

كما أن استدلالهم بالآية الكريمة التي تذكر نفخة الفزع ليست صريحة على أن هذه نفخة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب مَن في السماوات والأرض عند النفخ في الصور أن تجعل هذه نفخة مستقلة، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم، والنفخة الثانية تفزع الناس عند بعثهم[2].

كما احتجوا ببعض الأحاديث التي نصت على أن النفخات ثلاث، كحديث الصور، وهو حديث طويل، أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، وفيه: (يَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفْخَاتٍ، النَّفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[3]، وقال فيه ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة[4]، إلا أنه مع ذلك لا يصح أن يُستَدَلُّ به على عدد النفخات لأنه حديث ضعيف مضطرب كما يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عنه[5].

كذلك في مقاصد من قال بأنها أربع نفخات، حيث نسب ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في هذا العدد لابن حزم رحمه الله، وتتضح مقاصدها عنده، فقال: (زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع: الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حياً في الأرض، والثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب، والثالثة نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي)[6] .

ثم عقب ابن حجر رحمه الله على هذا بقوله: (وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعاً ليس بواضح بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يسمعهما، فالأولى: يموت بها كل من كان حياً ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية: يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه والله أعلم)[7].

ثم نسب هذا القول إلى آخرين من غير أن يسميهم، فقال: (ذهب آخرون إلى أنها أربع نفخات، بناء على فهمهم لقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[8]، ولذلك ذكروا أن الغرض من هذه النفخة جمع الخلق وإحضارهم، وأنها نفخة أخرى بالإضافة للنفخات السابقة.

---

(١) (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٦٩.

(٢) القيامة الكبرى: ٤١.

(٣) الأحاديث الطوال سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء ـ الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، حديث الصور، ح ٣٦: ٢٦٦، (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٦٩.

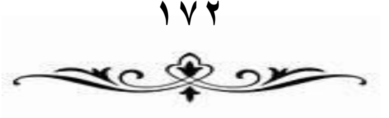
(٤) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٨٧.

(٥) (يُنظَر) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١٨٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٦٩.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٢٠٥.

(٧) المصدر نفسه: ١٠/ ٢٠٥

(٨) [سورة يس: الآية ٥٣].



وقد رد جمهور العلماء من أصحاب القول الأول على هذا، بأنه لا مانع من أن يكون هناك هذه الصيحة المرتبطة بالجمع والإحضار، ولكنها لا تعتبر من النفخ في الصور، لأن القرآن الكريم، وفي مواضع أخرى حدد العدد باثنتين، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[١])[٢].

المطلب الثاني: المعاد الجسماني والروحاني ومقاصدهما العقدية

من خلال استقرائي لما ورد عن علماء الكلام، نجد اتفاق المسلمين عامة على حقيقة البعث والمعاد بعد النفخ في الصور وثبوت النشأة الآخرة، وشاطرهم المحققون من الفلاسفة الرأي في ذلك، إلا إنهم اختلفوا في كيفية المعاد على قولين، الأول أن المعاد يكون جسمانياً، والقول الثاني أن المعاد روحاني فقط، فضلاً عن أقوال أخرى فيهما، وبناءاً على ذلك فسوف ندرس المقاصد العقدية في هذه المسألة من هذا المطلب وفي فرعين، يتقدمهم تمهيد في مفهوم البعث والمعاد، وكما يأتي:

اولاً: المعاد الجسماني ومقاصده العقدية.

المقصد الأول: توافق المعاد الجسماني مع القدرة الإلهية وحقيقة الروح.

المقصد الثاني: توافق المعاد الجسماني مع الرحمة والعدالة الإلهية والحقيقة الإنسانية.

المقصد الثالث: توافق المعاد الجسماني مع الحقائق العلمية المعاصرة.

ثانياً: المعاد الروحاني ومقاصده العقدية.

تمهيد: مفهوم البعث والمعاد والأقوال في ثبوته

البعث في اللغة:

للبعث معان متعددة في اللغة منها: (الإرسال)، و(الايقاظ)، و(الإثارة)، و(الإحياء)، فقد عرَّفه أبو نصر الجوهري[٣] رحمه الله (ت٣٩٣هـ) بقوله (بعثه وابتعثه بمعنى، أرسله، فانبعثَ. وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث)[٤].

وعرَّفه ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ): (بعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره، وابتعثه أيضاً أي أرسله فانبعث)[٥].

---

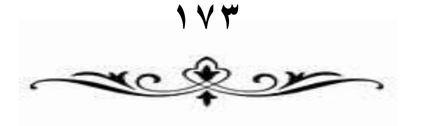
(١) [سورة النازعات: الآيات ٦ ـ ٩].

(٢) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٦.

(٣) إسماعيل بن حماد، أبو نصر، مصنف [الصحاح]، كان من "فاراب" أحد بلاد الترك، وكان يضرب به المثل في حفظ اللغة، وحسن الكتابة، ويذكر خطه مع خط ابن مقلة، ومهلهل والبريدي، وكان يؤثر الغربة على الوطن، دخل بلاد ربيعة، ومضر في طلب الأدب، ولما قضى وطره من قطع الأفاق والأخذ عن علماء الشام والعراق عاود خراسان، فأنزله أبو الحسين الكاتب عنده، وبالغ في إكرام مثواه جهده، فسكن نيسابور يدرس ويصنف اللغة، توفي رحمه الله تعالى سنة٣٩٣ هـ. (يُنظر) تاريخ الإسلام ت بشار: ٨/ ٧٢٤.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب الثاء، فصل الباء، مادة (بعث): ١/ ٢٧٣.

(٥) لسان العرب، حرف الباء، فصل الباء الموحدة، مادة (بعثَ): ٢/ ١١٦.



وقال أبو البقاء الكفوي رحمه الله (ت١٠٩٤هـ) (البعث هو الإثارة والإيقاظ من النوم، قال تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[١]، وإيجاد الأعيان والأجناس عن ليسٍ يختّصُّ به الباري تعالى والإحياء والنشر من القبور[٢].

والنشر هو البعث، يقول الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ) في العين النشر هو الريح الطيبة، والنشور: الحياة بعد الموت، يُنشِرُهُم اللهُ انتشاراً، ونَشَرت الأرضُ تنشُرُ نشوراً، إذا أصابها الربيعُ فأنبتت[٣]، والنشور: (هو بعث الموتى يوم القيامة)[٤].

البعث في الإصطلاح:

يعرِّف سعد الدين التفتازاني رحمه الله (ت٧٩١هـ) البعث بقوله: (هو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزائهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها)[٥].

كما يذكر السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ) أن البعث هو (أن يبعث الله تعالى جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء)[٦].

ويُعَد البعث من القبور من اصول الاعتقادات الايمانية، فهو (الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يبعث الخلائق بعد موتها فيجمع أجزاءها بعد تفرقها ويعيد إليها أرواحها بعد مفارقتها ويعيدها كما بدأها)[٧].

ومثله النشور، وهو الإخراج من القبور برَد الروح في الجسد[٨]، فالبعث والنشور معنيان مترادفان، يُقال نُشِرَ الميت: إذا عاشَ بعد الموت، وأنشرهُ الله: أي أحياه[٩].

قال ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ): (النشور أي يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة، يقال: نشر الله الموتى فَنُشِر أي أحياهم فحيوا)[١٠]، ويقول محمد جواد مغنية رحمه الله (ت١٤٠٠هـ) (البعث هو النشور)[١١]؛ فالنشر إحياء الخلق بعد موتهم[١٢].

---

(١) [سورة يس: من الآية ٥٢].

(٢) الكليات، فصل الباء: ٢٤٤، و(يُنظَر) المعجم الوسيط، باب الباء: ٦٢.

(٣) (يُنظر) العين، باب النون، مادة (نشر): ٢٢١/٤.

(٤) المعجم الوسيط، باب النون: ٩٢٢.

(٥) شرح العقائد النسفية ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩١هـ)، تعليق: عبد السلام عبد الهادي شنَّار، دار البيروتي، ودار ابن عبد الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ١٣٠.

(٦) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٥٨.

(٧) الايمان بعوالم الآخرة ومواقفها ـ عبد الله سراج الدين، مطبعة الأصيل، حلب ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م: ١١٦.

(٨) (يُنظَر) شرح الخريدة البهية: ١٣٢، عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٣٤.

(٩) (يُنظَر) لوامع الأنوار البهية: ١٥٨، العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٦٤٠.

(١٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١٤/١١.

(١١) تفسير الكاشف لمغنية: ٣٧٧/٧.

(١٢) (ينظر) المسامرة بشرح المسايرة: ٩٨/٢.



ومثلهما المعاد، و(يوم البعث) يراد به يوم القيامة، والآخرة، والجزاء، والحساب، والساعة، والحشر، والمعاد[1]. ولهذا عبر أكثر المتكلمين عن البعث بالمعاد، وعبر بعضهم عنه بالحشر والنشر.

قال صدر المتألهين الشيرازي(ت١٠٥٠هـ): (اتفق المحققون من الفلاسفة والمليين على أحقية المعاد، وثبوت النشأة الباقية، لكنهم اختلفوا في كيفيته، فذهب جمهور الإسلاميين وعامة الفقهاء وأصحاب الحديث إلى إنه جسماني فقط، بناءً على أن الروح عندهم جسمٍ سارٍ في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد، والزيت في الزيتونة، وذهب جمهور الفلاسفة وأتباع المشائين إلى أنه روحاني، أي عقلي فقط؛ لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه لقطع تعلق النفس بها، فلا يُعاد بشخصه تارةً أُخرى؛ إذ المعدوم لا يُعاد والنفس جوهر باقٍ لا سبيل للفناء إليه، فتعود الى عالم المفارقات؛ لقطع التعلقات بالموت الطبيعي.

وذهب كثيرٌ من أكابر الحكماء والعرفاء وجماعة من المتكلمين كالغزالي والكعبي والحليمي[2] والراغب الأصفهاني وكثير من أصحابنا الإمامية كالشيخ المفيد[3] والعلّامة الحلي[4] رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الى القول بالمعادين، ذهاباً الى ان النفس مجردة تعود الى الأبدان)[5]، كما ذكر هذه الأقوال العلامة المجلسي[6] (ت١١١٠هـ)[7]، والشيخ السبحاني[8]، والسيد كمال الحيدري[9]، وغيرهم.

أما القول الآخر فهو للفلاسفة الذين نفوا المعاد، حيث يقول فيهم التفتازاني (ت٧٩١هـ): (وأنكره

---

(١) قاموس الشوارفية للمترادفات (عربي ـ إندونيسي)، د ـ كمال الدين نور الدين مرجوني، مطبعة جيفوتات، جاكرتا، ٢٠٠٩م: ٦٢٢.

(٢) أبو عبد الله الحليمي بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها الميم نسبة إلى حليمة ظئر النبي ﷺ وإلى الحسن بن محمد بن حليم بن إبراهيم بن ميمون الصائغ الحليمي المروزي نسبة إلى جده حليم وإبراهيم بن ميمون الصائغ. (يُنظر) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ـ عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه ـ كراتشي، ١٣٣٢هـ: ١/ ١٦٠.

(٣) محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم، من كبار أعلام الإمامية، صاحب التصانيف الكثيرة في العقائد والفقه، منها كتاب [النكت الاعتقادية]، و[المسائل العكبرية]، و[تصحيح الإعتقادات]، توفي رحمه الله سنة (ت٤١٣هـ)، وصلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين ميدان الأشنان وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش. (يُنظَر) رجال النجاشي: ٢٩٠.

(٤) الشيخ الحسن بن يوسف زين الدين بن علي بن المطهر الحلي، شيخ الطائفة وعلامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق كثير التصانيف، انتهت رياسة الامامية اليه في المعقول والمنقول،وله المؤلفات المتنوعة، منها:. [منتهى المطلب]، و[القواعد]، و[التحرير]، و[إرشاد الاذهان]، و[إيضاح الاحكام]، و[التبصرة]، وله [الابحاث المفيدة في تحصيل العقيدة]، و[نهاية المرام في علم الكلام]،وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة ٧٢٦هـ. (يُنظَر) أعيان الشيعة: ٥/٤٠٢، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:٢/٧١.

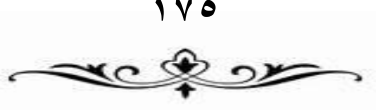
(٥) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الحكمة ـ صدر الدين محمد الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م: ٩/ ١٦٥.

(٦) محمد باقر المعروف بالمجلسي الثاني ابن المولى محمد باقر المعروف بالمجلسي الأول الأصفهاني، بلغ من الفصاحة وحسن التعبير الدرجة القصوى، وكان يباشر جميع المرافعات بنفسه، ولا تفوته صلاة الأموات والجماعات والضيافات والعبادات، وكان يباشر أمور معاشه وحوائج دنياه بغاية الضبط، ومع ذلك بلغت مؤلفاته ما بلغت بفضل الله تعالى، وقد تجاوت السبعين مؤلفاً، ومنها [بحار الأنوار]، و[مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ]، و[ملاذ الأخيار] في شرح تهذيب الأخبار، وغيرها كثير، توفي رحمه الله في أصفهان سنة ١١١٠هـ. (يُنظر) أعيان الشيعة: ٩/ ١٨٢، ١٨٣.

(٧) بحار الأنوار: ٧/ ٤٣.

(٨) مفاهيم القرآن: ٨/ ٧٦.

(٩) المعاد رؤية قرآنية: ١/ ٢٤٥.



الفلاسفة بناءً على امتناع إعادة المعدوم بعينه، هو مع أنهم لا دليل لهم عليه يُعتَدُّ به، غير مضرٍ بالمقصود؛ لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان ويعيد روحه إليه، سواءٌ سُمَّ ذلك إعادة المعدوم بعينه أو لم يُسَمَ)(1).

وذكر هذا القول السيد عبد الله شبر في حق اليقين بقوله (ورابعهما: قول من نفى المعاد عن الأمرين، ولا أعرف عاقلاً ذهب اليه، بلى كان جالينوس من المتوقفين في أمر المعاد)(2).

والحاصل، فقد اختلفت أقوال العلماء حول هذا الموضوع إلى عدة أقوال، أوصلها الرازي (ت٦٠٦هـ) الى آراءٍ خمسة، بقوله: (. فاعلم أن الأقوال الممكنة في هذه المسألة لا تزيد على خمسة: وذلك لأن الحق: إما أن يكون المعاد هو المعاد الجسماني فقط، وهو قول أكثر المتكلمين، أو المعاد الروحاني فقط، وهو قول أكثر الفلاسفة الإلهيين، أو كل واحد منها حق وصدق، وهو قول أكثر المحققين، أو الحق هو بطلانهما معاً، وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين، أو الحق هو التوقف في كل هذه الأقسام وهو المنقول عن جالينوس)(3).

أما تفصيل هذه الأقوال:

الرأي الأول: يذهب إلى القول بإثبات المعاد الجسماني فقط، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة(4)، واستدلوا على ذلك بأن البدن وحده هو الحيوان، وهو الإنسان بحياةٍ وإنسانيةٍ خُلقتا فيه، وهما عرَضان، والموت هو عدمهما فيه أو ضدٍ لهما، وفي النشأة الثانية يخلق في هذا البدن حياة إنسانية بعد تفتت هذا الجسم، ويصير ذلك الإنسان بعينه حياً(5).

ولذلك قالوا بأن المعاد هو جسماني فقط(6)،وهذا على اعتبار أن النفس والجسد شيء واحد، وأن الموت يحدث لكل من النفس والبدن معاً، أي أنهم يقولون بجسمية النفس الإنسانية وينفون تجردها(7)، لأن حقيقة الإنسان في نظرهم يتكون من جسمين مختلفين بالماهية والشخص، والتي ذكرها الشيرازي (ت١٠٥٠هـ) في الحكمة المتعالية، هما:

---

(١) شرح العقائد النسفية: ١٣٠.

(٢) حق اليقين في أصول الدين: ٣٣٨.

(٣) الأربعين في أصول الدين ـ محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، مطبعة دار التضامن ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ: ٢/٢٧٨-٢٨٨.

(٤) المواقف، الإيجي، ٣/٣٥٩، و٥٢٠.

(٥) (يُنظَر) رسالة أضحوية في أمر المعاد ـ ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، ضبط وتحقيق: الأستاذ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

(٦) وفي هذا يقول أبو بكر بن الأصم المعتزلي رحمه الله (ت٢٧٩هـ): (الإنسان هو الذي يرى، وهو شيء واحد لا روح له، وهو جوهر واحد، ونفى إلا ما كان محسوساً) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ـ الإمام أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م: ٣٣١، ويقول القاضي عبد الجبار رحمه الله (ت٤١٥هـ): (لابد في إعادة الحي المخصوص بأجزائه، لأن الحى هو الجسم المبني بنية مخصوصة)، إلا إنه يرى أنه ليس من الضروري إعادة كل أجزاء الإنسان، بل هي أقل الأجزاء بشرط أن يكون الإنسان بها حياً، وما عدا ذلك، فالقديم تعالى مخير، إن شاء أعاد نفس الأجزاء التي اختص بها من قبل، وإن شاء ما يقوم مقامها، وهذا يدل على نفي وجود النفس، وإثباته لوجود الجسد فقط. (يُنظَر) المغني في أبواب التوحيد والعدل ـ القاضي عبد الجبار الأسترآبادي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: د. محمود محمد قاسم: ١١/٤٦٧، و ٤٧٨.

(٧) (يُنظَر) مقالات الإسلاميين: ٣٣٥-٣٣٦.



(جسم كثيف: وهو البدن أو الجسم: أي ذلك الهيكل المشاهد المحسوس المركب من الأعضاء الإنسانية الخارجية والداخلية المعروفة.

جسم لطيف: وهو سار في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد، والزيت في الزيتون، وهو الروح أو النفس، وهي جسم خفيف، حي لذاته، مخالف بالماهية للجسم الذي تتولد منه الأعضاء، فبقاؤها في البدن سبب للحياة، وانتقالها عنه سبب للموت)[1].

الرأي الثاني: يذهب إلى القول بإثبات المعاد الروحاني فقط، وهو قول بعض الفلاسفة الإلهيين[2]، وسبب رأيهم هذا كما يذكره الشيخ السبحاني: (لانقطاع الصلة بين الروح والبدن بالموت فيستحيل حينئذ أن تتعلق الروح بالمادة من جديد)[3].

الرأي الثالث: يذهب إلى القول بإثبات المعادين الروحاني والجسماني، فالإنسان إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالأبدان أحياناً، فيحصل له معاده النعيم والعذاب، وهو قول أكثر المحققين من الامامية وأهل السنة[4].

وهم الذين يعتقدون بخلود النفس وبقائها بعد الموت، باعتبار أن قضية البقاء بعد الموت قد وردت في الشرع، وأنها تبعث مع البدن يوم القيامة، وأنهم وقفوا موقف الوسط بين القائلين بالمعاد الروحاني فقط كما عند الفلاسفة. وبين القائلين بالمعاد الجسماني فقط.

الرأي الرابع: يذهب إلى القول بعدم ثبوت المعادين الروحاني والجسماني، وهو قول قدماء الفلاسفة الطبيعيين، فالنفس عندهم هي المزاج، وإذا مات الإنسان فقد عدمت النفس، وإعادة المعدوم محال[5].

الرأي الخامس: التوقف، فلا يقطع بأحد الأقوال السابق ذكرها، وهو المنقول عن جالينوس حيث قال: (لم يتبين لي أن النفس هل هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها، أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد)[6].

هذا عن آراء الديانات والمذاهب في قضية المعاد إجمالاً، أما المتكلمين المسلمين فقد انقسموا في هذه القضية إلى قَولين، المعاد الجسماني، والمعاد الروحاني، أذكرهما مع المقاصد العقدية فيهما.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ٩/ ١٦٥، و(يُنظَر) مفاهيم القرآن: ٨/ ٧٦، و(يُنظَر) المعاد رؤية قرآنية: ١/ ٢٤٥.

(٢) كتاب المواقف، الإيجي، ٣/٣٥٩، ٥٢٠، و(يُنظَر) المعاد رؤية قرآنية: ١/ ٢٤٥.

(٣) مفاهيم القرآن: ٨/ ٧٦.

(٤) (يُنظَر) اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع. الإمام أبي الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ)، تصحيح وتدقيق: حمودة غرابة. مطبعة مصر ١٩٥٥م: ١٧، الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد للطوسي: ١٢٦، ١٢٧، ونهاية الإقدام في علم الكلام: ٤٦٧.٤٦٩، وعقائدنا للشيرازي: ٢٦.

(٥) المواقف: ٣/٤٧٩

(٦) المواقف: ٣/٤٧٩، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ٦٠، والفرائد في حل شرح العقائد: ٣٦٠.



اولاً: المعاد الجسماني ومقاصده العقدية

المعاد الجسماني يعني أن الله سبحانه يحشر الناس يوم القيامة بهذا البدن المشهود بعد رجوعه إلى هيئته الأُولى، والمعاد بهذا المعنى أصل عظيم من أُصول الدين، وضرورياته الواجبة الاعتقاد، وأركانه الثابتة، وجاحده كافر بالإجماع، والدليل على ثبوته أنه ممكن، وقد أخبر تعالى بثبوته في القرآن الكريم والحديث الشريف.

والقائلون بالمعاد الجسماني هم عامة أهل الإسلام، وقد اتفقت كلمتهم على إعادة الإنسان ببدنه يوم القيامة كما أخبر عنه الله تعالى في كتابه الكريم، ويطلق عليه البعض بالمعاد الجسماني والروحاني، وقد يحصل اللبس لمن لم يعلم حقيقة الفرق بين التسميتين، الجسماني فقط، أو الجسماني والروحاني.

يقول الشيخ السبحاني فيه: (ذهب المحقّقون من المتكلّمين والحكماء كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والمحقّق الطوسي والعلاّمة الحلّي من الإمامية، والغزالي والكعبي والحليمي والراغب الاصفهاني من السنّة، إلى أنّ المعاد جسماني وروحاني، لأنّ النفس وإنْ كانت مجرّدة إلاّ أنّ تجرّدها ليس تامّاً حتى يستحيل تعلّقها بالمادة من جديد)(١).

ويقول السيد عبد الله شبر في حق اليقين: (المعاد جسماني وروحاني، فالجسماني عبارة عن إن الله تعالى يعيد أبداننا بعد موتها ويرجعها الى هيئتها الأولى، والروحاني عبارة عن بقاء الروح بعد مفارقة البدن سعيدة منعمة أو معذبة شقية بما اكتسبه في الدنيا)(٢).

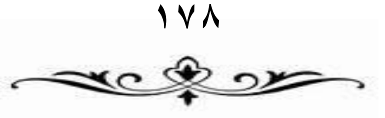
ومن خلال استقرائنا لما ورد من النصوص الكريمة وتفاسيرها في إثبات هذا المعاد رأينا أن من المقاصد التي تتعلق بهذا الاعتقاد توافقه مع القدرة الإلهية وحقيقة الروح، وتوافقه مع الحقيقة الإنسانية، فضلاً عن توافقه مع الحقائق العلمية، وبناءاً على ذلك فقد قسمنا هذه المقاصد الى فروعٍ ثلاثة بحسبها، هي:

المقصد الأول: توافق المعاد الجسماني مع القدرة الإلهية وحقيقة الروح.

ويذكر الشيخ عبد الكريم الشهرستاني رحمه الله(ت٥٤٨هـ) في نهاية الاقدام في علم الكلام المعاد بقوله: (لم يرد في شريعةٍ ما من الدلائل أكثر مما وردَ في شرعنا عن حشر الأجسام، وكأن الزمان لَّما كان مقروناً بالقيامة كانت الآية أصرح بها، والبينات أدّل عليها. وحشر الأجساد لَّما كان ممكناً في ذاته وقد ورد به الصادق، وَجَب التصديق بذلك من غير أن يُبحَث عن كيفية ذلك؛ إذ الرب تعالى قادرٌ على الإعادة، وقدرته على الإعادة كقدرته على الإنشاء والابتداء، فيحيي العِظامَ وهي رميم كما أنشأها اول مرة، وكما يحيي الأرض بعد موتها كل ربيع، كذلك يحيي الموتى، ودليل من رامَ إثباته على طريق الحكمة هو إن النفوس الجزئية إذا فارقت الأبدان ولم تستقر في تصوراتها عن آلات جسمانية احتاجت الى الأبدان ضرورةً وإلَّا كانت مُعَذبة، فإن سعادتها في تصوراتها إنما تكون بآلاتها، والآلات إنما تتحقق إذا

(١) مفاهيم القرآن: ٨/ ٧٦.

(٢) حق اليقين في أصول الدين: ٣٣٨.



عادت بسعيها كما كانت[1].

ويقول الشيخ الشيرازي رحمه الله (ت١٠٥٠هـ) في شرح الهداية الأثيرية: (إن إعادة النفس الى بدن مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا، مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة، كما نطقت به الشريعة من نصوص التنزيل وروايات كثيرة متضافرة من أصحاب العصمة والهداية، غير قابلة للتأويل، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٤) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[4]، أمرٌ ممكن غير مستحيل، فوجب التصديق بها لكونها من ضروريات الدين، وإنكارها كفرٌ مبين)[5].

وقد استفاض بالنقل والعقل بأن الروح جوهر لطيف نوراني مغاير للبدن، وأنّها تبقى بعد خرابه مبتهجة مسرورة حيّة مرزوقة، أو بالعكس[6].

وإنما الدافع الى القول بهذا الرأي من أكثر المتكلمين يقول الشيخ السبحاني: (لأنّ القول بكون المعاد جسمانياً فقط، لا يخلو عن غموض، فلو أريد من جسمانيته هو بعث البدن المنسلخ عن الروح، فيعود إلى القول بمعاد الإنسان بصورة جماد فاقد للإدراك والشعور، ومن الواضح انّ مثل هذا لا يقبل الجزاء ولا الثواب والعقاب، فينتفي الغرض من المعاد، وإن أُريد منه البدن المرافق مع الروح، فلا يكون المعاد عندئذٍ جسمانياً فقط، ولأجل ذلك عاد كثير من المتشرّعة إلى القول بجسمانية المعاد وروحانيته)[7].

كما أرجَعَ هذا الفرق السيد صدر الدين الشيرازي[8] رحمه الله (ت١٠٥٠هـ) لاختلاف العلماء في حقيقة الروح، فمنهم من يرى أن الروح هي جسم سارٍ في البدن، سريان النار في الفحم، والماء في الورد، وعليه فيكون المعاد عندهم بالنسبة للبدن والروح جسمانياً، ولا يعني ذلك قولهم بعودة الأجسام ميتةً لا روح فيها، بل تعود حية عاقلة، وإنما

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام: ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) [سورة يس: الآيتين ٧٨، ٧٩].

(٣) [سورة يس: الآية ٥١].

(٤) [سورة القيامة: الآيتان ٣، ٤].

(٥) الهداية الأثيرية ـ الشيخ صدر الدين الشيرازي، الطبعة الحجرية، في بيان إعادة النفس في الآخرة: ٣٨١، و(يُنظَر) البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة ـ محمد جعفر الأسترآبادي (ت١٢٦٣هـ)، إعداد وتحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ـ قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ: ٤/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٦) حق اليقين في معرفة أصول الدين: ٢/ ٣٨ ـ ٣٩.

(٧) مفاهيم القرآن: ٨/ ٧٦.

(٨) إبراهيم بن محمد (صدر الدين) بن إبراهيم الشيرازي، أحد كبار العلماء بالحكمة والكلام، كان عالما متكلّما فقيها جليلا، له مكانته في العلم والتحقيق والتدقيق، قيل فيه: كم من مسائل عويصة قد برهن عليها، و كم من دقائق خفيّة بيّنها، من مؤلفاته: الحاشية على حاشية شمس الدين الخفري على شرح القوشجي ل «تجريد الاعتقاد» لنصير الدين الطوسي،و حاشية على رسالة «إثبات الواجب» لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني، حاشية على إلهيات «الشفاء» لابن سينا، والعروة الوثقى في تفسير آية الكرسي، تفسير سورة الفاتحة، وغيرها كثير. (يُنظر) معجم طبقات المتكلمين: ٣/٣٧٤، ٣٧٥.

الروح عندهم معدودة في عداد الأجسام.

أما الذين قالوا بتجرّد الروح عن البدن، فالمعاد عندهم سيكون للأجسام وللأرواح، وذلك بعودة الروح إلى البدن عند البعث، والقائلون بهذا هم كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وجماعة من المتكلمين، كالغزالي، والكعبي، والحليمي، والراغب الأصفهاني، وكثير من الإمامية، كالشيخ المفيد، وأبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضى، والمحقق الطوسي، والعلامة الحلي (رضوان الله عليهم أجمعين) ذهاباً إلى أن النفس المجردة تعود إلى البدن في يوم القيامة[1].

المقصد الثاني: توافق المعاد الجسماني مع الرحمة والعدالة الإلهية والحقيقة الإنسانية.

ونستفيد هذا المقصد من خلال النظر والبحث في حقيقة الإنسان، وإنعام الله له في الآخرة كي يتنعم باللذائذ الحسية والمعنوية التي أعدها تعالى له.

وذلك أن من مبادئ المعاد هو الجزاء الإلهي الذي وعد تعالى عباده أن يروه بكافة جوارحهم، وبما يتناسب مع عظيم الرحمة والعدالة الإلهية والحقيقة الإنسانية، (فلو كانَ المعاد روحانياً فقط لحُرِمَ الإنسان في النشأة الآخرة من اللذائذ الحسية، وأكثر الخلق إنما يكون همهم في الدنيا مثل هذه اللذائذ. ولو كان جسمانياً فقط، لحُرم الأولياء والمقربون من اللذائذ العقلية الروحانية التي جاهدوا في سبيلها الجهاد الشاق والمضني في الدنيا لكي يصلوا الى لذة القرب الإلهي ولذة العلم والمعرفة، فحرموا أنفسهم من متع الحياة في سبيل الحصول على تلك اللذة، بل قد عرَّض البعض نفسه للمهالك والمخاطر لأجل لذةٍ علمية ومتعة عقلية)[2].

ومن الآيات الكريمة الدالة على ذلك ما ورد منها في لذّات الجنة التي لا تدرك إلاّ بآلة جسمانية، والآلام التي تقع على بعض أجزاء الجسم المعذّب في نار جهنم، إذ قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[3]، وكذلك توافقه مع العدالة الإلهية فيما أعده تعالى في وصف عذاب أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[4].

أما مقصد توافق المعاد مع الحقيقة الإنسانية والخلاف فيه، فيقول السيد كمال الحيدري بأن هذا الخلاف إنما يعود الى الاختلاف في النظر لهوية الإنسان في هذه النشأة: (فالذي يعتقد بأن هوية الإنسان وحقيقته هي جسمه لا

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ٩/ ١٦٥، المبدأ والمعاد ـ صدر المتألهين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، منتدى الحكمة والفلسفة ـ إيران: ٣٧٥.

(٢) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ٢٤٧

(٣) [سورة الواقعة: الآيات ١٥ ـ ٢٣].

(٤) [سورة النساء: الآية ٥٦].

شيء آخر، فلا بُدَّ أن يحصر المعاد بالجسماني دون غيره.

وأمّا الذي حصر هوية الإنسان وحقيقته بروحه لا بجسده، فإن المعاد سيكون عنده روحانياً ليس إلا، إذ العَود الى الشيء وشيئية الشيء بحقيقته، وهي روحانية، فمعاده لا يكون إلا روحانياً.

بينما الذي وجد أن الإنسان في الدنيا حقيقة واحدة ذات بعدين أحدهما روحاني، وهو روحه التي بين جنبيه، والآخر بدنه الذي يُعتبَر آلة تنجز روحه من خلال الأفعال، ووجد أن لكل من هذين البعدين أحكامه الخاصة به. فالذي يعتقد بمعاد هذه الحقيقة لا بُدَّ أن يقول بمعادٍ مزيجٍ لها، فتلتذ بلذائذ حسية، وأخرى روحانية، والحسية لا بُدَّ لنيلها من جسم، وكذلك الروحانية لا تُنال إلا بمبدأ يتناسب مع طبيعته)[1].

ويوضح هذا المزيج للحقيقة الإنسانية الامام الصادق عليه السلام بقوله الذي يستوعب حقيقة المعاد بأكملها حين سأله من استنكر البعث: وأنّى له بالبعث والبدن قد بلى، والأعضاء قد تفرقت، فعضو ببلدة يأكلها سباعها، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامها، وعضو صار تراباً بني مع الطين حائط؟

فقال عليه السلام: (إنّ الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفُسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته، كلّ ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها. فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض، ثمّ تُمخَضوا مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غُسِل بالماء، والزبد من اللبن إذا مُخِض، فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً)[2].

المقصد الثالث: توافق المعاد الجسماني مع الحقائق العلمية المعاصرة

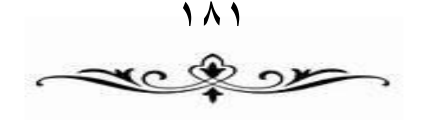
ونتناول في هذا المقصد ما ثبُتَ من خلال الأبحاث العلمية المعاصرة مما يدل على امكان المعاد الجسماني يوم القيامة، لا اثباته؛ ذلك إنَّ مبحث البعث هو أصعب وأكثر إعضالاً من أي مبحث ديني آخر، لأنه يرجع لشيء لا مثيل له ولا شبيه، كما أن المعاد الذي يمكن قبوله عقلاً، هو المعاد الروحاني فقط، أما الجسماني فلا يمكن تصوره وتفسيره على ضوء العقل والعلم، ولذلك ذهبت طائفة إلى القول بضرورة الإيمان به تعبداً مطلقاً، وذهبت طائفة لا يريدون القول بالاستحالة فقط، بل قالوا بنفيه نفيا مطلقاً[3].

(١) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ٢٤٧

(٢) الاحتجاج ـ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان،، مركز الأبحاث العقائدية: ٣٥٠

(٣) (يُنظَر) البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية (بحث منشور) إعداد: أ.د. كمال الدين نور الدين مرجوني، أستاذ مشارك ورئيس قسم العقيدة والأديان، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، على الرابط:

٦٨٧٠.htmlpostnurdin.blogspot.com/٢٠١٣/٠٩/blogkamaluddinhttps://dr



كذلك فإنَّ الدراسات العلمية لا ترتقي الى الحقيقة العلمية اليقينية إلا بعد التجربة والتكرار والاختبار والمشاهدة، وقطعاً لا يمكن تحقق هذا الشرط؛ لأن ميدان البعث الجسماني إنما هو يوم القيامة في عالم الأخرة، وقد كان مما توصلت إليه أنه بعد تحليل رميم الإنسان المتوفى وُجِدَ أنه مشابهٌ تماماً في شكله وتركيبه الكيميائي لتراب الأرض[1]، وهذه الحقيقة العلمية تؤكد مدى الإعجاز العلمي لتلك الآيات القرآنية الكريمة التي تذكر المعاد، ولتكون هذه الدراسات مما يدل على إمكان المعاد الجسماني في يوم القيامة.

كما أنَّ من أهم الإشارات في بيان وإثبات هذه الحقيقة العلمية هو ماورد عن الرسول ﷺ عن عجب الذنب الذي هو آخر عظمة في العامود الفقري، وقد جاء ذكره في الأحاديث النبوية أنه أصل الإنسان والبذرة التى يُبعث منها يوم القيامة وأن هذا الجزء لا يبلى ولا تأكله الأرض[2]، ومن هذه الأحاديث:

١ـ قولهﷺ: (وَلَيْسَ مِنَ الإنسان شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[3]، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4]

٢ـ قوله ﷺ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ)[5].

٣ـ عن أبي هريرة ﵁ قوله ﷺ: (إِنَّ فِي الإنسان عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، قالوا: أي عظمٍ يا رسول الله؟ قَالَ ﷺ: (عَجْبُ الذَّنَبِ)[6].

ومعنى الأحاديث أن كل خلايا جسم الإنسان تموت وتتحلل إلاّ عجب الذنب منه خُلقنا ومنه سنُبعث، وهذه الأحاديث تفيد أموراً ثلاثة، هي:

ـ الأول: إن عجب الذنب عنصر أساس يتخلق ويتكون منه الجنين، أي أنه مركز التخليق.

ـ الثاني: إن عجب الذنب أو قسماً منه لا نعرف مقداره (لا يبلى).

ـ الثالث: ومن هذا القسم أو البذرة يركب منه الخلق يوم القيامة، أي أنه إعادة التركيب[7].

ومن هنا يذهب العلماء إلى أن جسم الإنسان بعد موته يتحلل ويصير تراباً، وفي بعض الظروف قد يتوقف تحلله، ولا ينتهي إلى تراب، ولكن تستبدل المواد العضوية في الجسم بمواد أخرى موجودة في التربة، كأملاح

(١) الاستنساخ جريمة العصر، محمد نبيل النشواتي، دمشق، دار العلم، الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٥م: ١٥، نقلاً عن البعث الجسماني والحقائق المعاصرة.

(٢) (يُنظَر) البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية.

(٣) (عجب الذنب) أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الأدمى وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه.. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٨/ ٩٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، جزء من ح (١٤١) ٢٩٥٥: ٤/ ٢٢٧٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ح (١٤٢) ٢٩٥٥: ٤/ ٢٢٧١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ح (١٤٣) ٢٩٥٥: ٤/ ٢٢٧١.

(٧) الإعجاز العلمي في عجب الذنب، د. عثمان جيلان: ٤، بحث ألقاه في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عقد في دبى، ٢٠٠٤م، نقلاً عن: البحث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية.

السليكون (Latinsilicium_Silicon)[١]، فيصير الجسم بعد مرور الآف من السنين أحفورة صخرية أو معدنية، وذلك بسبب استبدال المواد العضوية بالأملاح المعدنية الموجودة في التربة، ولذا تسمى بقايا أجسام الكائنات الحية بالأحافير، (وهي تحويل المواد العضوية في الأجسام الميتة المطمورة تحت التربة إلى مواد صخرية أو معدنية)[٢].

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الأحافير قبل أن يكتشفها العلماء حديثاً، وهو خير دليل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وتحدي الله سبحانه وتعالى للمنكرين بعث مَن في القبور، حيث أشار إلى تلك التحولات التي سوف تحدث للأجسام الميتة في التراب، إن الله قادرٌ على إعادتها مرة أخرى على الرغم من تلك التحولات التي تحدث لها، فسوف تعاد يوم البعث، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٣][٤].

كما أوضح علم الأجنة في العقود المتأخرة من القرن العشرين أن خلق الجنين يبدأ بالنطفة الأمشاج، ومن ثم يبدأ في الانقسامات والتكوين إلى أن يأتي اليوم الخامس عشر من عمر الجنين ويظهر في أحد أطراف الطبقة العلوية خيط دقيق يحدد مؤخرة الجنين من مقدمته، وهذا الخيط يعرف باسم الخيط البدائي أو الأولى (Hypoblast)[٥]، ومنذ لحظة ظهوره يبدأ الشريط الأولي في الانقسام والتكاثر بسرعة فائقة، ومنه يتكون الجهاز العصبي للجنين على هيئة بدايات للحبل الظهري (Thenotochord)[٦]، وسالفه العمود الفقري (Vertebral Column)، ومن ثم يبدأ الجنين في تكوين جميع أعضاء جسمه بالتدريج، من طبقاته الثلاث: الخارجية والوسطى والداخلية، ومن كل واحدة منها عدد من أعضاء الجسم بخلاياه وأنسجته المتخصصة في عملية تعرف باسم عملية تكون المعيدات، وأول هذه الأجهزة تكونا هو (محور الرأس) وهو العصعص الذي يتكون فيه بدايات الجهاز العصبي المركزي بما في ذلك

---

(١) ملح السليكون هو عنصر من مكونات صخور الطبقة الخارجية لقشرة الأرض، كما أنه من أهم العناصر المكونة لصخور الطبقة الداخلية في القشرة الأرضية. موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، أحمد شوقي إبراهيم، مصر، شركة نهضة مصر، ٢٠٠٤م: ١٤٨/٢.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي: ١٤٨/٢.

(٣) [سورة الإسراء: الآيات ٤٩ - ٥١].

(٤) البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية -
https://drkamaluddin.blogspot.com/٢٠١٣/٠٩/blog-post_٦٨٧٠.html

(٥) الخيط البدائي أو الأولى هي كتلة داخلية التي فيها يتكون الجنين بإذن الله في اليوم الخامس عشر من الحمل، يظهر في مؤخرة الجنين الطبقة الظهرية خيط يسمى الخيط الأولى (Primiveistreat) نهايته مذنبة تسمى العقدة الأولية وبمجرد ظهور هذا الخيط يعرف أن هذه المنطقة هي مؤخرة القرص الجنيني، ومن هذا الخيط الأولى والعقدة الأولية (Primitivenode)، كما نعلم أن بعد تكوين وخلق الجنين من الخيط الأولى والعقدة الأولى يتراجعان ويستقرا في العصعص وفي آخر فقرة منه، وتبقى موجودة في العصعص محتفظة بخصائيها ومقدراتها الكلية الشاملة.

هذا يستدل به على إمكانية إعادة تركيبه يوم القيامة (أي تركيب الإنسان) من عجب الذنب الذي يحتوي خلايا الخيط الأولى والعقدة الأولية. ملخص بحث ألقاه الدكتور عثمان جيلان في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عقد في دبي، ٢٠٠٤م.

(٦) الحبل الظهري يبدو بظهور حوإلى عشر أيام (يوم السادس عشر) من الحمل، حتى يتخذ الجنين مظهر العلقة، وهو حبل مرن موجود في الجنين ويتكون من خلايا مشتق من الطبقة الوسطى المكونة للجنين، ويتطور في جنين الإنسان إلى العمود الفقري.

من بدايات المخ والجمجمة، والحبل العصبي الظهري والعمود الفقري، وبذلك تتكون جميع أجهزة جسم الجنين من الخيط والعقدة البدائيين، وذلك مصداقا لقول النبي ﷺ عن عجب الذنب (منه خلق) وبعد تمام تكون جميع أجهزة الجنين يتراجع الخيط والعقدة البدائيان بالتدريج إلى مؤخرة جسم الجنين الكامل، حتى يستقر في نهاية العمود الفقري في منطقة العصعص، حيث يبقيان على هيئة جنين كامن، ويعاد تركيب جسم الإنسان منه يوم البعث[١].

وكان هذا الوصف العلمي لمراحل الجنين والذي أُكتُشِف في وقتٍ متأخر قد أعلن به الإسلام منذ الوقت المبكر أي منذ خمسة عشر قرناً كما جاء في ذكره في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [٢]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدليل العلمي وعالمية الرسالة المحمدية وصدقها.

ودليلٌ آخر لذلك ما ذكره الدكتور كمال الدين نور الدين مرجوني[٣] في بحث له، بقوله (ولقد قام الدكتور عثمان الجيلاني بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني في رمضان ١٤٢٤هـ في منزل الشيخ عبد المجيد الزنداني في صنعاء بتجربة على العصعص حيث قاموا وتحت تصوير تلفزيوني بأخذ أحد فقرتين لخمس عصاعص للأغنام وقاموا بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار ولمدة عشرة دقائق (حتى احمرت وتأكدوا من احراقها التام بحيث أصبحت حمراء وبعد ذلك أصبحت سوداء متفحمة فوضعوا القطع في علب معقمة وأعطوها لأشهر مختبر في صنعاء (مختبر العولقي) وقام الدكتور صالح العولقى أستاذ علم الانسجة والامراض في جامعة صنعاء بفحصها نسيجياً، وكانت النتيجة مبهرة حيث وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر ولازالت حية وكأنها لم تحرق (فقط احترقت العضلات والأنسجة الدهنية وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم، أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر)[٤].

إذن، فإن هذه التجربة العلمية تعتبر دليلاً علمياً معاصراً يبين أن خلايا عظمة العصعص لم تتأثر بالإحراق، وبقيت حية[٥]، ودلالتها على ذلك دلالةً قطعية، أما دلالتها على إمكان المعاد الجسماني فهي ظنية، ومع أنَّ العقيدة

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار، شركة نهضة مصر، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥م: ١/١٠٤-١٠٦.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٦].

(٣) أ.د كمال الدين نور الدين مرجوني، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والأديان جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، تولد: ١١/٠٦/١٩٧٣م. بولاية سلاويسي الجنوبية - إندونيسيا، حائز على درجة الدكتوراه في لالعقيدة الإسلامية، من مؤلفاته [العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام]، و[المذاهب العقائدية الإسلامية]، و[نشأة الفرق وتفرقها]، و[مدخل إلى علم الكلام]، وغيرها، (يُنظر) موقع أبجد: .https://www.abjjad.com/author

(٤) (يُنظر) الإعجاز العلمي في عجب الذنب، د. عثمان جيلان، بحث ألقاه في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عقد في دبي، ٢٠٠٤م، نقلاً عن البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية.

(٥) (يُنظَر) بحث منشور - البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية، على الرابط:
٦٨٧٠.htmlpostnurdin.blogspot.com/٢٠١٣/٠٩/blogkamaluddinhttps://dr



تُبنى على اليقين الواضح لا الظن الراجح، إلا إننا نرى في هذا المقصد توافق ما جاء في تفاصيل المعاد الجسماني مع الحقائق والأبحاث العلمية التي جاء القرآن الكريم مقرراً لها قبل أكثر من أربع عشر قرناً لما يدلُّ على إمكانه يوم القيامة.

ثانياً: المعاد الروحاني ومقاصده العقدية

ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّ المعاد روحاني ؛ لأنّهم لم يتمكّنوا من تعقّل عودة الأبدان على معاييرهم الفلسفية، فقالوا: إنّ البدن ينعدم بصوره وأعراضه، لقطع تعلّق النفس به، فلا يعاد بشخصه تارة أُخرى، إذ المعدوم لا يُعاد، والنفس جوهر باقٍ لا سبيل للفناء إليه[1]، وعليه جعلوا المعاد وما يتعلّق به، من شأن الروح وحدها التي لا يعتريها الفناء.

وهذا القول لا تساعده ظواهر آيات القرآن الكريم وصحيح سنة المصطفى ﷺ الدالّة على إعادة الإنسان ببدنه يوم القيامة، والقائلون بالمعاد الروحاني من بعض فلاسفة المسلمين، اعتبروا الثواب والعقاب هو التذاذ النفس أو تألمها باللذات أو الآلام العقلية أو الروحية بعد مفارقتها البدن، وحاولوا تأويل ظواهر الأدلّة الشرعية حتى تنطبق على أسسهم العقلية، فتكلّفوا في تأويل الآيات القرآنية الكثيرة الدالة على النعيم والعذاب الحسّيين اللذين يتعرض لهما الإنسان في الجنة والنار، حيث اعتبروهما من باب التمثيل الحسّي للنعيم والعذاب الروحاني أو العقلي، تقريباً لأذهان عامة الناس الذين تستهويهم الأُمور الحسيّة دون المعاني العقلية، ليكون ذلك باعثاً لهم على الانقياد والطاعة.

وقد اشتهر عن الشيخ ابن سينا أنه ينكر المعاد الجسماني ويقول بالمعاد الروحاني[2]حتى أن الغزالي رحمه الله قد كفّره وبعض الفلاسفة في (تهافت الفلاسفة) لإنكارهم المعاد الجسماني[3].

والحق أنه لم يتعرّض ابن سينا في كتبه المعروفة لإنكار البعث الجسماني صراحة، بل نجده في (الشفاء) وهو أكبر كتبه، يعترف بالبعث الجسماني ويرى أنه حق لا ريب فيه، وكذلك ما ذكره في كتابه (النجاة)، إذ يقرر أن المعاد للأبدان وللأنفس[4][5].

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ٩/ ١٦٥، المواقف ـ علي بن محمد الجرجاني بشرح علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١هـ)، عني بتصحيحه: محمد بدر الدين النمساني، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م: ٨/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) (يُنظَر) الأضحوية في المعاد ـ ابن سينا، المؤسسة الجامعية ـ بيروت: ١٢٦ .

(٣) تهافت الفلاسفة ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة السادسة: ٢٣٥ ـ ٢٥٣.

(٤) (يُنظر) النجاة: ٢٩١. وأقسام العلوم العقلية له: ١١٤.١١٥، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مصر، مطبعة هندية، ١٩٠٨م.

(٥) قال سليمان دنيا محقق كتابه (رسالة أضحوية في أمر المعاد) بأنه على العكس مما أُدُعي عليه، فقد أيد المعاد الجسماني بقوله: (لم نجد لابن سينا في كتبه المعروفة لجمهرة الباحثين حتى اليوم ذكراً لإنكار البعث الجسماني صراحةً، ولا ذكر أي دليل عليه، بل على العكس من ذلك نجد ابن سينا في (الشفاء) أكبر كتبه يعترف بالبعث الجسماني، ويرى أنه حق لا ريب فيه) سليمان دنيا: محقق مخطوط رسالة اضحوية في أمر المعاد لابن سينا: ١١، كما أثبت الأستاذ فتح الله خليفة في دراسته لمذهب ابن سينا في النفس أنه يقول بجسمانية المعاد بما لا يقبل الشكّ والترديد. ابن سينا ومذهبه في النفس، فتح الله خليفة ـ بيروت ـ ١٩٧٤: ١١٧



وقد قال في كتاب [النجاة والشفاء]: (يجب أن يُعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلاّ من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تُعلم، وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها نبينا وسيدنا ومولانا محمّد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مُدرك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدّقته النبوة، وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس اللتان للأنفس، وإن كانت الأوهام هاهنا تقصر عن تصوّرهما الآن)(١).

كما توهّم البعض أن الغزالي يُنكر حشر الأجساد، والحق بخلاف ذلك، فقد قال شارح المقاصد: (وقد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح حتى سبق إلى كثير من الأوهام ووقع في السنة بعض العوام أنه ينكر حشر الأجساد افتراء عليه، كيف وقد صرح به في مواضع من كتاب الأحياء وغيره، وذهب إلى أن إنكاره كفر، وإنما لم يشرحه في كتبه كثير شرح لما قال إنه ظاهر لا يحتاج إلى زيادة بيان)(٢).

المطلب الثالث: مظاهر القيامة ومقاصدها العقدية

بعد أن يأذن تعالى لإسرافيل عليه السلام في النفخة الثانية في الصور لبعث الأموات وحسابهم، وإذ تقوم المخلوقات جميعاً لحشرهم في يوم الجمع وعرضهم على الله تعالى، سواءٌ منهم من قُبِروا أو من تفرقت أجزاؤهم، عندئذٍ يحدث الفزع الأكبر الذي صدَّق به المؤمنون وأنكره الكافرون فيرى كلاً منهم تلك الأهوال العظام في السموات والأرض.

ومن خلال دراستنا لهذا الحشر في يوم القيامةِ وأهواله وما يصاحبه من فزع وبروز، إذ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وإذ تتطاير الكتب يميناً وشمالاً كلاً حسب إيمانه وما أعده لذلك الموقف، رأينا عدداً من المقاصد التي تكمن خلف هذه الأهوال منها ما يتعلق بعظيم قدرته تعالى على هذا التحول بين النشأتين وما يصحُب ذلك، ومنها ما يتعلق بربوبيته وحاكميته تعالى من خلال عرض الخلائق جميعاً عليه فلا يشغله شأنٌ عن شأن، ومنها ما يتعلق بعدالته في جميع الكون حيث شمول الحشر لجميع الكائنات.

بناء على هذا، ومن خلال استقرائنا لما ورد في النصوص، وكلام العلماء حول المقاصد العقدية من القيامة وأهوالها، فقد رأينا تصنيفها الى أربعة مقاصد، هي:

المقصد الأول: تجليات ربوبية الله تعالى وملكه ومالكيته في مظاهر وأهوال القيامة.

المقصد الثاني: تبديل السموات والأرض وتناسبها مع أرض المحشر.

المقصد الثالث: التكامل الكوني في شمول الحشر جميع الكائنات.

المقصد الرابع: حاكمية الله تعالى في عرض الخلائق جميعاً عليه.

---

(١) الشفاء ـ الإلهيات لابن سينا: ٤٢٣ ـ القاهرة، وبحار الأنوار: ٧/ ٥٠.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني: ٣/ ٣٢٧.



وقد خصصنا كل مقصد منها بفرع خاص، وقدمنا لذلك بتمهيد يعرف القيامة والحشر في اللغة والاصطلاح.

تمهيد: مفهوم القيامة

القيامة في اللغة

ذكرها الفراهيدي رحمه الله (ت ١٧٠هـ) في العين بقوله: (القيامة يوم البعث، يوم يقوم الخلق بين يدي القيوم)(١)، وكذلك عرَّفه ابن منظور رحمه الله في لسان العرب، وأضاف أن (أصله مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة)(٢).

فهو يوم حشر الناس وجمعهم من قبورهم، يقول ابن سيده المرسي(٣) رحمه الله (ت ٤٥٨هـ): (الحشْرُ، جمع النَّاس ليَوْم الْقِيَامَة)(٤).

القيامة في الاصطلاح

أما القيامة اصطلاحاً فمماثل لمفهومها اللغوي، وهو يوم الحشر، يقول أبو عبد الله السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ): (فهو في اللغة الجمع، تقول حشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد به جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة ثم إحياء الأبدان بعد موتها)(٥)، إذ يطلق الحشر على يوم القيامة(٦)، فالحشر هو حشر الأجساد وسَوقها الى الموقف(٧) لأجل عرضهم وحسابهم، أي بعد بعثهم من قبورهم المسمى بالنشر(٨).

وهو يوم الحساب، وقد عرَّفه الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) بقوله: (ومعناه أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر، حكم للمشفوق بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر)(٩).

---

(١) العين، باب القاف، مادة (قوم): ٣/ ٤٤٥، ولسان العرب: حرف الميم، فصل القاف: ١٢/ ٥٠٦.

(٢) لسان العرب: حرف الميم، فصل القاف: ١٢/ ٥٠٦.

(٣) على بن أحمد، وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن النحويّ اللغويّ، إمام فى اللّغة والعربية، كما إن له شعر جيد، من أهل مرسية؛ يكنى أبا الحسن، جمع فى اللغة كتاب [المحكم] اللغة، وهو كتاب كبير جامع مشتمل على أنواع اللغة، وله كتاب [المخصص]، في اللغة أيضاً وهو كبير، وكتاب [الأنيق]، في شرح الحماسة في ست مجلدات، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وكان ضريراً، وأبوه ضريراً، وكان أبوه أيضاً قيماً بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره،، (يُنظر) وفيات اعيان: ٣/ ٣٣٠، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٢٢٥.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، حرف الحاء، مادة (الحاء والشين والراء): ٣/ ١٠٣، و(يُنظَر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الحاء، الحاء مع الشين وما يثلثهما، مادة (ح ش ر): ٥٣.

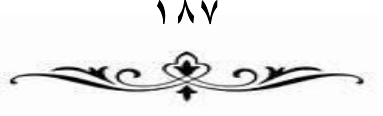
(٥) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٥٨.

(٦) (يُنظَر) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٢٣٧/١، وأساس البلاغة: ٨٤.

(٧) وهو الموضع الذي يقف فيه العباد من أرض القدس المبدلة التي لم يُعصَ الله عليها، لفصل القضاء بينهم، ولا فرق في ذلك بين من يُجازى وهم الإنس والجن والملك، وبين من لا يُجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب اليه المحققون. شرح الخريدة البهية: ١٢٩، و(يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٣٤.

(٨) (يُنظَر) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٥٨، شرح الخريدة البهية: ١٢٩.

(٩) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢٧١.



ففي ذلك اليوم يُساق الناس للحشر لمحاسبتهم على أعمالهم، وهو يوم الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[1]، وهو يوم الفصل بينهم ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[2]، والقارعة، والحاقة، وتأتي أغلب اسماءه مؤنثة، يقول أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ): (وَأَسْمَاء الْحَشْر كلهَا مُؤَنّثَة، وتأنيثها تَأْنِيث تهويل ومبالغة)[3].

فضلاً عن أسمائها فقد وردت كذلك الإشارة اليها وأهوالها في آياتٍ عدة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[4]، حيث فسرها العلماء بالبعث من القبور والرجوع الى موقف الحساب، منهم الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ) ﷫ فالله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة، حيث وصف تعالى الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾أي إلى حكمه ﴿يُرْجَعُونَ﴾، فقيل معنى الآية الكريمة يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب[5].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[6]، ويقول فيها ابن كثير الدمشقي﵀ (ت ٧٧٤هـ): (أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمماً، ويوجدهم بعد العدم)[7].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها تدل على أن الأموات يحييهم الله جميعاً يوم القيامة فيبعثهم من قبورهم ويعيدهم أحياءً، ويحشرهم إليه سبحانه، فيجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

ومما ورد في النصوص الكريمة في حشر الخَلْق وتبدل السموات والأرض يوم القيامة، وما يصاحبهُ من أحداثٍ وأهوال نستنبط مقاصدَ عدةٍ، منها:

المقصد الأول: تجليات ربوبية الله تعالى وملكه ومالكيته في مظاهر وأهوال القيامة

ويشير الى هذا المقصد آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[8].

فالآية الكريمة تشير إلى أنه مع كون الله تعالى مالكاً وملكاً في كل الأوقات، وعلى كل الأكوان، إلا أن ذلك يتجلى بوضوح عند النفخ في الصور، وعند النشأة الثانية إذ حشر المخلوقات جميعاً، أي أنّه مثلما كان مبدأ الخلق ذا مقاصد ونتائج ومصالح، كذلك سيكون يوم القيامة: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾وفي ذلك اليوم الذي ينفخ فيه في الصور ويبعث

---

(١) [سورة الواقعة: الآية ١].

(٢) [سورة النبأ: الآيتين ١٧، ١٨].

(٣) الكليات، فصل الميم: ٨١٩.

(٤) [سورة الأنعام: الآية ٣٦].

(٥) (يُنظَر) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٣٦، وتفسير مفاتيح الغيب: ٢١٩/١٢.

(٦) [سورة الحج: الآية ٧].

(٧) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٠٨.

(٨) [سورة الأنعام: الآية ٧٣].

الناس يوم القيامة، يكون الحكم والملك لله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾(١).

والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقاً دوماً، إنه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا، أو تغلب عليه، بل يتفرد سبحانه بالملك، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾(٢)، ولا شك أن الأمر في كل وقت لله تعالى، والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في أوامره، لأنها محتومة ليس فيها تخيير، ولا يقدر أحد على معصيته(٣).

وفي ختام هذه الآية الكريمة إشارة إلى ثلاث من صفات الله تعالى، فهو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، وترد هذه الصفات غالباً في الآيات التي تخص يوم القيامة، أي أنّه بمقتضى صفة العلم المطلق عالم بأعمال عباده، وبمقتضى قدرته وحكمته يجازي كلا بما يستحقه(٤).

وممن تكلم في اهوال هذا الموقف العظيم الحارث بن أسد المحاسبي(٥)رحمه الله(ت٢٤٣هـ)، ونقله عنه القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) في التذكرة قوله: (ثم أقبلت الوحوش من البراري، وذُرى الجبال منكسة رؤوسها، لذل يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق، ذليلة ليوم النشور لغير بلية نابتها ولا خطية أصابتها، فتوهم إقبالها بذلها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور، وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها، منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه، فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء، واختلاف خلقهم وطبائعهم، وتوحش بعضهم من بعض، قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب، تناثرت نجوم السماء من فوقهم، وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها، فبينا أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة، والملائكة قيام على أرجائها وهي حافات ما يتشقق ويتفطر، فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة، كما قال الجليل الكبير: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾(٦)، و﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ

---

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٧.

(٢) [سورة الانفطار: الآية ١٩].

(٣) مجمع البيان: ٤/٧٨.

(٤) (يُنظَر) مجمع البيان: ٤/ ٧٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/٣٤١.

(٥) أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي. قيل له ذلك لأنه كان يحاسب نفسه. الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية، قال الجنيد: خلف له أبوه مالا كثيرا، فتركه، وقال: لا يتوارث أهل ملتين، إذ كان أبوه واقفيا (يقف في مسألة خلق القرآن، فلا يقول: مخلوق أو غير مخلوق)، توفي سنة ٢٤٣هـ. (يُنظَر) سير أعلام النبلاء: ١٢/ ١١٠.

(٦) [سورة الرحمن: من الآية ٣٧].



كَالْعِهْنِ﴾[1][2].

ويذكر الشيخ السبحاني إن هذا الحشر وجمع الناس يكون بعد النفخة الثانية في الصور، أي بعد بعثهم من قبورهم، حيث إن القرآن الكريم يتحدث عن خصوص ذلك في العديد من آياته الكريمة ويصف أحوالهم، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[3][4].

كما يذكر جار الله الزمخشري رحمه الله[5] (ت٥٣٨هـ) في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[6] (فإن قلتَ: لم جيء بـ(حشرناهم) ماضياً بعد نسير وترى؟ قلتُ: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك (مَوْعِداً) وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور)[7].

ويقول السيد اللواساني رحمه الله[8] (ت١٤٠٠هـ)، صاحب كتاب (نور الأفهام في علم الكلام): (لا شك في قدرة القدير تعالى على كل شيء، ولا محذور لدى العقلاء في إمكان عالم آخر يكون مماثلاً لهذا العالم الدنيوي المُشاهَد وقوعه، فضلاً عن إمكانه، فإنه بعد التسالم على القدرة الكاملة منه تعالى على إيجاد المماثل لهذه النشأة لا محيص عن القول بإمكان النشأة الأُخرى)[9].

المقصد الثاني: حاكمية الله تعالى وقوته وقدرته في تبدل الأرض والسموات وتناسبها مع أرض المحشر

ويشير إلى هذا المقصد العظيم ما ورد في القرآن الكريم من مظاهر وأحداث ذلك اليوم، والتي جمعها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[10]، والتي يتجلى فيها من مقاصد

---

(١) [سورة المعارج: الآيتين ٨، ٩].

(٢) التوهم في وصف أحوال الآخرة ـ الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ)، مكتبة التراث الإسلامي، تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض جعفر، سوريا ـ حلب: ١١، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٥٨٠.

(٣) [سورة القمر: الآية ٧].

(٤) العقيدة الإسلامية للسبحاني: ٢٤٠.

(٥) العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، برع في الآداب، صاحب التصانيف الكثيرة، منها [الكشاف]في تفسير القرآن الكريم، و[المفضل]، و[ربيع الأبرار]، و[أساس البلاغة]، و[مشتبه أسامي الرواة]، و[النصائح]، و[المنهاج في الأصول]، توفي رحمه الله سنة ٥٤٨هـ. (يُنظر) سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ١٥٢.

(٦) [سورة الكهف: الآية ٤٧].

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٧٢٦.

(٨) الحسن بن محمد بن إبراهيم بن صادق بن أبي طالب الحسيني، اللّواساني، أحد مجتهدي الإمامية وعلمائهم، اختلف إلى حلقات بحث مشاهير الفقهاء و المدرّسين، ونال درجة الاجتهاد، وتضلّع من التاريخ وأصول الدين وغيرهما، ألف العديد من الكتب والرسائل، منها: [نور الأفهام] في شرح منظومة «مصباح الظلام»، و[رسالة نقض الهفوات وتكذيب المفتريات]، و [الشريعة السمحاء]، و[تاريخ النبي أحمد ﷺ]، و[الدروس البهية]، في سيرة النبيوﷺ والأئمّة عليهم السّلام، وغيرها. (يُنظر) معجم طبقات المتكلمين: ٥/ ٢٦٥ . ٢٦٧.

(٩) نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩.

(١٠) [سورة إبراهيم: الآية ٤٨].



التنبيه بكمال الله تعالى وحكمه بالعدالة المطلقة بين العباد، مما يجعله حرياً بهم الاتعاظ قبل حدوث هذا الموقف والتبريء من موبقات الأعمال التي تقودهم الى سوء العاقبة قبل مجيء ذلك اليوم، ومن أهم هذه المظاهر في التبديل والتغيير، وما يتفرع عنها من المقاصد، هي:

أولاً: انتهاء الأنساب وفزع الخَلائق.

ومن المقاصد التي نستنبطها مما ورد في هذا الفزع الذي ينتاب الخلائق جميعاً يومئذٍ، تلك العدالة الإلهية المطلقة في حكم الله تعالى، إذ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]، إنما تقطعت الروابط، وسقطت القيم التي كانوا يتعارفون عليها في الدنيا ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾، وشملهم الهول بالصمت، فهم ساكنون لا يتحدثون ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[2].

ويقول الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في الآية الكريمة: (من المعلوم أنه سبحانه إذا أعادهم فالأنساب ثابتة لأن المعاد هو الولد والوالد، فلا يجوز أن يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه، وذلك من وجوه:

أحدها: أن من حق النسب أن يقع به التعاطف والتراحم كما يقال في الدنيا: أسألك بالله والرحم أن تفعل كذا، فنفى سبحانه ذلك من حيث إن كل أحد من أهل النار يكون مشغولاً بنفسه وذلك يمنعه من الالتفات إلى النسب، وهكذا الحال في الدنيا لأن الرجل متى وقع في الأمر العظيم من الآلام ينسى ولده ووالده.

وثانيها: أن من حق النسب أن يحصل به التفاخر في الدنيا، وأن يسأل بعضهم عن كيفية نسب البعض، وفي الآخرة لا يتفرغون لذلك.

وثالثها: أن يجعل ذلك استعارة عن الخوف الشديد فكل امرئ مشغول بنفسه عن بنيه وأخيه وفصيلته التي تؤويه فكيف بسائر الأمور، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (يؤخذ العبد والأمة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وينادي مناد: ألا إن هذا فلان فمن له عليه حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة حينئذ أن يثبت لها حق على أمها أو أختها أو أبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون))[3].

كما يقول فيها الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (وعلى كلّ حال، فإنّ الآية السابقة أشارت إلى ظاهرتين من ظواهر يوم القيامة:

أُولاهما: انتهاء مسألة النسب، لأنّ رابطة الأُسرة والقبيلة التي تسود حياة الناس في هذا العالم تؤدّي في كثير من الحالات إلى نجاة المذنبين من العقاب، إذ يستنجدون بأقربائهم في حلّ مشاكلهم، أمّا الوضع يوم القيامة فيختلف، حيث كلّ إنسان وعمله، فلا معين له، ولا نفع في ولده، أو أخيه، أو والده.

---

(١) [سورة المؤمنون: الآية ١٠١].

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة ٣٢: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ٥/ ٢٤٥.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٢٩٤.



وثانيتهما: سيطرة الخوف على الجميع، فلا يسأل أحد عن حال غيره بسبب الخوف الشديد من العقاب الإلهي، فهو يوم وصفه تعالى في مطلع سورة الحجّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾(١)، كما يحتمل أن تقصد عبارة ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عدم طلب أحدهم العون من الآخر، لأنّهم جميعاً يعرفون عدم جدوى ذلك(٢).

ثانياً: قبض الأرض وطي السماء

حيث يقبض الحق تبارك الأرض بيده في يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه، ومن مقاصدها تجليات القوة والمشيئة الإلهية في خَلْقه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣)، وورد في الحديث المتفق عليه عن رسول الله ﷺ: (يقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ)(٤)، وهذا القبض للأرض والطي للسموات يقع بعد أن يفني اللهُ خلقَه(٥).

كما تتجلى فيها مقاصد أسمائه الحسنى تعالى، فهو الباقي تعالى، وهو القادر وهو المقتدر، ويفعلُ في ملكه ما يشاء، مع غناه عنهم، وقد بين الرازي ؒ هذا القبض للأرض والطي للسماء وعلاقة الأحداث بقدرته تعالى في تفسيره بقوله: (فالحق سبحانه هو المتولي لإبقاء السموات والأرضين على وجوه العمارة في هذا الوقت، وهو المتولي لتخريبها وإفنائها في يوم القيامة، وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الإيجاد والإعدام، وتنبيه أيضاً على كونه غنياً على الإطلاق، فإنه يدل على أنه إذا حاول تخريب الأرض فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد إفناءها، وذلك يدل على كمال الاستغناء.

وإنما خصص ذلك بيوم القيامة ليدل على أنه تعالى كما ظهر كمال قدرته في الإيجاد عند عمارة الدنيا، فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا)(٦).

ثالثاً: دك الأرض ونسف الجبال

كذلك من مظاهر التغيير والتبديل يخبرنا ربنا تبارك وتعالى أن أرضنا الثابتة وما عليها من جبال صم راسية تحمل في يوم القيامة عندما ينفخ في الصور فتدك دكة واحدة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ

(١) [سورة الحج: الآية ٢].

(٢) (يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/ ٥١٦.

(٣) [سورة الزمر: الآية ٦٧].

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح ٦١٥٤: ٥/٢٣٨٩، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٢٧٨٧: ٤/ ٢١٤٨.

(٥) القيامة الكبرى: ١٠٠.

(٦) (يُنظَر) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٧٦.



وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾[1]، ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[2]، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾[3]، أي: تصبح ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه[4].

ومما يتجلى فيها من مقاصد عقدية في هوان ذلك على الله تعالى، بجبروته وقاهريته وقوته تعالى، حيث أخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن وهو الصوف كما في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[5]، وفي نص آخر: مثلها بالصوف المنفوش: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[6]، ثم إن الله تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال وعبَّر القرآن عن إزالتها مرة بتسييرها ومرة بنسفها: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[7] و﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾[8]، ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾[9]، أي: ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[10][11].

رابعاً: تسجير البحار وتفجيرها

من المقاصد العقدية في مظاهر التبديل والتغيير للسموات والأرض تجليات اسم الله البديع، إذ نرى هذه البحار، بمياهها ومساحاتها الواسعة، فإنها تفجر في ذلك اليوم، وتشتعل ناراً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[12]، أي (فجَّر بعضها في بعض فذهب ماؤها)[13]وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [14][15].

---

(١) [سورة الحاقة: الآيات ١٣ ـ ١٥].

(٢) [سورة الفجر: الآية ٢١].

(٣) [سورة المزمل: الآية ١٤].

(٤) (يُنظر) القيامة الكبرى: ١٠٢.

(٥) [سورة المعارج: الآية ٩].

(٦) [سورة القارعة: الآية ٥].

(٧) [سورة التكوير: الآية ٣].

(٨) [سورة المرسلات: الآية ١٠].

(٩) [سورة الكهف: من الآية ٤٧].

(١٠) [سورة طه: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧].

(١١) القيامة الكبرى: ١٠٢.

(١٢) [سورة الانفطار: الآية ٣].

(١٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور بالمأثور ـ الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ٨/ ٤٣٨.

(١٤) [سورة التكوير: الآية ٦].

(١٥) (يُنظَر) القيامة الكبرى:، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٣٤.

حيث يظهر ابداع الله في أمره وخَلقه، وهوان ذلك عليه، إذ مع كثرة هذه البحار على الأرض وسعتها، إلا أنها تجفُّ تماماً، فلا يبقى من مياهها شيء، وقد ذكر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) ستةَ أوجه في معنى (سجرت) أحدها: أن أصل الكلمة من سجرت التنور إذا أوقدتها، والشيء إذا وقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذ لا يبقى في البحار شيء من المياه البتة، ثم إن الجبال قد سيرت على ما قال: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾[1]، وحينئذ تصير البحار والأرض شيئاً واحداً في غاية الحرارة والإحراق، ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال، ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاؤها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في أسفل الجبال، فصار وجه الأرض مستوياً مع البحار، ويصير الكل بحرا مسجوراً[2]، وما ذلك إلا وجه من وجوه إبداعه وقدرته تعالى في مظاهر السموات والأرضين.

خامساً: موران السماوات وانفطارها وتنزل الملائكة الى الأرض

كذلك من مظاهر التغيير والتبديل، والذي يُعَد من مقاصده تجليات أسمائه تعالى على جميع السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات، فهو تعالى مالك الملك، بيده أمر خلقه، وهو صاحب القدرة المطلقة فيهم، ومن المظاهر التي تحدث في القيامة ما يتعلق بالسماء فإنها تمور موراناً وتضطرب اضطراباً عظيماً قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[3]، ثم إنها تنفطر وتتشقق، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[5]، وعند ذلك تصبح واهية﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[6][7].

وكذلك من تجليات قدرته المطلقة تنزل الملائكة مع الخلائق في أرض المحشر، إذ ذكر ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في معرِض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾، حيث (يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها، وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر)[8].

سادساً: تكوير الشمس وخسوف القمر وتناثر النجوم

ومن المقاصد التي تظهر جليةً في مظاهر التغيير والتبديل ما يتعلق بعظيم قدرته وقوته تعالى أيضاً فيما يجري

---

(١) [سورة النبأ: من الآية ٢٠].
(٢) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ٦٥.
(٣) [سورة الطور: الآية ٩].
(٤) [سورة الانفطار: الآية ١].
(٥) [سورة الانشقاق: الآيتان ١، ٢].
(٦) [سورة الحاقة: الآية ١٦].
(٧) القيامة الكبرى: ١٠٤.
(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/ ٩٦.

في السموات، فإن الشمس تكور ويذهب ضوؤها كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(١)، والتكوير عند العرب: جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها على بعض وإذا جمع بعض الشمس على بعض ذهب ضوؤها ورمى بها(٢)، ويقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره (وتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام سيرها)(٣)، ويقول صاحب الميزان: (ولعل المراد بتكوير الشمس انظلام جرمها على نحو الإحاطة استعارة)(٤).

أما القمر فإنه يخسف، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾(٥)، ويُحتمل أن يكون المراد من خسوف القمر ذهاب ضوئه كما نعقله من حاله إذا خسف في الدنيا، ويحتمل أن يكون المراد ذهابه بنفسه، كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ﴾(٦)(٧).

أما تلك النجوم المتناثرة فإن عقدها ينفرط فتتناثر وتنكدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾(٨)، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾(٩)،والكدرة ضد الصفاء كتغير لون الماء ونحوه، وفسر الانكدار بالتساقط والانقضاض، فإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها، أي حصل للنجوم انكدار من تكدير الشمس لها حين زال عنها انعكاس نورها(١٠).

المقصد الثالث: التكامل الكوني في شمول الحشر جميع الكائنات

لا يكتفي القرآن الكريم بتقرير تلك الحقائق، وربطها بعالم الإنسان، بل إنه يشمل بها جميع الكائنات، ففي النشأة الأخرى يبعث كل شيء كان في النشأة الأولى، ولكن بصورة جديدة تتناسب مع طبيعته واختياراته المتاحة له.

وذكر هذا المقصد الدكتور نور الدين ابو لحية في أسرار ما بعد الموت، من خلال الإشارة الى قوله تعالى عن عالم الحيوانات: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(١١)، فهذه الآية الكريمة لا تكتفي بتقرير حقيقة تلك العوالم، وأنها أمم قائمة بذاتها، وإنما تضيف

---

(١) [سورة التكوير: الآية ١].
(٢) (يُنظَر) القيامة الكبرى: ١٠٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٤١.
(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٣٥.
(٥) [سورة القيامة: الآيتان ٧، ٨].
(٦) [سورة القصص: الآية ٨١].
(٧) (يُنظَر) مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٧٢٤، والقيامة الكبرى: ١٠٥.
(٨) [سورة الانفطار: الآية ٢].
(٩) [سورة التكوير: الآية ٢].
(١٠) (يُنظَر) التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٤٢، والقيامة الكبرى: ١٠٥.
(١١) [سورة الأنعام: الآية ٣٨].

إليها كونها تحشر إلى الله تعالى، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[1].

وهذا كله ينسجم مع الغائية التكاملية التي يسير بها الكون جميعاً، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2]، وهذا يعني أن كل شيء خُلق لغاية، ولم يُخلق عبثاً، وذلك ما ينفي عن البعث تلك الصورة البسيطة التي نتوهمه بها، والتي تجعله خاصاً بالإنسان، وإنما هو حركة تشمل كل شيء، ليصاغ من جديد وفق ما تقتضيه النشأة الثانية من قوانين[3].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى عندما ذكر أن أعمال الحيوانات أيضا تعرض في ذلك الموقف بعد بعثها، فقال: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)[4].

حيث يُعَد هذا الحديث تصريحاً بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. وقال العلماء وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة، والجلحاء هي الجماء التي لا قرن لها[5].

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ كان جالساً، وشاتان تعتلفان، وفي نسخة (تقترنان)، فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: ما يُضحكك يا رسول الله؟ قال ﷺ: (عَجِبْتُ لَهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُقَادَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[6].

وقول آخر له ﷺ: (يَقْتَصُّ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ)[7].

كما ورد في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[8]، قال رضي الله عنه: (يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذَ للجمَّاء من القَرْناء)[9].

---

(١) [سورة التكوير: الآية ٥].

(٢) [سورة الأنبياء: الآيتان ١٦، ١٧].

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٤٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح ٢٥٨٢: ٤/ ١٩٩٧.

(٥) (يُنظَر) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٦/ ١٣٦، ١٣٧.

(٦) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي بن كعب، ح٢١٥٥٠: ٥/ ١٧٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث..

(٧) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، ح ٨٧٤١: ٢/ ٣٦٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح دون قوله: "وحتى للذرة من الذرة"، وهذا إسناد حسن، رجاله رجال الصحيح.

(٨) [سورة الأنعام: الآية ٣٨].

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، الأثر: ١٣٢٢٢: ١١/ ٣٤٧، والمستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، ح٣٢٣١: ٢/٣٤٥، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم.

المقصد الرابع: حاكمية الله تعالى في عرض الخلائق جميعاً عليه

وفي حشر الخلائق في ذلك اليوم، حيث يتم عرضهم على الله تعالى، فحسابهم جميعاً، من دون أن يشغله تعالى شأن عن شأن، أو سؤالٍ عن سؤال.

ورد هذا العرض في القرآن الكريم، ويُراد به البروز، قال ابن فارس رحمه الله (ت٣٩٥هـ): (العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع الى اصل واحد)(١)، يقال عرضت الشيء عرضاً وهو من باب ضرب(٢)، (ويوم العرض يوم الدين)(٣).

كما أشار الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) الى معنى العرْض بالإبراز والظهور، ويقال: عرض الجند: جعلهم يمرون عليه واحداً واحداً، وعرض له من حقه شيئاً: أعطاه إياه مكان حقه، وعرض القوم على النار: أحرقهم بها(٤).

أما في الاصطلاح فقد ذكر حافظ حكمي (ت١٣٧٧هـ) في معارج القبول ان العرض يقع في معنيين، هما:

الأول ـ معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل، بادية له عز وجل صفحاتهم، لا تخفى عليه تعالى منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب، ومن لا يحاسب.

والثاني ـ معنى خاص: وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم ومغفرتها لهم(٥).

وإن حاكمية الله تعالى على عالم الوجود ومالكيته له قائمتان منذ بداية الخلق حتى نهايته، ولا يختص ذلك بيوم القيامة وحده، لكن هناك عوامل وأسباباً تؤثر في مسار هذه الدنيا وتقدمها نحو أهدافها، لذلك فقد يغفل الإنسان أحياناً عن وجود الله وراء هذه الأسباب والعوامل، أمّا في ذلك اليوم الذي تتعطل فيه جميع الأسباب المؤدية لهذه الغفلات، فإنّ حكومة الله تعالى ومالكيته تكونان أجلى وأوضح من أي وقت سابق، ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٦)(٧).

فيبرز جميع الخلْق ويُعرَضون على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾(٨)، إذ بينت هذه الآية الكريمة الكيفية التي يعرض فيها الخلائق على ربهم، وقال جمهور المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ اي مصفوفين يُرى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم منفرداً، لا يحجب أحدٌ أحداً، وقد شبه حالهم هذا بحال

---

(١) معجم مقاييس اللغة، كتاب العين، مادة (عرض): ٤/٢٦٩.

(٢) (يُنظر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/٤٠٢.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٤٨٣.

(٤) (يُنظر) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٣٣٠، وأساس البلاغة: ٢٨٩.

(٥) (يُنظَر) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٢/٨٢٢، والحياة الأخرى ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية ـ جدة، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢/٨١٥.

(٦) [سورة غافر: الآيتان ١٥، ١٦].

(٧) (يُنظَر) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ٧٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/٣٤١، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٢٧.

(٨) [سورة الكهف: الآية ٤٨].



الجند المعروضين على السلطان ليأمر فيهم، أي احضروا محل حكمه وقضائه عز وجل مصطفين او مصفوفين[١].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[٢]، وهو مجازٌ عن الحساب اي يومئذ تحاسبون، وهذا أيضاً تشبيهاً آخر بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم فعُبِر عنه به[٣].

وهذا العرض لا يقتصر على العباد، بل إنه يشمل عرض أعمالهم عليه تعالى ومحاسبتهم عليها، فيدلَّ بذلك على مبدأ الترغيب والترهيب، يقول في ذلك الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ): (﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾[٤] فهو ترغيب عظيم للمطيعين، وترهيب عظيم للمذنبين، فكأنه تعالى قال: اجتهدوا في المستقبل، فإن لعملكم في الدنيا حكماً وفي الآخرة حكماً، أما حكمه في الدنيا فهو أنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المسلمون، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة، فثبت أن هذه اللفظة الواحدة جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده)[٥].

ويذكر الطباطبائي رحمه الله (ت١٤٠٢هـ) في الميزان في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٦] حيث أمر تعالى لنبيه ﷺ أن يجيب منكري البعث بعد الموت بأنهم مبعوثون، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي صاغرون مهانون أذلاء، وهذا في الحقيقة احتجاج بعموم القدرة ونفوذ الإرادة من غير مهلة، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ فقال فيه الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) (إن جميع الخلق جاؤا لله داخرين أي صاغرين)[٨]، فظاهرها عامٌ وليس فيه أي استثناء، حتى الأنبياء والأولياء يخضعون لله ويذعنون لمشيئته)[٩].

أما ما ورد في الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾[١٠]، فإن هذا الاستثناء إنما هو من الفزع يومئذٍ، أما الصعق والموت عند النفخ في الصور فإنه الجميع يموتون ثم يبعثهم تعالى.

ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ في دعوةٍ فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس

(١) (يُنظَر) الكشاف: ٢/٧٢٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل. الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م: ٢/٣٠٤، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٥/٢٨٩.

(٢) [سورة الحاقة: الآية ١٨].

(٣) (يُنظَر) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ٢٩/ ٤٦.

(٤) [سورة التوبة: من الآية ١٠٥].

(٥) تفسير مفاتيح الغيب: ١٦/ ١٤٩.

(٦) [سورة الصافات: الآية ١٩].

(٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٣٠.

(٨) المصدر نفسه: ٨/ ١١٥.

(٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ١٥١.

(١٠) [سورة النمل: الآية ٨٧].

فقال: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ). الحديث(١).

قال الشيخ محمد بن يوسف الكرماني(٢) رحمه الله (ت ٧٨٦هـ): (وقوله ﷺ (صعيد واحد) أي أرض واسعة مستوية، ويحيط بهم بصر الناظر فلا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الارض وعدم الحجاب، واما قوله (ويسمعهم) بضم الهاء من الاسماع(٣)، وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) نقلاً عن القرطبي (٦٧١هـ) رحمهما الله، والمعنى انهم يجمعون في مكان واحدٍ بحيث لا يخفى منهم أحد حتى إذا دعاهم داعٍ لَسمعوه ولو نظر إليهم ناظر لادركهم(٤).

فلا يخفى عليه تعالى في ذلك الموقف شأن عن شأن، ولا يشغلهُ أمرٌ عن آخر، يقول الشيخ الصدوق رحمه الله (ت٣٨١هـ): (والله تعالى يخاطب عباده من الأولين والآخرين بمجمل حساب عملهم مخاطبةً واحدة، يسمع منها كل واحدٍ منهم قضيته دون غيرها، ويظنُّ أنه المُخاطَب دون غيره، ولا تشغله تعالى مخاطبةً عن مخاطبة، ويفرغ تعالى من حساب الأولين والآخرين في مقدارِ ساعةٍ من ساعات الدنيا)(٥).

وقال ابو السعود العمادي(٦) رحمه الله (ت٩٨٢هـ) في تفسيره ارشاد العقل السليم لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾(٧)، اي الموصوفون بالظلم البالغ وهو الافتراء على الله تعالى، إذ يُعرضون هم واعمالهم على مالكهم والمتصرف في أمورهم، وعبر بعرضهم بتلك الحيثية لأنه عرض لأعمالهم لأن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته(٨).

أما أهل الجنة فيهم فوصف حالهم النبي ﷺ في هذا العرض بما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (أهلُ الجنَّةِ يَوم القِيامَةِ عِشرونَ ومِائَةُ صَفٍّ أنتم منها ثَمانونَ صَفًّا)(٩).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب قول الله عز وجل ﴿ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ح٣١٦٢: ٣/١٢١٥ جزء من الحديث.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني، عالم بالحديث اصله من كرمان ولد سنة ٧١٧هـ له مصنفات منها [الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري]، وغيرها الكثير، تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وكان مقبلا على شأنه لا يتردد إلى أبناء الدنيا ملازما للعلم مع التواضع والبر بأهل العلم وتوفي راجعا من الحج في المحرم سنة ٧٨٦. (يُنظَر) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ٦/٦٦، ٦٧، و(يُنظَر) الاعلام: ٧/١٥٣.

(٣) (يُنظَر) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ. ١٩٨١م: ١٣/٢٣٣.

(٤) (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/٤٤٧، ٤٤٨.

(٥) الاعتقادات في دين الامامية: ٧٥.

(٦) محمد (ثم تحقق ان اسمه احمد) بن محيي الدين محمد العمادى شيخ الإسلام ولد سنة ٨٩٦هـ، عالم في التفسير والعقائد والفقه، له مصنفات عدة، منها [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم]، و[بضاعة القاضى في الصكوك]، و[ثواقب الانظار في اوائل منار]، و[الانوار في الأصول]، و[غلطات العوملة]، توفي رحمه الله سنة ٩٨٢هـ. (يُنظر) هدية العارفين: ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٧) [سورة هود: من الآية ١٨].

(٨) (يُنظَر) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/١٩٦، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ١٢/ ٣٠.

(٩) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح ٤٣٢٨: ١/ ٤٥٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.



المبحث الثاني: المحكمة الإلهية ومقاصدها العقدية

بعد عودة الموتى الى الحياة ونشرهم وحشرهم، وفي ذلك الموقف الذي يقف الخَلق فيه بين يَدي الله تعالى وعرضهم عليه جميعاً، وإذ يرى كلاً منهم ما قدَّم وأخر في نشأته الأولى، حيث تُعَد هذه الأمور في عِداد الحجج التي تُقام يوم القيامة على الإنسان لتثبيت عمله من خيرٍ أو شر، والقضاء عليه بما ثبُت بالحجة القاطعة للعذر، والمنيرةِ للحق، ثم المجازاة بما يستوجبه القضاء من سعادةٍ او شقاء، وجنةٍ أو نار، وبه حكم هذه المحكمة التي تتحقق بقدرة الله تعالى وربوبيته على عباده، وهي التي تحدد للعباد مصيرهم من دخول الجنة أو النار[1].

ومن خلال هذه المحكمة تتحقق أمورٌ عدة قد أخبر بها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ومنها:

١ ـ إعطاء صحيفة عمل كل إنسانٍ بيده، لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[2].

٢ ـ مضافاً الى ما هو مندرج في صحيفة كل واحدٍ من الصغائر والكبائر، ثمَّة شهود من داخل الإنسان وخارجه تشهد يوم القيامة بأعماله التي عملها في العالم الدنيوي، فالشهود الذين من الخارج، هم الله تعالى ونبي كل امة، ونبينا محمدﷺ والصفوة الأخيار، والشهداء والملائكة والأرض وغيرهم، أما الشهود من داخل الإنسان فهي جوارحه التي تشهد على ما أنكره من أعماله يوم القيامة.

٣ـ المواقف التي يمر بها الإنسان بعد عرض أعماله والشهود عليها، من وزن أعماله أو صحفها، واثبات ثقلها من خفتها، وكذلك مرورهم على الصراط الذي يختلف سرعته وسيره عليه حسبما قدمه الإنسان في حياته من عبودية وطاعات لله تعالى، لينجو عباد الله تعالى منه الى جنات النعيم، أو يسقط والعياذ بالله تعالى المنكرين والمعاندين في دركات الجحيم.

وبناءً على ذلك، وبعد استقرائنا للنصوص الكريمة التي وردت في هذه المحاكمة، فقد وجدنا ترتيب مقاصدها في هذا المبحث الى مطالبٍ أربع، هي:

المطلب الأول: الحساب ومقاصده العقدية.

المطلب الثاني: الإشهاد يوم القيامة ومقاصده العقدية.

المطلب الثالث: الموازين ومقاصدها العقدية.

المطلب الرابع: الصراط ومقاصده العقدية.

---

(١) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ٣٢٢.

(٢) [سورة الإسراء: الآيتين ١٣، ١٤].



المطلب الأول: الحساب ومقاصده العقدية

إن عَرض الاعمال ونشر الصُحف يوم القيامة، وتطايرها الى الأيمان والشمائل ثابتٌ في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والأنبياء كلُّهم متفقون على الإيمان بالآخرة ومبدأ الثواب والعقاب في مواقفها.

وبناءً على ذلك، ومن خلال استقرائنا للنصوص الكريمة التي وردت في المقاصد العقدية من الايمان بالحساب والمسائل المتعلقة به فقد رأينا تصنيفها الى مقاصدَ أربعة، مسبوقةً بتمهيد في مفهوم الحساب، وكما يأتي:

المقصد الأول: إقامة الحجة على العباد بإعطائهم صحف أعمالهم قبل المحاسبة.

المقصد الثاني: مظاهر الجزاء الإلهي في تمييز المؤمنين عن الكافرين.

المقصد الثالث: مظاهر التكريم الإلهي في مَن لا يُحاسَبون.

المقصد الرابع: عدالة الله تعالى وإكرامه لمن يُحاسَبون.

تمهيد: مفهوم الحساب

الحساب لغةً

جاءت في كتب اللغة عدة إطلاقات للفظة الحساب، منها ما ورد في المعجم الوسيط الحساب: من ((حَاسبه) محاسبة وحساباً ناقشه الْحساب وجازاه)، وهو العَدُّ، والكثير الكافي، وفي التنزيل العزيز: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[1]، ويوم الحساب هو يوم القيامة[2].

الحساب اصطلاحاً

عرَّف الشيخ المُفيد ﷺ (ت٤١٣هـ) الحساب بأنه: (موافقة العبد على ما أُمر به في دار الدنيا، وأنه يختص بأصحاب المعاصي من أهل الإيمان، وأما الكفار فحسابهم جزاؤهم بالاستحقاق، والمؤمنون الصالحون يوفون أُجورهم بغير حساب، وقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3])[4].

وعرَّفه السفاريني ﷺ(ت١١٨٨هـ) بأنه (توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً، تفصيلاً لا بالوزن، إلا من أُستثنى منهم)[5].

(١) [سورة النبأ: الآية ٣٦].

(٢) المعجم الوسيط، باب الحاء: ١/ ١٧١.

(٣) [سورة التوبة: من الآية ١٠٥].

(٤) أوائل المقالات في المذاهب و المختارات ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، ابو عبد الله (ت٤٣١هـ)، تحقيق: السيد ابراهيم الانصاري الزنجاني، دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م: ٨٩.

(٥) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٧٢.



وقوله: (لا بالوزن) يحتمل أنه يريد أن الله يحاسبهم ثم يزن أعمالهم، لا أنه يكتفي بالمحاسبة عن الوزن (إلا من استثنى منهم) فإنه لا يحاسبهم ولا يزن أعمالهم.

فهو (تعريف الله ـ عزَّ وجل ـ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1])[2].

وقال القرطبي رحمه الله(ت٦٧١هـ) مصوراً هذا الحساب: (فإذا بعثوا من قبورهم الى الموقف وقاموا فيه ما شاء تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب يريد الله ان يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره وهم الاشقياء)[3].

ويقول الشيخ محمد جواد مُغنية رحمه الله (ت١٤٠٠هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[4]: (قبل ان تذهب الملائكة بالمجرمين الى جهنم يحبسون للسؤال عما كانوا يعملون)[5]، ونقل الحديث المروي عن النبي ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)[6].

كما صوَّر السفاريني رحمه الله(ت١١٨٨هـ) اختلاف الأقوال في معنى محاسبته تعالى على عباده على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعلمهم مالهم وما عليهم.

والثاني: ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما: ان الله تعالى يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول: هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها، وهذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم.

والثالث: أن يكلم الله عباده في شأن أعمالهم، وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب[7].

وبناءاً على ذلك، ومن خلال استقرائنا لما ورد في هذا الحساب يوم القيامة سأذكر هنا المقاصد العقدية المرتبطة ببعض أحداث ذلك اليوم، وهي:

(١) [سورة المجادلة: الآية ٦].

(٢) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٧٢.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٦٢٠.

(٤) [سورة الصافات: الآية ٢٤].

(٥) تفسير الكاشف لمغنية: ٣٣٤/٦.

(٦) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة: ٦١٢/٤، برقم (٢٤١٧)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، و(يُنظَر) تفسير الكاشف للشيخ مغنية: ٣٣٤/٦.

(٧) (يُنظَر) لوامع الانوار البهية: ١٧٢/٢.



المقصد الأول: إقامة الحجة على العباد بإعطائهم صحف أعمالهم قبل المحاسبة

ورد ذكر صحف الأعمال[1] في الكتاب الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[2]، وقد فسرها أبو جعفر الطوسي رحمه الله(ت٤٦٠هـ) بقوله: (والصحف جمع صحيفة وهي الصحيفة التى فيها اعمال الخلق من طاعة ومعصية، فتنشر عليه ليقف كل انسان على ما يستحقه)[3]، وقال البغوي رحمه الله(ت ٥٢٠هـ): (يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب)[4].

وقال أبو الفضل الطبرسي رحمه الله(ت٥٤٨هـ) في تفسيرها: (صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشر تنشر ليقرأها أصحابها ولتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها)[5].

أما فخر الدين الرازي رحمه الله(ت٦٠٦هـ) فعرَّفها بقوله: (يريد ـ تعالى ـ صحف الأعمال تطوي صحيفة الإنسان عند موته، ثم تنشر إذا حوسب، ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها، أي فرقت بينهم)[6].

كذلك عرفها السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ)بأنها: (جمع صحيفة، وهي الكتب كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية، وقيل هي صحف تكتبها العباد في قبورها)[7].

ويبين الشيخ شهاب الدين الالوسي رحمه الله(ت١٢٧٠هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[8] في (المراد من الكتاب كتب الأعمال فأل فيه للاستغراق، ومن وضعه إما جعل كل كتاب في يد صاحبه اليمين أو الشمال وإما جعل كل في الميزان، وجوز أن يكون المراد جعل الملائكة تلك الكتب في البين ليحاسبوا المكلفين بما فيها، وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بالكتاب كتاباً واحداً بأن تجمع الملائكة عليهم السلام صحائف الاعمال كلها في كتاب واحد وتضعه في البين للمحاسبة)[9].

وما نستخلصه من تعاريف العلماء للصحف أنها تُعطى للعباد قبل محاسبتهم على أعمالهم. بل إن أساس محاسبتهم يكون بعد إن يروا أعمالهم جميعاً في هذه الصحف، وفي هذا يقول القرطبي رحمه الله: (فإذا وقف الناس على أعمالهم، من الصحف التي يؤتوها بعد البعث حوسبوا عليها)[10].

---

(١) ذكر العلماء الصحف في اللغة بأنها جمع صحيفة، وهو ما يكتب فيه من ورق او نحوه وفي التنزيل ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، والمراد بها صحف الاعمال. (يُنظَر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١/٣٣٤، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٢٧٢، والمعجم الوسيط: ١/٥٠٨،

(٢) [سورة التكوير: الآية ١٠].

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٧٤.

(٤) معالم التنزيل: ٥/ ٢١٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٤٩، و(يُنظَر) معالم التنزيل: ٥/١٧٧، الكشاف: ٢/٧٢٦، ومفاتيح الغيب: ٢١/٤٧٠.

(٦) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ٦٦.

(٧) لوامع الانوار البهية: ٢/١٨٠.

(٨) [سورة الكهف: من الآية ٤٩].

(٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨/ ٢٧٥، و(يُنظَر) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨/٣٨.

(١٠) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢٥٥.

وعليه، فإن الحق تبارك وتعالى يوقف عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم التي قالوها وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف وطاعة وعصيان وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين وبشمالهم إن كانوا طالحين. ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده وما يقولونه له وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين وشهادة الشهود ووزن للأعمال(١).

ويذكر العلَّامة الطباطبائي رحمه الله في معرِض ذكره لهذه المسائل قوله: (إنه تعالى يعد في كلامه هذه الأمور في عِداد الحجج التي تُقام يوم القيامة على الإنسان لتثبيت ما عمله من خيرٍ أو شر، والقضاء عليه بما ثبُتَ بالحجة القاطعة للعذر والمنيرة للحق ثم المُجازاة عليها بما يستوجبه القضاء من سعادةٍ أو شقاء وجنةٍ أو نار، وهذا من أوضح ما يُستفاد من آيات القيامة الشارحة لشؤون هذا اليوم وما يواجه الناس منها)(٢).

فإذا تذكر العباد ما قدموه في حياتهم حين يؤتَوا كتبهم بأيمانهم أو شمائلهم ويحكموا بأنفسهم على أنفسهم فلا يكون لهم عذر فيما وجدوه من جزاء لأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٤)(٥).

ويُعَد هذا التقديم من كبريات مظاهر مقاصد العدالة الإلهية في الحساب؛ ذلك إن الإنسان مجبولٌ على النسيان فكيف الحال به وعِظَم ذلك الموقف وفزعه وهوله، حينما يبعث الله العباد من قبورهم فيخرجون وهم لا يذكرون شيئاً من أعمالهم التي قدموها في حياتهم الدنيا، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(٦)، وما أسرع نسيان الإنسان لأعماله التي يعملها وهو غافل لا يدري أن هناك من يراقبه مراقبة دقيقة يسجل عليه كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، ويدل على ذلك قول الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في معنى الآية: (يقول تعالى ذكره أحصى الله ما عملوا، فعدَّه عليهم، وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه، والله على كل شيء شهيد)(٧).

المقصد الثاني: مظاهر عدالة الجزاء الإلهي في تمييز المؤمنين عن الكافرين

يحدث بعد إعطاء الصحف واستبشار المؤمنين، وندم وحسرة العصاة والكافرين، التمييز لكل فئةٍ عن الأُخرى بأمر الله تبارك وتعالى، المؤمنون في مكان، وغيرهم من الكفار والعُصاة كل فرقة في مكان، قال الحافظ ابن

(١) القيامة الكبرى: ١٩٣، موسوعة الإعجاز ـ أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: الشيخ عبد الله عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض ـ الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، حرف الحاء: ١٤٠، الدر الثمين: ٧٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ٣٢٢.

(٣) [سورة آل عمران: الآية ٣٠].

(٤) [سورة الكهف: من الآية ٤٩].

(٥) (يُنظَر) القيامة الكبرى: ٢٠٦.

(٦) [سورة المجادلة: الآية ٦].

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٨/ ١٢.

كثير الدمشقي رحمه الله (ت٧٧٤هـ): (فإذا نصب كرسي فصل القضاء، إنماز الكافرون عن المؤمنين في الموقف إلى ناحية الشمال، وبقي المؤمنون عن يمين العرش، ومنهم من يكون بين يديه، قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [1])[2]، وقال الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في معناها: (أي تميزوا)[3].

فالثابت حسب ما أورده أكثر العلماء هو تميز كل فريق عن الفريق الآخر، دون تحديد لجهتي اليمين والشمال، كما فسر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) هذا التميز بقوله: (ثم بين أمراً آخر يكون في ذلك اليوم وهو الافتراق كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾، فكأن هذه الحالة مترتبة على الإبلاس، فكأنه أولا يبلس ثم يميز ويجعل فريق في الجنة وفريق في السعير، وأعاد قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تعالى تأكيداً للتخويف، ومنه اعتاد الخطباء تكرير يوم القيامة في الخطب لتذكير أهواله)[4].

كذلك يضيف ابن كثير رحمه الله في قول الله تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة، من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى يميزون عن المؤمنين في موقفهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾[5]، أي (الزموا أنتم وهم مكاناً معيناً، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين)[6].

كذلك يدل عليه ما وردَ في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [7]، أي يصيرون فرقتين، وهو ما فسره الشوكاني رحمه الله (ت١٢٥٠هـ) حيث قال: (والمراد بتفرقهم هاهنا: أن أهل الجنة يصيرون إلى الجنة وأهل النار يصيرون إلى النار) [8].

وقال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[9]، وهذه الآية فسرها بعضهم بأن كل صنف يتميز مع مثله، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[10]، قال: (أمثالهم، الذين هم مثلهم، يجيء أصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، أزواج في الجنة، وأزواج في النار)[11]. وعن مجاهد رضي الله عنه قال:

---

(١) [سورة يس: الآية ٥٩].

(٢) النهاية في الفتن والملاحم، الامام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ٢/ ١١٠.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣/ ٢٢.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٨٥.

(٥) [سورة يونس: الآية ٢٨]

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٦٤.

(٧) [سورة الروم: الآية ٤٣].

(٨) فتح القدير: ٤/ ٢٢٩.

(٩) [سورة الصافات: الآيتان ٢٢، ٢٣].

(١٠) [سورة الصافات: الآية ٢٢].

(١١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٧/ ٨٣.

(أمثالهم، القتلة مع القتلة، والزناة مع الزناة، وأكلة الربا مع أكلة الربا)[1].

وخلاصة ما قيل عن تميز المؤمنين عن غيرهم، وتميز كل فرقة بمفردها والحكمة من ذلك: أن الله تعالى أمر بأن يتميز أهل محبته ورضوانه عن أهل عداوته وعصيانه، إلى حيث يشاء سبحانه وتعالى، كما أمر أن ينفرد أهل عصيانه عن أهل طاعته، ليكون لكل فرقة من الفرق موضع يليق بها، وليعرف كل فريق حاله[2].

كما أنه تعالى قد أكثر من ذكر هذا التميز والافتراق في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، بعبارات متنوعة، ودلالات مختلفة مصوراً هول ذلك، أو مخبراً عنه ومبشراً به، كل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس إليه ليكونوا على بينة من أمرهم فيستعدوا له بالعمل الصالح إذ أنه من أهم الأمور التي تحدث في يوم القيامة، بل هو المراد ببعث الناس[3] وقيامهم من قبورهم وفي الموقف، وبه يتميز الناس فيسعد من يسعد، ويشقى من يشقى، حينما يفصل الله بين خلقه في أكمل صور العدل وأجلها[4].

المقصد الثالث: مقاصد التكريم الإلهي في من لا يُحاسبون

ويتجسد هذا المقصد بعد أن يتفرق المؤمنون عن المجرمين، فيصل أصحاب النفوس المطمئنة الى موقف البعث والحساب إذ يتفضل تعالى عليهم بالرحمة العظيمة، فيدخلهم جناته بغير حساب، ولا سابق عذاب، حيث تكون هذه أول بشاراتهم التي يتلقونها يوم القيامة.

فيكون هذا التكريم الإلهي لفئة مميزة من المؤمنين المخلصين، يتميزون عن الخَلق حين يُحاسَب الناس على النقير والقطمير، إلا إنهم يُبشرون بجنانهم التي بها يُوعدون من دون هذا الحساب، إذ أخبر عنهمﷺ أن أُناساً لا يُحاسَبون، وهم سبعون ألفاً من المؤمنين؛ إكراماً لهم كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ)، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: (مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟) فأخبروه، فقالﷺ: (هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه، فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ،

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٧/ ٨٤.

(٢) (يُنظَر) الحياة الأخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية ـ جدة، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢/ ٩٢٥.

(٣) لأن ما يقع بعده من عذاب أو نعيم إنما هو نتيجة للحساب.

(٤) (يُنظَر) الحياة الآخرة: ٢/ ٩١٣



فَقَالَ ﷺ: (أَنْتَ مِنْهُمْ)، ثم قام رجل آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ)[1].

ومصداقه أيضاً ما رُويَ عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدخِلَ مِن أُمَّتي الجنَّةَ سَبعينَ أَلْفًا بغيرِ حِسابٍ)، فقال يزيد الأخنس رضي الله عنه والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذبان، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ ربِّي قد وَعَدَني سَبعينَ أَلْفًا، مع كلِّ أَلْفٍ سَبعونَ أَلْفًا، وزادني ثلاثَ حَثَياتٍ)[2].

فهؤلاء يمثلون المقربين من أمته ﷺ فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام والشهداء، وهم ممن نالوا هذا التكريم الإلهي العظيم كونهم الهداة والقمم الشامخة في الإيمان والتقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق، يدخلون الجنة صفاً واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وهو ما يدلُّ عليه ما جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه في قوله ﷺ: (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)[3]، وقد صحَّ أن الله تعالى أعطى رسوله ﷺ مع كل ألفٍ من السبعين هؤلاء سبعين ألفاً، كما جاء في سنن الترمذي قوله ﷺ: (وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ[4] مِنْ حَثَيَاتِهِ)[5].

ففي هذه الأحاديث وغيرها يتبين كرمه تعالى في عطائه الذي أعطاه لنبيه الكريم ﷺ والمخلصين من أمته، وزيادتهم منه تعالى فضلاً وشرفاً بأن يدخل هذا العدد (مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا) منهم بدون حساب، مع عدم الإحاطة بالعدد الذي تشمله (ثَلَاثُ حَثَيَاتٍ) من حثيات الرب العظيم الكريم، وهو تعالى أهل الجود والكرم.

وقال محمد بن أحمد السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ): (ثبت في عدة أخبار عن النبي المختار ﷺ ـ ما كرَّ الليل على النهار ـ أن طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب، فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين، وأخذ الصحف بالشمال واليمين)[6].

كذلك الأنبياء عليهم السلام، فإنهم لا يُحاسَبون لثبوت عصمتهم عن الذنوب، وكونهم السبب الذي يبعثه تعالى لأجل هداية الناس.

ومع ذلك فإنه لم يتفق جميع العلماء على عدم حسابهم عليهم السلام، وسبب الخلاف فيهم هو ما جاء في قوله تعالى:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح ٢٢٠: ١/ ١٩٩.

(٢) مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي، ح ٢٢٢١٠: ٥/ ٢٥٠، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي من جهة سليم بن عامر الخبائري رجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ح ٦١٧٧: ٥/ ٢٣٩٦.

(٤) (الحَثْيُ: مَا رفعت بِهِ يَديك، وَقد حَثَى عَلَيْهِ التُّراب حَثْياً... والحَثا: التُّراب المحثِيُّ أَو الحاثي). المحكم والمحيط الأعظم، حرف الحاء، الحاء والثاء والياء: ٣/ ٤٣٢، وقال ابن حجر (من الحثي وهو الأخذ بالكفين)، و(الحثية ما يؤخذ باليدين جميعاً). فتح الباري: ٥/ ١٣٠، ٦/ ٢٤٢.

(٥) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح٢٤٣٧: ٤/ ٦٢٦، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٦) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٧٧.



﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، فإن هذه الآية تدل على أن الله يحاسب جميع البشر؛ الرسل والمرسل إليهم؛ لكننا لو بحثنا في المقصد من سؤال الأنبياء عليهم السلام حسب هذه الآية الكريمة، فنجده قد بينه الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في إثباته أن السؤال يقع على الأنبياء والأمم أيضاً، بقوله:

(المسألة الثانية: الذين أرسل إليهم هم الأمة، والمرسلون هم الرسل، فبين تعالى أنه يسأل هذين الفريقين، قال: ونظير هذه الآية قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

فقال في معرض عدِّه للمسائل التي اشتملت عليها الآية: (الآية تدل على أنه تعالى يحاسب كل عباده؛ لأنهم لا يخرجون عن أن يكون رسلاً أو مرسلاً إليهم، ويبطل قول من يزعم أنه لا حساب على الأنبياء والكفار)[3].

وعلى هذا القول بأنهم يُسألون ـ ومعلوم أنه لا ذنوب لهم ليحاسبوا عليها ـ فما المقصود من وقوع السؤال عليهم؟

لَّما كان (سؤاله تعالى للمرسلين ليس بتوبيخ ولا تقريع لكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم أيضاً)[4].

فقد أجاب الفخر الرازي رحمه الله عن ذلك بقوله: (فإن قيل: فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير ألبتة؟ قلنا لأنهم إذا أثبتوا أنه لم يصدر عنهم تقصير ألبتة؛ التحق التقصير بكليته بالأمة؛ فيضاعف إكرام الله في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير، ويتضاعف أسباب الخزي والإهانة في حق الكفار لما ثبت أن كل التقصير كان منهم)[5].

فالذي يظهر أن إطلاق القول بأن الأنبياء يُسألون؛ أن المقصود به مساءلتهم عن تبليغهم الدعوة إلى أقوامهم، وهو مجرد مساءلة لزيادة إقامة الحجة على العصاة، وليست مساءلة مناقشة وتقريع، كما ظهر مما سبق.

وأما إطلاق القول بأنهم لا يُسألون، فالمراد به ما تقدم من أنهم لا يسألون سؤال مناقشة واستظهار، وإذا كان قد ثبت أن طائفة من أتباع الأنبياء يدخلون الجنة بغير حساب، فكيف بالأنبياء الذين لهم المزية الأولى في كل تكريم؟

ويذكر ابن كثير الدمشقي رحمه الله (ت٧٧٤هـ) أن الله تعالى يسأل الأنبياء عن تبليغ أقوامهم رسالة الله تعالى، فقال: (فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاته)[6].

وفي ذلك يقول النسفي[7] رحمه الله (ت ٧١٠هـ) فيما ينقله عنه السفاريني رحمه الله (ت١١٨٨هـ): (الأنبياء لا حساب

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ٦].

(٢) [سورة الحجر: الآيتان ٩٢، ٩٣].

(٣) تفسير مفاتيح الغيب: ١٤/ ٢٠١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٣١٥، لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٧٥، (يُنظَر) فتح القدير: ٢/ ٢١٥.

(٥) تفسير مفاتيح الغيب: ١٤/ ٢٠٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٤٩.

(٧) حافظ الدين النسفي. عبد الله بن احمد بن محمود أبو البركات النسفي، من تصانيفه [اعتماد الاعتقاد]، و[شرح المنتخب في اصول المذهب]، و[شرح الهداية]، و[كشف الاسرار في شرح المنازلة]، و[مدارك التنزيل وحقائق التأويل]، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٧١٠هـ. (يُنظر) هدية العارفين: ١/ ٤٦٤.

عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، وكذلك العشرة المبشرة بالجنة، هذا في حساب المناقشة، وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب، ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم: ويحاسب المسلمون المكلفون، إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤول، ويسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل)[1].

المقصد الرابع: عدالة الله تعالى وإكرامه لمن يحاسبون

إن من كبريات مقاصد الحساب والمساءلة يوم القيامة إظهار عدالته تعالى في حساب الناس وعدم ضياع الحقوق والمظالم بينهم؛ إذ يوفي الحق عز وجل عباده في يوم القيامة أجورهم كاملة غير منقوصة ولا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2]، وقال لقمان في وصيته لابنه معرفاً إياه بعدل الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [4]، فقد أخبر الحق تبارك وتعالى في هذه النصوص ومثيلاتها أنه يوفي كل عبد عمله، وأنه لا يضيع منه ولا ينقص منه مقدار الذرة.

فالحساب والجزاء على الأعمال في ذلك اليوم يمثل قمة العدل الإلهي ومنتهاه إذ يجازي تعالى العباد بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولا يحمل أحدٌ وزر غيره، قال تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[5][6].

فلا يقتصر هذا الحساب على حقوق الله تعالى في العبادة والإيمان والطاعات، بل إنه يشتمل كذلك على حقوق العباد فيما بينهم، فضلاً عن العدل في القصاص يوم القيامة وتبادل الحسنات والسيئات يقول ﷺ: (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ)[7].

يقول الشيخ الصدوق رحمه الله (ت٣٨١هـ): (يخرج الله تعالى لكل إنسان كتاباً يلقاه منشوراً، ينطق عليه بجميع أعماله، لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فيجعله الله تعالى حسيب نفسه والحاكم عليها، بأن يُقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[8].

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٧٥.

(٢) [سورة البقرة: الآية ٢٨١].

(٣) [سورة لقمان: الآية١٦].

(٤) [سورة الزلزلة: الآيتان ٧، ٨].

(٥) [سورة الإسراء: الآية ١٥].

(٦) (يُنظَر) القيامة الكبرى: ٢٠٤.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ح٦١٦٩: ٥/ ٢٣٩٤.

(٨) الإعتقادات في دين الإمامية: ٧٥.

لذلك، ذكر الشريف المرتضى رحمه الله(ت٤٣٦هـ) أصناف الحساب يوم القيامة بقوله: (وقد نطق القرآن الكريم بالمحاسبة، واجتمعت الأُمة على وقوعها، غير ان المسألة وإن كانت عامة فإنها مترتبة، فتكون للمؤمنين سهلة خفيفة لا إيلام فيها، وللكافر على سبيل المناقشة والتبكيت والتهجين، وقد فصَّل القرآن الكريم بتصريحه بين الحسابين)[١].

فالخَلْق يوم القيامة أصنافاً شتى، من هؤلاء مَن يُحاسب، ومنهم من لا يُحاسب، وهو ما ذكرناه في المقصد السابق، وقد أجمل القرطبي رحمه الله(ت٦٧١هـ) ذكر هذه الأصناف بالنسبة للحساب، فقسمهم إلى ثلاثة فرق، فقال:

(فرقة: لا يحاسبون أصلاً، وفرقة: تحاسب حساباً يسيراً – وهما من المؤمنين ـ وفرقة: تحاسب حساباً شديداً، يكون منها مسلم وكافر، وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله، فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله، فيدخله النار بغير حساب)[٢].

أما من يُحاسَبون فلا ريب أن الله تعالى يحاسبهم محاسبة في منتهى العدالة الإلهية لمن توزن حسناته وسيئاته، وبالحساب يمتاز بعضهم على بعض بالدرجات؛ نتيجة لثقل موازينهم وخفتها، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣]، وقوله تعالى:: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤].

وقد رُويَ عن السدي رضي الله عنه قوله في الآية الكريمة: الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٥].

لذلك روى الطبري رحمه الله(ت٣١٠هـ) عن الحسن البصري رحمه الله(ت١١٠هـ) أنه قال: (يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو اكثر، حتى إذا متّ طُويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاب يلقاه منشوراً ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك)[٦].

المطلب الثاني: الإشهاد يوم القيامة ومقاصده العقدية

وإذ يرى العباد صحف أعمالهم قد أُحضرَت، ويرون المحكمة الإلهية قد أُعِدت لحسابهم وإذ تبلغ الأنفس غايتها من فزع يومئذ، ونظراً لحاجة أي محكمة الى الشهود برغم عدالة المحكمة الإلهية في الحساب، إلا أنه تعالى يأتي

(١) الذخيرة في علم الكلام: ٥٣١، و(ينظر) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٢٢١.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وامور الآخرة: ٦٧٦.

(٣) [سورة الزلزلة: الآيتان ٧، ٨].

(٤) [سورة الاسراء: الآية ١٤].

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الرازي ابن ابي حاتم (ت٣٢٧هـ) تحقيق: اسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة:، ١٤١٩هـ، ح (١٣٢١١): ٢٣٢١/٧.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٠٠/١٧.



بالأشهاد على الخَلق الذين منهم مَن ينكرون ما قد عملوه في حياتهم الدنيا عند رؤيتهم لصحف أعمالهم التي قد قُدِّمت أمامهم.

ومن خلال استقرائنا للنصوص الكريمة في حضور الشهود يوم القيامة على الخَلق، فقد رأينا تقسيم المقاصد المتعلقة بها الى فروعٍ خمسة، مسبوقةً بتمهيد بمفهوم الأشهاد يوم القيامة وذكر أنواعهم، أما المقاصد، فهي:

المقصد الأول: اللطف الإلهي بالعباد، ونجاة المؤمنين لاكتفائهم بشهادة الله تعالى على أعمالهم

المقصد الثاني: العدالة الإلهية في الاشهاد وإقامة الحجة على العباد

المقصد الثالث: القدرة الإلهية في شهادة الإنسان على نفسه ونطق جوارحه

المقصد الرابع: تكريم الأنبياء عليهم السلام بشهادتهم عامة والنبي صلى الله عليه وآله خاصة

المقصد الخامس: تكريم أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله بالوسطية وعرض أعمالها عليه صلى الله عليه وآله

تمهيد: مفهوم الأشهاد

الاشهاد (الشهود) لغةً

قال الفراهيدي رحمه الله(ت١٧٠هـ): (الشهادة أن تقول: استشهد فلانٌ فهو شهيد، وقد شهِد على فلان بكذا شهادةً، وهو شاهدٌ وشهيد)[(١)].

وقال ابن منظور رحمه الله(ت٧١١هـ) في لسان العرب: (الشهيد من أسماء الله الأمين في شهادته، قال: وقيل الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد: الحاضر. والجمع أشهادٌ وشهود)[(٢)].

الاشهاد اصطلاحاً:

قال أبو البقاء الكفوي رحمه الله (ت١٠٩٤هـ) في الكليات: (والشهادة: بيان الحق، سواء كان عليه أو على غيره، وخبر قاطع يختص بمعنى يتضمن ضرر غير المخبر فيخرج الإقرار، وقيل: إقرار مع العلم وثبات اليقين)[(٣)].

والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف[(٤)]، وعرَّفهم السيد كمال الحيدري بقوله: (والمُراد منهم أولئك النفر أو الموجودات التي تشهد على أعمال الخلائق يوم القيامة حين تقوم المحكمة الإلهية ويؤتى بصحيفة الأعمال للإنسان، فهنا يؤتى بالأشهاد ليشهدوا على ما في صحيفة أعمال الإنسان، وليس المُراد بأعمال الخلائق الأعمال الظاهرية كالصلاة والصوم وغيرهما فقط، وإنما الأعم منها من الأعمال الجوانحية القلبية والاعتقادات)[(٥)].

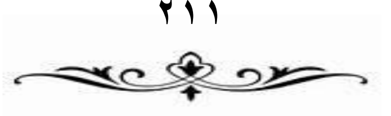
(١) العين، باب الشين، مادة (شهد): ٢/ ٣٦٣.

(٢) لسان العرب، حرف الدال المهملة، فصل الشين المعجمة، مادة (شهد): ٣/ ٢٣٩، و(يُنظَر) الكليات، فصل الشين: ٥٢٨.

(٣) الكليات، فصل الشين: ٥٢٧.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/ ٤٠٢.

(٥) المعاد. رؤية قرآنية: ٢/ ٨.



وقد أشارت أكثر من آية إلى الشهداء الذين يشهدون على العباد هم الله تعالى: ﴿وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾(١)، ونبي كل أمة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٢)، ونبي الاسلام: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٣)، والصفوة الأخيار من الأُمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤)، والملائكة ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٥)، والأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾(٦)، ومن الشهود يومئذٍ أيضاً النفس والجوارح والأيام والليالي تشهد بما عمل فيها وعليها ويشهد المال على صاحبه، والأرض وكافة الجمادات، وبناءً على دور الأشهاد الكبير في الحساب، وأهميتهم في إقامة الحجة على العباد، فإن يوم القيامة يُنسَب إليهم، حيث قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٧).

المقصد الأول: اللطف الإلهي للعباد، ونجاة المؤمنين لاكتفائهم بشهادة الله تعالى على أعمالهم

الشاهد الأوّل على سلوك الإنسان وعمله وتصرفاته هو اللهّ سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السموات، وهي أعظم الشهادات وأكبرها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾(٨)، والشهيد من أسماءه تعالى الحسنى، ويرجع معناه الى العليم مع خصوص إضافة؛ فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عمّا بطن، والشهادة عبارة عمّا ظهر، وهو الذي يشاهد جميع المخلوقات بأفعالها ونواياها، وهو الخبير العليم(٩)، لذلك يكتفي المؤمنون يوم القيامة بهذه الشهادة، ولا يطلبون غيرها، ذلك أنهم مؤمنون بعلمه وخبرته بأحوالهم ونواياهم وكافة أعمالهم.

أما كيفية هذه الشهادة، فهي غيب محض، مثلما هو حال الوحي الإلهي المنزل على الأنبياء عليهم السلام أو غيرهم، والذي يُنزَه عن التجسيم، مع كونه حقيقة نجهل كيفيتها، فالله تعالى يلهم من شاء كيف شاء متى شاء، ولذلك يشعر الشخص يومئذٍ بيقين ليس معه شك بأن الذي ألهمه ذلك الإلهام، أو حدَّثه ذلك الحديث، هو الله تعالى، وقد يُؤَيَد ذلك الإلهام نفياً للشك، بما يدل عليه من الخوارق والمعجزات(١٠).

ويدل على ذلك اللطف الإلهي في شهادته تعالى ما ذكره البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما عن صفوان بن

(١) [سورة آل عمران: الآية ٩٨].

(٢) [سورة النحل: الآية ٨٩].

(٣) [سورة النساء: الآية ٤١].

(٤) [سورة البقرة: الآية ١٤٣].

(٥) [سورة ق: الآية ١٨].

(٦) [سورة الزلزلة: الآيتين ٤، ٥].

(٧) [سورة غافر: من الآية ٥١].

(٨) [سورة الأنعام: من الآية ١٠].

(٩) (يُنظَر) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله: ١١٢.

(١٠) (بيُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣١٩

محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذٌ بيده إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[١].

ويذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في معنى قوله ﷺ (فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ) (بفتح أوله أي يستره فلا يفضحه)[٢]، وكذلك بشرح النووي رحمه الله (ت٧٦٧هـ) على صحيح مسلم بقوله (كنفه: فبنون مفتوحة وهو ستره وعفوه، والمراد بالدنو هنا دنو كرامة واحسان لا دنو مسافة والله تعالى منزه عن المسافة وقربها)[٣].

كما يتجلى في وجود الاشهاد يوم القيامة مظاهر اسم الله تعالى الصبور، فبرغم علمه وخبرته بأعمال العباد، وبرغم الجحود الذي يستمر به المنكرون حتى في ذلك الموقف، إلا إنه تعالى لا يعجل فيعاقبهم قبل إقامة كافة الحجج عليهم، (فهو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه، بل ينزل الأمور بقدرٍ معلوم، ويجريها على سنن محدودة، لا يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكاسل، ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون كما ينبغي، وكل ذلك من غير مقاساة داعٍ على مضادة الإرادة)[٤].

وهو تعالى الحليم على عباده، في حياتهم الدنيا وكذلك في محاسبتهم؛ إذ يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة للانتقام ـ مع غاية الاقتدار ـ عجلة وطيش، فكان حلمه عليهم في الآخرة كما كان حليماً عليهم في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[٥][٦].

وفضلاً عن هذا الصبر والحلم في المحكمة الإلهية، فإنه تعالى يهبهم الحرية الكاملة حتى في ذلك الموقف، لا سيَّما حين لا يقبل الطغاة والمجرمون شهادة الله نفسها، إذ لا يعاقبهم تعالى قبل أن يبين الحجة عليهم كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ ضحك ذات يوم وتبسم، فلما سألوه عن ذلك، قال ﷺ: (مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قوله تعالى: (إلا لعنة الله على الظالمين)، ح ٢٣٠٩: ٢/ ٨٦٢، وبلفظ مقارب في صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثُر قتله، ح ٢٧٦٨: ٤/ ٢١٢٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/ ١٨١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ٨٧.

(٤) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١٣٣.

(٥) [سورة فاطر: الآية ٤٥].

(٦) (يُنظَر) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ٩٤.

الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)[1].

وقريب منها الرواية في مسند البزار رحمه الله (ت ٢٩٢هـ) في جوابه ﷺ: (عجبتُ من مجادلةِ العبدُ ربَّه يومَ القيامةِ يقولُ: أي ربِّ، أليسَ وعدتَني أن لا تظلِمَني؟ قال: بلى قال: فإنِّي لا أقبلُ عليَّ شاهدًا إلَّا من نفسي قال: فيقولُ تباركَ وتعالى: أوليسَ كفاني شهيدًا وبالملائكةِ الكرامِ الكاتبينَ شهودًا؟ قال: فيُردِّدُ هذا الكلامَ مرارًا قال ﷺ: فيُختمُ على فيه وتتكلمُ أركانُه بما كان يعملُ فيقولُ: بُعدًا لكنَّ وسحقاً، عنكنَّ كنتُ أجادلُ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾[2])[3].

فقول المتهم في الآخرة: (أليسَ وعدتَني ألَّا تظلِمَني) يدل على الضمانات الكثيرة التي أخذها العباد لإقامة العدالة المطلقة في ذلك اليوم، وقوله: (عنكنَّ كنتُ أجادلُ) دليل على مدى الحرية التي أتيحت له للدفاع عن نفسه، وهذا الحديث وغيره يبين أن كل فترة البرزخ، وأنواع العقوبات التي عوقب بها أولئك الطغاة المجرمون، وما بعدها من فترة المحشر، لم تكفِ في إصلاح نفوسهم المملوءة بالخصومة والجدل، ولذلك سرعان ما يعود لها طبعها إن أتيح لها ولو بصيصٍ من الحرية[4].

وعلى نقيض هؤلاء المعاندين، المؤمنون بالله تعالى، إذ يكتفون بشهادة الله، وتبشرهم الملائكة من الشهداء لما أحصوه عليهم من أعمال، ذلك أنها ستحضر يوم القيامة مع تلك الكتب لتكون شاهدة لهم على ما فيها، فضلاً عن حضور غيرهم من الملائكة الذين وُكلوا بالاهتمام بشؤون أخرى كمجالس الذكر والعلم، كما ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[5].

كما وروي أنه بينما كان رسول الله ﷺ يصلي، وعند رفع رأسه من الركوع، وقوله: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: (ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه)، فلما انصرف قال ﷺ: من المتكلم؟ فقال الرجل: أنا، فقال ﷺ: (رأيتُ بضعةً وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيُّهم يكتبُها أولُ)[6].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح ٢٩٦٩: ٤/ ٢٢٨٠.

(٢) [سورة فصلت: الآية ٢٢].

(٣) البحر الزخار مسند البزار ـ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، مسند إبي حمزة أنس بن مالك، ح ٧٤٧٦: ١٤/ ٤٤، وقال المحقق عادل بن سعد (قد رواه الثوري، عن عبيد المكتب عن فضيل بن عَمْرو، عَن الشَّعبِيّ، عَن أَنَس، عَن النَّبِيّ ﷺ.

(٤) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣١٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح٢٧٠٠: ٤/ ٢٠٧٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، ح ٧٦٦: ١/ ٢٧٥.



وغيرها من الأحاديث الشريفة التي تثبت الحضور الدائم للملائكة عليهم السلام في كل شؤون الإنسان، كالملائكة الموكلين بيوم الجمعة، أو الملائكة الموكلين بطلبة العلم، أو الملائكة الموكلين بتبليغ السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو الملائكة المنتشرين في كل محل، ولذلك تتاح لهم يوم القيامة الفرصة للشهادة، مثل غيرهم من الشهود، لأن العبرة في الشهود تكون بعدالتهم وصدقهم، بالإضافة إلى حضورهم أو شهودهم وعلمهم لما يريدون الشهادة فيه[1].

وبذلك فإن من كُبرى المقاصد التي نستقرؤها من مواطن شهادة الله تعالى يوم القيامة هي عظيم لطفه ورأفته ورحمته تعالى بصبره وحلمه على العباد، وتبشيرهم بنجاتهم من العذاب يومئذٍ لاكتفائهم بها وعدم إنكارهم لها، فضلاً عن تبشيرهم بما قدموه من أعمالٍ صالحة لما أحصته عليهم الملائكة عليهم السلام، وهذا بخلاف من أنكر ما قام به من أعمالٍ طالحة واستحق بذلك شهادة الشهداء بل وحتى شهادة نفس جوارحه عليه.

المقصد الثاني: القدرة والعدالة الإلهية في شهادة الإنسان على نفسه ونطق جوارحه

من المقاصد الظاهرة لقدرة الله تعالى المطلقة في ذلك الموقف وأهواله، واستكمالاً لمقاصد إقامة الحجة على العباد، نطق الجوارح بعد انكار العصاة لشهادة الله تعالى والأنبياء والملائكة على ما فعلوه من المحرمات، وشهادة كل ما يحيط بالإنسان على ما قام به من أعمال، واعترافها عليه، وفي حال إنكاره لهذه الأعمال التي عُرِضَت عليه إذ يفاجأه تعالى بشهادة جوارحه عليه بالحق.

فجوارح الإنسان[2] تشهد عليه في ذلك الموقف، وينطقها تعالى بعظيم قدرته بجميع ما أنكره الإنسان عند محاسبته، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3]، فبين تعالى حال الكافرين حين يُنطِق الله تعالى غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم وتشهد عليهم، وذلك في قدرته تعالى يسير، وتكلم الأيدي ظهور الأمور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والأبصار[4].

يقول الشيخ الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في التبيان (أخبر تعالى بأنه يختم على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنطق ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾، كما قيل: في معنى شهادة الأيدي قولان:

احدهما ـ إن الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها.

والثاني ـ إنه يجعل الله فيها كلاماً ونسبه اليها لما ظهر من جهتها.

وقال قوم: انه يظهر فيها من الأمارات ما تدل على ان اصحابها عصوا وجنوا بها أقبح الجنايات فسمى ذلك

---

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٣٧ (بتصرف).

(٢) جوارح الإنسان، عوامل جسده، من يديه ورجليه، الواحدة (جارحة)، واجترح عملاً: أي: اكتسَبَ، قال النابغة الذبياني:

وَكُلُّ فتىً بما عمِلت يداهُ   وما اجترحت عوامِلُهُ رهينُ

وفي الاصطلاح: العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد والرجل... (يُنظَر) المعجم الوسيط، باب الجيم: ١١٥.

(٣) [سورة يس: الآية ٦٥].

(٤) (يُنظَر) التفسير الكبير: ١٠١/٢٦.

شهادة)[١].

ففي الوجه الأول من المجاز[٢] ما في الوجه الثاني؛ لأن الأول يقتضي أن اليد والرجل خرجت من كونها يداً ورجلاً إذا بُنيت بنية حيٍّ منفصل، والظاهر إضافة الشاهد الى الجوارح، كما قيل: إن الشهادة وقعت من العاصي نفسه، وأحوج الى أن يشهد بما فعل ويُقَرُّ به، وبنى الله تعالى جوارحه بنية يمكن أن يستعمل في الكلام، ويكون آلة فيه[٣].

ويقول شهاب الدين الآلوسي رحمه الله (ت١٢٧٠هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾، إن (نسبة التكليم إلى الأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال حتى أنها كثُر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية كما في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[٦]، الى غير ذلك ولا كذلك الأرجل، فكانت الشهادة أنسب بها لما أنها لم تضف إليها الأعمال فكانت كالأجنبية، وكان التكليم أنسب بالأيدي لكثرة مباشرتها الأعمال وإضافتها إليها فكأنها هي العاملة، هذا مع ما في جمع التكليم مع الختم على الأفواه المراد منه المنع من التكلم من الحسن)[٧].

وليس في ذلك ما يدلُّ على أن الأيدي والأرجل فقط من يشهد على الإنسان أو على الحصر ونفي شهادة غير ما ذكر من الأعضاء، ويقول الالوسي رحمه الله: (فيجوز أن يكون هناك شهادة السمع والأبصار والألسنة والأيدي والأرجل وسائر الأعضاء كما يشعر بهذا ظاهر قوله تعالى والجلود في آية السجدة، لكن لم يذكر بعض من ذلك في بعض من الآيات اكتفاء بذكره في البعض الآخر منها أو دلالته عليه بوجه)[٨]؟

إذ لا منافاة بينهما وبين السمع والأبصار والجلود التي ذُكِرت في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩]، والتي أشار اليها الشريف المرتضى رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة بأنها أنزِلَت في قومٍ يُعرَض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون ما عملنا منها شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم، فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً،

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٥٧.

(٢) المجاز: هو ما جاوز وتعدى عن محله الموضوع له إلى غيره لمناسبةٍ بينهما أما من حيث الصورة أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة. التعريفات: ٨٨.

(٣) (يُنظَر) الذخيرة في علم الكلام: ٥٣١، وتفسير الشريف المرتضى المسمى ـ نفائس التأويل ـ مما جمعه لجنة من العلماء والمحققين بإشراف: السيد مجتبى أحمد الموسوي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ٣/١٣٩.

(٤) [سورة الروم: من الآية ٤١].

(٥) [سورة يس: الآية ٣٥].

(٦) [سورة النبأ: من الآية ٤٠].

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/٤٢.

(٨) المصدر نفسه: ١٢/٤٢.

(٩) [سورة فصلت: من الآية ٢٠].



وهو قول الله سبحانه: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١)، فعند ذلك يختم الله سبحانه على السنتهم وينطق جوارحهم(٢).

وهذا مما لا يعجز عنه تعالى لقدرته المطلقة وما وعد به عباده من عدله، ليميز الخبيث من الطيب، ويميز صادق الايمان من المنافق، حيث يختم الله تعالى على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم وجميع جوارحهم بما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣)(٤).

ذلك أن مَن غلب على طبعه المحاججة والجدال والإصرار على المعصية حتى في ذلك الموقف يستمر في مجادلته وإنكاره، ويدلُّ عليه أيضاً ما رواه أبو سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُيِّرَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ لَهُ: جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيُقَالُ: أَهْلُكَ، وَعَشِيرَتُكَ؟ فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فيُقَالُ: احْلِفُوا، فَيَحْلِفُونَ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللهُ وَيشْهَدُ عَلَيهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ، فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ)(٥).

كما ورد في الحديث ما يشير إلى أن هذا الصنف أيضاً، ونتيجة ما يرونه من مظاهر العدالة المطلقة، يحاولون أن يحتالوا على قلب الحقائق في الدنيا، وخداع الخلق بها، فلذلك تبقى هذه الحجج في أيديهم يوم القيامة، ويتصورون أنهم سيخادعون الله كما خادعوا الخلق،، قال ﷺ في حديث القيامة الطويل: (ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ)(٦).

---

(١) [سورة المجادلة: من الآية ١٨].

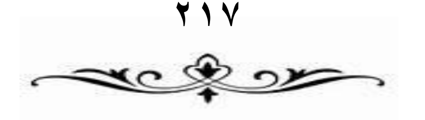
(٢) (يُنظر) تفسير القمي ـ أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي (من أعلام القرنين ٣-٤)، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الخراساني، مطبعة النجف الأشرف ١٣٧٨هـ: ٢/٢٦٤، والعقائد الحقة ـ دراسة علمية جامعة في اصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل ـ السيد علي الحسيني الصدر، مجمع الذخائر الإسلامية، مطبعة ستاره ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣١٩هـ ـ ١٩٩٩م: ٤٣٧.

(٣) [سورة فصلت: الآيتين ٢١، ٢٢].

(٤) الإعتقادات في دين الإمامية: ٧٥.

(٥) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، ح٨٧٩٠: ٤/ ٦٤٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، جزء من ح ٢٩٦٨: ٤/ ٢٢٧٩.



المقصد الثالث: تكريم الأنبياء عليهم السلام بشهادتهم عامة والنبي ﷺ خاصة

ونستنبط هذا المقصد من خلال ما ورد في شهادته ﷺ وشهادة الانبياء عليهم السلام في ذلك الموقف، فمن تجليات التكريم للأنبياء عليهم السلام، إذ يشهد كلُّ نبي على أمته، ومع علم الله تعالى المُطلَق بكل شيء، إلا إنهم عليهم السلام من أوائل الشهداء بعد الله تعالى؛ تكريماً لهم، وتذكيراً بفضلهم على أممهم، وبيان لمظلوميتهم فيما وقع عليهم من صدود أقوامهم المنكرين لما جاءوا به، كما أن لها من الآثار الكبيرة في الترغيب في الاستجابة لكل ما دعَوا إليه والبعد عما أمروا بالانتهاء عنه.

كما أن هذه الشهادة من الدلائل على أن أصول دعوتهم واحدة ومستمرة الى يوم القيامة، ولا يخفى ما فيها من العلم بأن الإنسان سيُذّكّر يومئذٍ بمدى استجابته لما جاء به رسل الله تعالى، من العمل بالأوامر الإلهية والنهي عمَّا نُهيَ عنه.

لأجل ذلك فإن أول من يشهد على الأمم رسلها، فيشهد كل رسول على أمته بالبلاغ، يقول ابن جرير الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): (يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذّبتهم)[١].

ومما ورد في هذه الشهادة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾[٢]، ويبين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) في صفة هؤلاء الشهداء على الأمم بقوله: (وكيف كان فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يدل على بعث واحدٍ في كل امة للشهادة على أعمال غيره، وهو غير البعث بمعنى الإحياء للحساب، بل بعث بعد البعث، وإنما جُعِلَ من أنفسهم ليكون أتمَّ للحجة وأقطعَ للمعذرة كما يفيده السياق)[٣].

لذلك يكون التكريم الإلهي أيضاً لمن استجاب لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام، فضلاً عن وقوع الحجةَ على العباد من عامة المكلفين، إذ يقول الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾ (اعلم أن هذا نوع آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي. إذا ثبت هذا فنقول في الآية قولان:

الأول: أن المراد أن كل نبي شاهد على أمته.

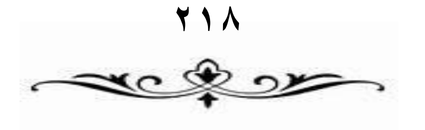
والثاني: أن كل جمع وقرن يحصل في الدنيا فلا بد وأن يحصل فيهم واحد يكون شهيداً عليهم، أما الشهيد على الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ فهو الرسول بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤]، وثبت أيضاً أنه لابد في كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد فحصل من هذا أن عصراً من الأعصار لا يخلو من شهيد على الناس، وذلك الشهيد لابد وأن يكون غير جائز الخطأ، وإلا

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/ ٤٠٢.

(٢) [سورة النحل: الآية ٨٩].

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ٣٢٢.

(٤) [سورة البقرة: الآية ١٤٣].



لافتقر إلى شهيد آخر ويمتد ذلك إلى غير النهاية وذلك باطل)[1]، ومن هذا الباب كان النبي ﷺ شاهداً على أمته.

كذلك فمع شهادة النبيﷺ على أمته فإنه شهيدٌ على غيره من الشهداء، إذ وردَ أن المراد من قوله تعالى ﴿هؤُلاءِ﴾ في الآية الكريمة ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾، قولين، ذكرهما العلّامة الطباطبائي في الميزان، وجعفر السبحاني في مفاهيم القرآن، هما:

الأول: أنه ﷺ شاهد على الشهداء من الأنبياء والشهداء الآخرين دون عامة الناس، فالشهداء شهداء على الناس، والنبي ﷺ شهيدٌ على الشهداء، وظاهر الشهادة على الشاهد تعديله دون الشهادة على عمله، فهو ﷺ شهيدٌ على مقامهم لا على أعمالهم؛ ولذلك لم يكن من الواجب أن يعاصرهم ويتحد بهم زماناً.

والثاني: أنهم أمته ﷺ، وهم قاطبة من بُعِث إليه من لدُن عصره الى يوم القيامة ممن حضره ومَن غاب عنه ومَن عاصروه ومن جاء بعده ﷺ من الناس[2].

والذي يترجح من هذين القولين هو القول الأول بأنه شهيدٌ على الأنبياء والرسل الذين هم شهداء على أممهم، ويدل عليه ما جاء في الخبر عن الامام علي عليه السلام بقوله: (يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلم أحد الا من أذِن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسل فيسأل فذلك قوله لمحمدﷺ: ﴿فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[3]، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام)[4].

كما أورد البخاري في صحيحه في كتاب التفسير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (يُدعى نوحٌ يومَ القيامةِ فيقولُ: لبَّيْكَ وسَعْديك يا ربِّ فيقولُ: هل بلَّغْتَ؟ فيقولُ: نَعم يا ربِّ فيُقالُ لأمَّتِه: هل بلَّغكم؟ فيقولونَ: ما أتانا مِن نذيرٍ فيقولُ: مَن يشهَدُ لك؟ فيقولُ: محمَّدٌ ﷺ وأمَّتُه، قال ﷺ: فيشهَدونَ أنَّه قد بلَّغ ﴿ويكونُ الرَّسولُ عليهم شهيدًا﴾ فذلك قولُه جلَّ ذكرهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[5]، والوَسَطُ: العدْل)[6].

المقصد الرابع: إقامة الحجة على العباد بكثرة الأشهاد وتنوعهم

كما أن علم العباد بهذه الشهادة في ذلك اليوم، والتي تنطلق من جميع ما في الكون ابتداءً من شهادته تعالى وجميع ما يحيط بالإنسان حتى جوارحه، فيه من إلقاء الحجة على هذا الإنسان وجعله مراقباً لما يصدر عنه من أعمالٍ وتصرفات، زاجراً عن نفسه المعاصي وأسبابها في جميع الأوقات.

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٥٧.

(٢) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ٣٣٢٢ ـ ٣٢٤، ومفاهيم القرآن: ٨/ ٢٦٢.

(٣) [سورة النساء: الآية ٤١].

(٤) بحار الأنوار، باب تطاير الكتب وإنطاق الجوارح وسائر الشهداء: ٧/ ٣١٣، وتفسير العياشي: ١/ ٢٥٨.

(٥) [سورة البقرة: من الآية ١٤٣].

(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، ح ٤٢١٧: ٤/ ١٦٣٢.



فكما أن الله تعالى أول الشهود، وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام شهوداً على أممهم، فإنه تعالى سخَّر الملائكة التي تسجل على الإنسان جميع أفعاله، مما يجعل العبد المؤمن مراقباً لأعماله ونواياه، دقيقها وعظيمها، حيث وكَّلهم تعالى بكتابة أعمال الإنسان، والشهادة عليها في ذلك اليوم، وقد قال تعالى فيهم ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1]، ويقول الامام علي عليه السلام: (و﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها)[2].

ويقول السيد محمد الحسيني الطهراني[3] رحمه الله (ت١٤١٦هـ) في معرفة المعاد: (كلّ نفس معها سائق وشهيد، سائق تتحرّك النفوس إلى ذلك العالم على ضوء حركته وهديه، وشهيد لم يطّلع على جميع أعمالها وأفكارها فحسب، بل دوّن كذلك تلك الأعمال وذلك السلوك، وحفظ في ذاته وكيانه حقيقة العمل وهيئته بصورة كاملة، من أجل أن يأتي في مثل هذا اليوم فيؤدّي شهادته بشأنها)[4].

كذلك أشار إلى هذه الشهادة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِراماً كاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[5]، حيث ورد في الآيات الكريمة الصفات التي يحملها الملائكة الشاهدون على أعمال الإنسان، والتي يذكرها محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) بقوله: (ولحافظين صفة لمحذوف تقديره: لملائكة حافظين، أي محصين غير مضيعين لشيء من أعمالكم، وجمع الملائكة باعتبار التوزيع على الناس: وإنما لكل أحد ملكان)[6].

كما إن البقاع والأرضين وما فيها تشهد يوم القيامة، بما عملوا فيها، والعقل السليم الصحيح مؤيداً لهذا المُدعى؛ ذلك إن حقيقة هذه المخلوقات ليست جماداً لا يعقِلُ ولا ينطق، فما كان جماداً كيف أخبر تعالى بأنه يعبده ويسبحه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[7].

فيتبين ذلك في تفسير الآية الكريمة، فـ (لفظ الـ ﴿ شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي، أي كُلَّما يُطلَق عليه شيء، من أي مرتبةٍ كان فهو يسَبِّح. وقوله سبحانه﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أوضح شاهد على أن هذا التسبيح، هو

(١) [سورة ق: الآية ٢١].

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٥: ١/ ١٣٦.

(٣) السيد محمّد حسين الحسيني الطهراني عارف وفيلسوف وفقيه شيعي،، وينحدر من أسرة علميّة عريقة، درس العلوم الحديثة كما درس العلوم الدينيّة والشرعيّة، كان له تأثير كبير في نشر المعارف والعلوم الإسلامية بين الشيعة، يعدّ من التلامذة الخاصّين والمقرّبين من العلامة الطباطبائي صاحب كتاب تفسير الميزان، كما يتعتبر أبرز تلميذ للعارف السيد هاشم الحداد، ألّف العديد من الكتب التي لم يكن لها نظي، منها [معرفة المعاد]. و[رسالة لب اللباب]، و[الشمس الساطعة]، و[نور ملكوت القرآن]، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤١٦هـ. (يُنظر) كتابه الشمس الساطعة الذي ألفه في سيرته وعلمه، وموقع أبجد على الرابط: https://www.abjjad.com/author/.

(٤) معرفة المعاد ـ السيد محمد حسين الحسيني (ت١٤١٦هـ)، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ: ٧/١١٢.

(٥) [سورة الإنفطار: الآيتان ١٠ ـ ١٢].

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٧٩.

(٧) [سورة الإسراء: من الآية ٤٤].



تسبيح تشريعي تكليفي، وتسبيح خاص، بشعور وإخلاص، ولكن لا يفقهونه)[1].

الى غير ذلك من الآيات الكريمة والأخبار الصادقة في عبادة وشعور ونطق ما نراه من الجمادات على الأرض من الجبال والبحار والنباتات وغيرها، وجميعها ستشهد يوم القيامة، فالأرض التي نراها جماداً لا ينطق لا حياة فيها ستشهد يوم القيامة على هذا الإنسان بما قام به من خيرٍ أو شر، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[2].

وقد روي أن رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، ثم قالﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا)، قَالَ: (فَهُوَ أَخْبَارُهَا)[3].

وفي حديث آخر بيَّن ﷺ شهادة كل ما على هذه الأرض يوم القيامة، إذ يقول ﷺ في فضل الآذان لشهادة كل من يسمعه من شجر وحجر، فقال: (لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4].

ويقول الدكتور نور الدين أبولحية في هذه الشهادة: (وهذا ينطلق من الرؤية الإسلامية للأرض، بل للكون جميعاً، فليس هناك شيء جامد في الكون، بل كل شيء يحمل نوعاً من الحياة التي تتيح له التعرف على الله في حدود القابلية المتاحة له، ولذلك يسبحه ويحمده ويمجده، بل يستشعره من المشاعر ما يشعر به الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5])[6].

(فإدراك المؤمن بأن هذه الأرض التي يعيش فيها، والتي لم يسمع حديثها، أو لم يخطر على باله أنها تتحدث، ستتحدث يوما ما لتخبره بكل حركة قام بها على ظهرها، يجعله محتاطا متأدباً متواضعاً، فهو لا يركب جماداً لا يعقل، بل هو يمتطي كائنا حياً له وعيه ومشاعره)[7].

(١) شرح اصول العقائد ـ الشيخ عبد الجليل علي الأمير، تقريظ الحكيم عبد الله الأحقافي، منشورات دار الوعي الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: ٣/ ٣٣٦.

(٢) [سورة الزلزلة: الآيات ١ـ ٥].

(٣) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، ح٢٤٢٩: ٤/ ٦١٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب صحيح.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قوله ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة)، ح٧١٠٩: ٦/ ٢٧٤٣، وبحار الأنوار، باب ابليس لعنه الله وقصصه وبدء خلقه، ح ١٧٧: ٦٠/ ٢٩٨

(٥) [سورة الحشر: الآية ٢١].

(٦) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٣٩.

(٧) أكوان الله ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ: ٣١.

المقصد الخامس: تكريم أمة النبي محمد ﷺ بالوسطية وعرض أعمالها عليه

ومما يُستنبَط من مقاصد الشهادة يوم القيامة تكريم أمة نبينا محمد ﷺ، بشهادتهم للأمم كافة، وهم عدولها، يقول محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في الشهداء على الأمم من الأنبياء (فكما ثبت أن كل رسول يشهد على أمته وثبت أن أمة محمد ﷺ شهداء على جملة من الأمم بعده ـ ثبت أيضاً أن في الأمم شهداء غير الأنبياء. وهؤلاء الشهداء هم حجة الله على الناس في كل زمان بفضائلهم واستقامتهم على الحق، والتزامهم للخير وأعمال البر ولولاهم لفقدت القدوة الصالحة)[1].

فضلاً عن هذه الشهادة لعدول الأمة فقد وصفها تعالى بالوسط بين الأمم، وقد رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قوله ﷺ: (يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى وَأُمَّتُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نعم، فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قَالَ: (يَقُولُ: عَدْلًا)، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

فهذه الشهادة ليست عامة لجميع أفراد الأمة، ويقول في ذلك الإمام الصادق عليه السلام: (فإن ظننت انّ الله عنىٰ بهذه الآية جميعَ أهل القبلة من الموحدين، أفَترىٰ أنّ من لا تجوز شهادته في الدنيا علىٰ صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية؟! كلا لم يعنِ الله مثل هذا في خلقه، يعني الامة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3] وهم الامة الوسطى وهم خير امة أخرجت للناس)[4].

أي إن هذه الشهادة لا تنالها جميع الأمة؛ إذ إنها ليست على مستو واحد جامع للكمال الروحاني والجسماني، فهي ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، والمؤمنين المخلصين، أما مَن دونهم من المتوسطين في السعادة والعدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك، فضلاً عن الأجلاف الجافية والفراعين الطاغية من الامة[5].

كما أنَّ من وجوه التكريم لأمة النبي ﷺ شهادته عليهم يوم القيامة وعلمه بأحوالهم وأعمالهم، يقول العلّامة السبحاني في ذلك: (والمراد شهادته على أعمال أُمّته من خير وشر وصلاح وفساد، وأداء الشهادة فرع تحمّلها، ولا يتحمله إنسان إلاّ بعد العلم بظواهر أعمالهم وبواطنها، وخير نياتهم وشرّها، وهذا يدل على سعة علم النبي ﷺ

(١) تفسير المنار ـ محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م: ٨/ ٣٨٥.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ح ١١٥٧٥: ٣/ ٥٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١١٠.

(٤) بحار الأنوار، ح٥٨: ٢٣/ ٣٥٠، البرهان في تفسير القرآن ـ السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ١/ ٣٤٦.

(٥) (يُنظَر) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٣١٧، والإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل ـ الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة (د. ت): ٢٥٨.

بالظواهر والبواطن، والحقائق والدقائق)[1].

وتدل هذه الشهادة على علاقة رسول الله ﷺ بأمته، ومعرفته بها، وتواصله معها، واطلاعه على أعمالها، لأنه لا يمكن أن يكون شهيداً عليها من دون أن يتاح له ذلك الاطلاع، وقد ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: (اقْرَأْ عَلَيَّ)، قلت يا رسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال (فإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمعهُ مِن غيرِي)، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2]، قال ﷺ: (كُفَّ أو أَمْسِك)، فرأيتُ عينيه تذرفان[3].

أما سبب بكاؤه ﷺ عند سماعه للآية الكريمة فـ (لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته ﷺ لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن)[4]، فبكاؤه عليه ﷺ رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لا بدّ أن يشهد عليهم بعملهم، وقد علِم ﷺ أنّ عملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم[5].

ولعل مما يدلُّ على علمه ﷺ بأعمال أمته بعد موته، لقوله ﷺ: (إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)[6]، وقال ﷺ: (حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ يُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ)[7].

ويؤكد هذا الفهم ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، من تفسير العرض بذلك، فقد قال عليه السلام: (تعرض الأعمال على رسول الله ﷺ، أعمال العباد كل صباح، أبرارها وفجّارها، فاحذروها، وهو قول الله عزوجل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[8])[9].

---

(١) مفاهيم القرآن: ٨/ ٢٦٣.

(٢) [سورة النساء: الآية ٤١].

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل القرآن، ح٤٧٦٨: ٤/ ١٩٢٧.

(٤) شرح صحيح البخارى ـ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ـ ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م: ١٠/ ٢٨١.

(٥) (يُنظَر) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ـ مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ: ٧/ ٤٨٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح ٣٦٦٦: ١/ ٣٨٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم.

(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار ـ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، كتاب الجنائز، باب دفن الشهداء عند مصارعهم، ح ٨٤١: ١/ ٣٩٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب علامات النبوة، باب ما يحدث لأمته ﷺ من استغفاره بعد وفاته، وقال أبو بكر الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٨) [سورة التوبة: من الآية ١٠٥].

(٩) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب عرض الأعمال على النبي ﷺ، ح١: ١/ ٣٢٤، و(يُنظَر) في علمه ﷺ بأحوال أمته: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابي بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، (د.ط): ٢٠/ ٦٠

كما أن في هذا المقصد من وجوب استمرار الدعوة الى الإسلام وكافة قيمه العليا؛ ليقوم ذلك مقامَ استمرار دعوة الرسول الكريم ﷺ إياهم، كي تقِرَ عينه بهذه الدعوة من جهة، وكي تتم الحجةَ والشهادة للمؤمنين منهم على المعرضين، وهو جزء من الأمانة المنوطة بالمسلمين كافة، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

المطلب الثالث: الموازين ومقاصدها العقدية

بعد أن ينقضي عَرض الأعمال، ويُعطى العباد كتبهم في أيمانهم أو شمائلهم، ويحضر الشهود لينظر العصاة ما عملوه بأنفسهم، يأذن الله تعالى بإقامة الموازين التي من خلالها يعرف الخلق درجات أعمالهم، والجزاء الذي يستحقونه عليها، قال القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) في التذكرة: (إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها)[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

وبناء على هذا، كان الميزان من العقائد المتفق عليها بين جميع المسلمين، ولم يختلفوا إلا في بعض الفروع البسيطة التي سنعرض لأسبابها في تمهيد هذا المطلب، ومن خلال استقرائنا لما ورد في النصوص الكريمة، وكلام العلماء حول المقاصد العقدية من الميزان، رأينا أنه يمكن تصنيفها إلى مقاصدَ أربعة، هي:

المقصد الأول: دور الموازين المتجسدة في بيان دقة العدالة الإلهية.

المقصد الثاني: دور الميزان في بيان حقائق الأعمال ومنزلتها.

المقصد الثالث: دور الميزان في بيان حقيقة العامل ومنزلته.

المقصد الرابع: إقامة الحجة على الخلق برؤية أعمالهم وموازينها.

وقد خصصنا كل مقصد منها بفرع خاص، وقدمنا لذلك بتمهيد في مفهوم الميزان لغة واصطلاحاً، والأقوال فيه.

تمهيد: مفهوم الميزان وصفته

الميزان في اللغة

يعرَّف الميزان في اللغة: من (الوَزْن)، قال الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ) في كتابه العين: (الوزن معروف: وهو ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، ويُقال وَزَنَ الشيء إذا قدَّرَهُ، ووزنتُ الشيء فاتَّزن، وَزَنَ يَزِنُ وَزْناً، والميزان: ما وزنتُ بهِ)[4].

---

(١) [سورة آل عمران: من الآية ١١٠].

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وامور الآخرة: ٧١٥، ولوامع الانوار البهية: ٢/١٨٤.

(٣) [سورة يونس: من الآية ٦١].

(٤) العين، باب الواو، مادة (وزن): ٤/٣٦٨، و(يُنظَر) تهذيب اللغة، باب الزاي والنون: ١٣/ ١٧٦، ولسان العرب، حرف النون، فصل الواو: ١٣/٤٤٦.

وقال ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ): (ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضاً؛ قال الجوهري: أصله (مِوْزانٌ)، انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها وجمعه (موازين) وجائز أن نقول للميزان الواحد بأوزانه موازين)[١].

الميزان اصطلاحاً:

الميزان: هو موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة[٢]، ويذهب الشيخ المفيد الى (أن الميزان هو التعديل بين الأعمال والمستحق عليها)[٣].

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في التبيان: (الميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان، والوزن يعدل في ذلك، ولولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق، فلذلك نبه على النعمة فيه والهداية اليه)[٤].

ويقول سعد الدين التفتازاني رحمه الله (ت٧٩٢هـ): (ذهب أكثر المفسرين إلى أنه ميزانٌ له كفتان ولسان وساقان، عملاً بالحقيقة لإمكانها، وقد وردَ في الحديث تفسيره بذلك)[٥].

ويقول الشيخ عبد الله شبر رحمه الله (ت١٢٤٢هـ) في حق اليقين: (أصل الميزان مما لا شكَّ فيه ولا شبهة تعتريه، وإنكاره كفر، وإنما الخلاف في معناها، فالذي عليه أكثر المفسرين والمتكلمين من العامة والخاصة الحمل على ظاهرها، وأنَّ الله تعالى في القيامة ينصب ميزاناً له لسان وكفتان فتوزَن به أعمال العباد الحسنات والسيئات)[٦].

ومن خلال هذه الأقوال وغيرها نجد ذهاب العلماء إلى صفتين في ميزان يوم القيامة، فمنهم من قال إنه ميزاناً حقيقياً له لسان وكفتان، والقول الثاني في التعديل بين الحسنات والسيئات والجزاء عليها، وما يؤدي إليه من العدل والتسوية، كما سنبين ذلك في ذكر صفته ومقاصد كل رأي فيهما.

كما اختلف القائلون بالميزان فيما يُوزَن، فقيل إن الله تعالى يجعل الأعمال والأقوال كالأعيان موزونة أو توزن صحفها[٧]، و(منهم من قال: يجعل الله تعالى في احدى الكفتين نوراً علامة للطاعات، وفي الاخرى ظلمة علامة للمعاصي فأيهما رجح على الاخر حكم لصاحبه به[٨]، وقال آخرون: إنما يوزن صحف الاعمال فما فيها الطاعات تُجعل في كفة، وما فيها المعاصي في كفة أخرى، فأيهما رجح حكم لصاحبه به)[٩].

(١) لسان العرب، حرف النون، فصل الواو: ٤٤٦/١٣، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، باب الواو، مادة (وزن): ١٤٤٩/٢.

(٢) (يُنظَر) النكت والعيون: ٢٠١/٢، والتبيان في تفسير القرآن: ٤ / ٣٥٢.

(٣) اوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٨٩، وبحار الانوار: ٢٥٢/٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٤٥٢.

(٥) (يُنظَر) شرح المقاصد للتفتازاني: ١٢٠/٥، وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٨٣.

(٦) حق اليقين في معرفة اصول الدين: ٤٢٢.

(٧) (يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٨٣.

(٨) (يُنظَر) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٥.

(٩) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٨١، و(يُنظَر) النكت والعيون ـ تفسير الماوردي ـ علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ)، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، (ب. ط): ٢/ ٢٠١، والدر الثمين: ٧٠.

صفة الميزان

برغم اختلاف أقوال العلماء في موازين الآخرة؛ إلا إنها تعود بحقيقتها الى الصفة الحسية لهذه الموازين في الآخرة، إذ قال بعض الامامية بأن الميزان هو العدل والتسوية والتعديل بين الأعمال، كما أنكر هذه الصفة للميزان الجهم بن صفوان[1][2] وبعض المعتزلة والإباضية والمرجئة والخوارج، وقالوا إنه هو العدل؛ لأن الأعمال أعراض[3]، والأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تقوم بنفسها، ولا تُوصَف بالخفة والثقل[4].

ويُرَد عليهم (أن جسم الإنسان وغيره من الجواهر[5] على الأرض له وزن معين؛ وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية، ولكن حين ينفصل عن جاذبية الأرض ـ كأن يكون في القمر ـ ينعدم وزنه كما هو معروف، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن، كذلك الأعمال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لكن لا مانع من أن تُقلَب في الحياة الآخرة أجساماً فتُوزَن)[6].

وبناءً على ذلك يتضح الكلام في صفة الميزان الى قولين، هما:

القول الأول: كون الميزان ميزاناً حقيقياً.

أي أن المراد بالميزان ما كان مستعملاً قديماً، وهو الميزان الذي له لسان وكفتان فتوزَن به أعمال العباد الحسنات والسيئات[7]، وقد قال بهذا الرأي كبار العلماء من المدارس الإسلامية المختلفة، ومنهم:

١ـ أبو الحسن الأشعري رحمه الله (ت٣٢٤هـ)، حيث نصَّ عليه بقوله: (له لسان وكفتان توزَن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأُخرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخلَ الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت

(١) وهو من الجبرية الخالصة الذي وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، منها إثباته علوماً حادثة للباري تعالى لا في محل، ومنها ان الجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلهما فيهما. (يُنظَر) الملل والنحل ـ ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تحقيق: الاستاذ احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م: ٧٣/١. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م: ١١٠/١.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ١١٠.

(٣) العَرْضُ: هو ما عرض في الوجود ولم يكن له لبثٌ كلبث الأجسام، أو هو ما يتجدد وجوده ولم يكن متحيزاً. الحدود (المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلامية) ـ الشيخ قطب الدين أبي جعفر محمد بن الحسن النيسابوري المقري(ت٥٤٧هـ)، تحقيق: محمود يزدي مطلق، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للتحقيق والتأليف، قم ـ ايران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ٣٣.

(٤) (يُنظَر) المواقف: ٥٢٤/٣، شرح المقاصد للتفتازاني: ٥/ ١٢١، مقالات الإسلاميين: ١١٥/١.

(٥) هو ما له حيّز في الوجود، أو هو ما يختصُّ بحالٍ لكونه عليها إذا حصل في مكانٍ أو ما يُقدر تقدير المكان، وَجَبَ أن يشغله ويمنع وجود مثله بحيث هو. (يُنظَر) الحدود: ٢٤.

(٦) أصول الدين الإسلامي ـ د. رشدي محمد عليان، و د. قحطان عبد الرحمن الدوري، دار الإمام الأعظم، بغداد ـ العراق، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: ٤٧٣.

(٧) شرح الباب الحادي عشر ـ العلامة الحلي، مع شرحيه النافع يوم المحشر لمقداد بن عبد الله السيوري(ت٨٢٦هـ)، ومفتاح الباب لأبي الفتح بن مخدوم الحسيني، تحقيق وتقديم: مهدي محقق، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ ايران، الطبعة الأُولى: ١٤٢٣هـ: ٢١٢، و(يُنظَر) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٨٣، والتبيان في تفسير القرآن: ٣٨١/١٠، لوامع الانوار البهية: ٢/ ١٨٤، وحق اليقين في معرفة اصول الدين: ٤٢٢، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٦٦٨.

حسناته وسيئاته تفضَّل الله عليه فأدخله الجنة)[1].

٢ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت ٤١٥هـ) في شرح الأصول الخمسة، إذ يقول فيه: (لم يُرِد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارَف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن وردَ بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]، الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى. وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يُعدَل به عنه الى المجاز)[4].

٣ـ العلامة الحلي(ت٧٢٦هـ) بقوله: (هو في المشهور ميزان له كفتان ولسان وشاهين يُوزَن به الأعمال)[5].

القول الثاني: أن الميزان هو العدل والتسوية

إي إن المراد بالميزان ما يمكن استعماله للعدل والتسوية، وليس بالضرورة كونه ميزاناً حسياً حقيقياً، أي ان الميزان هو العدل والقضاء في تقدير ما به يكون الجزاء والاعمال؛ لأن حمل الوزن على هذا المعنى شائع في اللغة، وهو قول مجاهد[6] فالوزن عبارة عن العدل في الاخرة وانه لا ظلم فيها على أحد، وعزى الشيخ الطوسي في التبيان هذا القول الى البلخي أيضاً[7]، وممن قال به:

١ـ الشريف المرتضى(ت ٤٣٦هـ) فيه: وهو عبارة عن العدل والتسوية الصحيحة والقسمة المنصفة، كما يقولون: (أفعال فلانٌ موزونةٌ)، و(كلامه موزونٌ)[8].

٢ـ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) في التبيان: (المراد بالميزان العدل لان المعادلة موازنة الاسباب، والطغيان الافراط في مجاوزة الحد في العدل)[9]، إذ ذكرَ القولين في الميزان ولم يرجح أحدهما، ولعله لأنه من باب الغيبيات التي يجب التسليم إليها من دون الجزم.

٣ـ جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في الكشاف، وهو كذلك ذكر القولين فيه من خلال تفسيره للموازين في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ﴾، بقوله: (فإن قلتَ: ما المراد بوضع الموازين؟ قلتُ: فيه قولان، أحدهما: إرصاد الحساب السويّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن يظلم عباده مثقال ذرّة، فمثل ذلك

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٢/١٦٤، و(يُنظَر) شرح الباب الحادي عشر: ٢١٢، والتبيان في تفسير القرآن: ١٠/٤٠٠، ولوامع الانوار البهية: ٢/ ١٨٤.

(٢) [سورة الأنبياء: من الآية ٤٧].

(٣) [سورة الأعراف: الآية ٨].

(٤) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٥.

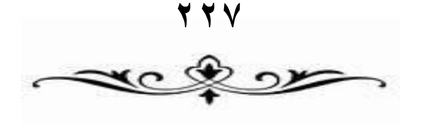
(٥) شرح الباب الحادي عشر: ٢١٢.

(٦) (يُنظَر) النكت والعيون:٢/٢٠١، التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٥٢، واصول الدين الإسلامي: ٤٧٣.

(٧) (يُنظَر) التبيان في تفسير القرآن: ٤ / ٣٥٢.

(٨) الذخيرة في علم الكلام: ٥٣١، ٥٣٢، و(يُنظَر) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد: ٢٢٢.

(٩) التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٥٢٠.



بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات. والثاني: أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال)[1].

ونرى من خلال هذين القولين أن كلاهما صحيح، إذ يدل على صحة القول الأول ما ورد في السنة النبوية من الأحاديث الشريفة في كونه ميزاناً حقيقياً، وإن لم يشبه الموازين المستخدمة في الحياة الدنيا على اختلاف أنواعها وكثرتها، وما يدل ويؤكد على كونه العدل والتسوية، إذ لا يخرج حساب الله تعالى عن عدله بين عباده في حسابهم مهما اختلفت مظاهر هذا الحساب، ويتبين لنا ذلك أكثر من خلال عرض مقاصد الاعتقاد بالقولين، مما سنذكره فيما يأتي.

المقصد الأول: دور الموازين المتجسدة في بيان دقة العدالة الإلهية

العدالة الإلهية من أهم مقاصد تثبيت عقيدة الموازين والإيمان بها، حيث اتفق اكثرُ العلماء من المدارس الإسلامية المختلفة على أن الله تعالى ينصب ميزاناً توزَن به الأعمال أو صحائف الأعمال، وهذا يعني أنَّ الأعمال وموازينها جميعاً تتحول إلى صورة حسية يراها الناس، ليكون ذلك دليلاً على العدالة في أجلى صورها في محاسبة العباد.

ومما ورد من هذه الاقوال في الميزان وغيرها، نجد أن أهم مقاصدها تندرج في دقة العدالة الإلهية في وزن الاعمال والجزاء عليها، ولا تتوقف هذه المقاصد على كون الميزان حسياً ذو لسان وكفتين أو كونه العدل والتسوية؛ إذ لا تكون هذه الموازين إلا بالعدل والقسط.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله (ت ٥٠٢هـ): (قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ إشارة إلى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2])[3].

وقال فخر الدين الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (ثم بين سبحانه وتعالى أن جميع ما ينزل بهم في الآخرة لا يكون إلا عدلاً، فهم وإنْ ظلموا أنفسهم في الدنيا فلن يُظلموا في الآخرة، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾، وصفها الله تعالى بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط، وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾[4].

وبناءً على هذه الأقوال وغيرها، نستطيع أن نذكر أهم تجليات مقصد العدالة الإلهية في الموازين فيما يأتي:

١ـ إن ما ورد في القرآن الكريم من وصف الميزان بكونه يخضع لمعايير الحق والعدل، وأنه على أساسها يكون التمييز في الثقل والخفة، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]، وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ١٢٠.

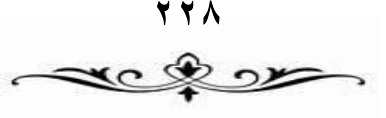
(٢) [سورة الأنبياء: من الآية ٤٧].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢/ ٥١٢.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٤٧.

(٥) [سورة الأعراف: الآية ٨].

(٦) [سورة المؤمنون: الآية ١٠٢].



وبخلافه من خفت موازينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(٢).

كما إن مصطلح الميزان قد يراد به ما هو أعمق بكثير مما يتعلق بالثقل والخفة، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾(٣)، فقد اعتبر القرآن الكريم الميزان مقصداً من مقاصد التنزل القرآني، ويعني بذلك أنه يضع المعايير والقيم التي تنظم حياة البشر(٤).

وذكر محمد رشيد رضا رحمه الله (ت١٣٥٤هـ): (أن حكمة وزن الأعمال بعد الحساب: أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم، إذ يرى فيه عباده ـ أفراداً وشعوباً وأمماً ـ ذلك بأعينهم، ويعرفونه معرفة إدراك ووجدان في أنفسهم، فإن أعمالهم تتجلى لهم فيها أولاً، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانياً، فياله من منظر مهيب، ويا له من مظهر رهيب، وما أشد غفلة من قال: إنه لا حاجة إليه للاستغناء بعلم الله عنه)(٥).

ويقول حافظ حكمي رحمه الله (ت١٣٧٧هـ) في عدالة موازين القيامة (الوزن لأعمال العباد بالقسط العدل فلا ظلم على احد يومئذ لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرماً فلا يهضم احد من حسناته ولا يؤخذ عبد بسوى ما عمله)(٦).

٢ـ الارتباط الكبير بين مقصدي عدل الله تعالى ورحمته للعباد فيها، فـ (القرآن الكريم يخبرنا عن الارتباط الوثيق بين العدل والرحمة في جميع أنواع الجزاء، فلذلك تضاعف الحسنات من باب الرحمة الإلهية، ولا تجازى السيئات إلا بمثلها من باب العدل الإلهي، قال تعالى عن جزاء الحسنات: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾(٧)، وقال عن جزاء السيئات: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾(٨)، وقال تعالى جامعاً بينهما: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(٩))(١٠).

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(١١)،

(١) [سورة الأعراف: الآية ٩].

(٢) [سورة المؤمنون: الآية ١٠٣].

(٣) [سورة الشورى: الآية ١٧].

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٧٣.

(٥) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٥.

(٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٨٤٤/٢.

(٧) [سورة النساء: الآية ٤٠].

(٨) [سورة يونس: من الآية ٢٧].

(٩) [سورة الأنعام: الآية ١٦٠].

(١٠) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٩١.

(١١) [سورة القارعة: الآيات٦ ـ ٩].

فدلالة العدالة والرحمة الإلهية في الآية الكريمة أمرٌ ظاهر، ذلك أن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية، برحمة الله تعالى له، ومن خفَّ ميزانه فقد خسر وهوى إلى جهنم بعدله تعالى من غير مظلمةٍ على أحد، وإذا كان الأمر كذلك؛ فليستكثر العبد الصالح إذا أراد ثقل موازينه، وليطمئن إلى أنه لا يفوته مما قدم من أعمال الخير شيء[1].

كما نستنبط هذا المقصد من العديد من الأحاديث الشريفة، منها قوله ﷺ: (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا)[2].

وكذلك قوله ﷺ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا وَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)[3].

٣ـ إن الأصل الذي عليه الأمة في الإيمان بعالم الغيب (أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذاً بأن في الأخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجع أنه بميزان يليق بذلك العالم، ويوزن به الإيمان، والأخلاق، والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته)[4].

ولسعد الدين التفتازاني رحمه الله (ت٧٩١هـ) رأي في التوقف في كيفيته في شرحه للعقائد النسفية بقوله (والميزان عبارة عمّا تُعرَف به مقادير الأعمال، والعقلُ قاصرٌ عن إدراك كيفيته)[5].

٤ـ إن قدرة الله تعالى لن تعجز عن خلق ميزان حسي له لسان وكفتان، وقد جاء في السنة بعض الأحاديث التى تدل على وزن العمل ووزن العامل، وتتجلى في جميعها صور العدالة الإلهية بوضوح، وكما ورد في مسند الإمام أحمد قوله ﷺ: (يؤتي بالرجل فيوضع في كفة) وكقوله أيضاً: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)[6] وغيرها من الأحاديث التي فيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان[7].

لكن مع ذلك، فإنه لا يصح الجزم بهيئتها من الباب الذي تعرضه النصوص الكريمة نفسها، والتي لم تضع الصورة المثبتة للميزان، وإنما اكتسبتها من هذه الأحاديث، والتي بدورها قد يكون المقصود منها أما الصورة نفسها أو تقريب الصورة، أو يكون الراوي قد رواها بالمعنى[8].

٥ـ ذكر الشيخ جعفر السبحاني ما ذهب إليه الجمهور من أنّه ينصب يوم القيامة ميزان كموازين الدنيا، وتوضع

---

(١) (يُنظَر) الحياة الآخرة: ٢/١٠٨٩.

(٢) صحيح البخاري، باب حسن اسلام المرء، ح ٤٢: ١/ ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنةٍ أو سيئة، ح ٦١٢٦: ٥/ ٢٣٨٠.

(٤) تفسير المنار: ٨/ ٣٢٣.

(٥) شرح العقائد النسفية: ١٣٢.

(٦) (حديث البطاقة) وسيأتي تخريجه كاملاً في المقصد التالي.

(٧) الحياة الآخرة: ٢/ ١١١٩

(٨) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٧٠.

الأعمال الصالحة في كفة والطالحة في كفة أُخرى، فيوزن، ثم علق عليه بقوله: (إن للكلام ظهورين: ظهور تصوّري أولي، وظهور تصديقي. والمراد من الأوّل هو ما يفهمه الإنسان عند سماع اللفظ دون تدبّر في القرائن الحافة به، والمراد من الثاني هو ما يذعن به الإنسان بعد الإحاطة بالقرائن الحافة بالكلام، فربما يكون المتبادر عندئذ من الكلام غير ما هو المتبادر من الظهور الابتدائي)[1].

وانطلاقاً من هذا المعنى راح ينكر أيضاً على من ينكر الميزان، ويتصور أنه ليس سوى (العدل الثابت في كلّ شيء) وأنه سبحانه يتعامل مع عباده بالعدل والقسط ويقضي به، وأن هذا هو المراد من نصب الموازين؛ ذلك أن هذه الرؤية (تتعرض إلى نتيجة الميزان من دون أن تشير إلى واقعه، وأنّه بعدما تم التوزين يتعامل سبحانه في قضائه بالعدل والقسط، فلابدَّ قبل القضاء والتعامل من أداة تبيّن حال العباد من حيث الطاعة والعصيان، حتى تصل النوبة إلى قضائه سبحانه، فما هي تلك الأداة التي تكون معياراً لكثرة الطاعات أو قلتها؟)[2].

المقصد الثاني: إقامة الحجة على الخلق برؤية أعمالهم وموازينها

وهي من المقاصد المهمة من موازين يوم القيامة، ذلك أن الله تعالى قادر على أن يدخل عباده الجنة أو النار من غير أن يقيم عليهم الحجة وبناء على علمه فيهم، لكنه بمقتضى عدالته لم يفعل ذلك، وإنما تركهم يحاسبون أنفسَهم بأنفسِهم على أعمالهم من خلال الموازين التي يرونها.

يقول الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في رده على من ينكر الميزان والحكمة منه: (فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه وجهته، وقال أو بالله حاجة إلى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه، وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال والأعمال ليس بأجسام توصف بالثقل والخفة؟ وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة، قيل له: أما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة إليه ومن غير نسيانه، ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتَابِهَا اليَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾[3]، فكذلك وزنه تعالى خلقه بالميزان: حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته وإما بالتكميل والتتميم)[4].

فالغرض من تلك الموازين ـ كما تدل على ذلك الآيات الكريمة ـ هو نفس غرض تلك الدرجات التي تعطى للطلبة في الدنيا بعد مرورهم بالامتحانات المختلفة، والتي من خلالها يحدد مصيرهم، إما النجاح، والانتقال إلى

---

(١) (يُنظَر) مفاهيم القرآن: ٨/ ٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه: ٨/ ٢٥٣.

(٣) [سورة الجاثية: ٢٨، ٢٩].

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٨/ ١٢٤.

المرحلة التي تلي ذلك النجاح، أو الرسوب، والعودة من جديد للتكوين.

وهكذا الأمر في موازين الآخرة، فهي التي تحدد ـ عبر النماذج الموضوعة في الميزان ـ أهل الجنة، كما تحدد أهل النار. وهي أيضاً من يحدد الدرجة التي يستحقها من نجح في الدخول إلى الجنة، كما تحدد المحل الذي يدخل إليه من رسب في الامتحان، واحتاج إلى المزيد من التربية والدروس، والتي جعلها الله تعالى في المرور على الصراط أو في جهنم، والتي تحوي الوسائل المختلفة للتطهير، وتتجلى فيها العدالة الإلهية بأكمل صورها [١].

لذلك (وإذ وجبت معرفة الميزان لا تجب معرفة انها ميزان معنوية أو لها كفتان)[٢]، لأنها إنما جعلها تعالى مظهراً لعدالته ورحمته للعباد، (كما بينا ذلك في المقصد الأول من هذا المطلب)، كما أنها تمثل وجهاً من وجوه إقامة الحجة عليهم كي يزنوا كل ما يقدموه في حياتهم من عمل خير أو شر، قلَّ أو كثُر، ويمكننا تلخيص مقاصد الحكمة من ذلك في أُمور عدة، منها:

١ـ تعريف الله تعالى لعباده مالهم عنده من الجزاء من خيرٍ أو شر، يقول الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ): (فإن قيل: ما فائدة وزن الأعمال؟. فالجواب: لا نطلب لفعل الله تعالى فائدة؛ لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٣]، أما الفائدة بالنسبة للعبد هي: أن يشاهد مقدار أعماله ويعلم أنه مجزيٌ بها بالعدل، أو يتجاوز الله تعالى عنه باللطف)[٤]، وبهذه الحكمة يبين تعالى لعبده ما يستحقه من العذاب وما يكون فيه من درجات الجنة.

٢ـ وكذلك فإن من وجوه إقامة الحجة على العباد في هذه الموازين وبيان فضلها، إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر ﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٥].

فلله تعالى حكمة عظيمة في إظهار أقصى كمال عدله جل وعلا بين عباده، حتى لا يساوي المحسن بالمسيء، وليظهر التفاوت بين البشر جلياً واضحاً، يقتنع كل مخلوق بذلك كما يقتنعون بما يرجحه الميزان في الدنيا، ولو شاء الله ألا يقيم ميزاناً ويأخذ العباد بما يعلمه سبحانه من أعمالهم الطيبة أو الخبيثة؛ لما كان في ذلك أي نقص على العباد ولا هضم لحق أي مخلوق: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٦]، لكنه تعالى لم يشأ ذلك، بل أراد أن يُعلم العباد بأعمالهم بما يقتنعون به هم أنفسهم، وحتى لا يبقي حجة ولا اعتراض لمعترض، ولله الحجة البالغة.

٣ـ إن العلم بإقامة الموازين يوم القيامة مما يدعو العباد الى الطاعة وأداء الواجبات لما يثقل كفة الحسنات، واجتناب المعاصي والمنكرات، يقول القاضي عبد الجبار رحمه الله (ت٤١٥هـ): (وأما فائدته: فهو تعجيل مسرة المؤمن

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٦٨.

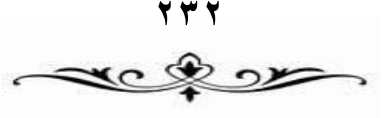
(٢) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الاعلام الإسلامي، مؤسسة بوستان، قم، ١٣٧٩هـ: ١/ ٦٠.

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ٢٣].

(٤) الإقتصاد في الإعتقاد: ١٥٨، و(يُنظَر) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٨، عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٨٩.

(٥) [سورة النساء: الآية ٤٠].

(٦) [سورة الملك: الآية ١٤].



وغم الكافر، هذا في القيامة، وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف: وهي أن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملأ؛ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وهذه فائدة عظيمة)(1).

٤ـ وذكر علي بن أحمد العدويّ رحمه الله(2) (ت١١٨٩هـ) في حاشيته على كتاب كفاية الطالب الرباني (حكمة الوزن وإن كان الله تعالى عالماً بكل شيء امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل)(3).

٥ـ ومن وجوه إقامة الحجة على العباد في الموازين إخباره تعالى أن أعمال الكافرين ليس لها وزن، كما ورد في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(4)، (وقد يُرَد أن وزن أعمال المؤمنين ظاهر؛ لتقابل الحسنات والسيئات، أما وزن سيئات الكفار فغير ظاهر؛ لانعدام الحسنات المقابلة للسيئات، فيُجاب بأنه قد يكون منهم صلة رحم ومواساة ونحوها من الأعمال التي لاتتوقف صحتها على نية، فتجعل هذه الأمور ـ إن صدرت منهم ـ في مقابلة سيئاتهم، ما خلا الكفر، أمَّا الكفر فلا فائدة في وزنه؛ لأن عذابه دائم)(5).

المقصد الثالث: دور الميزان في بيان حقائق الأعمال

وهو من مهمات مقاصد الميزان في مواقف اليوم الآخر، وخاصة ما يرتبط بالأعمال، لأن من خلاله تظهر حقائقها ومنزلتها عند الله تعالى، والتي قد لا يعرفها العباد من دون ذلك البيان، ولذلك ورد في الأحاديث الشريفة التنبيه الى حقائق أجر الكثير من الأذكار أو الأعمال برغم سهولتها أو قلتها، كما جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: (كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللهَّ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهَّ الْعَظِيمِ)(6).

فيُفهَم من هذا الحديث الشريف أنه يمكن للمؤمن عبر كلمات قليلة يقولها أن ينال الأجور العظيمة، لأن لتلك الكلمات تأثيرها في نفسه وفي حياته جميعاً، فضلاً عن ثقلها في ميزان يوم القيامة، يقول ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في الحديث الشريف (وقوله ﷺ حبيبتان أي محبوبتان، والمعنى محبوب قائلهما.

وخُصَّ لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على

(1) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٦.

(2) علي بن أحمد بن مكرّم الصعيدي العدوي، فقيه مالكي مصري، كان شيخ الشيوخ في عصره، من كتبه: [حاشية على شرح زيد القيراني]، و[حاشية على شرح العزية للزرقاني]، و[حاشية على شرح القاضي زكرياء] على ألفية العراقي في المصطلح، و[حاشية على شرح الجوهرة لعبد السلام]، و[حاشية على شرح السلم للأخضري]، توفي رحمه الله في القاهرة سنة ١١٨٩هـ. (يُنظر) الأعلام للزركلي: ٤/ ٣٥٩ . ٣٦٠.

(3) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ـ أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت١١٨٩هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م: ١/ ٩٣.

(4) [سورة الكهف: الآية ١٠٥].

(5) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٨٦.

(6) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ح ٦٠٤٣: ٥/٢٣٥٢.



العمل القليل بالثواب الكثير، وقوله ﷺ (خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان) وصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب وفي هذه الألفاظ الثلاثة سجعٌ مستعذَب. وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف، وقد سُئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت، فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها)[١].

ومن ذلك قوله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ (أَوْ تَمْلَأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[٢] فهذه الألفاظ التي ذكرها الرسول ﷺ تفضل عظيم من الله تعالى على عباده، حيث جعل جزاء هذه الكلمات اليسيرة ذلك الأجر العظيم، لكن، حينما يتقبل الله قولها من العبد، إذ أن ذلك شرط لابد منه؛ فليس كل من قالها يحصل له هذا الفضل العظيم بمجرد القول وإن لم تتحقق فيه أهلية قبولها، والله تعالى كما أخبر في كتابه الكريم أنه لا يقبل إلا من المتقين الصادقين لا سواهم.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن جرير النهدي عن رجل من بني سليم قال: (عَدَّهُنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِي أَوْ فِي يَدِهِ، التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ يَمْلَؤُهُ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ، وَالطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ)[٣]، وعن مولىً لرسول الله ﷺ أنه قال: (بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَهُ) الحديث[٤].

وجزاء هذه الأحاديث الشريفة ظاهر في فضائل تلك الأمور التي ذكرت فيه.

وكذلك في قوله ﷺ: (خَصْلَتَانِ ـ أَوْ خَلَّتَانِ ـ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، تُسَبِّحُ اللهَ عَشْرًا، وَتَحْمَدُ اللهَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُ اللهَ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ـ عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ ـ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ؟)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ ﷺ: يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا، فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا)[٥].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾، ح ٧١٢٤: ١٣/ ٥٤٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح٢٢٣: ١/ ٢٠٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ح ٢٣١٢٣: ٥/ ٣٦٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات غير جري بن كليب النهدي، وسنن الترمذي، فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، باب ٨٧، ح ٣٥١٩: ٥/ ٥٣٦، قال الترمذي: حديث حسن.

(٤) المصدر نفسه، مسند المكيين، حديث مولىً لرسول الله ﷺ، ح ١٨١٠١: ٤/ ٢٣٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، والمولى الذي لم يسمَّ هو أبو سلمى راعي رسول الله ﷺ.

(٥) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، ح ٦٩١٠: ٢/ ٢٠٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

وما دامت الحسنة بعشر أمثالها، فإن الحسنات ستكون كثيرة جداً أكثر من السيئات، إذ إن الشخص لا يمكن أن يفعل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة، كما أشار الحديث، وإن دلَّ هذا على شيء فإنه يدلُ على عظيم رحمة الله تعالى لعباده، وتيسيره لهم كافة سبل الطاعة وكثرة الحسنات.

وهكذا دلَّت الأحاديث الشريفة على العديد من الأعمال التي تثقل ميزان الحسنات يوم القيامة، كالجهاد في سبيل الله تعالى أو احتباس فرساً في سبيله تعالى، كما ورد في ما رواه معاذ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ، وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا ثَقُلَ مِيزَانُ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ)(١).

وكذلك قوله ﷺ: (مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِيمَانًا بِاللهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ حَسَنَاتٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٢).

ومنها قوله ﷺ في فضل الصدقة: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ)(٣).

ومن تلك الأعمال قوله ﷺ في فضل اتباع الجنازة حتى يفرغ من دفنها قال: (مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيُفْرَغَ مِنْهَا، فَلَهُ قِيرَاطَانِ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أُحُدٍ)(٤).

أما فائدة تنصيص رسول الله ﷺ على ذكر هذه الأمور، وأنها تكون في ميزان العبد؛ يقول ابن أبي جمرة: (أن هذه الحسنات تُقبل من صاحبها؛ لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه، بخلاف غيرها، فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان)(٥).

المقصد الرابع: دور الميزان في بيان حقيقة العامل ومنزلته:

وهو من المقاصد المهمة للميزان، كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، فالميزان هو الذي يوضح منزلة العبد من التقوى والصلاح، وحظه من الصبر والشكر، وغيرها من الأعمال. وهي بذلك تشبه الدرجات التي ينالها الطالب، والتي تحدد مستواه العلمي.

ولهذا أخبرنا رسول الله ﷺ عن أن الوزن لا يرتبط فقط بالأعمال، وإنما يرتبط أيضا بالجوارح التي قامت بالعمل، بدلالة ما رواه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بقوله: (أمر النبي ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه فصعد على شجرةٍ وأمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه الى ساقَي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين صعد الشجرة، فضحكوا من

---

(١) مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، ح ٢٢١٧٥: ٥/ ٢٤٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: الحديث من سؤال معاذ إلى آخره صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: " ما شحب وجه...الخ " فإنه حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً، ح ٢٦٩٨: ٣/ ١٠٤٨.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسبٍ طيب، ح ١٣٤٤: ٢/ ٥١١.

(٤) مسند الامام أحمد، مسند الأنصار، حديث زر بن حبيش عن أبي بن كعب، ح ٢١٢٣٩: ٥/ ١٣١، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٥٧.



حموشتها (أي دقتها)، فقال ﷺ: (مِمَ تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقلُ في الميزان يوم القيامة من أُحُد)(١).

فرسول الله ﷺ يشير في هذا الحديث إلا أن تينك الساقين الدقيقتين قامتا بأعمال كثيرة، هي أثقل من جبل أحد.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يُرَغب المؤمنين في كثرة ذكر الله، بذكر تلك الأجور العظيمة التي أعدها الله لمن يذكره، بناء على تأثيراتها الكبيرة في إصلاح النفس وتربيتها.

ومن ذلك تأكيده ﷺ على ثواب وأجر من قال (لا اله إلا الله) مخلصاً وثقل الميزان بها، فإن كان البيان لأجل ثواب الحسنات فإن ثواب الثبات في الاعتقاد الحق سيكون له أثره العظيم في اليوم الآخر وفي جميع مواقفه، كما في حديث البطاقة بقوله ﷺ: (إِنَّ اللهَّ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: (إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ)، قَالَ: (فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهَّ شَيْءٌ)(٢).

وهكذا أخبر رسول الله ﷺ عن القيمة العظمى التي يحتلها حسن الخلق في تلك الموازين، ومنها قوله ﷺ: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَّ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)(٣)، وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: (ما من شيءٍ أثقلُ فِي الْميزان من خُلُقٍ حسنٍ)(٤).

ومنها أيضاً ما جاء في مداد العلماء ووزنه يوم القيامة، وهو ما رُويَ عن النبي ﷺ من قوله: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ووُضِعَتِ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ)(٥).

وبناء على هذا يمكننا فهم كل تلك الأحاديث التي تذكر الأجور العظيمة لما نراه من الأعمال الصغيرة، ذلك

(١) مسند الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، ح٩٢٠: ١/ ١١٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره وهذا اسناد حسن.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، بما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح ٢٦٣٩: ٥/ ٢٤، ٢٥، وقال الترمذي: حديث حسنٌ غريب.

(٣) المصدر نفسه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن اخلق، ح ٢٠٠٢: ٤/ ٣٦٢، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) مسند الإمام أحمد، مسند القبائل، من بقية حديث أبي الدرداء، ح ٢٧٥٥٧: ٦/ ٤٤٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عطاء الكيخاراني وهو ابن نافع.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٨، وجزء ابن عمشليق، ح ١٤: ٤٤، وقال محقق الكتاب خالد الأنصاري: إنه حديث ضعيف، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، باب تفضيل العلماء على الشهداء، ح ١٥٤: ١/ ١٥١، وقال في التعليق على الحديث (وبعضهم يقول في ذلك الحديث لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة في الجنة وروي أيضا مرفوعا من حديث ابن عباس وقد ذكرنا هذا الحديث بإسناده في كتابنا هذا في باب استدامة الطلب، وفي باب جامع فضل العلم، وفي إسناده اضطراب؛ لأن منهم من يجعله، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، ومنهم من يجعله عن سعيد، عن أبي هريرة وأبي ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، والفضائل تروى عن كل أحد، والحجة من جهة الإسناد، إنما تتقصى في الأحكام وفي الحلال والحرام).

أن لتلك الأعمال آثارها الكبيرة في النفس وتطهيرها، لتتجسد في شخصية العامل وتزيد من حقيقته التي تطبع بها، ولهذا كان لهذه الموازين آثارها في المجتمع، بعد تأثيرها في أفراده، بتحويله إلى مجتمع رباني مؤمن، ولذلك يكون لتلك الأفعال والأخلاق التي تصدر عنهم أوزاناً وقيماً تتجسد في شخصية عامليها لا نستطيع تقديرها.

ففي هذه الأحاديث الشريفة إخبار من رسول الله ﷺ عن سعة فضل الله في هذه الموازين، وأن الحسنات التي اكتسبها الإنسان في الدنيا، يمكنها أن ترفع الكثير من السيئات عنه ما لم تكن متعدية، أو لها جذور في النفس. كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، حيث يتبين أن السيئات التي عملها الإنسان بجهالة، ومن غير أن يكون لها آثار كبيرة في نفسه، يمكنها أن تُرفع عنه إما بالتوبة في الدنيا، أو بما يرفعها من الحسنات التي تزيل آثارها السيئة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [٢][٣].

ومهما قيل في الحكمة فإن الأمر لا يزال يتطلب الإيمان الكامل بأن وزن الأعمال هو عين الحكمة، وأن هذه مجرد استنباطات للعلماء، وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله تعالى وحده[٤].

المطلب الرابع: الصراط ومقاصده العقدية

بعد أن يرى الخَلق مقادير أعمالهم واوزانها، والتي يعلمون من خلالها درجاتهم والجزاء الذي يستحقونه عليها، ينصب تعالى لهم الصراط على متن جهنم، والذي يختلف سيرهم عليه حسب ما رأوه من أعمال، فالذي يمر عليه كالبرق، والذي يزحف زحفاً، فضلاً عن الساقط في جهنم في أول مروره عليه كما سيأتي بيانه.

وبناء على هذا، ومن خلال استقرائنا لما ورد في الصراط من النصوص الكريمة، وكلام العلماء حول المقاصد العقدية منه، رأينا أنه يمكن تصنيفها إلى مقاصدَ أربعة، هي:

المقصد الأول: التمييز بين مراتب الناس بحسب العدالة الإلهية

المقصد الثاني: الرحمة الإلهية في إكرام النبي ﷺ وأمته على الصراط وتجسيد استقامتهم

المقصد الثالث: توافق الصراط مع القدرة الإلهية والتكليف في الآخرة وتطهير المؤمنين لدخولهم الجنة

المقصد الرابع: تربية المؤمنين على صالح الأعمال في الحياة الدنيا

وقد خصصنا كل مقصد منها بفرع خاص، وقدمنا لذلك بتمهيد يعرف الصراط لغةً واصطلاحاً مع ذكر صفته.

---

(١) [سورة النحل: الآية ١١٩].

(٢) [سورة هود: الآية ١١٤].

(٣) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٨٢.

(٤) الحياة الآخرة: ٣/ ١١٥٧.



تمهيد: مفهوم الصراط وصفته

الصراط في اللغة

جاء عن ابن منظور رحمه الله(ت ٧١١هـ) في لسان العرب في (الصِراط): قُرِئَ قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(١) بالصاد، وقد تُقرأ بالسين، على أن أصل صاده سينٌ قُلِبت مع الطاء صاداً لقرب مخرجها(٢)، ويقول الجواهري رحمه الله، الصِراط، والسراط والزراط: الطريق(٣).

وقال الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ): (سَرْطَ ومنه الاستراط، وهو سرعة الابتلاع من غير مضغ)(٤).

وأشار ابن منظور الى أنها بالصاد لغة قريش الأَوّلين التي جاء بها الكتاب، وعامة العرب تجعلها سيناً، وقيل إنما قيل للطريق الواضح صراط لأَنه كأَنه يَسْتَرِطُ المارة لكثرة سلوكهم لأحبه(٥).

الصراط اصطلاحاً

يذكر أبو البقاء الكفوي رحمه الله (ت١٠٩٤هـ): (الصراط من السبيل ما لا إلتواء ولا إعوجاج فيه)(٦).

وقد ورد في الاصطلاح الشرعي وحسب تعريفات العلماء للصراط فيما يرتبط بمباحث دراستنا انه (جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف الى الظلمة التي دون الصراط)(٧).

وقد عرفه الشيخ المفيد رحمه الله (ت٤١٣هـ) بأنه (جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتزل عنه أقدام الكفار إلى النار)(٨).

وعرفه التفتازاني رحمه الله (ت٧٤٣هـ) بأنه (جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، ادق من الشعر وأحدّ من السيف، يعبره أهل الجنّة وتزل به أقدام أهل النار)(٩).

ويتبين لنا من تعريفات العلماء للصراط بأنه جسر يرده جميع الخلق من الأولين والآخرين، وإذا توافوا اليه قيل للملائكة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾(١٠)(١١)، ولكن يختلف سيرهم عليه، فيصل المؤمنون منه الى الجنة بينما تزل

---

(١) [سورة الفاتحة: الآية ٦].

(٢) (يُنظَر) لسان العرب، حرف الطاء، فصل الصاد المهملة: ٣٤٠/٧.

(٣) (يُنظَر) المصدر نفسه، حرف الطاء، فصل السين المهملة: ٧/ ٣١٣.

(٤) العين، باب السين، مادة (سرط): ٢٣٨/٢، و(يُنظَر) لسان العرب، حرف الطاء، فصل السين المهملة: ٣١٣/٧.

(٥) (يُنظَر) لسان العرب، حرف الطاء، فصل السين المهملة: ٣١٣/٧.

(٦) الكليات، فصل السين: ٥١٣.

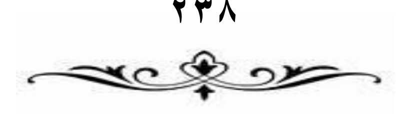
(٧) معجم ألفاظ العقيدة، حرف الصاد: ٢٤٢، و(يُنظَر) اقرب الموارد، باب الصاد، مادة صرط: ٦٤٣/١، وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٩٠.

(٨) أوائل المقالات، (٥٦): ٤/ ٧٨.

(٩) شرح العقائد النسفية: ٢٤٨، لوامع الأنوار البهية: ١٨٩/٢٠، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ـ الشيخ إبراهيم محمد الباجوري(ت ١٢٧٧هـ)، تحقيق وتعليق: عبدالله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٤هـ: ٢٩٢.

(١٠) [سورة الصافات: من الآية ٢٤].

(١١) (يُنظَر) الإرشاد: ٣٧٩، والاقتصاد في الإعتقاد: ١٥٩، وشرح الخريدة البهية: ١٣٢، وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ١٠٩٠.



أقدام الكافرين عنه الى جهنم، ويختلف سير ما بينهما من أصحاب الذنوب من الموحدين، وله من الصفات ما لا يُقدَر على استيعابها إلا الخضوع لحقيقة القدرة والقاهرية الالهية.

صفة الصراط

ومما ورد في صفات الصراط الذي يكون على متن جهنم ما جاء في قوله ﷺ: (دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ[١] مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ[٢]، فِي نَارِ جَهَنَّمَ)[٣]، وهي:

١ـ فالصراط زلق، وقوله ﷺ (دَحْضٌ مَزِلَّةٌ): قال النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ): (أي زلق تزل به الأقدام)[٤]، وقال العيني (ت٨٥٥هـ): (مدحضة من دحضت رجله دحضاً زلقت، ودحضت الشمس عند كبد السماء: زالت، ودحضت حجته بطلت، أما مزلة: من زلت الأقدام سقطت، بكسر الزاي وفتحها)[٥]، ودحَض الرجلُ: زلق[٦]، فالصراط زلق، أي أن كل من يمر عليه يمكن أن يزلق ليسقط في جهنم بناء على هذه الأوصاف الموجودة فيه.

٢ـ وله جنبتان أو حافتان: كما في حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ)، قَالَ: (فَيُنْجِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ)[٧].

قال ابن الأثير[٨] رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في (النهاية): (قوله ﷺ: (فتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ) أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض)[٩]، إذ وُصفت هذه الحافتان بإمكانها أن تسترط وتُوقع من يمر عليها.

---

(١) مخدوش: من الخدش وهو الأثر، (يُنظَر) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: د.زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م: ٧٨/١.

(٢) المكدوس أو المكردس: الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي إلى موضع، النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر احمد الراوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، (د.ط): ١٦٢/٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، جزء من ح ١٨٣: ١٦٧/١.

(٤) (يُنظَر) اكمال المعلم بفوائد مسلم ـ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ٥٥١/١، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: ٢٣١.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٣٢٠.

(٦) (يُنظَر) غريب الحديث ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ١/ ٣٢٦، و(يُنظَر) المصباح المنير: ١٩٠.

(٧) مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، ح ٢٠٤٥٧: ٥/ ٤٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٨) أبو السعادات، المبارك بنُ أبي الكرم، محمدُ بنُ محمدِ المعروفُ بابن الأثير الجزريُّ، الملقبُ: مجد الدين، أشهر العلماء ذكرًا،، وأحد الأفاضل، المشار إليه، وفردُ الأماثل، المعتمَدُ في الأمور إليه، له المصنفاتُ البديعة، والرسائل الوسيعة، منها:[جامع الأصول في أحاديث الرسول]، و[النهاية في غريب الحديث]، و[المصطفى المختار في الأدعية والأذكار]، و[الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي، وتوفي رحمه الله سنة ست وست مئة. (يُنظر) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: ٨٨.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف القاف، باب القاف مع الدال: ٤/ ٤٣.



٣ـ ولحافتي الصراط كلاليب وخطاطيف وحسك وأشواك السعدان.

وذلك مما وردَ في حديثه ﷺ: (وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ)[١]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟) قالوا: نعم يا رسول الله، قَالَ ﷺ: (فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ)[٢].

كما يصف ﷺ هاتين الحافتين وما عليها من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتقدم: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: (دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ).

والكلاليب: (هي حديدة عقفاء تعلق عليها المعاليق)[٣].

وجاء في عمدة القاري: (كَلاليب: جمع كَلوب بفتح الكاف، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم، وقيل: الكَلوب الذي يتناول به الحداد الحديد من النار)[٤]، والكلاليب: (هي حديدة عقفاء تعلق عليها المعاليق)[٥].

وقوله ﷺ: (وخَطَاطِيفُ): جمع خُطاف بالضم، وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء[٦].

وقوله ﷺ: (حَسَكٌ)[٧]: بفتحات وهي شوكة صلبة معروفة، والحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب[٨].

ثم يقول فيه ﷺ (فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ)، ويذكر ابن الجوزي رحمه الله (ت٥٩٧هـ) في غريب الحديث (له ثمر مستدير مشوك الوجه إذا وطئه الإنسان عفر رجله)[٩]، أما تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها، مع التحرز والتصون، تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألِفوه بالمباشرة[١٠].

أما قوله ﷺ: (لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ) فقال الجوهري رحمه الله: (عظم الشيء عظماً: أي كبر فتقديره لا يعلم قدر كبرها إلا الله وعظم الشيء أكثره[١١].

٤ـ والصراط مثل حد الموسى أو حد السيف:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، جزء من ح ١٩٥: ١/ ١٨٦.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، جزء من ح ١٨٣: ١/١٦٧.

(٣) تفسير غالمصدر نفسه الصحيحين البخاري ومسلم: ٩٧.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٣٠/ ٣١٦.

(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: ٩٧.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٣٢٠، و(يُنظَر) تفسير غريب ما في الصحيحين: ٢٣١.

(٧) واحدها حسكة وهي شوكة حديدة صلبة، وتطلق الحسكة على الرجل إذا كان خشناً إنه لحَسَكة. (يُنظَر) تفسير غريب ما في الصحيحين: ٢٣١.

(٨) (يُنظَر) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٣٢٠.

(٩) غريب الحديث لابن الجوزي: ١/٤٨٠.

(١٠) (يُنظَر) المصدر نفسه: ١/٤٨٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٥٣.

(١١) (يُنظَر) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٣/ ١٣٤.

حيث زاد الامام مسلم بعد روايته للحديث في صفة الصراط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بقوله، قال أبو سعيد: (بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ)(١).

وكل هذه الأوصاف تبين خطورته، وأنه لا يمكن أن ينجو منه إلا من هذب نفسه، وخلصها من كل الأمراض التي تحول بينها وبين التحقق بفطرته السلمية النقية، فمن مظاهر القدرة الإلهية في ذلك الموقف ثبات المؤمنين الصادقين عليه برغم صفاته هذه، بناءً على ما تجسد في نفوسهم من الطاعة والاستقامة في دينهم فترة حياتهم الدنيا، بينما لا يستطيع ذلك الكافرون ومن انحرفوا عن سبيل الهداية الإلهية، فوصفه بأنه (أدق من الشعر وأحدّ من السيف، يتسع للمطيع ويضيق على العاصي)(٢).

المقصد الأول: التمييز بين مراتب الناس بحسب العدالة الإلهية

لا تخلو مسألة من مسائل اليوم الآخر والثواب والعقاب عن مقاصد العدالة الإلهية فضلاً عن رحمته تعالى العظيمة بعباده، ومنها الصراط، إذ لا تكون النجاة منه لجميع الخلق بدرجة واحدة، فمنهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، ومنهم من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً الى غير ذلك من أصناف الخلق، مما يجعل هذا المقصد مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بمقصدَي الترغيب والترهيب كما سنرى ذلك واضحاً في مراتب الناس عليه.

وبما إن (الحكمة من المرور على الصراط هي ظهور النجاة من النار، وتحسر الكفار من فوز المؤمنين بعد اشتراكهم معهم في المرور)(٣)، فعندما يذهب بالكفرة الملحدين، والمشركين الضالين إلى دار البوار: جهنم يصلونها، وبئس القرار، يبقى في عرصات القيامة أتباع الرسل الموحدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، وتلقى عليهم الظلمة قبل الجسر، فيفترق المنافقون عن المؤمنين، وتختلف سرعة الناس في المرور على الصراط باختلاف قوة إيمانهم ويقينهم، ويقول في ذلك السيد الشيرازي رحمه الله (ت١٠٥٠هـ): (هذا الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر نور اليقين للمارين عليه الى الآخرة، وبحسب شدة نور يقينهم يكون قوة سلوكهم وسرعة مشيهم عليه، فتتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم وقوة يقينهم وإيمانهم؛ لأن التقرب الى الله تعالى لا يمكن إلا بالمعرفة واليقين، والمعارف أنوار، ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى إلا بقوة أنوارهم وأنظارهم)(٤).

ويدل على هذا التمايز حديث ابن مسعود الطويل الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، بعد ح ١٨٣: ١/ ١٦٧

(٢) ارشاد الطالبين ـ المقداد بن عبد الله بن محمد السيوري الأسدي، (اصل الكتاب تعليق السيوري على كتاب نهج المسترشدين لأبي منصور بن المطهر الحلي)، مطبعة ملك الكتاب ١٣٠٣هـ: ٢٠٥، تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٠٩، و(يُنظَر) بحار الأنوار: ٨ /٧١، وعقائد الامامية الاثني عشرية ـ ابراهيم الموسوي الزنجاني النجفي، قم ـ ايران، الطبعة الخامسة: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ٢/٢٧٠.

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للباجوري: ٢٣٥.

(٤) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ٩/ ٢٨٦.



بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٍ مَزِلَّةٍ، فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، وَيَرْمُلُ رَمَلا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، قَالَ: يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجُرُّ رِجْلا وَيُعَلِّقُ رِجْلا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلَصُوا، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكِ لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا)[1].

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه تبين أن الناس يردون النار كلهم ثم يخرجون منها بأعمالهم مع اختلاف في سرعتهم، كما قال السدي: (سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[2]، فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدثهم عن رسول الله ﷺ قال: (يَرِدُ الناسُ النارَ ثم يَصْدُرُونَ عنها بأعمالِهِم فأَوَّلُهُم كَلَمْحِ البَرْقِ ثم كالرِّيحِ ثم كحُضْرِ الفَرَسِ ثم كالراكِبِ في رَحْلِهِ ثم كَشَدِّ الرَّجُلِ ثم كمَشْيِهِم)[3].

فالمارُّون عليه مختلفون، فمنهم سالم بعمله ناجٍ من الوقوع في نار جهنم، وهم أقسام، فمنهم من يجوزه كلمح البصر، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من تخدشه كلاليبه فيسقط ولكن يتعلق بها فيعتدل ويمر ويجاوزه بعد أعوام.

ومنهم غير السالم بل يسقط في نار جهنم، والساقطون متفاوتون أيضاً بقدر جرائمهم، ثم منهم من يخلد بالنار كالكفار، ومنهم من يخرج منها بعد مدة على حسب ما شاء الله تعالى، وهم عصاة المؤمنين بشفاعة النبي محمد ﷺ أو غيره من الشفعاء، وهو من الممكنات التي أخبر بها الصادقُ سبحانه وتعالى، وكل ما كان كذلك فيجب الإيمان به، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾[4][5].

فيؤخذ من ذلك أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف كما أخبر النبي ﷺ في أقواله هي: (فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ مَنْكُوسٌ فِيهَا)[6]، أما توافق هذه الأصناف بمقاصد العدالة الإلهية فإنما هو لتصنيفهم بحسب أعمالهم، وتفصيل ذلك بما يأتي:

١ـ الصنف الأول: الناجِ بلا خدش.

حيث يتجلى في هذا الصنف من مقاصد البشارة بالعدالة والرحمة الإلهية بأنوار المؤمنين على الصراط، وقد

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، جزء من ح ٣٤٢٤: ٢/ ٤٠٨، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) [سورة مريم: الآية ٧١].

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، ح ٣٤٢١: ٢/ ٤٠٧ وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٤) [سورة يس: من الآية ٦٦].

(٥) (يُنظَر) شرح الخريدة البهية: ١٣٣.

(٦) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، جزء من ح ١١٠٩٦: ٣/ ١١، تعليق شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن.



ذكرهم ﷺ في أحاديث كثيرة بلفظ (فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ) كما في الأحاديث السابقة، والناس من هذا الصنف هم الذين يعطون نوراً عظيماً على الصراط على قدر أعمالهم، فينطلقون عليه بسرعة عظيمة، وإنما هو تجسيد لمقصد العدالة والرحمة الإلهية التي وعد تعالى بها عباده، فقد حدثنا تبارك وتعالى عن مشهد مرور هؤلاء المؤمنين الفائزين الى جنات الله تعالى على الصراط، فقال: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

إذ يبين الواحدي[2] (ت٤٦٨هـ) والطبري (ت٥٤٨هـ) رحمهما الله في تفسيرهما للآية الكريمة إن الحق تعالى يخبر أن المؤمنين والمؤمنات الذين استناروا بهذا الدين العظيم في الدنيا، وعاشوا في ضوئه، يعطون في يوم القيامة نوراً بين أيديهم وبأيمانهم، يكشف لهم الطريق الموصلة إلى جنات النعيم، ويجنبهم العثرات والمزالق في طريق دحض مزلة، إذ يُبشرون بما أعدَّه تعالى لهم، فتقول لهم الملائكة ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

فهذه الآيات الكريمة تصور الأنوار التي يسعد بها المؤمنون بسبب الصفاء والطهارة التي اكتسبوها في الدنيا، بينما تخمد تلك الأنوار المزيفة للمنافقين والمحتالين ومرضى القلوب، والذين يكتشفون حينها أنهم لا يملكون أي ملكات تؤهلهم لدخول الجنة، حيث وصف تعالى هذا الموقف للنبيﷺ وأتباعه من المؤمنين مقابل انطفاء نور المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، فقد ذكر ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في تفسيره قول الضحاك بن مزاحم: يعطى كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نوراً فإذا انتهى إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[5].

وقد ذكر رسول الله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه موقف المؤمنين والمنافقين حينذاك، حيث تجد أن الذعر والخوف قد استحوذ على الناس، كلهم يريد النجاة بحشاشة نفسه من الكلاليب، والخطاطيف، فإذا نور المنافقين يطفأ، ونجاة المؤمنين الصادقين من كل هذا العذاب، فيكون مرورهم بنورهم الذي وهبه تعالى إليهم كالبرق الخاطف الذي

---

(١) [سورة الحديد: الآية ١٢].

(٢) على بن أحمد الواحدىّ أبو الحسين، الإمام المصنف، المفسر النحوىّ. أستاذ عصره. قرأ الحديث على المشايخ وأدرك الإسناد العإلى، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده، وصنف [التفسير الكبير]، وسماه البسيط، ومن يراه يعلم مقدار ما عنده من علم العربية. وصنف [الوسيط] فى التفسير أيضاً، وهو مختار من البسيط، و[الوجيز]، و[شرح ديوان المتنبى]، ومرض مرضة غير طويلة، ومات بنيسابور فى سنة ثمان وستين وأربعمائة. (يُنظَر) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٢٢٣.

(٣) (يُنظَر) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم ـ دمشق، والدار الشامية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م: ٢/ ١٠٧٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٠٠، والقيامة الكبرى: ٢٧٢.

(٤) [سورة التحريم: من الآية ٨].

(٥) تفسير ابن كثير: ١/ ١٠١.



يوصلهم الى جنات النعيم، قال ﷺ: (. ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ)[1].

٢ – الصنف الثاني: الهالك من أول وهلة.

ويتجلى في هذا الصنف مقصد العدالة الإلهية أيضاً، ففي معصيتهم لله تعالى ظلمهم لأنفسهم بالانحراف والكفر والجحود والنفاق، وقد ذكره النبي ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله في الأحاديث السابقة: (منكوس فيها)، أي مقلوب فيها على رأسه، وقوله ﷺ: (وَمِنْهُمْ مُكَرْدَسٌ[2] فِي النَّارِ)، و(وَمِنْهُمْ مَكْدُوسٌ فِي النَّار) (أي مدفوع، وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط، ويروى بالشين المعجمة، من الكدش، وهو السَوق الشديد[3]، وقوله ﷺ: (الموبق بقي بعمله) والموبق: من وبق: أي هلك، وأوبقته ذنوبه: أهلكته)[4].

حيث يشير الواحدي ﷺ (ت٤٦٨هـ)، والطبرسي ﷺ (ت٥٤٨هـ) في بيانهم إن الناس في هذا الصنف هم المنافقون ممن كانوا يزعمون في الدنيا أنهم مع المؤمنين وأنهم منهم، لكنهم في الحقيقة مفارقون لهم، لا يهتدون بهداهم، ولا يسلكون سبيلهم من النور، كما حرموا أنفسهم في الدنيا من نور القرآن العظيم، فيطلب المنافقون من أهل الإيمان أن ينتظروهم ليستضيئوا بنورهم، وهناك يخدعون، كما كانوا يخدعون المؤمنين في الدنيا، ويقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وبذلك يعود المنافقون إلى الوراء، ويتقدم المؤمنون إلى الأمام، فإذا تمايز الفريقان، ضرب الله بينهم بسور له باب[5] باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وهو النار، ويكون مصير المؤمنين والمؤمنات الجنة، ومصير المنافقين والمنافقات النار، فيهلكوا فيها[6].

فهؤلاء يكون لهم الصراط كحد الموس كما جاء في صفاته، والتي لا يستطيعون معها الثبات عليه، يقول الشيخ المفيد ﷺ(ت٤١٣هـ): (إن المُراد لا يثبُت لكافرٍ قدم على الصِراط من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأَحَد من السيف، وهذا مَثَلٌ مضروب لما يلحق الكافر من الشِدة في عبوره)[7].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، ح ١٩١: ١/ ١٧٧.

(٢) المكدوس أو المكردس: الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي إلى موضع، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦٢/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ١٥٥.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٣١٦.

(٥) قيل إنه سور الأعراف، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: ١٠٦٨، و(يُنظَر) الأسماء والصفات. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق وتعليق وتخريج الأحاديث: عبد الله بن محمد الحاشدي، تقديم: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م: ٢/ ٤٣٧.

(٦) (يُنظَر) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٦٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٠٠، والقيامة الكبرى: ٢٧٢.

(٧) تصحيح الإعتقادات: ١٠٩، ١١٠.



٣ – الصنف الثالث: المتوسط بينهما يُصاب ثم ينجو.

ويتجلى في هذا الصنف مقصد العدالة الإلهية أيضاً، فضلاً عن مقاصد التربية والتطهير حتى تناله الرحمة الإلهية مما يجده في سلوكه الصراط كي يكون أهلاً لدخوله الجنة، فقد ذكره النبي ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله في الأحاديث السابقة: (مخدوش مكلَّم) و(مخدوج به) وكقوله في رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري عن النبي ﷺ بقوله: (فمنهُمْ مَنْ يُوبَقُ بعملِهِ، ومنهمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنجُو)[١]، وقوله في رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (ومنهم المُجازى حتى يُنجَّى).

فالناس من هذا الصنف هم الذين اجترحوا السيئات واكتسبوا الخطايا، فتخطفهم الكلاليب، فتجرح أجسادهم، ثم ينجون بفضل رحمة الله تعالى، ثم بما قدموه من طاعات في الحياة الدنيا.

وقوله ﷺ: (مخدوش مكلم) قال الكرماني رحمه الله (ت٢٨٠هـ): (مخدوش: أي مخموش ممزوق، وهو من الخمش وهو تمزيق الوجه بالأظافير)[٢]، وقال ابن الأثير رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (خدش الجلد: قشره بعود أو نحوه)[٣]، وقوله (مكلم) من الكلم وهو الجرح، (مخدوج به) من الخداج وهو النقصان كما قال ابن الأثير رحمه الله في (النهاية): قلت: والمعنى أن كلاليب الصراط تجرحه فتنقص من جسده، وقوله ﷺ: (ومنهم المخردل ثم ينجو) (فهو المرمي المصروع، وقيل: المقطع، تقطعه كلاليب الصراط، يقال: خردلت اللحم: أي فصلت أعضاءه وقطعته)[٤].

فقوله ﷺ: (المجازي حتى ينجى) المجازى: من الجزاء، والمعنى والله أعلم أن ما يحدث له على الصراط من تقطيع وترويع عظيمين إنما هو جزاء له على أعماله الفاسدة، وعلى تقصيره في حق ربه في حياته الدنيا[٥].

كما أوضح ﷺ أن هنالك من يزحف على الصراط زحفاً كما في حديثه ﷺ قال: (تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا)[٦].

أما آخر الناس مروراً على الصراط فهو المسحوب كما في حديثه ﷺ المتقدم، بقوله: (فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، قَالَ: يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجُرُّ رِجْلا وَيُعَلِّقُ رِجْلا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَيَخْلَصُوا)[٧]، وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (حتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا)[٨].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب صفة السجود، جزء من ح ٧٧٣: ١/ ٢٧٧.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/ ٢٠.

(٥) (يُنظَر) صفة الصراط: ٢٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، ح ١٩٥: ١/ ١٨٦.

(٧) (سبق تخريجه).

(٨) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، ح ٧٠٠١: ٦/ ٢٧٠٦.

المقصد الثاني: الرحمة الإلهية في إكرام النبي ﷺ وأمته على الصراط وتجسيد استقامتهم

ورد في الروايات الصحيحة إن النبي ﷺ وأمته أول من يجوز على هذا الصراط، وبناءً على اختلاف مراتب الناس في هذا الجواز، فقد قسمنا هذا المقصد الى فرعين، الأول في مقاصد التكريم الإلهي للنبي ﷺ وأمته في جواز الصراط، والثاني في تجسيد الاستقامة في الحياة الدنيا لأثرها في هذا الجواز وبيان دقتها.

أولاً: مقاصد التكريم الإلهي للنبي ﷺ وأمته وبيان فضلهم

وكما في جميع المواقف يوم القيامة وما يظهره تعالى لنبينا محمد ﷺ من الفضل والتكريم على كافة الخَلق، وكذلك في الصراط، إذ يكون ﷺ هو وأمته أول من يجيزه برحمة الله تعالى وتفضله، إذ قال ﷺ: (وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ)[1] الحديث.

فمما قاله النووي رحمه الله في قوله ﷺ: (فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ)، معناه: يكون أول من يمضي عليه ويقطعه)[2]، ويظهر من ذلك أن أول أتباع الأنبياء مروراً فإنهم أمة محمد ﷺ، وهو إكراماً لهم من الله تعالى، إذ إنهم أول من يجوز الصراط من الأمم، وهو ما يتوضح من الروايات المتقدمة وغيرها، منها ما ورد في رواية أبي هريرة رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: (يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بيْنَ ظَهْرَانَيْ جهَنَّمَ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بأُمَّتِهِ، ولَا يَتَكَلَّمُ يومَئذٍ أحَدٌ إلَّا الرُّسُلُ، وكَلَامُ الرُّسُلِ يومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[3].

كما يتبين من الروايات الشريفة مكان النبي ﷺ في ذلك الموقف العصيب إلى أن تمر أمته كلها ـ وهو على الصراط، وذلك لقوله ﷺ فيما بعد أن ذكر صفات الذين يمرون على الصراط: (ونَبِيُّكُمْ قائِمٌ علَى الصِّراطِ يقولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[4].

وكذلك الأنبياء والملائكة عليهم السلام على الصراط يدعون سلامة المؤمنين من الهلاك، كما في رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ بِنَاحِيَتَيْهِ قَوْلُهُمْ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[5]، وما ورد في قوله ﷺ: (يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ) فذكر الصراط، قال ﷺ: (بِجَنْبَتَيْهِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[6].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، جزء من ح ١٨٢: ١/ ١٦٥.

(٢) (يُنظَر) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٣/٢٠، ٢١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب فضل السجود، ح ٧٧٣: ١/ ٢٧٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، ح ١٩٥: ١/ ١٨٦.

(٥) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، ح ١١١٤٣: ٣/ ١٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٦) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، جزء من ح ١١٢١٧: ٣/ ٢٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح على شرط مسلم.

بل وحتى المسلمين على الصراط يكون شعارهم ودعواهم السلامة من هذا الموقف، وهو ما ورد في قوله ﷺ: (شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم)[1].

وكل من يقف على جنبتي الصراط إنما ليدعو لمن يجوزونه من المؤمنين بالسلامة من هول الموقف ومن الوقوع في جهنم، فيشاركون المسلمين في هذا الدعاء والنداء (اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم)، وكما ثبُت من الروايات أن الملائكة والأنبياء، يكونون بناحيتيه، ونبينا ﷺ قائمٌ عليه يدعو لأمته ليكون أول من يجوز بها الى جنات النعيم.

ثانياً: مقاصد تجسيد الاستقامة في الحياة الدنيا وتأثيرها في جواز الصراط

من المقاصد التي نستنبطها مما ورد في الصراط وصفاته أنه لا يتوقف فقط على الجسر الممدود على متن جهنم وصعوبة اجتيازه الى الجنة، بل إنَّ له مقصداً مهماً في تجسيد استقامة الخَلق على الطريق الحَق الذي يرتضيه الله تعالى لعباده في الدنيا قبل الآخرة.

ذلك لأن نجاة أمته ﷺ لن تكون شاملةً للجميع من أول الأمر، بل إنها تكون بحسب ما تجسدَ في العباد من الاستقامة والدين الحق في الحياة الدنيا فتكون سرعة مرورهم تكريماً لهم من الله تعالى، لأن هذا الصراط إنما هو تجسيد لمعنى الصراط الذي ألزم به عباده في الدنيا، فمن عبد الله حق عبادته وإن تضايق عليه العيش والحياة فلا يخرج عن صراط الله تعالى ومنهجه الذي أمر باتباعه، اتسع أمامه الصراط الممتد على متن جهنم، ليكون من الذين أكرمهم تعالى ويجوزونه مع نبيهم ﷺ، ومن أضر بنفسه وأهلكها بالمعاصي والذنوب، فتجاوز حدود الله تعالى وأحكامه ضاق عليه ذلك الصراط غداً[2].

وقد ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام في الصراط قوله: (الصراط المستقيم صراطان، صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصُر من الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام، فلم يعدل الى شيء من الباطل، والطريق الآخر فهو طريق المؤمنين الى الجنة، الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة الى النار، ولا الى غير النار سوى الجنة)[3].

لذلك عبَّر المحققون من العلماء بمثل هذه التعبيرات، ومنهم السيد الشيرازي رحمه الله (ت ١٠٥٠هـ) في كتابه المظاهر الإلهية بقوله: (الصراط طريق الحق ودين التوحيد، الذي لجميع الأنبياء والرسل ومتابعيهم، والصراط المستقيم الذي إذا سلكتَ أوصلك الى الجنة، هو صورة الهدى الذي أنشأته لنفسك ما دمت في عالم الطبيعة من الأعمال القلبية، فهو في هذه الدار كسائر المعاني الغائبة عن الحواس، لا يُشاهَد له صورةً حسية، فإذا انكشف غطاء

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، سورة مريم، ح ٣٤٨٠، ٢/٤٤٣، وقال الحاكم حديث صحيح، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) (يُنظَر) كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، و دار الفكر، دمشق سوريا، تصوير عن الطبعة الثامنة ١٩٨٢م، في ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م: ٣٥٤.

(٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ح ٢٠: ٤٤.



الطبيعة بالموت، يُمَد لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنم، أوله في الموقف، وآخره على باب الجنة)[1].

كما يصف هذا الصراط الشيخ الالوسي رحمه الله (ت١٢٧٠هـ) حيث يقول في تفسيره روح المعاني: (إن الصراط المستقيم يتنوع إلى عام للناس وخاص بخواصهم، والكل منهما صراط المنعم عليهم على اختلاف درجاتهم فالأول جسر بين العبد وبين الله سبحانه ممدود على متن جهنم الكفر والفسق والجهل والبدع والأهواء، وهو الاستقامة على ما ورد به الشرع الشريف القويم علماً وعملاً وخلقاً وحالاً، وهو الذي يظهر في الآخرة على متن جهنم الجزاء ممثلاً مصوراً بالتمثيل الرباني والتصوير الإلهي على حسب ما عليه العبد اليوم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[2].

وكذلك الحال بالنسبة لجميع المسلمين، فإنهم بقدر إيمانهم واستقامتهم في الحياة الدنيا يكون سيرهم على هذا الصراط وتجاوزهم له، ويبين السيد كمال الحيدري معنى الصراط في القرآن الكريم بقوله (ويوضح القرآن الكريم المعنى الحقيقي للصراط المستقيم، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]، فالصراط المستقيم وفقاً لهذه الآية هو التوحيد والدين الابراهيمي، والحنيفية الابراهيمية، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[4]، وبهذا يتضح إن القرآن الكريم لا يريد من الصراط المستقيم قطعة من المكان أو مسافة مكانية ننتقل عبرها من نقطة الى أخرى بقطع مسافة معينة)[5]، إنما ذكره تعالى تذكيراً للعباد لما يجازيهم بهم إن ابتعدوا عن هذه القيم الدينية، وترغيباً لهم للقيام بما ينجيهم من الوقوع عنه.

وقد ربط الدكتور نورالدين أبولحية بين الانحراف في صراط الدنيا متمثلاً في الدين والقيم الإسلامية وعلاقته بالانحراف عن صراط الآخرة بقوله: (إن أي انحراف عن الدين، والقيم النبيلة التي جاء بها ستكون سبباً في منع المار على الصراط من الاستمرار في سيره، الذي يرحل به إلى الجنة، ذلك أن الجنة لا يكفي لدخولها مجرد حصول الشخص على حسنات كثيرة، بل تقتضي كذلك الطهارة والطيبة، ولهذا ورد في النصوص الكريمة الإخبار بأن الجنة لا يدخلها، بل لا يشم ريحها من لم تتوفر فيه الطيبة الكافية، والفطرة الأصيلة، كما قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[6])[7].

---

(١) المظاهر الإلهية ـ صدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠)، تحقيق: الأستاذ جلال الدين الآشتياني، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط٣، ١٤٢٩هـ: ٤/ ١٥٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١/٩٢، ٩٣.

(٣) [سورة الأنعام: الآية ١٦١].

(٤) [سورة آل عمران: الآية ٥١].

(٥) المعاد ـ رؤية قرآنية: ١/ ٣٢١.

(٦) [سورة الزمر: الآية ٧٣].

(٧) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٣٩٤.

لذلك كان بيان شمولية الورود على جهنم في الآية الكريمة وفي الإخبار عنه ﷺ مدعاةً لتذكير الإنسان نفسه بصعوبة الحصول على تمام الاستقامة التي تنجيهم من هذا الورود، والذي لطالما قد تفكر عباد الله الصالحين فيه.

المقصد الثالث: توافق الصراط مع القدرة الإلهية والتكليف في الآخرة وتطهير المؤمنين لدخولهم الجنة

الصراط حق، وهو ممر جميع الخلق، فهو طريق أهل الجنة وأهل النار، وأنه يتسع لأهل الجنة ويتسهل سلوكه لهم، ويضيق على أهل النار ويشق سلوكه حتى يتعثروا، ولا يكونَ شاقاً على الجميع[1]، إلا أنه نظراً لما وردَ من صفاته وما فيه من عقبات، فقد أُشكل عليه في كونه قد لا يتوافق مع التكليف في الآخرة، أو أن ما ورد فيه من الصعوبات في اجتيازه قد يخلو من الهدف والحكمة، وبناءً على ذلك فقد قسَّمنا هذا المقصد الى فرعين، الأول في توافقه مع عدالة الله تعالى والتكليف في الآخرة، والثاني في دوره في تطهير المؤمنين لتأهيلهم لدخول الجنان، وكما سيأتي بيانه.

أولاً: مقاصد توافق الصراط مع القدرة الإلهية والتكليف في الآخرة

قال أبو الصلاح الحلبي[2] (ت٤٤٧هـ) في الكافي فيمن يعترض على وجود الصراط لعدم وجود التكليف في الآخرة بقوله: (وإن قيل ما معنى الصراط وأنتم لا تجيزون التكليف في الآخرة؟ قيل: يحتمل أحد أمرين: أحدهما أن يكون المراد به طريق الجنة والنار فأما أهل الجنة فيتسع لهم مسلكه مقترناً بتعظيم الملائكة وتبشيرهم بالثواب فيكون ذلك قسطاً من ثوابهم، وأما أهل النار فيضيق عليهم مسلكه ويصعب عليهم قطعه مقترناً بإهانة الزبانية واستحقاقهم وسحبهم على وجوههم إلى النار فيكون ذلك قسطاً من عذابهم.

والذي يقتضيه الظاهر كونه طريقاً لأهل الجنة خاصة؛ لأن كل موضوع ذكر سبحانه فيه الصراط وصفه بالاستقامة ومدح سالكه، فمنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[4]، وأمثال ذلك، وهذا الظاهر مانع من كونه، وقد سمى الله تعالى برهان الحق صراطاً، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

---

(١) (ينظر) الذخيرة في علم الكلام: ٥٣٢، أوائل المقالات: ٨٩، الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد: ٢٢٢، شرح الباب الحادي عشر: ٢١٢.

(٢) أبو الصلاح تقي الدين بن نجم التقي الحلبي، نسبةً إلى مدرينة حلب، وإذا أطلِق هذا اللقب عند الفقهاء فإنه المراد منه، نُعِت بخليفة المرتضى في علومه، كونه أحد تلاميذه المبرزين، عالم فقيه، متكلم ومحدث، له المصنفات الكثيرة المشهورة في الأصول والفروع، منها: [البرهان على ثبوت الإيمان]، و[التلخيص في الفروع]، و[دفع شبه الملاحدة]، و[الكافي]، و[تقريب المعارف]، وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٤٤٧هـ). (يُنظَر) رياض العلماء وحياض الفضلاء – الميرزا عبد الله افندي الاصبهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: السيد احمد الحسيني، مطبعة الخيام. قم ١٤٠١هـ: ١/ ٩٩، ومعجم طبقات المتكلمين: ٢/ ١٩٧، وترجمته في تقريب المعارف. الإمام الفقيه أبو الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي (ت٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، الناشر: فارس تبريزيان، ١٤١٧هـ: ٤٠ ـ ٤٤.

(٣) [سورة الملك: الآية ٢٢].

(٤) [سورة الفاتحة: الآيتان ٦، ٧].

(٥) [سورة الأنعام: الآية ١٥٣].



مُسْتَقِيمٍ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾[(٢)]، فذكر الصراط هاهنا لا يحتمل الا برهان الحق الذي يُعبَد به سبحانه)[(٣)].

أما توافقه مع القدرة الإلهية، فإنه يتبين من خلال مناقشة ثبوت الصراط عند جميع المسلمين، حيث أنكرَ المعتزلةُ صفته من انه ادق من الشعرة وأَحدُّ من السيف[(٤)]، وقد استدلوا على ذلك بأدلة عقلية، ذكرها وردودها علماء عدة، كالغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد، والجويني في الارشاد والقرطبي في التذكرة، منها:

آ ـ قالوا: من أثبته انه ادق من الشعر وأحد من السيف وعلى تقدير كونه كذلك لا يمكن عقلاً العبور عليه وإن أمكن العبور لا يمكن إلا مع مشقة عظيمة، ففيه تعذيب للمؤمنين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة، فعبر عنه بالطريق، قالوا: وإنما قلنا بذلك لأن تلك الدار ليست هي بدار تكليف، حتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة ايضاً، فقد ذكرنا ان الصراط هو الطريق، وما وصفوه ليس من الطريق بسبيل[(٥)].

أما جواب العلماء على ذلك: فإن كان هذا السؤال صادراً ممن ينكر قدرة الله تعالى، فإن الكلام حول إثبات قدرته تعالى المُطلقة قد فُرِغ منه في إثبات صفات الله تعالى والأدلة عليها.

وان كان هذا السؤال صادراً من معترف بقدرة الله، فإن الجواب يكون: بأن المشي على الصراط ليس بأعجب من المشي في الهواء أو على الماء، والله تعالى قادر على خلق قدرة للإنسان على اجتياز الصراط، أو المشي على الماء والهواء، ولا يخلق في ذات الإنسان هوياً أو سقوطاً الى الاسفل، ولا يخلق في الهواء اعرافاً وخللاً فإذا أمكن هذا في الهواء، فالصراط أثبت من الهواء بكل حال[(٦)].

ثم ان الله تعالى قادر على ان يُمكن من العبور عليه، ويسهله على المؤمنين بحيث لا يلحقهم تعب ولا نصب، حتى أن منهم من يجوزه كالبرق، ومنهم كالريح الهابة، ومنهم كالجواد، ومنهم من تجوزه رجلاه وتعلق يداه الى غير ذلك[(٧)].

٢ـ كما ذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي قول مشايخه من (ان الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات

(١) [سورة المؤمنون: الآية ٧٣].

(٢) [سورة الأنعام: ١٢٦].

(٣) الكافي في الفقه ـ أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧هـ): تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الامام امير المؤمنين عليه السلام العامة، قم ـ ايران (د ط): ٤٥٣.

(٤) مع إنهم أثبتوا كونه طريقاً بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور إليه، إلا إنهم خالفوا في صفته كونه أد من الشعر وأحدُّ من السيف (يُنظَر) شرح الأصول الخمسة: ٧٣٧.

(٥) (يُنظَر) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبي القاسم البلخي (ت٣١٠هـ)، والقاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)، والحاكم الجشمي (ت٤٩٤هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية ـ تونس، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٤م: ٢٠٥، وشرح الاصول الخمسة: ٧٣٧، ٧٣٨، والمواقف: ٥٢٣/٣.

(٦) قواعد العقائد ـ نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني، مطبعة الأمير ـ قم ١٤١٦هـ: ٢٢٤، و(يُنظَر) الإرشاد: ٣٨٠، الإقتصاد في الإعتقاد: ١٥٩، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٧٥٨.

(٧) (يُنظَر) المواقف: ٥٢٣/٣.



التي من تمسك بها نجا وأفضى الى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار)[1]

وقد ردَّ على ذلك بقوله: (وذلك مما لا وجه له؛ لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره، وقد كررنا القول في أنَّ كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته، فذلك هو الواجب دون أن يُصرَف عنه الى المجاز)[2]، وكل ما ورد من النصوص في الصراط، فإن ظاهرها يؤيد أنه طريق على متن جهنم يصل به المؤمنون الى الجنّة وتزل به أقدام أهل النار.

ثانياً: مقاصد الصراط في تطهير المؤمنين لدخولهم الجنة

ويتمثل هذا المقصد في حتمية مرور جميع الخَلق على الصراط الذي ورد في القرآن الكريم حسب رأي أكثر العلماء[3] في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[4].

فيقول الطوسي رحمه الله(ت٤٦٠هـ): (يقول الله تعالى للمكلفين انه ليس منكم أحد إلا وهو يرد جهنم، فان الكناية في قوله تعالى ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ راجعة إلى جهنم بلا خلاف. لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[5]، يعني في جهنم)[6].

وقال الطبرسي رحمه الله (ت ٥٤٨هـ) (أن ورودها هو الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها. والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[7])، ثم يقول: (فلم يقل تعالى وندخل الظالمين، وإنما قال (نَذَرُ) ونترك للشيء الذي قد حصل في مكانه، ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ المراد به منهم (المشركين فقط). وقال الأكثرون إنه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر ولا فاجر إلا ويدخلها فيكون برداً وسلاماً على المؤمنين، وعذاباً لازماً للكافرين)[8].

وقد ذكر الرازي رحمه الله (ت ٦٠٦هـ) إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار[9]، لأن ابعادهم المذكور في الآية يدل

---

(١) شرح الاصول الخمسة: ٧٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧٣٨، و(يُنظَر) هداية المريد لشرح جوهرة التوحيد، للإمام العلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (ت١٠٤١هـ)، حققه وضبط حواشيه: مروان حسين عبد الصالحين البجاوي، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الاولى١٤٣٠هـ. ٢٠٠٨ م: ١٠٩٦/٢.

(٣) الإنصاف ـ القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت٤٠٣هـ)، تحقيق وتعليق: الامام محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ المكتبة الأزهرية للتراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م: ٤٩، و(يُنظَر) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ١٤٢، وتفسير مجمع البيان للطبرسي: ٦/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٢٧.

(٤) [سورة مريم: من الآية ٧١].

(٥) [سورة مريم: من الآية ٧١].

(٦) (ينظَر) التبيان في تفسير القرآن: ١٤١/٧، والاعتقادات في دين الإمامية: ٧٠.

(٧) [سورة الأنبياء: الآية ١٠١].

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٣٨، ٣٣٩، و(يُنظَر) تفسير مفاتيح الغيب: ٢١/ ٥٥٧.

(٩) (يُنظَر) مفاتيح الغيب: ٥٥٧/٢١.



على عدم دخولهم فيها[١]، كما قال ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) إنَّ (ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين: أن يدخلوها)[٢].

واستندَ أكثرهم في قولهم هذا على ما قاله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : إن ورودهم هو جوازهم على الصراط[٣]، لما رواه عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قوله: (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْعِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرِّحَالِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِمْ)[٤]، كما روى عن الحسن وقتادة نحو ذلك[٥].

ويدل عليه أيضاً ما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)، قِيلَ: يا رسول الله، وما الجسر؟ قَالَ ﷺ: (دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)[٦].

ومسالك الناس على الصراط في سرعة الجريان والمرور على حسب مقاماتهم وعلى قدر أعمالهم، فمنهم من يمر (كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ) في بيان السرعة، (وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ): هي جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الفارس السابق الجيد، فجواد نعت من جاد إذا أسرع في السير، و(الرِّكَابِ) بكسر الراء عطف على الخيل، والمراد بها الإبل، ولا واحد له من لفظه، (نَاجٍ): الفاء للتفريغ أو التفضيل، وقد قسم المارة على الصراط بطريق الإجمال على ثلاث فرق، بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل والمعرفة، والمعنى: فمنهم ناج (مُسَلَّمٌ): بتشديد اللام المفتوحة أي: ينجو من العذاب ولا يناله مكروه من ذلك الباب، (وَمَخْدُوشٌ) أي: ومنهم مجروح (مُرْسَلٌ)، (وَمَكْدُوسٌ)، أي مدفوع (فِي نَارِ جَهَنَّمَ): يقال: كدس إذا دفع من ورائه فسقط، وهم الذين لا منجا ولا ملجأ لهم، المقضي بالخلود عليهم[٧].

ذلك إن أي انحراف عن الدين إنما يكون بسبب المعاصي التي يُقدم عليها الإنسان في حياته، فلذلك تكون الصعوبة في سير الإنسان على الصراط سبباً في تطهير الله تعالى له من هذه المعاصي وتربيته له، وتزكيةً لنفسه، كي يكون أهلاً لتطييبه ودخوله الجنة، ولذلك فقد هيأ تعالى لعباده بعظيم لطفه وقدرته المرور عليه وبسرع متفاوتة كلٌ

---

(١) (يُنظَر) اضواء البيان في ايضاح القرآن: ٣/٤٧٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٥/٢٥٦.

(٣) (يُنظَر) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٢٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، ح ٣٤٢١: ٢/ ٤٠٧، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٥) (يُنظَر) اضواء البيان: ٣/٤٨١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، جزء من ح ١٨٣: ١/١٦٧.

(٧) (يُنظَر) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. علي بن سلطان، محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة: ٨/٣٥٥١.

حسب يقينه وإيمانه ونوره وما قدمه من أعمال خلال حياته، فقال ﷺ: (فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)

المقصد الرابع: تربية المؤمنين على صالح الأعمال في الحياة الدنيا

مع كون الصراط وما ورد فيه من العقبات من المواقف الصعبة والكرب الشديدة التي يمر بها الناس يوم القيامة، إلا إنه قد ورَدَ عن النبيﷺ أيضاً التنبيه الى العديد من الأعمال التي من شأنها أن تنفس أو تقلل من شدائد هذه الكرب والأهوال على من قام بها بنفس طيبة مبتغياً رضا الله تعالى ليكون سبباً في نجاته والمرور عليه، ومن هذه الأعمال:

١ـ الإيمان الخالص بالله تعالى، مع كونه من العبادات الواجبة، إلا إننا نستنبط أهميته العظمى من حديثه ﷺ بعد ذكره لأصناف الناس على الصراط في قوله: (فيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بأُمَّتِهِ، ولَا يَتَكَلَّمُ يَومَئذٍ أحَدٌ إلَّا الرُّسُلُ، وكَلَامُ الرُّسُلِ يَومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: فإنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَن يُوبَقُ بعَمَلِهِ، ومِنْهُمْ مَن يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حتَّى إذَا أرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَن أرَادَ مِن أهْلِ النَّارِ، أمَرَ اللَّهُ المَلَائِكَةَ: أنْ يُخْرِجُوا مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فيُخْرِجُونَهُمْ ويَعْرِفُونَهُمْ بآثَارِ السُّجُودِ، وحَرَّمَ اللَّهُ علَى النَّارِ أنْ تَأْكُلَ أثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إلَّا أثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدِ امْتَحَشُوا فيُصَبُّ عليهم مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بيْنَ العِبَادِ)[١].

وكذلك ما ذكره الإمام أحمد، من قولهﷺ: (فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَ: (فَيُخْرَجُونَ) قَالَﷺ: (ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ قِيرَاطٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَﷺ: (فَيُخْرَجُونَ)، قَالَﷺ: (ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَ: (فَيُخْرَجُونَ)[٢].

٢ـ أداء الواجبات والفرائض، حيث جاء في العديد من الروايات والآثار ما يدل على سؤال الإنسان عن أدائه لصلاته وللأمانة وصلته للرحم وغيرها من الواجبات، وأن هذه الأمور ستكون بشكل عقبات تعترضه على الصراط، فإن كان مؤدياً لها وحافظاً لحقوقها سلك صراطه مستقيماً ونال رضاه تعالى عليه.

ففي قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[٣] ومما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الباقر، قوله عليه السلام: (لَمَّا نزلت هذه الآية سُئِلَ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أَخْبَرَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ أَنَّ اللهَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقَ وجَمَعَ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ أُتِيَ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِأَلْفِ زِمَامٍ أَخَذَ بِكُلِّ زِمَامٍ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ مِنَ الْغِلَاظِ الشِّدَادِ ولَهَا هَدَّةٌ وتَحَطُّمٌ وزَفِيرٌ وشَهِيقٌ وإِنَّهَا لَتَزْفِرُ الزَّفْرَةَ فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَخَّرَهَا إِلَى الْحِسَابِ لَأَهْلَكَتِ الْجَمِيعَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا عُنُقٌ يُحِيطُ

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب فضل السجود، ح ٧٧٣: ١/ ٢٧٧

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ح ١١١٤٣: ٣/ ١٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن.

(٣) [سورة الفجر: من الآية ٢٣].



بِالْخَلَائِقِ الْبَرِّ مِنْهُمْ والْفَاجِرِ فَمَا خَلَقَ اللهُ عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ مَلَكٍ ولَا نَبِيٍّ إِلَّا ويُنَادِي يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي وأَنْتَ تَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ثُمَّ يُوضَعُ عَلَيْهَا صِرَاطٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ عَلَيْهِ ثَلَاثُ قَنَاطِرَ الْأُولَى عَلَيْهَا الْأَمَانَةُ والرَّحْمَةُ والثَّانِيَةُ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ والثَّالِثَةُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ فَيُكَلَّفُونَ الْمَمَرَّ عَلَيْهَا فَتَحْبِسُهُمُ الرَّحْمَةُ والْأَمَانَةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا حَبَسَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا كَانَ الْمُنْتَهَى إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ ذِكْرُهُ وهُو قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾)[1] الحديث، ويذكر الشيخ الصدوق رحمه الله إن المرصاد هو اسم عقبة من عقبات الصراط[2].

ومما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (حَافَتَا الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّحِمُ والْأَمَانَةُ فَإِذَا مَرَّ الْوَصُولُ لِلرَّحِمِ الْمُؤَدِّي لِلْأَمَانَةِ نَفَذَ إِلَى الْجَنَّةِ وإِذَا مَرَّ الْخَائِنُ لِلْأَمَانَةِ الْقَطُوعُ لِلرَّحِمِ لَمْ يَنْفَعْهُ مَعَهُمَا عَمَلٌ وتَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ فِي النَّارِ)[3].

ويدل عليه أيضاً حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله عندما ذكرا ذهاب الناس إلى آدم، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد عليهم السلام، ثم يقول صلى الله عليه وآله: (وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا)[4].

وهذه الروايات وغيرها مما يبين ويؤكد أهميتها، والظاهر والراجح أنهما تقومان كشيئين، ولا يعلم حقيقتهما إلا الله عز وجل، وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ) المعنى بأن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل[5].

٣ـ الابتعاد عن ظلم العباد، وقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رجل: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ ـ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا) قَالَ رضي الله عنه: قلنا: وما بُهما؟ قَالَ: (لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ) قَالَ رضي الله عنه: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عزَّ وجل عُراةً غرلاً بُهماً؟ قَالَ صلى الله عليه وآله: (بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)[6].

وجاء في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام قوله: (ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهوله بالمرصاد على

---

(١) روضة الكافي، باب النهي عن تفسير القرآن مع الجهل فيه، ح٤٨٦: ٨/ ٢٤٦، بحار الأنوار: باب اثبات الحشر وكيفيته، ح٤، ٧/ ٢٤.

(٢) الاعتقادات: ٧٢.

(٣) الكافي للكليني، كتاب الايمان والكفر، باب صلة الرحم، ح ١١: ٢/ ١٥٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، جزء من ح ١٩٥: ١/ ١٨٦.

(٥) (يُنظَر) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٥٣.

(٦) مسند الامام أحمد، مسند المكيين، حديث عبد الله بن أنيس، ح ١٦٠٨٥: ٣/ ٤٩٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساغ ريقه)[1].

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (المرصاد قنطرةٌ على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد)، وقال عطاء: (يعني يجازي كل واحدٍ، وينتصف من الظالم للمظلوم)[2].

٤ـ الملكات الطيبة والطاعات، فمما وردَ أن للملكات الطيبة التي امتلكها الإنسان في الدنيا أثرها في تخفيف العقوبات عنه، أو في نجاته منها، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ورأيتُ رجلًا من أمَّتي قائمًا على الصِّراطِ يرعَدُ كما ترعَدُ السَّعْفَةُ في ريحٍ عاصفٍ فجاءه حُسنُ ظنِّه باللهِ عزَّ وجلَّ فسكَّن رَعدتَه ومضَى ورأيتُ رجلًا من أمَّتي يزحَفُ على الصِّراطِ ويحبو أحيانًا ويتعلَّقُ أحيانًا فجاءته صلاتُه عليَّ فأنقذته وأقامته على قدمَيْه)[3].

ومنها الذهاب الى المساجد، لما رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وهو يقول لابنه: يا بني، ليكن المسجد بيتك، فإن المساجد بيوت المتقين، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مَنْ يَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ ضَمِنَ اللهُ لَهُ الرَّوْحَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ)[4].

٥ ـ قضاء حاجات المؤمنين وسلوك طريق العلم ـ حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)[5]، وقوله: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)[6].

ومن ذلك تيسير الإنسان ما عسر على غيره، مما روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (مَنْ كَانَ وُصْلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغِ بِرٍّ أَوْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ أَجَازَهُ اللهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةَ عِنْدَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ)[7].

ويتبين لنا بعد دراستنا للمقاصد العقدية من الايمان بالصراط يوم القيامة بأن أولها ما يحقق مقاصد العدالة الإلهية في جميع مواقف القيامة، فضلاً عن تكريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، كذلك من مقاصده ما يتعلق بتثبيت عقيدة هذه

---

(١) (مجاز طريقه) أي مسلكه وموضع جوازه. والشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. ومساغ ريقه: ممره، نهج البلاغة، الخطبة ٩٧: ١/ ١٦٨.

(٢) الاعتقادات: ٧٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧١/١٠، و(ينظَر) عقود المرجان في تفسير القرآن ـ السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ـ قم، الطبعة الأُولى: ١٣٨٨هـ: ٤١٧/٥.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٠١.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني، باب الميم، ح٧١٤٩: ٧/ ١٥٨، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد إلا عمرو بن جرير.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الدعاء والذكر والتوبة والاستغفار، ح ٢٦٩٩: ٤/ ٢٠٧٤.

(٦) المصدر نفسه، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، ح ١٥٦٣: ٣/ ١١٩٦.

(٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، فصل من البر والإحسان، ذكر إجارة الله جلَّ وعلا على الصراط من كان وصلةً لأخيه المسلم، ح ٥٣٠: ٢/ ٢٨٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً، إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، ووثقه ابن حبان ٧٩/٨.

المسألة في النفس المسلمة وتأثيرها عليها في ترقي السلوك الإنساني بالتقرب الى الله تعالى بصالح الأعمال وسلوك طريق الاستقامة والتقوى لأجل تطهير الإنسان من الذنوب، فضلاً عن تربيته وترقيته لأجل الحصول على أعلى مراتب النجاة من ذلك الموقف.

فشتان الأمر بين التكريم بالمرور كالبرق والأنوار التي تسعى بين الأيدي، وبين المرور زحفاً أو الوقوع في دركات الجحيم والعياذ بالله تعالى، وقد رسم هذه الصورة الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) في الإحياء بقوله (فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى، فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلِّفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعتَ عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون،. فكيف بك لو زلَّت قدمك ولم ينفعك ندمك، فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فـ﴿يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[1]، و﴿يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[2])[3]

(١) [سورة الفجر: الآية ٢].

(٢) [سورة الفرقان: من الآية ٢٧]

(٣) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٢٥.

المبحث الثالث: الحوض والشفاعة ومقاصدهما العقدية

سأتناول في هذا المبحث المقاصد العقدية بما يتعلق بالكرامات الإلهية في الموقف، وما يميز به تعالى أنبياءه وأولياءه الصالحين يوم القيامة، ومن خلال ما ورد في ذلك من النصوص الكريمة وتفاسيرها وشروح الحديث الشريف، فقد وجدنا أنَّ الأنسبَ تقسيم هذا المبحث الى مطلبين، هما:

المطلب الأول: الحوض ومقاصده العقدية.

المطلب الثاني: الشفاعة ومقاصدها العقدية.

وقدمتُ في كل مطلب بتمهيد عام فيه، ثم أذكر ما ورد في النصوص الكريمة من المقاصد.

المطلب الأول: الحوض ومقاصده العقدية

ومن موارد الكرامات الإلهية في يوم القيامة، أنَّ العباد وبعدما يروا أعمالهم وعواقبها من خيرٍ أو شَر، وهم يومئذٍ فزِعون، يؤمِّن تعالى أولياءه المؤمنين ويكرمهم ليروي ظمأهم من حوض نبيه ﷺ.

وقد رأينا من خلال استقرائنا لما ورد في النصوص الكريمة، وكلام العلماء حول مسألة الإيمان بالحوض، أنه يمكن تصنيفها إلى مقاصد عقدية أربعة، هي:

المقصد الأول: تكريم الله تعالى للنبي ﷺ بالكوثر والحوض

المقصد الثاني: تكريم الله تعالى للمؤمنين الصادقين

المقصد الثالث: إذلال الله تعالى المغيرين والمبدلين للدين.

المقصد الرابع: مكان الحوض بالنسبة للصراط إنما هو لري المؤمنين بعدما يرَوه من الفزع والأهوال

وقد خصصنا كل مقصد منها بفرع خاص، وقدمنا لذلك بتمهيد في الحوض لغة واصطلاحاً، وصفته.

تمهيد: مفهوم الحوض وصفته

الحوض لغةً:

عرَّفه الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ): (الحوضُ معروفٌ، والجمعُ حياضٌ وأحواض)[١]، وقال أبوبكر الأزدي رحمه الله (ت٣٢١هـ): (الحوض: مَعْرُوف وأصل اشتقاقه من حِضْت المَاء أحوضه حوضاً إِذا جمعته)[٢].

وقال ابن فارس رحمه الله (ت٣٩٥هـ): (الحاء والواو والضاد كلمة واحدة، وهو الهزمُ في الأرضِ، فالحوض حَوضُ الماء - واستحوض الماء: إتخذ لنفسهِ حوضاً، والمِحوض، كالحوض يُجعل للنخلة تشرب منه)[٣].

---

(١) العين، باب الحاء: ١/ ٣٧٣.

(٢) جمهرة اللغة، حرف الحاء وأبوابه، باب الحاء والضاد وما بعدهما من الحروف، مادة (ح ض و): ١/٥٤٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، كتاب الحاء،، باب الحاء والواو وما معهما من الحروف في الثلاثي، مادة (حوض): ٢/ ١٢٠.



وعرَّفه به ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ) في لسان العرب بقوله: (من حاضَ الماء وغيرَه حَوضاً وحَوَّضَه حاطَه وجَمَعَه، وحُضْتُ أَحُوضُ اتخذْتُ حَوْضاً واسْتَحْوَض الماءُ اجتمع، والحَوْضُ مُجْتمعُ الماء معروف، وحَوْضُ الرسول ﷺ الذي يَسْقي منه أُمَّته يوم القيامة)(١).

وذكر أحمد بن محمد الفيومي(٢) رحمه الله (ت نحو٧٧٠هـ) في المصباح المنير إن أصل حياض الواو لكن قلبت ياء لكسر ما قبلها(٣).

الحوض اصطلاحاً:

ذكر الباجوري(٤) رحمه الله (١٢٧٧هـ) في شرح جوهرة التوحيد في تعريف الحوض أنَّه (جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهي الأرض البيضاء كالفضة، مَن شرِب منه لا يظمأ أبداً، ترده هذه الأمة)(٥)، وهذا الحوض هو الحوض الذي أخبر به الرسول ﷺ والذي تفضل الله به على نبيه وجعله غياثاً لأمته(٦).

وهو مورد كريم، يصله الماء من نهر الكوثر، الذى هو أحد أنهار الجنة، وماؤُه اشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك. والحوض متسع جداً، عرضه وطوله سواء، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، ويشرب منه المؤمنون، ويكون سيدنا محمد ﷺ هو الساقي لهم.

وبناء على هذا كان الايمان بالحوض من العقائد المتفق عليها بين جميع المسلمين، وهوحق واجب، يُفَسَّق جاحده(٧)، لكثرة الأحاديث الواردة فيه والتي بلغت مبلغ التواتر والتي رواها بضع وثلاثون صحابياً(٨)، وقيل رواها بضعة وخمسين صحابياً منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم(٩)، أما عن طريق ثبوته فلم يثبت في القرآن إلا احتمالاً، وهو قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، وفيه خلاف والمراد الأكثر منه انه الخير

---

(١) لسان العرب، حرف الضاد، فصل الحاء المهملة: ٧/ ١٤١.

(٢) أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي نشأ بالفيوم واشتغل ومهر وتميز وجمع في العربية عند أبي حيان ثم ارتحل إلى حماة فقطنها ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابتها وكان فاضلا عارفا باللغة والفقه صنف في ذلك كتابا سماه المصباح المنير في غريب الشرح الكبير وهو كثير الفائدة حسن الإيراد وقد نقل غالبه ولده في كتاب تهذيب المطالع وكأنه عاش إلى بعد سنة ٧٧٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١/ ٣٧٢.

(٣) (يُنظَر) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١٥٦/١.

(٤) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها [حاشية على مختصر السنوسي]، و[لتحفة الخيرية]، و[تحفة المريد على جوهرة التوحيد]، و[تحقيق المقام]، و[حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي]، و[الدرر الحسان]، وغير ذلك. تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة ١٢٧٧. (يُنظر) الأعلام للزركلي: ١/ ٧١.

(٥) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: ٣٠٢، و(يُنظَر) عون المريد: ١١١٩/٢.

(٦) (يُنظَر) الايمان اركانه، حقيقته، نواقضه، الدكتور محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب ـ الاسكندرية، (د.ط): ٦٧.

(٧) (يُنظَر) الاقتصاد في الاعتقاد، وشرح العقيدة النسفية: ١٤٧.

(٨) (يُنظَر) شرح العقيدة الطحاوية: ٢٢٧.

(٩) (يُنظَر) لوامع الأنوار البهية: ١٩٤/٢، ١٩٥.



الكثير[١]، وثبُت في السنة النبوية ومنه قوله ﷺ: (إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ)[٢]، وقوله ﷺ: (إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا)[٣]

فقوله (إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ) والفرط بفتح الراء وهو الذي يتقدم الواردة ليصلح لهم الحياض والدلاء، ومعنى فرطكم على الحوض أني سابقكم إليه[٤]، وقولهﷺ: (وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ) والمراد بالنظر هنا أي نظراً حقيقياً او بطريق الكشف[٥]، ففي الحديث دلالة على إثبات الحوض وأنه حوض حقيقي مخلوق موجود اليوم[٦].

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ت٢٤١هـ): (ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها. والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته.)[٧].

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله (ت ٣٢٤هـ): (وأجمعوا. على أن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه))[٨].

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله (ت٣٨١هـ): (حوض النبي محمد ﷺ حَق، عرضه ما بين أَيلة[٩] وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، من شرِب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً)[١٠].

والإيمان بالحوض كالإيمان بالصحف والميزان والصراط، وكل هذه الأمور من مجوزات العقل، إذ ليس في شيء منها استحالة والسمع قد ورد بجميع ذلك فقد وردت الأخبار عن رسول اللهﷺ بصفة الصراط وبالحوض وصفته فوجب الإيمان بجميعه[١١].

---

(١) (يُنظَر) هداية المريد شرح جوهرة التوحيد: ٢/١١٢٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢٠٥: ٥/٢٤٠٤، وصحيح مسلم، ح٢٢٨٩: ٤/١٧٩٢.

(٣) المصدر نفسه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح ٣٤٠١: ٣/١٣١٧.

(٤) (يُنظَر) الكواكب الدراري: ٧/١٢٣، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٥/٥٣.

(٥) (يُنظَر) إرشاد الساري: ٢/٤٤٠.

(٦) (يُنظر) الكواكب الدراري: ٧/١٢٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٣/ ٤٠.

(٧) شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة، للألكائي: ١/ ١٧٥.

(٨) رسالة إلى أهل الثغر ـ علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو موسى الأشعري (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م: ٢٨٩.

(٩) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، معجم البلدان: ١/٢٩٢.

(١٠) (يُنظَر) الإعتقادات في دين الإمامية: ٦٥، الدر الثمين: ٧٣، ٧٤، والعقائد الحقة: ٤٤٨.

(١١) الغنية في أصول الدين ـ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م: ١٦٦.

صفة الحوض

يتجلى مقصد القدرة الإلهية وعظمتها واضحاً في جميع أهوال الموقف، وكذلك حين استقرائنا لما ورد في حوضه ﷺ بما اتصف به ماءه، وسعته، وآنيته، فهو (من خصائص النبيﷺ يوم القيامة التي اختصه بها الله تعالى أن أعطاه حوضاً واسع الأطراف، ماء هذا الحوض أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك، وأكوابه كنجوم السماء؛ لما صحَّ عن النبي ﷺ من أقوالٍ في وصفه)[1]؛ حيث يدعو التفكر في هذه الأوصاف الى ما وسعته قدرة الله تعالى في خلقِه، ونِعَمه على أهل الموقف، وكذلك ترغيباً للأمة في بذل الأسباب الموجبة لوروده والشرب منه.

وقد تحدث ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر في سعته الفاظاً مختلفة مخاطباً لكل فئة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام إنه ما بين أذرخ وجربا، ولأهل اليمن: من صنعاء الى عدن، وهكذا، وتارة يقدر بالزمان فيقول ﷺ: مسيرة شهر، والمعنى المقصود إنه حوضٌ كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب ﷺ كل قوم بالجهة التي يعرفونها[2].

ومن هذه الروايات ما وردَ عن أبي حاتم رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال (إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ)، قالوا يا رسولَ اللهِ أتعرفنا يومئذٍ! قالﷺ: (نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ)[3].

ومما ذكره محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه للحديث (إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ) أي بُعد ما بين طَرفي حوضي أزيد من بُعد أيلة من عدن، وهما بلدان ساحليان في بحر القلزم أحدهما وهو أيلة في شمال بلاد العرب والآخر وهو عدن في جنوبها هو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند يصرف بالتذكير ولا يصرف بالتأنيث (وأحلى من العسل باللبن) أي المخلوط به.

وماء حوض نبيا ﷺ (يشخب (يصبُّ) فيه ميزابان من الجنة) كما ورد في قوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ)[4].

ومنها ما أورده البخاري رحمه الله عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال النبي ﷺ (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ

---

(١) معجم ألفاظ العقيدة، حرف الحاء، مادة (الحوض): ١٥٥.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٧٠٦، و(يُنظَر) طرح التثريب في شرح التقريب. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، وأكمله ابنه أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي (ت٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة (دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي): ٣/ ٢٩٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح ٢٤٧: ١/ ٢١٧.

(٤) المصدر نفسه، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ، ح ٢٣٠٠: ٤/ ١٧٩٨.



اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا)(١).

منها حديثه ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ قَدْرَ حَوْضِي كما بيْنَ أَيْلَةَ وصَنْعاءَ مِنَ اليَمَنِ، وإنَّ فيه مِنَ الأباريقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ)(٢)، وقوله ﷺ في حجة الوداع في مسجد الخيف: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ [عَلَيَّ] الْحَوْضَ، حَوْضِي عَرْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَبُصْرَى، وَفِيهِ عَدَدُ النُّجُومِ قِدْحَانٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ)(٣). ومما رأيناه من النصوص الكريمة في الحوض وصفاته وغيرها، نستخلص مقاصدَ عقدية عدة فيه، نجمعها في الفروع التالية، هي:

المقصد الأول: تكريم الله تعالى النبي ﷺ بالكوثر والحوض

ويتجلى هذا المقصد في تخصيص الله تعالى له ﷺ بحوضه في ذلك الموقف، ورَي المؤمنين منه بيده، وقد ورد كثيراً في السنة النبوية، أما في القرآن الكريم فقد جاء في بعض التفاسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٤)، أنه هو حوضه ﷺ ؛كما ذهب بعض المفسرين إلى أنه نهر في الجنة أعطاه تعالى لنبيه الكريم إكراماً له، وعلى القولين في التفسير للآية الكريمة فإن مقصدهما إنما هو التكريم للنبي محمد ﷺ، وكما سيأتي بيانه.

القول الأول: الكوثر نهرٌ في الجنة وتكريم النبي ﷺ فيه

الكوثر على المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أَنه نهر في الجنة، وذكر الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي رحمه الله (ت٥٤٨هـ) في تفسيره بقوله: (اختلفوا في تفسير الكوثر، فقيل: هو نهرٌ في الجنة)(٥).

كما ورد عن أنسٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: (بينما أنا أسيرُ في الجنَّةِ إذ أنا بنهر حافَّتاهُ قِبابُ الدرِّ المجوَّف، قلت ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّكَ، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر شك هُدْبَة)(٦).

وذكر ابن كثير الدمشقي رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في تفسيره أغلب الروايات التي تضمنت أن الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله تعالى رسوله محمد ﷺ ومن طرق كثيرة متواترة تفيد القطع عند كثير من المحدثين بذلك(٧).

وحسب هذا القول فإن هذا النهر هو غير الحوض المورود، لأن الحوض المورود يكون قبل حوض الكوثر في

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢٠٨: ٥/ ٢٤٠٥.

(٢) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢٠٩: ٥/٢٤٠٥، الإبانة:٢٤٦، والإنصاف ٥٠.

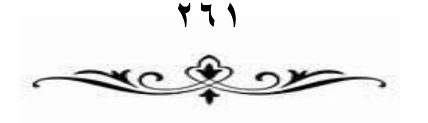
(٣) الخصال، السؤال عن الثقلين يوم القيامة، ح٩٨: ١/٦٦، وبحار الأنوار، باب اللواء، ح٧: ١٩/٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البعث، باب ما جاء في حوض النبي ﷺ، ح١٨٤٦١: ١٠/ ٣٦٣، وقال المحقق حسام الدين القدسي: رواه الطبراني بإسنادين، وفيهما زيد بن الحسن الأنماطي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وبقية رجال أحدهما رجال الصحيح، ورجال الآخر كذلك غير نصر بن عبد الرحمن الوشاء، وهو ثقة.

(٤) [سورة الكوثر: الآية ١].

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/٣٥٣، و(يُنظَر) العقائد الحقة: ٤٤٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكوثر، ح٤٦٨٠: ٤/١٩٠٠، وكتاب الرقاق، ح٦٢١٠: ٥/ ٢٤٠٦، ورد في شرح الحديث (أذفر: شديد الرائحة الذكية).

(٧) (يُنظَر) تفسير القرآن العظيم: ٨/٤٩٨، وما بعدها.



مكان آخر[1].

كما يدلُّ على ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ)[2].

وقال المباركفوري رحمه الله[3](١٣٥٣هـ): والذي يدل على أن الكوثر غير الحوض قوله ﷺ: (قُلْتُ مَا هَذَا؟)، أي ما هذا النهر(قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ)، وهذا نص صريح في أن المراد بالكوثر في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، هذا هو النهر المذكور في الحديث، وهو غير الحوض المورود[4].

ويقول في ذلك ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): (وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عددَ نجوم السماء)[5].

وقد اختص تعالى النبي ﷺ بهذا النهر إكراماً له، وتمييزاً لفضله ومكانته، ويبين الرازي رحمه الله سبب تسمية هذا النهر كوثراً، وهو إما لأنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيراً، أو لأنه انفجر منه أنهار الجنة، كما روي أنه ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهرٍ جارٍ، أو لكثرة الذين يشربون منها، أو لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال ﷺ: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ)[6].

فدلَّ ما سقناه في هذا القول على أن الكوثر هو نهرٌ في الجنة وهو يختلف عن حوضه ﷺ إلا أنه فيه من التكريم العظيم للنبي ﷺ لأنه مما وعده تعالى به، فضلاً عمّا بشره تعالى فيه من الخير الكثير له ولأمته.

القول الثاني: الكوثر هو الحوض

كما وردَ في بعض الأقوال أن الكوثر هو نفسه حوض النبي ﷺ وفيه من مقاصد التكريم ما لا يخفى، وهو قول عطاء من المفسرين وبعض المتكلمين من اشاعرة وماتريدية[7]، واستدلوا على ذلك بما أخرجه الامام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين اظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً

---

(١) (يُنظَر) جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام ـ عبد الكريم المدرس، دار الحرية للطباعة، بغداد ـ العراق، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: ٢٥٢.

(٢) مسند الامام احمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح ١٢٠٢٧: ٣/ ١٠٣، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) عبد الرحمن المباركفوري، عالم مشارك في انواع من العلوم، ولد في بلدة مباركفور من اعمال اعظمكره، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه واصول الفقه على علماء كثيرين. من مؤلفاته [السنن]، و[تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي]. (يُنظر) معجم المؤلفين: ٥/ ١٦٦.

(٤) (يُنظَر) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ـ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت: ٩/٢٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٨/٤٩٨.

(٦) (يُنظَر) تفسير مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣١٣، وسيأتي ذكر الحديث كاملاً.

(٧) (يُنظَر) زاد المسير في علم التفسير ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العربية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٤/٤٩٧، ٤٩٨، والغنية في اصول الدين: ١/١٦٦، والمواقف: ٣/٥٢٤.

فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال ﷺ: (أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ)، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ثم قال أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ(1) الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ)(2).

كما ورد في صحيح البخاري أن الكوثر هو الحوض الذي أعطاه الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما فيه: (هو الخير الذي أعطاه الله إياه)(3).

وذهب الى ذلك عضد الدين الإيجي رحمه الله(ت٧٥٦هـ) في المواقف(4)، كما ذهب الكمال بن الهمام رحمه الله(5) (ت٨٦١هـ) على أنه حوض عائد الى النهر والظاهر أنه خبر عن الخير الكثير، وان ذلك الخير الكثير هو الحوض(6).

ويقول في ذلك الامام الرازي رحمه الله(ت٦٠٦هـ): (إنه حوض والأخبار فيه مشهورة، ووجه التوفيق بين هذا القول، والقول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع)(7)(8).

---

(١) (يختلج: يُنتزَع ويُقتطع) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٤/ ١١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية، ح٤٠٠: ١/ ٣٠٠، و(يُنظَر) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٥٣/١٠، والعقائد الحقة: ٤٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكوثر: ٤/ ١٩٠٠.

(٤) عضد الدين الإيجي، عَلاَّمة المعقول والمنقول، وفهامة الفروع والأصول، له العديد من المؤلفات، منها [المواقف]، في الكلام ومقدماته، و[السؤال المشهور]، وقد وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، ومات رحمه الله مسجونًا في سنة ٧٥٦هـ. (يُنظَر) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: ٣٧١.

(٥) ابن الهمام العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم الكندري، ولد تقريبًا سنة تسعين وسبعمائة، وتفقه بالسراج قارئ الهداية وغيره، وتقدم على أقرانه في أنواع العلوم، من الفقه والأصول والنحو والمعاني وغيرها. وكان علامة محققًا جدليًّا نظارًا، قرره الأشرف شيخًا في مدرسته، فباشرها مدة ثم تركها. وولي مشيخة الشيخونية ثم تركها أيضًا. وله تصانيف، منها: [شرح الهداية]، و[التحرير في أصول الفقه]، توفي رحمه الله سنة ٨٦١هـ. (يُنظر) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ. ١٩٦٧م: ١/ ٤٧٤.

(٦) (يُنظَر) شرح المسامرة بشرح المسايرة: ٢٤٢.

(٧) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١٣/٣٢.

(٨) وكذلك بقية الوجوه التي أوردها المفسرون في تفسيرهم للكوثر المذكور في السورة الكريمة، فجميعها تعود لذلك التكريم الإلهي الذي إختص به تعالى نبيه الكريم، حيث يذكرها الامام الرازي وعدد من المفسرين، ما روي بأن الكوثر أولاده ﷺ، لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه ﷺ بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم، أو علماء أمته، لأنهم كأنبياء بني إسرائيل، وهم يحبون ذكر رسول الله ﷺ وينشرون آثار دينه وأعلام شرعه، ووجه التشبيه أن الأنبياء كانوا متفقين على أصول معرفة الله مختلفين في الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل أحد إلى ما هو صلاحه، كذا علماء أمته متفقون بأسرهم على أصول شرعه، لكنهم مختلفون في فروع الشريعة رحمة على الخلق، وقول أن الخير الكثير هو النبوة، ولا شك أنها الخير الكثير لأنها المنزلة التي هي ثانية الربوبية، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٨)، وهو شطر الإيمان بل هي كالغصن في معرفة الله تعالى... ثم لرسولنا الحظ الأوفر من هذه المنقبة، لأنه المذكور قبل سائر الأنبياء والمبعوث بعدهم، ثم هو مبعوث إلى الثقلين، وهو الذي يحشر قبل كل الأنبياء.. (يُنظَر) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١٤/٣٢.

ولعلَّ ما وُصِف به ماء الكوثر ما يؤيد بأن حوضه ﷺ يرد من مائه لاحتوائهما الصفات ذاتها، حيث ذكر البخاري في الحديث عنه ﷺ: (فَإِذَا هو بنَهَرٍ آخَرَ عليه قَصْرٌ مِن لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هو مِسْكٌ أذْفَرُ، قالَ: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا الكَوْثَرُ الذي خَبَأَ لكَ رَبُّكَ)[١].

لذلك فقد ذهب الكثير من العلماء الى هذا، ومنهم: الإمام الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ)، حيث قال ـ بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الكوثر بأنه نهرٌ في الجنة أو الحوض: (أولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة؛ وصفه الله بالكثرة لعظم قدره)[٢].

ومنهم محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (ت١٢٥٠هـ)، فبعد أن أورد بعض الأحاديث التي تثبت الكوثر بأنه نهر في الجنة قال: (فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها)[٣].

وعلى هذين القولين كليهما يتجسد فيهما ظاهراً التكريم والتشريف الذي خصَّ به تعالى النبي محمداً ﷺ في كلِّ موقف من مواقف القيامة، حتى فتحه باب الجنة ﷺ لأمته.

المقصد الثاني: البشارة بتكريم الله تعالى للمؤمنين الصادقين

ومن المقاصد التي نستنبطها مما بين أيدينا من النصوص الكريمة في الحوض، أنَّ الشرب منه يُعَد من بشارات المؤمنين الصالحين المحافظين على دينهم غير المبدلين، وهو أحد وجوه تكريمهم من الله تعالى ونبيه ﷺ، ومما يدل على ذلك ما ذكره الحاكم النيسابوري رحمه الله (ت٤٠٥هـ) في المستدرك أنه ﷺ ذكر صالح صفات المؤمنين ثم أعقبه بذكر من يَرِد حوضه ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: (مَوْعِدُكُمْ حَوْضِي عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، وَهُوَ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَذَلِكَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فِيهِ أَمْثَالُ الْكَوَاكِبِ أَبَارِيقُ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ مَنْ وَرَدَهُ، وَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا)[٤].

وكذلك ما ذكره المجلسي رحمه الله (ت١١١٠هـ) في بحار الأنوار ما رُوي عنه ﷺ حين سُئِل عن الحوض فقال ﷺ: (أما إذا سألتموني عن الحوض فإني سأخبركم عنه: إن الله تعالى أكرمني به دون الانبياء، وإنه ما بين أيلة إلى صنعاء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤهما أبيض من اللبن وأحلى من العسل، بطحاؤهما مسك أذفر، حصباؤهما الدر والياقوت، شرط مشروط من ربي لا يردهما إلا الصحيحة نياتهم، النقية قلوبهم، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون مالهم في عسر)[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليما﴾، ح ٧٠٧٩: ٦/ ٢٧٣٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤/ ٦٤٩.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٥/ ٥٠٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الايمان، ح٢٥٣: ١/ ١٤٧، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح فقد اتفق الشيخان على الاحتجاج بجميع رواته غير أبي سبرة الهذلي و هو تابعي كبير مبين ذكره في المسانيد و التواريخ غير مطعون فيه.

(٥) بحار الأنوار، باب اللواء، ح٣٣: ٨/٢٩.



وقد ورد في الأحاديث الكريمة ما يشير إلى أنواع من المُنح التي تتاح في ذلك الموقف لأتباع الأنبياء الصادقين، وهو ذلك الشراب العظيم الذي يتلقونه من أيدي أنبيائهم وورثتهم جزاء لهم على إخلاصهم وصدق اتباعهم، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً)(١).

كما يذكر ﷺ السبيل ليرد المسلمون حوضه في ذلك الموقف، ومنها ما ذكره الترمذي رحمه الله عن زيد بن أرقم رضي الله عنه من قوله ﷺ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)(٢).

كذلك ما رُويَ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِتْرَتِي، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي: أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُونِي بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)(٣).

ذلك أن المنجى من أهوال القيامة والآخرة هو التمسك بما أمر به الله تعالى، وقد أوضح ذلك المباركفوري رحمه الله (ت١٣٥٣هـ) في تحفة الأحوذي بأن المُراد بالأخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم، وهو لا ينافي أخذ السنة من غيرهم لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٤)، فالتمسك بالكتاب هو العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه، ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم(٥).

كما يقول رحمه الله أن في قوله ﷺ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ﴾ إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله ﷺ، وأنه يوصي الأمة بحسن المخالقة معهما وإيثار حقهما على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده حرصاً عليهم، ويعضده ما في حديث الامام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيباً، بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)، فحثَّ على كتاب الله تعالى ورغَّبَ فيه، ثم قال ﷺ: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي،

---

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض، ح ٢٤٤٣: ٤/ ٦٢٨، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.

(٢) المصدر نفسه، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، ح٣٧٨٨: ٥/٦٦٣، وقال فيه الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ح ١١١٤٧: ٣/ ١٧، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده دون قوله (وإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٤) [سورة النحل: من الآية ٤٣].

(٥) (يُنظَر) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ١٠/ ١٩٦.



أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)[1][2].

وفي قوله ﷺ (لَنْ يَفْتَرِقَا) أي كتاب الله وعترتي في مواقف القيامة (حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) أي الكوثر يعني فيشكرانكم صنيعكم عندي (فَانْظُرُوا بِمَ تَخْلُفُونِي). أي كيف تكونون بعدي خلفاء، أي عاملين متمسكين بهما[3].

كما يدل على هذا التكريم للمؤمن الصادق ما روي في الكافي عن الامام الباقر عليه السلام قوله ﷺ: (أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْمَعْرُوفُ وَ أَهْلُهُ، وَ أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ)[4].

فقد بشرَّ النبيﷺ من عمل المعروف وعُرِفَ به أنه من أهله، وبأنه أول من يرِد عليه الحوض، كما ذكر ﷺ في بعض أحاديثه تسمية أول من يرويهم من حوضه ويدافع عنهم، منها جاء عن ثوبان رضي الله عنه انه ﷺ: قال: (إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ) فسُئِل عن عرضه، فقال ﷺ: (مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ)، وسُئِلَ عن شرابه، فقال ﷺ: (أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ)[5]، فهم مثال لأهل المعروف حيث بشرهم وكرَّمهم ﷺ بهذا الورود لحسن صنيعهم في الإسلام، كما ذكر ذلك الامام النوويرحمه الله(ت٦٧٦هـ) في شرحه للحديث الشريف بقوله: (معناه أطرد الناس عنه، غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمنرحمه الله وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام، والأنصار من اليمن فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي ﷺ أعداءه والمكروهات ومعنى (يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ) أي يسيل عليهم)[6].

كذلك وردَت البشارة لفقراء المهاجرين تكريماً لهم كما روى ذلك الإمام الترمذيرحمه الله(ت٢٧٩هـ) عن ثوبان رضي الله عنه في الحوض عن النبي ﷺ قوله: (حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ البَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السُّدَدِ)[7].

فالمهاجرين هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والنبيﷺ سيدهم، أما (الشعث) أي المتفرقوا الشعر، و(الدنس) هو الوسخ (الذين لا ينكحون) بفتح الياء وكسر الكاف أي الذين لا يتزوجون، و(المتنعمات) أي لو خطبوا المتنعمات من النساء لم يُجابوا، (ولا يفتح لهم أبواب السدد)، جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لأن المدخل

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٢٤٠٨: ٤/ ١٨٧٣.

(٢) (يُنظَر) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ١٠/ ١٩٦.

(٣) (يُنظَر) المصدر نفسه: ١٠/ ١٩٦.

(٤) الكافي، أبواب الصدقة، باب فضل المعروف، ح ٦١٢٨: ٤/ ٢٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ، ح٢٣٠١: ٤/ ١٧٩٩.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٥/ ٦٢.

(٧) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ح ٢٤٤٤، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان، عن النبي ﷺ، (وأبو سلام الحبشي اسمه: ممطور وهو شامي ثقة).

يسد به، أي: لو دقوا الأبواب واستأذنوا الدخول لم يفتح لهم ولم يؤذن[1]، فبشرهم بأسبقيتهم بورود حوضه ﷺ فلا يظمئوا بعده، وهو بداية النَعيم والجزاء الأوفر الذي وعدهم به تعالى.

كذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله مطولاً في قصة قسم غنائم حنين، وفي آخره قوله ﷺ للأنصار رضي الله عنهم: (إنَّكم ستلقَون بَعْدِي أثرةً، فاصبرُوا حتَّى تلْقَوْنِي على الحَوضِ)[2].

ففي هذه الأحاديث الشريفة يتبين إكرام الله تعالى للمؤمنين المخلصين، حيثُ (أخبر ﷺ أن هذا الحوض يشمل جميع الصادقين من أمته، وفي جميع الأزمنة، وهو ما يؤكد أن معية رسول الله ﷺ مستمرة في الأمة، وليست خاصة بزمان معين، ففي الحديث أن رسول ﷺ أتى المقبرة فقال: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا)، قالوا: أَوَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: (بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدُ)، قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا فَسُحْقًا)[3]. وقد كان الأصل في هذه الأحاديث، وما تحمله من التحذير عن مخالفة هدي رسول الله ﷺ، مدعاة للتقوى والورع والحرص على الاتباع الصحيح لرسول الله ﷺ، والحرص على وحدة الأمة)[4].

المقصد الثالث: التحذير من إذلال الله تعالى لمغيرين والمبدلين للدين والامراء الظالمين

من المُسَلَّم به أنَّ كل أُمةٍ تدعي أنها على الصواب من أمرها، وأنها مَن يمثل الامة الصالحة، وكلٌ يدعي التمسك بالسنة النبوية الصحيحة، لكن، عند ذلك اليوم تتميز الامة الصالحة والمؤمنة عن غيرها بالحق، فكما ورد في الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ في أسبقية من يرِدون الحوض، فقد ذكر ﷺ كذلك من يطرده من حوضه يومئذٍ بسبب التبديل والتغيير، وهذا يدل على أن من خواص هذا الحوض أنه لا يمكن أن يشرب منه إلا الصادقون من أتباع الأنبياء، ولذلك يُمنع المحرفون والمبدلون لسنن أنبيائهم عن الاقتراب والشرب منه، ومن هذه الأحاديث:

١ـ ما رواه الامام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)[5].

وقريب من لفظه ما ورد عنه ﷺ قوله ﷺ: (يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القِيَامَةِ رَهطٌ مِن أَصحَابِي، فَيُجلونَ عَن الحَوضِ،

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٧/ ١١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ح ٣٦٨٢: ٣/ ١٣٨١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح ٢٤٩: ١/ ٢١٨.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٦٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ، ح٢٣٠٤: ٤/ ١٨٠٠.



فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصحَابِي! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلمَ لَكَ بِمَا أَحدَثُوا بَعدَكَ، إِنَّهُمُ ارتَدُّوا عَلَى أَدبَارِهِمُ القَهقَرَي)(1).

٢ـ ما رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَي، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ، وَاللهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَي، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ)(2).

٣ـ روى البخاري رحمه الله عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)، فكان ابن أبي مليكة يقول (اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا)(3).

٤ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِذَا لَمْ تَرَوْنِي، فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ، قَدْرَ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَأْتِي رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِقِرَبٍ وَآنِيَةٍ، فَلَا يَطْعَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا)(4).

ومثله ما رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده قوله ﷺ: (أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي، فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ، وَالْحَوْضُ قَدْرُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَأْتِي رِجَالٌ، وَنِسَاءٌ فَلَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا)(5).

فلو تدبرنا الأحاديث الشريفة بكل ألفاظها الواردة فيها، وعلى اختلافها، استفدنا من مقاصدها في خطورة التبديل والتغيير في أصول العقائد الدينية وما بينه ﷺ من أمور الدين، وخطورة النفاق فيه، وما يؤدي إليه من الخسران العظيم في الدنيا والآخرة، ولأجل بيان ذلك نورد بعض ما ذكره العلماء في شروحهم لهذه الأحاديث .

حيث يقول القاضي أبو زكريا النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ) في شرحه (أما اختلجوا فمعناه اقتطعوا وأما أصيحابي فوقع في الروايات مصغراً مكرراً وفي بعض النسخ أصحابي أصحابي مكبراً مكرراً، قال القاضي هذا دليل لصحة تأويل من تأول انهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم سحقاً سحقاً، ولا يقول ذلك في مذنبي الامة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم، قال: وقيل هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الاسلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة، والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين)(6).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢١٣: ٥/٢٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢١٥: ٥/٢٤٠٧.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح٦٢٢٠: ٥/٢٤٠٩.

(٤) مسند الامام احمد، مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ح ١٤٧٦١: ٣/ ٣٤٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة.

(٥) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ح ١٥١٦٠: ٣/ ٣٨٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ: ١٥/ ٦٥.



ويذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ) في فتح الباري: (قال الخطابي لم يرتد من الصحابة أحد وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل قوله ﷺ (أُصيحابي) بالتصغير على قلة عددهم)[١].

(وقيل يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر، وقيل هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة، وقال الداودي لا يمتنع دخول أصحاب الكبائر والبدع في ذلك، وقال النووي قيل هم المنافقون والمرتدون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة، فيناديهم من اجل السيما التي عليهم فيقال انهم بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه)[٢].

كذلك من المطرودين عن الحوض يوم القيامة الامراء الظالمون، وقد نبه ﷺ الامة إلى كيفية التعامل مع هؤلاء الأمراء المستبدين، فقال ﷺ: (اسْمَعُوا، هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ)[٣].

فتبين هذه الاحاديث ان الذين بدلوا وغيروا في العقائد وما أمروا به من اصولها سيمنعون من ورود الحوض، وكذلك الامراء الظالمين ومَن أعانهم على ظلمهم، وهذا يدل على أن من خواص هذا الحوض أنه لا يمكن أن يشربه إلا الصادقون من أتباع الأنبياء، ولذلك يُمنع المحرفون والمبدلون لسنن أنبيائهم عن الاقتراب والشرب منه[٤].

إنما يكون سبب هذا التغيير والتبديل واتباع الامراء الظالمين، وجميع ما يُحرم من ورود حوضه إنما هو بسبب حب الدنيا والتنافس عليها، ولخطورة هذا الأمر فقد قرنه ﷺ بالشرك بالله تعالى، بل لا يخاف على المسلمين من الشرك بالله قدر خوفه عليهم من حب الدنيا لأنه سبب كل مهلكة.

وقد أخرج البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما عن عقبة بن نافع رضي الله عنه قال: (صلَّى النبي ﷺ على قتلى أُحُدٍ، ثم صعد المنبر كالمودِّع للأحياء والأموات فقال: (إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)[٥]. قال عقبة: وكانت آخر ما رأيت رسولَ الله ﷺ على المنبر)[٦].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ١١/ ٣٨٥.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب، ح ٢٢٥٩: ٤/ ٥٢٥، وقال الترمذي: صحيح غريب.

(٤) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٢٦٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (احد يحبنا ونحبه)، ح ٣٨٥٧: ٤/ ١٤٩٨، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ، ح٢٢٩٦: ٤/ ١٧٩٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ، ح٢٢٩٦: ٤/ ١٧٩٦.



كما ورد الحديث بألفاظ مقاربة في الصحاح، منها قوله ﷺ: (إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ ـ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ ـ وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا)[١].

ويقول الدكتور مصطفى ديب البغا في قوله ﷺ (أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ) إخبار عما سيفتح لأمته من بعده من الخزائن والملك، و(تَنَافَسُوا فِيهَا) أن تتنازعوا وتختصموا على الدنيا وما فيها من ملك وخزائن من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد بها[٢].

كما قد أورد القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) في (التذكرة) بعض الأحاديث التي سقناها ثم قال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه.

ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقرير يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: سحقاً سحقاً[٣].

أما عصاة المؤمنين من أمة محمد ﷺ ممن خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً فإنهم سيُعرفون من علاماتِ يوم القيامة تكون حاجزاً لهم عن الخلود في النار، ويبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الْوُضُوء)[٤].

فهذا المنع عن الحوض بكل ما ورد فيمن يُمنَعون منه إنما هو إذلالاً لهم على مرأى الجميع، ومع أنه قد أُختُلِف في موضعه وهل هو قبل الصراط أم بعده، إلا أنه يمكن ان يكون في كلا المحلين حسب رأي بعض العلماء، ليتم الاذلال لهم في كل المواقف.

المقصد الرابع: ري المؤمنين بعدما يرَوه من الفزع والأهوال

اختلف العلماء في مكان هذا الحوض، فقال بعضهم أنه قبل الصراط، وهو قول اكثر العلماء، بينما قال البعض الآخر كالغزالي والقرطبي إنه يكون بعد الصراط، ولكلٍ من هذين القولين المقصد ذاته مما ذهب إليه العلماء في رأيهم، وهو ما سنبينه فيما يأتي:

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ح ١٢٧٩: ١/ ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه، شرح الحديث ١٢٧٩: ١/ ٤٥١.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٧١١، و (يُنظَر) القيامة الكبرى: ٢٦٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح ٢٤٦: ١/٢١٦.



القول الأول: الحوض قبل الصراط لري المؤمنين بعد خروجهم من قبورهم عطاشى

وهذا قول أكثر العلماء والمفسرين، وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشى فيردون الحوض للشرب منه[1]، وقد ذهبوا الى قولهم هذا لعدة أدلة من السنة الشريفة، منها:

١ـ ما رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القِيَامَةِ رَهطٌ مِن أَصحَابِي، فَيُجلونَ عَن الحَوضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصحَابِي! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلمَ لَكَ بِمَا أَحدَثُوا بَعدَكَ، إِنَّهُمُ ارتَدُّوا عَلَى أَدبَارِهِمُ القَهقَرَي)[2].

وقال أبو الفداء الدمشقي ـ ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): (والحوض في العرصات، قبل الصراط، لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجازون الصراط[3].

٢ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِّ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَي، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ، وَاللهِّ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَي، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ)[4].

قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) بعد إيراده هذا الحديث: (فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يُجاز عليه، فمن جازه سلم من النار على ما يأتي، وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضاً في الموقف)[5].

٣ـ عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: (لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ)[6].

ويستدل ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ) بهذا الحديث بأن الحوض قبل الصراط[7]، بقوله: (إن الذي يمر على الصراط إلى ان يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد إليها)[8].

وقال الامام ابن كثير رحمه الله فيه: (إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط؛ لأنه يُذاد عنه أقوامٌ يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما

---

(١) (يُنظَر) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢٩٠، ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٥، وعون المريد في شرح جوهرة التوحيد: ١١٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢١٣: ٥/٢٤٠٧.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم: ١/٣٧٧، و(يُنظَر) شرح العقيدة الطحاوية: ١/٢٢٧.

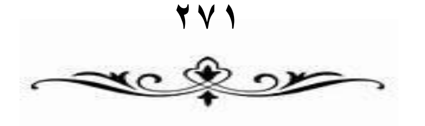
(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢١٥: ٥/٢٤٠٧.

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٧٠٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، ح٢٣٠٢: ٤/١٨٠٠.

(٧) وردَ عن ابن حجر رحمه الله القولين، الأول في كون الحوض قبل الصراط، وآخر أنه بعده.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/٤٦٦.



الوضوء، وقد قال ﷺ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الْوُضُوء)[1]، ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط)[2].

القول الثاني: الحوض بعد الصراط لري المؤمنين بعد أهوال الموقف والحساب

وهو قول القاضي عياض، والحافظ ابن حجر، وغيرهم من العلماء، واستدلوا على قولهم هذا بما يأتي:

١ـ ما روي عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ (إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِني، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)[3].

إذ قال القاضي عياض بن موسى اليحصبي ﷺ(ت٥٤٤هـ) إن قوله ﷺ (مَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا) يدل على أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار[4].

ويقول الحافظ ابن حجر ﷺ(ت٨٥٢هـ): (إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى ان الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه)[5].

٢ـ عن أنس ابن مالك ﷺ قال: (سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: (أَنَا فَاعِلٌ)، قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال ﷺ: (اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ)، قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال ﷺ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ) قال: قلت: فأن لم القك عند الميزان قال ﷺ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْض فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِن)[6].

وقال فيه أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري ﷺ (ت١٣٥٣هـ): (والمعنى أني لا أتجاوز هذه المواطن الثلاثة، ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن، فلا بد أن تلقاني في موضع منهن، والحديث يدل على أن الحوض بعد الصراط وإلى ذلك أشار البخاري في صحيحه)[7].

٣ـ عن ثوبان ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: (إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ)، فسئل عن عرضه فقال ﷺ: (مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ)، وسئل عن شرابه فقال ﷺ: (أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ)[8].

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح ٢٤٦: ١/٢١٦.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ١/٤١٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح٦٢١٢: ٥/ ٢٤٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، ح ٢٢٩٠: ٤/ ١٧٩٣.

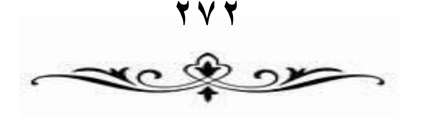
(٤) (يُنظَر) اكمال المعلم بفوائد مسلم: ٧/٢٥٧.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٦٦.

(٦) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الصراط، ح٢٤٣٣: ٤/٦٢١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٧) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي: ٧/١٠٢.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم، ح٢٣٠١: ٤/١٧٩٩.



قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ): (وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه، قال: وأما ما أورد عليه من أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويذهب بهم إلى النار فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون الجنة فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط[١].

ويذكر السفاريني (١١٨٨هـ) تصريحات العلماء بأن الحوض بعد الصراط ويرد على مَن يقول: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة، فلم يحتاجوا إلى الشرب منه، ليجيبهم: بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يهذبوا منها على الصراط[٢].

كما أن هنالك قولاً آخر بوجود حوضين خاصين للنبي ﷺ على ما ذهب إليه بعض العلماء؛ كما أشار لذلك الالوسي رحمه الله (ت١٢٧٠هـ) في تفسيره روح المعاني: (هو حوض له ﷺ في المحشر. وهو قبل الميزان والصراط عند بعض وبعدهما قريباً من باب الجنة حيث يحبس أهلها من أمته ﷺ ليتحللوا من المظالم التي بينهم عند آخرين، ويكون على هذا في الأرض المبدلة، وقيل له ﷺ حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده ويسمى كل منهما على ما حكاه القاضي زكريا[٣] كوثراً وصحح رحمه الله تعالى أنه بعد الصراط، وأن الكوثر في الجنة وأن ماءه ينصب فيه ولذا يسمى كوثراً)[٤].

وما يترجح لدينا هو كونه قبل الصراط، وقال محمد ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت٧٥١هـ) في ذلك: (وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض، ولا اختلاف وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يُرى ولا يوصل اليه إلا بعد قطع الصراط، فحديث أبي هريرة[٥] هذا وغيره يرد قولهم، وإن أرادوا ان المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه، فهذا يدل عليه حديث لقيطٍ، هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإن قوله طوله شهر وعرضه شهر فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده الى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم)[٦].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٦٦/١١، ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٥.

(٢) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٩٥.

(٣) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاضٍ ومفسر، من حُفَّاظ الحديث، وُلِد في سنيكة (بشرقية مصر) ونشأ فقيراً، ولما ظهر فضله تتابعت اليه الهدايا والعطايا، وتولى منصب قضاء القضاة، فلم يقبله الا بعد مراجعة وإلحاح، له المؤلفات العديدة، منها: [فتح الرحمن في التفسير]، [تحفة الباري على صحيح البخاري]، و[فتح الجليل] وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٩٢٦هـ). الأعلام: ٤٦/٣.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤٧٩/١٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٢١٥: ٢٤٠٧/٥.

(٦) زاد المعاد في هدى خير العباد ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة عشر: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م: ٥٩٦/٣.

المطلب الثاني: الشفاعة ومقاصدها العقدية

وردت مادة الشفاعة في القرآن الكريم بصورها المتنوعة ثلاثين مرة[1] في سور شتى، ووقعت فيها مورداً للنفي تارةً وللإثبات تارةً أخرى، وهي بأنواعها وأقسامها وشروطها قد ذُكِرت في مصادرها الأصلية بتعلق موضوعها باتجاهين، هما: الأول: الاتجاه الذي يحدد الشفعاء.

الثاني: الاتجاه الذي يحدد الأفراد والمجموعات الذين تنالهم الشفاعة من جهة، والذين لا تنالهم الشفاعة من جهة اخرى.

والقرآن الكريم إذ يحدد ذلك فإنه يحددهم موضوعياً من خلال طبيعة السلوك العام للأفراد في الحياة الدنيا، وهناك من يرى أن في الآيات القرآنية اتجاهاً ثالثاً رئيسياً، وهو اتجاه نفي مطلق الشفاعة[2].

وخلال تناولنا للمقاصد العقدية في مسألة الشفاعة، وبناءً على ما استقرئناه من النصوص الكريمة فيها، فقد رأينا التأكيد فيها على مقاصد أربعة، فضلاً عن مقاصد أخرى قد نتجاوزها لتجنب التوسع المفرط، وهذه المقاصد هي:

المقصد الأول: شروط الشفاعة وتوافقها مع العدالة الإلهية.

المقصد الثاني: تكريم الله تعالى للشافعين.

المقصد الثالث: العدل الإلهي في الشفاعة لأصحاب الذنوب وقبول توبتهم.

المقصد الرابع: الرحمة الإلهية في الشفاعة لأصحاب الذنوب من الموحدين

وقد مهدتُ لهذه المقاصد بتمهيد في مفهوم الشفاعة وما يتعلق بأنواعها وأقسامها بصورة مختصرة.

تمهيد: مفهوم الشفاعة وأقسامها

الشفاعة في اللغة

يُرجع علماء اللغة منهم أبو منصور الأزهري رحمه الله (ت٣٧٠هـ) وابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ)، كلمة الشفاعة الى (الشفع): وهي الزيادة[3]، و(شفع) خلاف الوَتْر وهو الزوج تقول كانَ وَتْراً فَشَفَعْتُه شَفْعاً وشَفَعَ الوَتْرَ من العَدَدِ شَفْعاً صيَّره زَوْجاً[4].

(والشفعة: الزيادة، وهو أن يشفعك فيما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها، أي إنه كان وتراً واحداً فضم إليه ما زاده وشفعه به)[5].

---

(١) الشفاعة في الكتاب والسنة ـ الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٦م: ٢٥.

(٢) الشفاعة حقيقة إسلامية ـ إصدار مركز الرسالة، مكتب السيد علي الحسيني السيستاني، سوريا ـ دمشق، (ب. ط): ١٠.

(٣) تهذيب اللغة، أبواب العين والشين، باب العين والشين مع الفاء، مادة (شفع):١/٢٧٧.

(٤) لسان العرب، كتاب العين المهملة، فصل الشين المعجمة، مادة (شفع): ٨/١٨٣

(٥) تهذيب اللغة: ١/٢٧٨، و (يُنظَر) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مادة(شفع): ٢٩٥.

وشفع لي يشفع شفاعةً، وتَشَفَّعَ طَلَبَ والشفيع الشافع، والجمع شُفعاء. وفي التنزيل: ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ قالوا: الشفاعة: الدعاء هاهنا، وهي: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره[1].

كما تكرر ذكر الشفاعة في الحديث الشريف فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، والمُشَفِّعُ الذي يَقْبَل الشفاعة والمُشَفَّعُ الذي تُقْبَلُ شَفاعَتُه[2].

الشفاعة في الاصطلاح

عرَّفها الشريف الجرجاني رحمه الله (ت٨١٦هـ) بأنها (السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه)[3]، وقال القاضي عبد الجبار رحمه الله (ت٤١٥هـ) في تعريفها (هي مسألة الغير أن ينفع غيره أو أن يدفع عنه مضرة، ولا بدَّ من شافعٍ ومشفوعٍ له، ومشفوعٍ فيه ومشفوعٍ إليه)[4].

وعرَّفها العلَّامة محمد حسين الطباطبائي رحمه الله (ت١٤٠٢هـ) في الميزان والسيد كمال الحيدري بأنها (هي القريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون، وهي من الامور التي نستعملها لإنجاح المقاصد، ونستعين بها على حوائج الحياة، وجل الموارد التي نستعملها فيها: أما مورد يقصد فيها جلب المنفعة والخير، وإما مورد يطلَب فيها دفع المضرة والشر)[5]، وهذه هي الشفاعة التي تدور حول التكاليف والتشريعات وعصيان العباد ومخالفتهم لها، ثم توسيط الشفعاء لغفران ذنوبهم وحط سيئاتهم[6].

أقسام الشفاعة

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى إن الشفاعة تنقسم إلى أقسامٍ خمسة، هي:

١ـ الشفاعة العظمى: وهي لجميع الخلائق، بإراحتهم من هول الموقف، وتعجيل الحساب، ونحو ذلك.

٢ـ الشفاعة في إدخال طائفة من المؤمنين الجنة بغير حساب.

وهذا القسمان من أقسام الشفاعة خاصّان بنبينا محمد ﷺ.

٣ـ الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها.

٤ـ الشفاعة في قومٍ استوجبوا النار بذنوبهم، وهم من أهل الإيمان، فإذا قبل الله تعالى الشفاعة فيهم عفا عنهم فلا يدخلونها.

---

(١) تهذيب اللغة: ١/٢٧٨.

(٢) (يُنظَر) لسان العرب ـ كتاب العين المهملة، فصل الشين المعجمة: ٨/١٨٣، وتاج العروس، فصل الشين المعجمة مع العين: ٢١/٢٨٥.

(٣) التعريفات: ٥٦، و(يُنظَر) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/٤٨٥، و تفسير الكاشف لمغنية: ١/٣٩٠.

(٤) شرح الاصول الخمسة: ٦٨٨.

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ١/١٦٠، الشفاعة ـ بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها ـ السيد كمال الحيدري، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ١٩.

(٦) الشفاعة، كمال الحيدري: ٢٤.



٥ـ الشفاعة في إخراج بعض المذنبين من النار، وهم من أهل الإيمان، وذلك قبل استيفائهم عذابهم المقرر عليهم بموجب قانون العدل الإلهي[١].

ولا يخلوا قبول الشفاعة أو رفضها من حكمةٍ ومقصد قد يخفى علينا إلا إنه يعلمه الله تعالى، تدخل في واسع فضله أو قانون عدله تبارك وتعالى، وسأتناول البعض منها مما يُستنبط من ظاهر الروايات فيها في المقاصد التالية.

المقصد الأول: توافق شروط الشفاعة مع العدالة الإلهية

ونستنبط هذا المقصد من خلال قراءتنا لشروط الشفاعة، التي تتعلق بالشافع والمشفوع له كي تكون مقبولةً منجيةً من العذاب، من خلال توافقها التام مع العدالة الإلهية، إذ إن الشفاعة هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده، لا ينالها كل إنسان، وهذه الموافقة للعدالة الإلهية نجدها في كل شرطٍ من شروطها، وكما سنبينه فيما يأتي:

الشرط الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع

أثبت الشفاعة الله تعالى في كتابه، وأثبتها رسوله ﷺ ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص؛ فالشفاعة التي أثبتها القرآن الكريم خاصّة بالمؤمنين، وأنّها تعني عدم خلودهم يوم القيامة في نار جهنّم، بشرط أن يأتوا ربّهم بإيمان مرضيّ ودين حقّ[٢]، وهي لا تتحقق إلا بإذن من الله تعالى[٣].

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٤]، فالشفاعة لغير الله تعالى مشروطة بإذنه سبحانه وتمليكه[٥].

يقول الشيخ جعفر السبحاني: (أنَّ الشفيع إنما يشفع بإذنه تعالى، وفي إطار مشيئته، وتحت الشروط التي يرتضيها؛ إذ هو يبعث الشفيع على أن يشفع حق المشفوع له، وعند ذلك فلا تستلزم شفاعة الشافعين خروج الأمر عن يده وتحدد سلطته تعالى وملكه)[٦].

وبرغم بداهة هذا الشرط إذ إن الأمر كله لله تعالى، إلا إن بعض الباحثين، كالدكتور مصطفى محمود وجد حسب رؤيته ما يتعارض مع امكانية تحقق الشفاعة يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿قُلْ للهِّ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[٧]، على أنه تعالى يجمع سلطة الشفاعة جمعيةً واحدة ويجعلها له تعالى وحده، كما يقول تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٨]، وان السبب طبيعي، فهو تعالى وحده الذي يعلم استحقاقات كل فرد، وماذا فعل في دنياه من خيرٍ أو شر[٩].

---

(١) العقيدة الإسلامية واسسها ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ٥٧٠.

(٢) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٢٢٦/٩.

(٣) تفسير الكاشف: ٩٤/١.

(٤) [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

(٥) (يُنظَر) مفاهيم القرآن: ٤/ ٢١٠، ومعرفة المعاد: ٥٧/٩.

(٦) الشفاعة في الكتاب والسنة: ٥٦.

(٧) [سورة الزمر: من الآية ٤٤].

(٨) [سورة يونس: من الآية ٣].

(٩) (يُنظَر) الشفاعة، محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين، د. مصطفى محمود، سلسلة كتاب اليوم، إصدار كل شهر، عدد يوليو

ويُعَد هذا الرأي شبهة قد ردَّ عليها عدد من العلماء مسبقاً، ومنهم السيد محمد حسين الحسيني[1] رحمه الله (ت١٤١٦هـ) في معرفة المعاد، وهو إنما يكون من خلال النظر لنفس الآيات الكريمة في الشفاعة، فهي إنّما تنفيها عن غير الله على نحو الاستقلال؛ أمّا الآيات التي تثبت الشفاعة، فهي إنّما تثبتها للهّ تعالى على نحو الأصالة والاستقلال، وتثبتها لغير الله بتمليكه وإذنه[2].

كما عبر عن هذا الرَد العلَّامة جعفر السبحاني بقوله: (إن مقتضى التوحيد في الأفعال، وأنه لا مؤثر في عالم الكون إلا الله سبحانه، ولا يوجد في الكون مؤثرٌ مستقلٌ سواه، وأنَّ تأثير سائر العلل إنما هو على وجه التبعية لإرادته سبحانه ومشيئته، والاعتراف بمثل العلل التابعة لا ينافي انحصار التأثير الاستقلالي في الله سبحانه وتعالى)[3].

(وعلى ذلك، فإذا كانت الشفاعة عبارة عن سريان الفيض الإلهي (طهارة العباد من الذنوب وتخلصهم عن شوائب المعاصي) على عباده، فهي فعلٌ مختص بالله سبحانه لا يقدر عليه أحد إلا بقدرته وإذنه، وبذلك تصحُّ نسبته الى الله تعالى بالأصالة والى غيره بالتبعية. ونظيرها كتابة أعمال العباد، فالكاتب هو الله سبحانه، حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[4]، وفي الوقت نفسه ينسبها الى رسله وملائكته، فيقول تعالى: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[5]، فإذا كانت الملائكة والأنبياء والأولياء مأذونين في الشفاعة؛ فلا مانعَ من أن تُنسَب إليهم كما تُنسَب الى الله سبحانه، غير أنَّ أحدهما يملكُ هذا الحق بالأصالة، والآخر يملكها بالتبعية)[6].

الشرط الثاني: رضا الله تعالى عن الشافع

أما الشرط الثاني الذي يتوافق مع مقصد عدله تعالى فهو الرضى الإلهي عمَّن يريد أن يشفع وعمَّن يُراد أن يُشفَع له، واعتبار ذلك الرضى قيداً لازماً لا تؤتي الشفاعة ثمارها بدونه، فالشفيع يجب أن يرضى الله شفاعته لتكون في محلها، والمشفوع له يجب أن يكون مرضياً عنده سبحانه وتعالى ليقبل شفاعة الشافعين[7].

ومما يدل على رضا الله تعالى عن الشافع قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[8]، حيث يقول في هذا الشرط العلَّامة جعفر السبحاني (يُشترط في الشفيع أن يكون ممن يشهد بالحق، اي يشهد بالله سبحانه ووحدانيته وسائر صفاته، وان لا يظهر الشفيع كلاماً يبعث غضب

١٩٩٩م: ٢٠.

(١) (يِنظَر) معرفة المعاد: ٩/٥٧.

(٢) (يِنظَر) المصدر نفسه: ٩/٥٧.

(٣) الشفاعة في الكتاب والسنة: ٣١.

(٤) [سورة النساء: من الآية ٨١].

(٥) [سورة الزخرف: الآية ٨٠].

(٦) الشفاعة في الكتاب والسنة: ٣٢.

(٧) الشفاعة حقيقة اسلامية: ٥٥.

(٨) [سورة النجم: الآية ٢٦].

الرب سبحانه، بل يقول قولاً مرضياً عنده، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[2]، فالآية الشريفة صريحةٌ في شفاعة يوم القيامة، بكلا تفاسيرها، وهما أنه لا يملك ولا يقدر على الشفاعة إلا هؤلاء الذين لهم عند الله تعالى عهدٌ وموثق وأمرٌ بالشفاعة، وأذِن لهم بها، أو بتفسيرها أنه لا يملك الشفاعة ولا ينالها إلا من كان له عهدٌ عند الرحمن، والعهد هو استظهار الايمان والعمل به، إذ إن الكفار لا يُشفَع لهم[3].

الشرط الثالث: رضا الله تعالى عن المشفوع له

ويُعَد هذا الشرط من أهم ما يتوافق مع مقاصد العدالة الإلهية في شروط الشفاعة، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[4]، وقد جاء في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي رحمه الله (ت١١١٠هـ) عن الإمام الرضا عليه السلام في معنى قوله تعالى ﴿ولَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، قال عليه السلام: (لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه)[5].

كما جاء في «الكافي» للكلينيّ[6] رحمه الله (ت٣٢٩هـ) عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كتب إلى أصحابه كتاباً يقول فيه: (اعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك فمن سّره أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب الى الله أن يرضى عنه)[7].

ويبين محمد حسين الحسيني رحمه الله (ت١٤١٦هـ) ان رضا الله تعالى عن العبد أي عدم كون المشمول بالشفاعة مشركاً ولا كافراً ولا جاحداً ولا مستكبراً، فينبغي أن يكون المشفوع له مسلماً مؤمناً ذا عقيدة حسنة، وذلك يعني كون ذاته ووجدانه ـ أو عقيدته ودينه ـ منزّهين، إلّا أنّ الذنوب قد دنّست ظاهرهما[8].

فإنَّ من باب عدله تعالى أن يكون هذا المشفوع له عاملاً لآخرته قبل أن يتكل على الشفاعة، وذلك بدلالة عدة

---

(١) (يُنظَر) الشفاعة في الكتاب والسنة: ٣٠.

(٢) [سورة مريم: الآية ٧٨].

(٣) (يُنظَر) تفسير التبيان: ٧/١٥٠، تفسير الكشاف للزمخشري: ٤/١٢٠، دروس في الشفاعة والاستشفاع ـ علي الحسيني الصدر، مطبعة نكارش، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ: ٦٨.

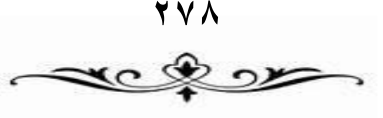
(٤) [سورة الأنبياء: الآية ٢٨].

(٥) بحار الأنوار، باب الشفاعة، ح٤: ٨/ ٣٤. (يُنظَر) أحوال البرزخ والآخرة ـ زين الدين الإحسائي، جمع وإعداد وتعليق: صالح أحمد الدباب، دار المحجة البيضاء ـ مؤسسة شمس هجر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م: ١٦٠.

(٦) من كبار فقهاء الشيعة الامامية، أمين الإسلام، وفي الطريقة دليل الأعلام، اتفقت طائفة على أنه أوثق المحمدين الثلاثة الذين هم أصحاب الكتب الأربعة، ولجلالة قدره عدَّه الكثير من العلماء من المجددين لمذهب الإمامية على رأس المائة الثالثة، له ما يزيد عن الأربعمئة مصنف، منها [الكافي]، [الرجال]، الرد على القرامطة]، [رسائل الأئمة]، وغيرها كثير، توفي رحمه الله في بغداد سنة ثمان أو تسع وعشرين وثلاثمائة. (يُن ظر) روضات الجنات: ٦/ ١١٣ ـ ١١٤.

(٧) الكافي، من رسالة الامام الصادق عليه السلام إلى أصحابه:٨/ ٣٥٠.

(٨) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٩/٢٠٧.



روايات لأحاديث النبي ﷺ، ومنها نصّ حديثه في حديث المرأة المخزومية التي سرقت فدفعت قريش بأسامة بن زيد لأنهم يعلمون مكانته عند الرسول ليشفع لها عنده فقال له الرسول ﷺ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟)[1]، إذ يدل الحديث الشريف إن الشفاعة لها شروطها في المشفوع له، ولا تتجاوزها كي تشمل الذي يتعدى على حدود الله تعالى.

المقصد الثاني: تكريم الله تعالى للشفعاء

ويتجسد هذا المقصد من خلال ما جاء في ذلك الموقف والأهوال حين يرى الناس كلَّ ما قدَّمت أيديهم أمامهم من خيرٍ أو شر، إذ يأذن تعالى بالشفاعة للشافعين، فإنما يظهر عظيم مكانتهم عند الله تعالى، فإكراماً لهم يقبل الله تعالى شفاعتهم في أهل التوحيد ممن قلت حسناتهم على سيئاتهم أن يخرجوا من النار لينتقلوا الى الجنة برحمة الله تعالى وعفوه.

فيجب أن يُعتَقد أن النبي ﷺ وغيره من سائر الرسل والأنبياء والملائكة عليهم السلام والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون، وبقدر جاههم ووجاهتهم عند الله تعالى يتوجهون[2].

والمشفوع اليه، وهو الله تعالى إذا أجاب الشفيع سواءٌ كان نبياً أو ملكاً أو إماما أو شهيداً أو ولياً من الصالحين فإنما كان سبحانه بقبول هذه الشفاعة مكرِّماً له؛ لأنه قد قصد بالإجابة إكرامَه، وبيان فضله وتقديره، وإلا لم يكن إيصاله تلك المنفعة الى الغير ودفعه ذلك الضرر بشفاعته[3].

وبناءً على أنواع الشفاعة والشافعين، فقد رأيتُ تقسيم المقاصد في هذا التكريم الى فرعين، الأول في تكريم النبي ﷺ كونه صاحب الشفاعة العامة والخاصة في فتح أبواب الجنة ودخول المؤمنين إليها بعد طول الموقف وعظمته، وكذلك لاشتراكه مع كافة الشفعاء في الشفاعات الخاصة في أصحاب الذنوب من أمته. والمقصد الثاني في تكريم الشافعين من الأنبياء عليهم السلام جميعاً وأولهم نبينا ﷺ وغيرهم من الملائكة والقرآن الكريم والرحم وصالح المؤمنين ممن يأذن له الله تعالى ويرضى.

أولاً: تكريم النبي محمد ﷺ في مقام شفاعته الخاصة والعظمى

لم يكن اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله أمراً عشوائياً، بل كان لحكمةٍ فيمن يكون قادراً على تحمل أعباء هذه الأمانة العظيمة التي وُكِّل بإيصالها الى الناس، ونبينا ﷺ واصطفاء الله تعالى له بهذه المنزلة العظيمة، بإرساله الى امم العالم كافه وخاتماً للنبيين قد زاد في فضله من الله تعالى.

ولم يكن هذا التكريم والتفضيل له ﷺ مقتصراً على الحياة الدنيا الزائلة، بل أنه يمتد الى اليوم الآخر واصطفاءه وتكريمه بالمقام المحمود الذي وعده به تعالى.

(١) صحيح البخاري، كتا بالأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾، ح ٣٢٨٨: ٣/ ١٢٨٣، وصحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ح ١٦٨٨: ٣/ ١٣١٥.

(٢) (يُنظَر) اسرار الأقدار: ٣٢٧.

(٣) (يُنظَر) شرح الاصول الخمسة: ٦٨٨.



فقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : أن النبي ﷺ: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام: (﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1] الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، فرفع يديه وقال ﷺ: (اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)، وبكى، فقال الله عز وجل: (يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟) فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله تعالى: (يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ)[3].

وأحد صور هذا الوعد والتكريم الإلهي له ﷺ في مبدأ شفاعته الخاصة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فإنهم إذا عبروا الصراط أوقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فتمحص قلوب بعضهم من بعض حتى يُهذبوا وينقوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ[4]، فيكون ﷺ أول من يفتح باب الجنة بإذنه تعالى، وقد روى الامام مسلم في صحيحه قوله ﷺ: (آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)[5].

وكذلك في تكريمه ﷺ بشفاعته العظمى، فمع هول الموقف وخشوع الأبصار لأمر الله تعالى، إذ يتم وعده تعالى لنبيه في المقام المحمود ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[6].

ولا ريب، فإنَّ المقام المحمود هو مقام مرتفع جدّاً يستثير الحمد، والرّوايات الإسلامية تشير إلى أنَّ هذا المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى[7]، إذ ينقل الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) (عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ سئل عنها، قال ﷺ: (هِيَ الشَّفَاعَةُ)، وفي رواية أخرى يقول فيه ﷺ: (هُوَ المقامُ الَّذي أشفَعُ فيهِ لأمَّتي)[8][9].

ثم ان الشفاعة من حيث هي وإن شاركه فيها ﷺ غيره من الملائكة والأنبياء وبعض المؤمنين إلا أن الشفاعة الكاملة والأنواع الفاضلة لا تثبت لغيره ﷺ. ووصف المقام بأنه محمود على ما ذُكر باعتبار أن النبي ﷺ يحمد فيه على أنعامه الواصل إلى الخاص والعام من أصناف الأنام[10].

---

(١) [سورة إبراهيم: الآية ٣٦].

(٢) [سورة المائدة: الآية ١١٨].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه عليهم، ح ٢٠٢: ١/ ١٩١.

(٤) (يُنظر) نور الأفهام في علم الكلام:٢/٢٨٣، ومعرفة المعاد: ٩/٢٠٧ وما بعدها.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة)، ح١٧٩: ١/ ١٨٨.

(٦) [سورة الإسراء: من الآية ٧٩].

(٧) (ينظر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/٨٨.

(٨) مسند الامام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، ح ٩٦٨٢: ٢/ ٤٤١، وتعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/ ٥٢٩، وقد ذكر الطبري صحة ما ورد من هذه الأخبار، و(ينظَر) الكشاف للزمخشري: ٣/ ٤٥٢.

(١٠) (يُنظر) روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني: ٨/١٣٥.

وقد روى في ذلك ابن عمر رضي الله عنه : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها، يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[(١)].

فالنّبي ﷺ هو أكبر الشفعاء في ذلك اليوم، وشفاعته تشمل الذين يستحقونها، إذ يُظِهر تعالى فضله ذلك اليوم وإكرامه له ﷺ بإجابته لسؤاله لأجل أمته، وفي ذلك قوله ﷺ: (خُيِّرْتُ بَين الشَّفَاعَة وَبَين أَن يدْخل شطر أمتِي الْجنَّة فاخترتُ الشَّفَاعَة لِأَنَّهَا أعَم وأكفى، أترَونَها للْمُؤْمِنين الْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلكنهَا للمذنبين المتلوثين الْخَطَّائِينَ)[(٢)].

وفي هذه الشفاعة أيضاً عرفان الناس بعدم استغنائهم عنه ﷺ وعن دعواته يوم القيامة، كما أنهم لم يستغنوا عنه ﷺ في الدنيا ؛ لمكان حاجتهم إلى دعائه وبركات وجوده في حياتهم، وإلى شريعته وأحكامه في نظام مدنيتهم، وفي كل ذلك تحريض على الطاعة له، والتقرب إليه[(٣)].

كما تتجسد فيها أسمى معاني الرحمة الإلهية من إرساله ﷺ الى المسلمين، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[(٤)]، فقد كان ﷺ طيلة حياته رحمةً للعالمين؛ إذ أخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالة الى نور الإيمان، ولم تنتهي رحمته في حياته وحسب، بل انه يتلقاها المؤمن ممن تلوث بالمعاصي لينقذه ثانية من النار ودركاتها، وفي جميع هذه المواقف يناله ﷺ تكريم الله تعالى له على سائر الخلق.

ثانياً: تكريم الله تعالى للشافعين عامة

وهذا المقصد في عامة الشافعين، تكريماً لمن هو بعده ﷺ، من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، والملائكة المقربين، ومن هو دونه من خلفائه الطاهرين، والشهداء والصديقين، والعلماء العاملين، والسادة الميامين من ذراري آل طه وياسين ﷺ، وسائر الصلحاء من المؤمنين المتقين، بل ولكثير من الأزمنة والأمكنة ا المعدة لطاعة العابدين، كشهر الصيام والمساجد وأمثالها مما ثبت له ذلك في الدين، واستفاضت به أحاديث الفريقين[(٥)]

وقد وردت في الصحيحين هذه الشفاعة وثبوتها ومنها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه قوله ﷺ عن الله تعالى: (فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ،

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير ـ باب ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، ح ٤: ٤٤١/١٧٤٨.

(٢) روضة الواعظين، ح١٧٦٩: ٥٣٣/٢، وأربعون حديثاً من الصحاح العوالي ـ أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد النيسابوري (ت ٥٤١هـ)، تخريج الأحاديث والتعليق: مفلح بن سليمان الرشيدي، وبدر الدين بن فواز المطرفي، دار الخضيري للنشر والتوزيع ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ، ح٨: ٧٤، وقال النيسابوري حديث حسن، وقال محققوا الكتاب: حديث مُعَل من جهة الاسناد من جهة ابن عمر، وهو صحيح من وجه آخر من حديث أبي موسى في اختياره ﷺ للشفاعة دون الجملة الأخيرة، وذكره الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٤٦.

(٣) (يُنظَر) نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٨٤.

(٤) [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

(٥) (يُنظَر) نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٨٤.



فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[1])[2].

فهؤلاء الشفعاء هم الشهود يوم القيامة، وذلك لشهادتهم بالحق، فكل شهيد هو شفيع يملك الشهادة [3]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، فمن يشهد بالحقّ، ويمتلك علماً واطّلاعاً ملكوتيّاً على بواطن الأعمال، سيكون يوم القيامة في طائفة الشفعاء، وتبعاً للنفي والإثبات في قوله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِ﴾، فينبغي للشفعاء أن يكونوا من الشهداء، وكلّ ما هنالك أنّ بإمكان كلّ امرئ أن يشهد بقدر سعة اطّلاعه الملكوتيّ على بواطن الأعمال، كما بإمكانه أن يشفع لمن اطّلع على بواطن أعمالهم وحقائقها[5].

ومما ورد في تكريم هؤلاء الشافعين النصوص الكثيرة، تبعاً لكثرة الذين ينالهم هذا الكرم الإلهي، وبعدَ قراءتي لهذه النصوص، أذكر هنا أصناف معدودة من هؤلاء الشفعاء ومواطن تكريمهم الإلهي في الشفاعة، ومنهم:

١ـ الأنبياء عليهم السلام.

إن الشفاعة بإذن الله تعالى ورضاه باب كرمه تعالى وتقديره للشافعين، وهو تعالى قادرٌ على أن يغفر للمشفوع له ويدخله الجنة دون شفاعة، ولكن الله حكيم عليم، يظهر في ذلك الموقف كرامتهم ورفعتهم ما لا يخفى، فقد جاء الوعد الحق من الله تعالى ليبين تمام فضلهم للعالمين. ومن هؤلاء الشافعين الأنبياء عليهم السلام إذ أرسلهم في حياتهم دعاةً للحق والإيمان، فتبعهم المؤمنون، وتمسك بدعوتهم المهتدون، وصدَّقهم المصَّدقون، فكان فضلهم عليهم في الحياة الدنيا أن أخرجوهم من ظلمات الكفر الى نور الإيمان ورضا الرحمن، فنالوا بذلك فضل الكريم المنان.

فيظهر في ذلك الموقف تكريمهم عليهم السلام على الخلْق، بقبول شفاعتهم فيمن يشفعون له ممن سبقت لهم الرحمة، فيتقدمون بطلب شفاعتهم الى ربهم في إخراج أقوامٍ من النار دخلوها بذنوبهم ليخرجوهم منها، فهم الشفعاء للمذنبين من أهل التوحيد[6].

والمسلم ممن عرف بمقام هذه الشفاعة زاده الشوق والولاء للشافعين؛ لبيان فضلهم وتحصيل القربى منهم في الدنيا ولأجل نجاة الآخرة، وبكلّ تأكيد أنّ مقام رسول الله محمّد ﷺ في الفناء في الله والبقاء بالحقّ سبحانه وتعالى هو مقام رفيع شامخ ذو سعة وعموميّة يجعل جميع الأنبياء والمرسلين يلوذون به ويحتاجون شفاعته، وليس هذا المقام درجة اعتباريّة، بل هو واقع ووجود موهوب ومكتسب منَّ الله تعالى به على نبيّه، وهو ما يمثّل رحمة الحقّ الواسعة

(١) هو ما يجيء به السيل من طينٍ وغيره. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/ ١٠٨

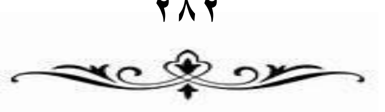
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ١٨٣: ١/ ١٦٧، وبلفظ مقارب في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناظرة﴾، ح ٧٠٠١: ٦/ ٢٧٠٦

(٣) (يُنظَر) عالم الآخرة ـ السيد محمد حسين الطباطبائي، إعداد: الشيخ قاسم الهاشمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: ٢٧.

(٤) [سورة الزخرف: الآية ٤٣].

(٥) معرفة المعاد: ١٣٠/٩.

(٦) (يُنظَر) الحياة الآخرة: ١/ ٤٧٠.



والنَّفَس الرحمانيّ والحجاب الأقرب الذي هو المحمود المطلق[1].

٢. الملائكة

ومن الشفعاء يوم القيامة ملائكة السماوات والأرضين، التي تستغفر للمؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3][4].

فأما موقف الملائكة عليهم السلام من البشر وهذا الاستغفار اليهم وشفاعتهم في ذلك الموقف فقد قال فيه الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب (قال أهل التحقيق: إن هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجرى اعتذار عن ذلة سبقت، وذلك لأنهم قالوا في أول تخليق البشر ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[5]، فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الأمر بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبيه على أن من آذى غيره، فالأولى أن يجبر ذلك الإيذاء بإيصال نفع عليه)[6].

ومن هذه الآثار والمقاصد في الشفاعة العامة موقف الشافعين من الملائكة في قوله تبارك وتعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[7]، وجاء في تفسير ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) أن التقدير: لمن ارتضاه، أي ارتضى الشفاعة له بأن يأذن الملائكة أن يشفعوا له؛ إظهاراً لكرامتهم عند الله أو استجابةً لاستغفارهم لمن في الأرض، ثم زاد تعظيمهم ربهم تقريراً بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، أي هم يعظمونه تعظيم من يخاف بطشته ويحذر مخالفة أمره[8].

٣ . القرآن الكريم

ومن بين الشفعاء: القرآن الكريم، فمن عمل به أعانه وشفع له في التقرّب إلى الله تعالى، وقاده إلى الخيرات، ووضعه في الصراط المستقيم ضمن قافلة الباحثين عن الله سبحانه، وأنجاه من الظلمات[9].

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ (١٦) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ويُخْرِجُهُم

(١) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٨٦/٩.
(٢) [سورة غافر: الآية ٧].
(٣) [سورة الشورى: الآية ٥].
(٤) معرفة المعاد: ٧٦/٩.
(٥) [سورة البقرة: من الآية ٣٠].
(٦) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٩٠.
(٧) [سورة الأنبياء: الآية ٢٨].
(٨) (ينظر) التحرير والتنوير: ٥١/١٧.
(٩) معرفة المعاد: ٧٦/٩.

مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

ورسول الله ﷺ وهو صاحب الشفاعة العظمى والخاصة وهو الذي يقول لأمته بأن هذا القرآن سيشفع لأمته يوم القيامة لما رواه الإمام مسلم رحمه الله من قوله ﷺ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)[٢]، فالقرآن هو الهداية الكبرى التي لا يأتيها الباطل وهو المعجز الخالد الذي ينير الطريق للأجيال كلها، فهو الشفيع في طريق الهداية، وقال الامام علي عليه السلام: (اعلموا أنّ القرآن شافع ومشفّع، وقائل ومصدّق، وأنّه من شفّع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه)[٣]، فإن كان هذا في من قرأ القرآن وعمِل به، على أن من قرأه ولم يعمل به لم يكن من أهل القرآن ولا يكون شفيعاً لهم بل يكون القرآن حجة عليهم تتقدم أهله[٤].

٤. الرحم

أمّا عن تكريم الله تعالى للرحم في قبول شفاعتها يوم القيامة، فقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، ولَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾[٥].

ويذكر السيد محمد الحسيني رحمه الله (ت١٤١٦هـ) في معرفة المعاد إن هذه الآيات تتحدّث عمّن يُعطَون كتابهم بشمالهم، كنايةً عن جانب الشقاء، حيث يتطرّق من خلال عدّة آيات إلى ذكر أحوالهم وتأسّفهم على ما فرط منهم، ثمّ يصل إلى هذه الآيات التي تخاطب ملائكة العذاب.

والحَميم عبارة عن الرَّحِم القريب، كالأب والامّ والأخ وأمثالهم، ومن هنا يُفهم من هذه الآية أن ليس من حميم ولا رَحم قريب لغير المؤمن والمتعدّي على الحقوق، ولا من معين يشفع له في فكّ أغلاله وسلاسله؛ ولوكان مؤمناً وغير معتد، لأغاثه الحميم وشفع له بكلّ تأكيد[٦].

وقد مررنا بالصراط في أهوال الموقف وكيف يتمثل عقبةً أمام الإنسان، إن لم يكن وصولاً له وكذلك الأمانة، فإن كان وصولاً للرحم ومؤدياً للأمانة فقد شفعا له ونجا من هذه العقبات.

(١) [سورة المائدة: الآيتان ١٥، ١٦].

(٢) صحيح مسلم، باب فضل قراءة القرآن، ح ٨٠٤: ١/٥٥٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦: ٢/٢٢٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٤/١٤١٦.

(٥) [سورة الحاقة: الآيات ٣٠ ـ ٣٥].

(٦) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٩/١٣٧.

٥ . شفاعة المؤمنين لبعضهم

ومن الشافعين يوم القيامة ممن ينالهم هذا التكريم من الله تعالى المؤمنون الذين يستغفرون لأنفسهم ولإخوانهم في الإيمان، فيؤدّي ذلك إلى غفران تلك الذنوب، فقد شفعوا في حقيقة الأمر، وقد ذكر الله تعالى كلامهم في القرآن الكريم[١]، قال تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا أنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

فالصالحون من المؤمنين كما أنهم في تلك الأهوال يشهدون لإخوانهم من الموحدين، فإنهم يشفعون فيهم ممن استحق العذاب في النار، وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ فكان دخولهم النار تطهيراً لهم من ذنوبهم، وقد ورد في الأحاديث الشريفة قوله ﷺ: (فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَمِثْلَ الرِّيحِ، وَمِثْلَ أَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُكَلَّمٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا قَطَعُوهُ ـ أَوْ فَإِذَا جَاوَزُوهُ ـ فَمَا أَحَدُكُمْ فِي حَقٍّ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَهُ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً مِنْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: أَيْ رَبِّ كُنَّا نَغْزُو جَمِيعًا، وَنَحُجُّ جَمِيعًا، وَنَعْتَمِرُ جَمِيعًا، فِيمَ نَجَوْنَا الْيَوْمَ وَهَلَكُوا؟) قَالَ ﷺ: (فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَ: (فَيُخْرَجُونَ) قَالَ ﷺ: (ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ قِيرَاطٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَ ﷺ: (فَيُخْرَجُونَ)، قَالَ ﷺ: (ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، قَالَ: (فَيُخْرَجُونَ)[٣]. الحديث

ويستنتج من هذا الحديث أنّ المؤمنين هم من الشفعاء، لأنّ الله تعالى قد أخبر عن لحوقهم بالشهداء في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿والَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ اولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ونُورُهُمْ﴾[٤].

وفي هذه الشفاعة من مقاصد تكريم المؤمنين الصالحين والشهداء في ذلك الموقف وهم يناشدون الله تعالى في إنقاذ إخوانهم من الذين أوقعتهم معاصيهم وذنوبهم في النار، وهي منحة الله تعالى لعباده الصالحين وملائكته المقرّبين المتمسّكين برحمته بأن يستفيدوا من صفاته العليا من خلال العفو والمغفرة والمسامحة، ليشملوا بإذن الله تعالى ورضاه الله عبداً من عباده قد ساءت حاله بمعصيته، وإنقاذه من بلاء العقوبة، وإخراجه من مصداق حكم العقاب الذي يشمل المجرمين.

المقصد الثالث: العدل الإلهي في الشفاعة لأصحاب الذنوب وقبول توبتهم

كما يثبت مقصد العدل الإلهي في الشفاعة من خلال الرد على شبهةٍ مهمةٍ فيها، تظهر من كلام بعض الذين لا يرون إطلاقها للجميع، بتساؤل منهم، لماذا لم يتب هذا المذنب وكانت فرصة التوبة ممتدة أمامه طوال عمره! وأي عدالةٍ في أن يستقدم رسوله ليجد له مخرجاً من إثمه، وكان المخرج أمامه طول الوقت![٥].

---

(١) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٧٧/٩.

(٢) [سورة البقرة: من الآية ٢٨٦].

(٣) (سبق تخريجه).

(٤) [سورة الحديد: الآية ١٩].

(٥) (يُنظَر) الشفاعة، مصطفى محمود: ٦٤ وما بعدها.

ويعود هذا الرأي وغيره من قِبل المعرضين عن إمكان هذه العقيدة في الشفاعة الى التفسير الخاطئ لبعض الآيات الكريمة الواردة فيها من خلال بيان رحمة الله تعالى وسعة لطفه بعباده من دون الاشارة الى حقيقة مرتبة العبودية التي يجب أن يتصف بها المؤمن، أو الأحاديث الشريفة التي نُقِلت باعتبارها مما يتعلق بالفضائل والتي لا يُنظَر معها الى التأكيد من صحة نقلها أو مضامينها. فأدى ذلك الى التهاون في هذه العقيدة الى الدرجة التي تكاد تهدد القيم جميعاً[1].

أما العدالة في ذلك فإن هذه الشفاعة ليست مطلقة للجميع، بل هي مختصة لمذنبي الموحدين؛ لإيمانهم، إذ من الممكن أن تكون النجاة مكتوبة لجميع المؤمنين، ثمَّ توضع الأحكام وما لمخالفتها من أنواع العقاب، ليهلك الكافرون بكفرهم، أمّا المؤمنون فيرتفع بالطاعة درجات المحسنين منهم، ويبقى المسيئون فينالون بالشفاعة تلك النجاة الغائيّة والسعادة النهائيّة ولو بالنسبة إلى بعض أنواع العذاب، مع مقاساة عذاب البعض الآخر، كأحوال البرزخ وأهوال يوم القيامة، فيكون بذلك أصل وضع الحكم وعقابه أوّلًا عدلًا، ورفع عقابه ثانياً عدلًا[2].

ويقول في ذلك الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (إنه تعالى أمر نبينا محمداً ﷺ بالاستغفار للمذنبين، فقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[3]، والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾[4]، فسماه مؤمناً حال كونه باغياً، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5]، فسماه تعالى مؤمناً حال قتل النفس بغير الحق[6].

فثبُت بهذا: أن الله تعالى أمر النبي محمد ﷺ بأن يستغفر للفاسق، فإذا طلب محمد ﷺ المغفرة للفاسق، فلا بد أنه ﷺ يريد أن لا يرده الله عن مطلوبه، بل يقبل شفاعته، وإذا ثبت أن محمداً ﷺ يريد ذلك، فإن الله تعالى يقبله أيضاً؛ لقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[7].

ويلزم من ذلك: أن الله تعالى يقبل شفاعة محمد ﷺ في حق الفُسَّاق[8].

والعلم بهذا الأمر يدفع الكثير من العصاة الى طمعهم في الحصول على غفران ذنوبهم واستحصال الشفاعة من الشافعين مما يدفعهم الى سلوك طريق التوبة عن الذنوب، لتكون شافعةً لهم بإنقاذهم من الهَلَكة، إذ إن كلّ ما يستوجب الغفران للإنسان في الدنيا ويستلزم قربه من الحقّ تعالى، فهو شفيع يتوسّط بين العبد وربه، ويوجب غفران

(١) (يُنظَر) أوهام وحقائق - د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ: ٧٣.

(٢) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٩/ ٢٠٩.

(٣) [سورة محمد: الآية ١٩].

(٤) [سورة الحجرات: الآية ٩].

(٥) [سورة البقرة: الآية ١٧٩].

(٦) الأربعين في اصول الدين: ٢/ ٢٤٥.

(٧) [سورة الضحى: الآية ٥].

(٨) (يُنظَر) الأربعين في اصول الدين: ٢/ ٢٤٥.

ذنوبه، فالتوحيد إذاً من شفعاء الإنسان، أما الكافر، فهو غير مستحقٍ لهذه الشفاعة يوم القيامة إلا بتوبته عن الشرك، عندئذٍ يكون توحيد الله تعالى شافعاً له موجب لغفران شركه[1].

فالتوبة من الذنوب دعتنا اليها الكثير من الآيات القرآنيّة الكريمة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

ومن بين أنواع التوبة: التوبة من الشرك، فمن صار موحّداً مؤمناً بالله تعالى غُفر له ذنبه في الإشراك، وكان نفس توحيده توبةً له[3].

ويقول ابن عاشور رحمه الله (١٣٩٣هـ) في هذه التوبة أنه لا تعني الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[4]، أنّه لا تُقبل توبة المشرك منه مهما كانت، وأنّ الله لن يغفر للمشرك شركه، بل تعني أن المشرك المصرّ على شركه حتّى يموت، سوف لن ينال المغفرة لأن الله تعالى يغفر ما دون الإشراك فيه [5].

فيدخل التائب في دائرة الايمان المؤدي الى غفران ذنب الكفر: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[6].

فكانت توبته من الشرك شافعة له يوم القيامة بإنقاذه من الشقاء والهلاك في الجحيم الى رضوان الله تعالى، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: (لا شرف أعلى من الإسلام، ولا عز أعز من التقوى ولا معقل أحصن من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة)[7].

أما العصاة وأصحاب المعاصي من الموحدين فهم أولى بهذه الشفاعة، وقوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي)[8]، خير دليلٍ على ذلك، وكذلك قوله ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[9]، ومع ذلك فهذه التوبة ليست مُطلَقة بل لها من الشروط التي تصدق عليها، وإلا لكانت كما قال المُطلقين للشبهات فيها أنها ستكون سبباً في الإصرار على المعاصي والذنوب.

(١) (يُنظَر) عالم الآخرة (الطباطبائي): ٢٧، ومعرفة المعاد: ٧٥/٩.

(٢) [سورة الزمر: الآية ٥٣].

(٣) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٧٥/٩.

(٤) [سورة النساء: جزء من الآيتين ٤٨، و١١٦].

(٥) (يُنظَر) التحرير والتنوير: ٨٠/٥، ٨١، ومعرفة المعاد: ٧٥/٩.

(٦) [سورة الحديد: الآية ٢٨].

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٠: ٤٥٧/٤.

(٨) من لا يحضره الفقيه، باب الكبائر التي أوعد الله عز وجل عليها النار، ح ٤٩٦٣: ٣٨٣/٣، والمستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، ح٢٢٨: ٣٩٩/١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، ح٢٠٠: ١/ ١٩٠.



المقصد الرابع: الرحمة الإلهية في الشفاعة لأصحاب الذنوب من الموحدين

من المقاصد التي يستشعرها المسلم عند تصوره لذلك الموقف العصيب، يوم جمع الخلائق وحضوره بين يدَي رب العالمين ببضاعته المزجاة التي أحصاها الله تعالى وجهلها الإنسان نفسه، إلا أن تداركه موارد هذه الرحمة العظيمة من قبول الشفاعة فيه وإنقاذه مما كسبته يداه، ففيها من رحمة الله تعالى بالمشفوع له ما هو ظاهر بيِّن حيث وجد سبباً تحصل له به المغفرة ودخول الجنة.

وتتجلى الرحمة الإلهية بصور مختلفة، منها ان يغفر الله سبحانه لمن شاء من عباده العصاة، ومنها تكريم رسولهﷺ بالشفاعة في امته، وهي تتمثل في شفاعات كثيرة اعظمها شفاعتهﷺ لأهل المحشر عامة لراحتهم من طول الموقف واهواله ومنها ادخاله لطائفة من امته الجنة من غير حساب، ومنها شفاعته فيمن استحق دخول النار ان لا يدخلها، ومنها شفاعته في اخراج المؤمنين والموحدين منها بعد دخولهم فيها، ويشاركه فيهاﷺ اخوانه من الأنبياء عليهم السلام وأهل بيته والملائكة والمقربون من المؤمنين وسائر الشافعين[1].

فعندما يعلم الإنسان بطريق الشفاعة ويؤمن بها بمعناها الصحيح يدفعه ذلك الى الطمأنينة بخلاصه من العذاب المؤبد والتي تدفعه نحو العمل الصالح ومنشأ هذه الطمأنينة إنما هو حسن ظنه بالله تبارك وتعالى.

ذلك أن مرتكبي الجرائم الكبيرة يعانون من وخز الضمير، كما يشعرون باليأس من عفو الله تعالى، ولذلك هم لا يفكرون بالعودة الى طريق الهداية ورضا الله تعالى، ولا بإعادة النظر في طريقة حياتهم الآثمة، وقد يدفعهم المستقبل المظلم الى التعنت والطغيان، وإلى التحلل من كل قيد تماماً، كالمريض اليائس من الشفاء الذي يتحلل من أي نظام غذائي، لاعتقاده بعدم جدوى التقيد بنظام[2].

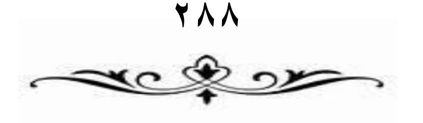
يقول السيد كمال الحيدري (إن إعتقاد هؤلاء المذنبين بالشفاعة المقيدة بشروطها يبعث الأمل في نفوسهم وأفئدتهم، فيدفعهم الى العَودة عن سلوكهم السلبي وإعادة النظر في منهج حياتهم ويمسكهم عن الاستمرار والتمادي في ما هم عليه من التمرد والعصيان؛ وذلك أنهم لو علِموا أن الرجوع عن منتصف الطريق الباطل الى الطريق الصواب والحق سينقذهم مما يترتب على أفعالهم السيئة التي ارتكبوها مدة عمرهم، فيغتنموا الفرصة بتغيير وضعهم وتعديل سلوكهم)[3].

لكن هذه السماحة قد لا تتواجد في نفوسٍ اعتادت المعاصي وابتعدت عن الله تعالى، وعن طريق الهداية والحق، كما أن قلق الضمير الناتج عن هذه المعاصي قد يؤدي الى اختلالات نفسية، وإلى تحفيز الشعور بالانتقام من المجتمع الباعث على تلوثه، وبذلك يتبدل المذنب الى عنصر خطر، وإلى مصدر قلق اجتماعي، ولكن، الإيمان بالشفاعة يفتح

(١) كبرى اليقينات الكونية: ٣٥٥. ٣٥٦

(٢) (يُنظَر) أسرار الاقدار: ٣٨٢.

(٣) الشفاعة (كمال الحيدري): ١٧٥.



أمام الإنسان نافذة نحو النور، ويبعث فيه الامل بالعفو والصفح، وهذا الأمل يجعله يسيطر على نفسه، ويعيد النظر في مسيرة حياته، بل ويشجعه على تلافي سيئات الماضي، لذلك فإن الإيمان بالشفاعة يحافظ على التعادل النفسي والروحي للمذنب، ويفسح الطريق أمامه إلى أن يتبدل إلى عنصر سالم صالح[1]، وبناءً على ذلك فإن ما ورد من النصوص الكريمة والروايات الشريفة في الشفاعة بحد ذاتها تطمئن من تلوث بالذنوب أنه قد ينال شفاعته ﷺ ويتخلص من العذاب الدائم فيكون حافزاً له للتوبة من ذنوبه، وذلك لأن العذاب الدائم إنما يكون للكافرين.

ويضيف الشيخ محمد حسين الحسيني ﵀ (ت١٤١٦هـ) في هذه الشفاعة (لربّما أوجب الرجاء في الشفاعة إقلاع الشخص العاصي عن معاصيه، وركوبه صراط التقوى، وصيرورته من المحسنين، بينما قد يقول إذا انعدمت في وجوده أيّة نافذة للرجاء: لقد قُضي الأمر، وبلغ السيل الزُّبى؛ وإذا طغى الماء، فما الفرق أن يغمر شخصاً واحداً أو مائة؟ وما دمنا من أصحاب النار، فلماذا نفعل أعمال الخير؟، أمّا إذا لاحت أمام أعينه نافذة رجاء العفو وطلائع الرحمة، ورجى شموله بالشفاعة، فلربّما أقلع عن غيّه وانزجر عن معاصيه، وانساق إلى الطاعات والعبادات، و﴿ذَلِكَ هُو الْفَضْلُ الْعَظِيم﴾[2].

فتجيء الشفاعة لإزالة ذلك اللوث والدنس ولجلاء صدأ الذنوب عنهما لتطلع من جديد تلكما النفس السليمة والعقيدة الحسنة، فتقود ذلك الشخص إلى مرفأ الأمان وساحل النجاة[3].

وبذلك يتجسد مقصد مهم من مقاصد الشفاعة، إذ لا يخفى على المسلمين سعة رحمة الله تعالى، وحتى العاصين منا فإنه تعالى قد جعل لنا أبواباً كي يتجاوز عن خطايانا، فكما أن الخطأ ملازم للإنسان غير المعصوم، فكذلك رحمة الله تعالى أيضاً ملازمة لهذا الإنسان، ولكن، إن سعى إليها سعيها.

---

(١) (يُنظَر) تفسير الأمثل: ١/ ٢٠٩، ٢١٠، وأسرار الأقدار: ٣٢٧.

(٢) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٩/٢١٥، ٢١٦

(٣) (يُنظَر) المصدر نفسه: ٩/٢٠٧.



خلاصة الفصل الثالث

وبعد هذه الدراسة في المقاصد العقدية من الايمان بالمعاد والموقف والحساب، نخلص منها بفوائدٍ عدة، منها:

١ـ من كبرى المقاصد من مظاهر وأهوال القيامة والحشر وابتداءً من النفخ في الصور وبعث الأموات تجليات ربوبية الله تعالى وملكه ومالكيته وحاكميته، فمع كون الله تعالى مالكاً ومِلكاً في كل الأوقات، وعلى كل الأكوان، إلا أن ذلك يتجلى بوضوح عند النفخ في الصور، وعند النشأة الثانية إذا حشر المخلوقات جميعاً وعرضهم لحسابهم.

فكما كان مبدأ الخلق ذا أهداف ونتائج ومصالح، كذلك سيكون يوم القيامة، حيث بعث المخلوقات والناس جميعاً، ويكون الحكم والملك لله تعالى وحده بالحق، بقوته وقدرته في تبدل السموات والأرض وتهيأتها للجمع وحشر العباد وحسابهم وجزاءهم.

٢ـ من مقاصد مقدمات القيامة من النفخ في الصور سواءٌ كانت نفختين أو ثلاثٍ أو أربع تجليات الأسماء والصفات الإلهية من إرادة الله تعالى ومشيئته وعظمته وقدرته على البعث والاحياء بعد فناء الخلق وصعقهم، فهو المبدئ والمعيد، وهو المحيي والمميت، فضلاً عن فزَع الخلْق الشديد وانقيادهم التام لهذه المشيئة والإرادة الإلهية.

٣ـ يتضح من الإيمان بنفخَتَي الصور الدور التكويني للنشآت الإنسانية، أي أن النفخة الأولى تكون سبباً في نهاية النشأة التكوينية الأولى المتمثلة بالحياة الدنيا، والنفخة الثانية تكون سبباً في نهاية النشأة التكوينية الثانية المتمثلة بالحياة البرزخية، ومثلها المقاصد التي تظهر في قولهم في كونها ثلاث أو أربع نفخات، في تجليات الإرادة والقدرة الإلهية فيما ينتاب الخَلْق من فزع يومئذٍ، فضلاً عن الدور التكويني للنشآت الإنسانية.

٤ـ من مقاصد الإيمان بالمحكمة الإلهية يوم القيامة، وحساب العباد على جميع أعمالهم، إقامة الحجة على العباد بإعطائهم صحف أعمالهم قبل المحاسبة، ومظاهر عدالة الجزاء الإلهي في تمييز المؤمنين عن الكافرين، فضلاً عن مقاصد التكريم الإلهي في من لا يُحاسبون، وعدالته تعالى وإكرامه لمن يحاسبون، وعدم ضياع الحقوق والمظالم فيما بينهم، فيوفي الحق عز وجل عباده أجورهم كاملة غير منقوصة ولا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل.

٥ـ كذلك من مقاصد المحاكمة والحساب الإلهي يوم القيامة حضور الأشهاد على الإنسان، إذ لم تخلُ من اللطف الإلهي بالعباد، ونجاة المؤمنين بناءً على اكتفائهم بشهادة الله تعالى على أعمالهم، كما أن من هذه المقاصد تجليات العدالة الإلهية في الاشهاد وإقامة الحجة على العباد، فضلاً عن تجليات القدرة الإلهية في شهادة الإنسان على نفسه ونطق جوارحه، وما في حضور الأشهاد من تكريم الأنبياء عليهم السلام بشهادتهم عامة والنبي ﷺ خاصة، وبالذات تكريم أمة النبي محمد ﷺ بالوسطية وعرض أعمالها عليه ﷺ.

٦ـ وبعد عَرض الأعمال، يأذن الله تعالى بإقامة الموازين التي من خلالها يعرف الخلق درجات أعمالهم، والجزاء الذي يستحقونه عليها، ولم تخلُ هذه المرحلة من مقاصد عقدية مهمة، منها دور هذه الموازين في تجليات دقة العدالة

الإلهية، وإقامة الحجة على الخلق برؤية أعمالهم وآثارها، ذلك أن الله تعالى قادر على أن يدخل عباده الجنة أو النار من غير أن يقيم عليهم الحجة بناء على علمه فيهم، لكنه بمقتضى عدالته لم يفعل ذلك، وإنما تركهم يعرفون بأنفسهم نتائج أعمالهم من خلال موازين القيامة، وذلك لدورها في بيان حقائق الأعمال، فضلاً عن بيان حقيقة العامل ومنزلته.

٧ـ تُعَد تجليات عدالته تعالى من المقاصد العقدية التي ترتبط بالايمان بالصراط، لما يظهر عليه من التمييز بين مراتب الناس بحسب اعتقادهم وتصديقهم، إذ يسيرون عليه، فمنهم الناجِ بلا خدش، ومنهم الهالك من أول وهلة، ومنهم المتوسط بينهما يُصاب ثم ينجو، حيث يتجلى في هذه الأصناف مقصد العدالة الإلهية، فضلاً عن مقاصد التربية والتطهير حتى تناله الرحمة الإلهية مما يجده في سلوكه الصراط كي يكون أهلاً لدخوله الجنة إن كان من أهلها.

٨ـ كذلك من مقاصد الصراط العقدية الرحمة الإلهية في إكرام النبي ﷺ وأمته على الصراط وتجسيد استقامتهم، فضلاً عن تجسيد الاستقامة في الحياة الدنيا لأثرها في هذا الجواز وبيان دقتها، وتوافق هذا الموقف مع القدرة الإلهية والتكليف في الآخرة وتطهير المؤمنين لدخولهم الجنة، وتربيتهم وإرشادهم الى تقديم صالح الأعمال في حياتهم الدنيا.

٩ـ ومن موارد الكرامات الإلهية في يوم القيامة، أنَّ العباد وبعدما يروا أعمالهم وعواقبها من خيرٍ أو شَر، وهم يومئذٍ فزِعون، يؤمِّن تعالى أولياءه المؤمنين ويكرمهم ليروي ظمأهم من حوض نبيه ﷺ، فكان من مقاصد هذا الحوض تكريم الله تعالى للنبي ﷺ به، فضلاً عن تكريمه للمؤمنين الصادقين، وإذلاله للمغيرين والمبدلين للدين، كما إن مكانه بالنسبة للصراط إنما هو لري المؤمنين بعدما يرَوه من الفزع والأهوال في مواقف القيامة وأهوالها.

١٠ـ لا يخلوا قبول الشفاعة يوم القيامة أو رفضها من حكمةٍ ومقصد قد يخفى علينا إلا إنه يعلمه الله تعالى، لتدخل في واسع فضله أو قانون عدله تبارك وتعالى، ومن هذه المقاصد توافق شروط الشفاعة مع العدالة الإلهية، ومقصد تكريم الله تعالى للشافعين، فضلاً عن مقصد تجليات العدل الإلهي في الشفاعة لأصحاب الذنوب وقبول توبتهم، وتجليات الرحمة الإلهية فيها لأصحاب الذنوب من الموحدين، إذ تتجلى الرحمة الإلهية بصور مختلفة، منها ان يغفر الله سبحانه لمن شاء من عباده العصاة، ومنها تكريم رسولهﷺ بالشفاعة في امته، ومنها ادخاله لطائفة من امته الجنة من غير حساب، ومنها شفاعته فيمن استحق دخول النار ان لا يدخلها، ومنها شفاعته في اخراج المؤمنين والموحدين منها بعد دخولهم فيها، ويشاركه فيهاﷺ اخوانه من الأنبياء عليهم السلام وأهل بيته والملائكة والمقربون من المؤمنين وسائر الشافعين.



المقاصد العقدية

في نعيم الجنة وعذاب النار ومراتبهما

ويشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مراتب الثواب والعقاب ومقاصدها العقدية

المبحث الثاني: الجزاء الحسي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية.

المبحث الثالث: الجزاء المعنوي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية

الفصل الرابع: المقاصد العقدية في نعيم الجنة وعذاب النار ومراتبهما

من خلال النتائج التي تمحضت عن محاسبة الخلْق، يخرج الناس بعد ذلك بأصناف مختلفة، أما المقاصد العقدية فيما تشتمل عليه كل فئة من هذه الأصناف، وما يلاقوه من جزاء النعيم أوالعذاب، فقد كان مما قدَّمناه في المبحث الأول من هذا الفصل، وهو يندرج تحت تجليات مقصد العدالة والحكمة الإلهية، ثم بينا فيما بعده من المباحث في نوعَي الجزاء الحسي والمعنوي، من نعيمٍ وعذاب، والتي تتجلى فيها مقاصد القدرة والحكمة الإلهية فضلاً عن مقاصد العدالة والرحمة الإلهية وتحقيق ما وعد به تعالى من الترغيب والترهيب، ولذلك كان المبحث الثاني في الجزاء الحسي ومقاصده العقدية، والمبحث الثالث في الجزاء المعنوي ومقاصده العقدية.

وقد سبق هذه المباحث تمهيد في مفهوم الجنة والنار؛ باعتبارهما الوجه الأول والحقيقي لهذا الجزاء من نعيمٍ وعذاب.

تمهيد: مفهوم الجنة والنار

أولاً: مفهوم الجنة

الجنة في اللغة: من خلال تتبعنا لما ورد في تعريف (الجنة) في معاجم اللغة العربية، وجدنا أنها تعود الى مادة (جنن)، يقول الفراهيدي ﷺ (ت١٧٠هـ): (الجَنَّة: الحديقة، وهي بستان ذات شجر ونُزهة، وجمعه جنَّات، والجُنَّة الدرع، وكلُّ ما وقاك فهو جنتك)[١]

وقال ابن فارس ﷺ (ت٣٩٥هـ): (الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر، فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم، والجنة البستان، وهو ذاك لأن الشجر بورقه يستر)[٢]

وعرَّفها ابن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) وابن منظور (ت٧١١هـ) ﷺ بأنها: (الحديقة ذَات الشّجر وَالنَّخْل وَجَمعهَا: جِنَان)[٣]، (وسُميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنَّهُ جَنّاً إذا سَتَرَه، فكأنها سِترةُ واحدةٌ لشدة التفافها وإظلالها. وهي دار النعيم في الآخرة، من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها)[٤]، إذ لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إلا وفيها نخيل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجَنَّة[٥].

أما في الاصطلاح: فـ (الجنة اسم الجنس، فمرة يقال: جَنَّة، ومرة يقال: جنات عدن، وجنة عدن، لأن المعدن:

---

(١) العين، باب الجيم، مادة (جنن): ١/ ٢٦٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، كتاب الجيم، مادة (جن): ١/ ٤٢١.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، باب الجيم، حرف الجيم والنون: ٣/٢٣٦، ولسان العرب، حرف النون، فصل الجيم، مادة (جنة): ١٣/ ١٠٠

(٤) لسان العرب، حرف النون، فصل الجيم: ١٣/١٠٠، و(يُنظَر) التبيان في تفسير القرآن: ٩/٤٦١.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، باب الجيم، حرف الجيم والنون: ٣/٢٣٦، لسان العرب، حرف النون، فصل الجيم، مادة (جنة): ١٣/ ١٠٠، والكليات: ٣٥٢.

الإقامة، وكلها دار الإقامة، كما أن كلها مأوى المؤمنين، وكذلك دار الخلد ودار السلام لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف محزن.

وكذلك جنات النعيم، وجنة نعيم، لأن جميعها مشحونة بأصناف النعيم؛ لأن الله عز وجل أن كان سمى شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع فقد سمى الجنان كلها بذلك في موضع آخر فعلمنا أن هذه الأسماء لتمييز جنة من جنة ولكنها للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الكتاب بذكر العدد ولم يثبت إلا أربعاً[١].

وقد ورد وصف الجنة في كتاب الله تعالى ما يقرب من ثلاثمائة آية، وذكرها مطرد في جميع سور القرآن إلَّا عشرين سورة، هي: سورتا الممتحنة والمنافقين، وثماني عشرة سورة من السور القصار[٢].

يقول الشيخ المفيد رحمه الله (ت ٤١٣هـ): (الجنة دار النعيم، لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب، وجعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه وعبده، ونعيمها دائم، لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضرب: فمنهم من أخلص لله تعالى، فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى.

ومنهم: من خلط عمله الصالح بأعماله السيئة كأن يسوّف منها التوبة، فاخترمته المنية قبل ذلك، فلحقه خوفٌ من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله دون آجله، ثم سكن الجنةَ بعد عفو الله تعالى أو عقابه.

ومنهم من يتفضل عليه تعالى بغير عملٍ سلف منهم في الدنيا، وهم الولدان المخلدون الذين جعل الله تعالى تصرُّفهم لحوائج أهل الجنة ثواباً للعاملين، وليس في تصرفهم مشاق ولا كُلفة؛ لأنهم مطبوعون إذ ذاك على المسار بتصرفهم في حوائج المؤمنين)[٣].

ثانياً: مفهوم النار

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله (ت١٧٠هـ) في تعريفه للنار في اللغة: من (النور) وهو الضياء، والفعل نارَ وأنارَ ونَوراً وإنارةً، واستنار، أي أضاء[٤].

والنار مُؤَنَّثَة وهي من الواو لأَنَّ تَصْغيرها نُوَيرة وجَمْعُها نُورٌ وأَنْورٌ ونِيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها[٥].

وفي الإصطلاح، النار: هي جوهر لطيف محرق[٦].

(وكلُّ ما في القرآن من أصحاب النار، فالمراد أهلها، اما ما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ـ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: ٤٧٤/١.

(٢) الإنسان والعقيدة: ١٨٢.

(٣) تصحيح الاعتقادات: ١١٧.

(٤) العين، باب النون: ٢٧٦/٤.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب الراء: ٨٣٩/٢، مختار الصحاح، باب النون: ٦٨٨.

(٦) التعريفات، باب النون: ١٠٥.



مَلَائِكَةً﴾[١]، فالمراد خزنتها)[٢].

وللنار دركاتٍ ومنازلٍ سبعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٣]، وإنما قال: أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالى درج فيقول للجنة درج وللنار درك فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين[٤].

وقد صورت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الكثير من مشاهد الجنة والنار، بما يقطع أن لهما كياناً مادياً محسوساً؛ فالجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، ووصفها يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه، أما النار فهي دار الهوان، وهي صورة العذاب الإلهي الكبرى، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، وأما المذنبون من أهل التوحيد، فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم[٥].

ولذا كانت صورة جزاء النعيم في دخول الجنة والنجاة من النار هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، والنجاة العظمى قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَناتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَناتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٧].

---

(١) [سورة المدثر: من الآية ٣١].

(٢) الكليات، فصل الألف والصاد: ١٢٢.

(٣) [سورة النساء: من الآية ١٤٥].

(٤) التذكرة: ٨٣٨.

(٥) (يُنظَر) الإعتقادات في دين الإمامية: ٧٧، الدر الثمين: ٧٢، والعقيدة الإسلامية للسبحاني: ٢٥٣.

(٦) [سورة آل عمران: الآية ١٨٥].

(٧) [سورة التوبة: الآية ٧٢].

المبحث الأول: مراتب الثواب والعقاب ومقاصدها العقدية

بناءً على ما ذكره تعالى من مراتب الخلق بعد ما يروا مواقف الحساب إذ يتميزون الى أصنافٍ ثلاثة، هي:

الصنف الأول: المؤمنون الفائزون، والذين وصفهم تعالى بالسابقين، وهم الذين بشرهم تعالى بالتكريم الإلهي، ووصفهم بالمقربين، ويمثلون القسم الأول من أصحاب اليمين.

الصنف الثاني: عامة الناجين من النار، وأيضاً يُعدّون من الفائزين بالجنة لكن مرتبتهم تختلف عن السابقين، والذين يمثلون القسم الثاني من أصحاب اليمين.

الصنف الثالث: المنحرفون عن الصراط الى النار، وهم أصحاب الشمال، ويشتمل هذا الصنف على المغضوب عليهم من الهالكين في جهنم، والمعذبين مدةً ثم المُخرَجين، بعفو الله تعالى، أو الشفاعة، أو انتهاء فترة استحقاقهم العذاب.

وقد ذكر تعالى هذه الأصناف في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1].

وبناءً على هذا التقسيم، يندرج هذا المبحث تحت مقصد العدالة والكرم الإلهي، حيث نرى من خلال ما ورد من النصوص في الأصناف الثلاثة وما ذكره تعالى فيهم من استحقاقهم لمرتبتهم التي جعلهم تعالى من ضمنها لعلمه بأحوالهم، وخبرته بظواهرهم وبواطنهم، وحكمته في عدالة جزائهم لما قدموه لأنفسهم، لأجل ذلك، نحاول في هذا المبحث إثبات المراتب المرتبطة بهذه الأصناف، وما دل عليها، وقد آثرنا تقسيمه الى ثلاثة مطالب، وكما يأتي:

المطلب الأول: مراتب جزاء السابقين المقربين ومقاصدها العقدية.

المطلب الثاني: مراتب جزاء الناجين من أصحاب اليمين ومقاصدها العقدية.

المطلب الثالث: مراتب جزاء أصحاب الشمال ومقاصدها العقدية.

المطلب الأول: مراتب جزاء السابقين المقربين ومقاصدها العقدية.

تمهيد: السابقون المقربون وأصنافهم

وصف تعالى أهل الجنة في كتابه الكريم بوصفين، أحدهما السابقون المقربون، والآخر أصحاب اليمين، أما السابقون فمن (السبق)، ويعرِّف ابن فارس رحمه الله (ت٣٩٥هـ) السبق (السين والباء والقاف أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على التقديم، يُقال سبقَ يسبقُ سبقاً)[2]، ويرادفه الفائزون من الفَوز، يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله (ت ٥٠٢هـ):

(١) [سورة الواقعة: الآيات ٨ - ١٢].

(٢) معجم مقاييس اللغة، كتاب السين، مادة (سبق): ٣/ ١٢٩.



(الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[1]، ﴿فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2])[3]

وهؤلاء السابقون هم أصحاب اليمين الذين فازوا بجنات النعيم، إلا إنهم تختلف منزلتهم عن أصحاب اليمين عامة، فهم المقربون الذين كرَّمهم تعالى بالقرب من الحضرة الإلهية والذين وصفهم بالسبق في سورة الواقعة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، وغيرها من النصوص الكريمة التي تذكر حقيقة هؤلاء المقربين، والدَور المناط بهم في الآخرة، أما صفاتهم؛ فقد ذكر القرآن الكريم الكثير منها، لتكون معياراً للقيم التي أراد الله تعالى من عباده التحقق بها[4].

وقال ابن عرفة المالكي رحمه الله[5] (ت ٨٠٣هـ) في معرض تفسيره للآية الكريمة من سورة الواقعة: (قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، أُفرد هؤلاء مع أنهم من أصحاب اليمين، إما تشريفاً لهم، فالمراد أن أصحاب الميمنة منهم قوم جاوزوا الأسبقية، فانفردوا بها عن سائرهم، وإما إشارة إلى السابقين منهم الأولون لا تقسيم فيهم، ومن عداهم من الخلق يقسمون إلى أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة)[6].

كما ذكر ابن عرفة رحمه الله في تفسيره القول بأن السابقين هم الأنبياء، وأصحاب الميمنة من دونهم من الأولياء والمقربين، وردَّ على هذا القول بأن الظاهر في السابقين أعم من ذلك وهم متقاربون فيما بينهم، بدليل قوله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ﴾، فالخطاب للجميع[7].

لذلك فإن ما يرجح في السابقين ما ذهب اليه العلماء من كونهم السابقين بالخيرات، يقول العلَّامة الطباطبائي في الميزان: (فالمراد بـ ـ السابقين ـ السابقون بالخيرات من الأعمال، وإذا سبقوا بالخيرات سبقوا الى المغفرة والرحمة التي بأزائها، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[8]، فالسابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾) [9].

ويمثل السابقون المقربون (الخلاصة النورانية لكل الواقعين في دائرة التكليف الإلهي، ولذلك هم المحققون

---

(١) [سورة البروج: الآية ١١].

(٢) [سورة الأحزاب: من الآية ٧١].

(٣) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٢/ ٢٠٨.

(٤) (يُنظَر) اسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٧٦.

(٥) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله، نسبته إلى (ورغمّة) قرية بإفريقيا، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، من كتبه [المختصر الكبير]، و[المختصر الشامل]، و[مختصر الفرائض]، و[المبسوط] في الفقه سبعة مجلدات، قال فيه السخاوي: شديد الغموض، و[الطرق الواضحة في عمل المناصحة]، والمصادر متفقة على ان وفاته سنة ٨٠٣ هـ. (يُنظر)الأعلام للزركلي: ٧/ ٤٣.

(٦) تفسير ابن عرفة ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت٨٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م: ٤/ ١٣٦.

(٧) تفسير ابن عرفة: ٤/ ١٣٦.

(٨) [سورة الحديد: من الآية ٢١].

(٩) الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١٢١.



لغايات الكون والحياة، وهم لذلك أيضاً الفائزون الذين كان لنفوسهم من الصفاء والطهارة ما جعلهم يتشربون الهداية الإلهية بكل كيانهم، ولذلك انصبغت حقائقهم بالصبغة الإلهية، ولم تتمكن لمة الشيطان من التأثير فيهم، وكانوا من المخلَصين)(١).

وبناءً على ذلك سنذكر من مقاصد العدالة والرحمة الإلهية والكرم الإلهي في هؤلاء المقربين من كونهم الأنبياء عليهم السلام أو كونهم الشهداء، أو في كونهم الصديقين والصالحين المسارعين في الخيرات ممن ذكر تعالى حسنى صفاتهم في القرآن الكريم.

أولاً: مقاصد الرحمة والتكريم الإلهي المرتبطة بجزاء الأنبياء عليهم السلام

من الجَلي الظاهر أن الأنبياء عليهم السلام لهم مكانتهم بين الخَلق جميعاً، فضلاً عن منزلتهم المكرمة عند الله تعالى، نتيجة لما قدموه من خلال نشرهم رسالتهم، وانقيادهم لأمر الله تعالى، مع ما تعرضوا له من الابتلاءات والمحن في سبيل ذلك.

وبناءً على التكريم والعدالة الإلهية فلا شكَّ بأن يعطيهم الله تعالى يوم القيامة ما وعدهم وبشرهم به من الجزاء الخاص عنده في جنات النعيم، ذلك أنَّ أعلى منازل الجنة للأنبياء عليهم السلام، وأعلى هذه المنازل منزلة الوسيلة، وهي أقرب الدرجات إلى الله تعالى، فخصَّ تعالى بها خليله محمداً ﷺ، إذ روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)(٢).

وكذلك كافة الأنبياء عليهم السلام الذين أرسلهم الله دعاةً للبشرية، فإن لهم مراتب السابقين والمسارعين في الخيرات، ولَمَّا كانوا قدر ما حمَّلهم تعالى من تبليغ رسالته، فقد نالوا شريف المنزلة في الدنيا والآخرة، بدلالة النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومما ورد فيهم عليهم السلام من حديث الإسراء الذي شاهد فيه النبي ﷺ منازلهم في السماوات، حيث جاء فيه قوله ﷺ: (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ،

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٧٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ عشراً، ح ٣٨٤: ١/ ٢٨٨.



فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى)[2]الحديث.

فيدل هذا الحديث الشريف على كرامتهم وعظيم منزلتهم عليهم السلام عند الله تعالى، وهذا في فترة حياة النبي ﷺ، أي في فترة حياتهم البرزخية، فلا شكَّ فيما أعدَّه تعالى لهم بعلو منازلهم في الجنة، فهم أولى الخلق بمنزلة السابقين المقربين، ولا يعني هذا التغاير في مراتبهم في السموات أن تقصيراً نتج عنهم، بل إن فيها من الحكم الإلهية التي تجعل كلاً منهم في مظهرٍ من مظاهر نعيم الله تعالى وتكريمه إياهم.

وينقل ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ) لطيفة في مراتبهم هذه عن ابن ابي جمرة رحمه الله قوله (الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لأنه أول الأنبياء وأول الآباء وهو أصل فكان اولاً في الأولى، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة، وعيسى في الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً من محمد، ويليه يوسف لأن امة محمد تدخل الجنة على صورته، وإدريس في الرابعة لقوله ﴿ورفعناه مكانا علياً﴾ والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى، وموسى ارفع منه لفضل كلام الله تعالى، وإبراهيم لأنه الأب الأخير فناسب ان يتجدد للنبي ﷺ بلقيه أنس لتوجهه بعده إلى عالم اخر، وأيضا فمنزلة الخليل تقتضي ان تكون ارفع المنازل، ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته، فلذلك ارتفع النبي ﷺ عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى)[3]

كذلك فإنهم اتسموا بالصبر على محنهم في مواجهة اقوامهم فمَكَّنهم تعالى من نشر رسالتهم، فاستحقوا بذلك عظيم الجزاء، وينقل الامام الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) قول الامام محمد بن ادريس الشافعي[4] رحمه الله (ت٢٠٤هـ) في

(١) [سورة مريم: الآية ٥٧].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، ح١٦٢: ١/ ١٤٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٧/ ٢١١.

(٤) محمد بن ادريس بن العباس الشافعي رحمه الله المولود بغزة سنة ١٥٠ هـ والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ، كان رحمه الله آية في الفهم والحفظ، ومذهبه ثالث المذاهب الأربعة في القدم، رحل إلى العراق من بعد مالك ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم، ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق، وهو ممن أخذ عن الإمام مالك، ثم استقل بمذهب خاص. (يُنظر) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق وتعليق وتخريج أحاديث: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م: ٢٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى: ١/ ١٩٢، ونظرة

الإحياء حين سُئِل: (أيهما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الإمام الشافعي رحمه الله: (التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا أُمتحن صبر وإذا صبر مُكن، ألا ترى إن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾(١)، وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة)(٢)، ولا يخفى ما تعرض له الأنبياء عليهم السلام من خلال نشر رسالتهم الى الناس كافة.

وقال ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) في صفة الأنبياء عليهم السلام واستحقاقهم لما نالوه من شريف المراتب وأعلاها في الجنان (أن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة؛ فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته، وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، ومراضيه ومساخطه، وثوابه وعقابه، وخصهم بوحيه، واختصهم بتفضيله، وارتضاهم لرسالته إلى عباده، وجعلهم أزكى العالمين نفوساً، وأشرفهم أخلاقاً، وأكملهم علوماً وأعمالاً، وأحسنهم خلقة، وأعظمهم محبة وقبولاً في قلوب الناس، وبرأهم من كل وصم وكل عيب وكل خلق دنيء)(٣).

ولا تخرج هذه المقاصد عن مقصد العدالة الإلهية حيث اختارهم تعالى من عامة الناس، وقد تعرضوا لأكثر مما يتعرض له الجميع من الابتلاءات والاختبارات، فظهر مدى قوة ايمانهم ونشرهم لما وُكِلوا فيه من أسباب الهداية الى الدين الحق، ويذكر الدكتور نور الدين أبو لحية (إن هذه الهبة الإلهية التي تحققت لهذا الصنف، لم تكن هبة مجردة، وإلا لخالف ذلك العدالة الإلهية، وإنما كانت لما فيهم من الاستعدادات والقابليات المبنية على المجاهدات، ولهذا فهم مثل غيرهم من البشر يتعرضون للفتن، لكن الفرق بينهم وبين غيرهم هو في مراقبتهم لله، ومجاهدتهم لأنفسهم)(٤).

ومن هذه النصوص وغيرها في فضائل الأنبياء عليهم السلام وتكريمهم في الآخرة يتضح لنا مقصد الرحمة والتكريم الإلهي لهم عليهم السلام؛ لأنهم قد خصَّهم تعالى بالقرب منه في الحياة الدنيا، وقد اصطفاهم على خلقه، ففي الآخرة يكونون أولى بهذا التكريم، نسبةً للجزاء والعطاء الإلهي العظيم الذي وعده تعالى للأنبياء عليهم السلام كافة، ولنبينا محمد ﷺ خاصة.

ثانياً: مقاصد الرحمة والتكريم الإلهي المرتبطة بجزاء الشهداء

وكون الشهداء رحمهم الله من ضمن من اختصهم تعالى بالفوز يوم القيامة وكونهم من المقربين لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ـ أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (ت ١٣٤٨هـ)، تقديم: الشيخ محمد أبو زهرة، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م: ٧٠.

(١) [سورة يوسف: من الآية ٢١].

(٢) إحياء علوم الدين: ١/ ٢٦.

(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٧٨.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٧٣.



أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

فالشهداء الذين جاهدوا في سبيل الله ثم ماتوا على ذلك، وكما مررنا بالمقاصد العقدية في حياتهم البرزخية بكونهم أحياءٌ عند ربهم منعمين منذ لحظة مفارقتهم الحياة الدنيا بما تفضل تعالى به عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، إذ سُئِلَ ﷺ عن جزائهم في الآية الكريمة، فقال ﷺ: (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ تعالى: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)[3]

ويقول الشيخ ابراهيم البقاعي رحمه الله (ت٨٨٥هـ) في نظم الدرر في بيان الرحمة الإلهية في جزائهم بأن (ذلك الفوز الكبير ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى لأنه لو حاسبهم على أقل نعمة من نعمهِ لم تفِ جميع أعمالهم بها؛ لأن أعمالهم من نعمه، فأعلمنا سبحانه وتعالى بهذا تسلية وحسن تعزية أن لم يفت منهم إلا حياة الكدر التي لا مطمع لأحد في بقائها وإن طال المدى، وبقيت لهم حياة الصفاء التي لا انفكاك لها ولا آخر لنعيمها بغم يلحقهم ولا فتنة تنالهم ولا حزن يعتريهم ولا دهش يلم بهم في وقت الحشر ولا غيره، فلا غفلة لهم، فكان ذلك مُذهباً لحزن من خلفوه ومُرغباً لهم في الأسباب الموصلة إلى مثل حالهم)[4]

وقال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[5]، فقد بيَّن أنَّ ذلك التفضيل للمجاهدين في سبيله من رحمة الله تعالى عليهم ومغفرته، فإنهم حين يُبعثون يكون لهم البشارة العظمى، فوعَدَهم بالجزاء الأوفى وجعلهم من السابقين الفائزين في جنات النعيم مع ما أكرمهم تعالى به من المراتب العظيمة، قال ﷺ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.)[6]

---

(١) [سورة النساء: الآية ٦٩].

(٢) [سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ان الأرواح في الجنة وأنهم أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون، ح ١٨٨٧: ٣/ ١٥٠٢.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية- بيروت: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ٥/ ١٢٢.

(٥) [سورة النساء: الآيتان ٩٥، ٩٦].

(٦) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ح٦٩٨٧: ٦/ ٢٧٠٠.



ولهذا كان رسول الله ﷺ يُعزي أُسر الشهداء بهذا الجزاء العظيم الذي نالوه، وما احتواه من مقاصد لصور وتجليات الرحمة والإكرام الإلهي إليهم.

ومنها ما رُوي أنهُ لما أُصيب الصحابي حارثة بن سراقة الأنصاري ﷺ يوم بدر وهو غلام، إذ جاءت أمه الى النبي ﷺ فقالت: (يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكُ الأخرى ترى ما أصنع، فقال ﷺ: (ويْحَكِ، أوَهَبِلْتِ، أوَ جَنَّةٌ واحِدَةٌ هي؟ إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإنَّه لَفِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ)[1].

ومن ذلك يظهر لنا المقاصد العقدية التي تتعلق بمصير الشهداء وما ينالوه من النعيم المقيم، فضلاً عن تسلية ذويهم وطمأنتهم لما يلاقيه مَن فقدوهم مِن ذلك الفضل الإلهي العظيم الذي أعده تعالى لهم في جزائهم، فهو تعالى المعطي وهو المانع، وهؤلاء قد آثروا دينهم على دنياهم، وقد بذلوا أرواحهم في سبيل دينه، فأبدلهم تعالى بحياة جديدة منذ لحظة وفاتهم حتى الصعقة الأولى وبعثهم من جديد لينالوا ما أعده تعالى لهم من العطاء والجزاء العظيم الذي يتمنون عند رؤيته أن يعودوا الى الحياة الدنيا ليموتوا شهداءً مرةً أخرى في سبيل الله تعالى.

ثالثاً: مقاصد الرحمة والتكريم الإلهي المرتبطة بجزاء الصديقين والصالحين

كما يدخل في منزلة المقربين كل من آمن بالله تعالى وصدَّق بما جاء به رسله، فلم يُلبِس إيمانه بما يشوبه من اتباع الشيطان والهوى، بدلالة ما رُوي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قوله: (إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُم) قالوا: يا رسول الله، منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال ﷺ: (بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ)[2].

أي: نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك، ولكن قد يتفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك الدرجة[3].

ويدل على ذلك أيضاً ما ورد في القرآن الكريم من خلال دعوته للعباد كافة بلزوم الطاعة لله ورسوله ليفوزوا برفقة مَن أنعَم تعالى عليهم في الآخرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهَّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[4].

وقد أورد ابن جرير الطبري رحمه الله (ت٣١٠ هـ) في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما رُوِيَ عن سعيد بن جبير ﷺ قال: (جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: يا فلان، مالي أراكَ محزونًا؟ قال: يا نبي الله، شيء فكرت فيه! فقال ﷺ: ما هو؟ قال: نحن نغدو عليك ونروح، ننظر في وجهك ونجالسك، غدًا

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ح ٣٧٦١: ٤/ ١٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح٣٠٨٣: ٣/ ١١٨٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٣٢٨.

(٤) [سورة النساء: الآية ٦٩].



ترفع مع النبيين فلا نصل إليك! فلم يردّ النبي ﷺ شيئًا، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال: فبعث إليه النبي ﷺ فبشره)[1].

فيدل الحديث الشريف أن مكانة المذكورين في الآية الكريمة تختلف عن غيرهم، إذ يبشر الذين أطاعوا الله ورسوله من المؤمنين بأنهم معهم، (﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ يريد وحسن أولئك رفقاء في الجنة يستمتعون برؤيتهم والحضور في مجالسهم، لأنهم ينزلون إليهم، ثم يعودون إلى منازلهم العالية ودرجاتهم الرفيعة، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ يريد أن ذلك الالتقاء مع من ذكرتم لهم بفضل الله تعالى، لا بطاعتهم. ولذلك يتم الجزاء عادلاً رحيماً)[2].

ودرجة هؤلاء المقربين يذكرها ابن القيم رحمه الله (ت٧٥١هـ) في طريق الهجرتين بأنهم: (ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بُعِثوا به علماً وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طرقهم ومنهاجهم وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة وهي مرتبة الصديقية ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء)[3].

كما بين تعالى صفات هؤلاء المقربين في أنهم يسارعون في الخيرات، ترغيباً في بيانه تعالى لما أعدَّه لهم من جزاء جراء ما قاموا به من أعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ (٦٠) أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ﴾[4].

يقول الزمخشري رحمه الله (ت٥٣٨هـ) في الكشاف: (المسارعة في الخير: فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي، واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند اللهَّ ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم)[5].

وقال تعالى في آية أخرى تصف المؤمنين بحقيقة إيمانهم وقوة يقينهم فيما أنزله تعالى عليهم من الحق، فتحققت فيهم حسنى الصفات من وفائهم لنذورهم والعهود الإلهية، فضلاً عن صلتهم ما أمر الله تعالى به أن يُوصَل وصبرهم لوجه الله تعالى، الى غير ذلك من الصفات التي تجسدت في شخصيتهم، فكانوا أهلاً لهذا الفوز والتكريم بعقبى الدار، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الأثر ٩٩٢٤: ٨/ ٥٣٤.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ـ أبوبكر جابر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، (د. ت): ١/ ٥٠٥.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين: ٥١٦.

(٤) [سورة المؤمنون: الآيات ٥٧ ـ ٦١].

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٤٠٣.



وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1].

ومن تلك الآيات ما وصفتهم بالمتقين والمحسنين، لتبشرهم بجزائهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[2].

ومن تلك الآيات ما ورد في وصفهم بالمخبتين[3]، كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[4].

ومنها ما ورد في وصفهم بعباد الرحمن، كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[5].

ومن تلك الآيات ما ورد في وصف عباد الله الذين جمعوا كل مقامات الخير ليبشرهم بعدها بعاقبة إيمانهم الحق، كما قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

وما وصفهم به تعالى وما أعدَّه لهم من المغفرة والجزاء العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[7].

وغيرها من الآيات الكريمة التي تصف الصالحين المقربين، إما بذكر أعمالهم، أو مواقفهم، أو بذكر بعض الأحداث المرتبطة بهم، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [8]، ولهذا نرى في القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بتصنيف الناس وفق القيم التي يؤمنون

---

(١) [سورة الرعد: الآيات ٢٠- ٢٢].

(٢) [سورة الذاريات: الآيات ١٥ - ١٩].

(٣) المخبتين: قيل المتواضعين، وقيل: يعني المطمئنين إلى ذكر ربهم. واشتقاق المخبت من الخبت، وهو المكان المطمئن.(يُنظَر) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٠٩.

(٤) [سورة الحج: الآيتان ٣٤، ٣٥].

(٥) [سورة الفرقان: الآيات ٦٣ - ٦٧].

(٦) [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

(٧) [سورة الأحزاب: الآية ٣٥].

(٨) [سورة آل عمان: ١٧٣].

بها، ذلك أن منازل الآخرة مرتبطة بتلك التصنيفات[1].

لذلك فقد كان من المقاصد التي تكمن وراء ذكر هذه الصفات الحسنى للمؤمنين ترغيبهم بالاتصاف بها والوصول بتطبيقها الى مرحلة العبادة الحقة التي خلق تعالى الناس لأجلها فيرقوا بها الى الفلاح الحقيقي الذي يورثهم جنان الفردوس الأعلى مما وعد بها تعالى عباده الصديقين منهم والمخلصين، وترغيباً للمسلمين كافة في التحلي بهذه الصفات، وتبشيرهم بالفلاح الحقيقي، إذ يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

المطلب الثاني: مراتب جزاء الناجين من أصحاب اليمين ومقاصدها العقدية.

تمهيد: الناجون من أصحاب اليمين واصنافهم

الناجون من النار هم الصنف الثاني من أصحاب اليمين الذين يكون مصيرهم الى جنات النعيم، والذين تلي مرتبتهم مرتبة المقربين السابقين، وقد قال فيهم الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة، وتسميتهم بأصحاب الميمنة إما لكونهم من جملة مَن كتبهم بأيمانهم، وإما لكون أيمانهم تستنير بنور من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[3]، وإما لكون اليمين يراد به الدليل على الخير)[4].

ويقول العلَّامة الطباطبائي رحمه الله (ت١٤٠٩هـ): (إنما سمي هؤلاء بأصحاب اليمين في مقابل أصحاب الشمال، وربما سُموا أصحاب الميمنة في مقابل أصحاب المشأمة، وهو من الألفاظ التي اصطلح عليه القرآن مأخوذ من إيتاء الإنسان يوم القيامة كتابه بيمينه أو بشماله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[5])[6].

أما منزلتهم فتشير إلى الرتبة التالية لرتبة الفائزين المقربين، والتي يعبر عنها بعض العلماء برتبة الناجين، ولهذا وصف القرآن الكريم جزاءها بكونه سلاماً، مقابل جزاء المقربين الذي وصفه تعالى بكونه روحاً وريحاناً وجنة

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٧٨.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيات ١ـ ١١].

(٣) [سورة الحديد: من الآية ١٢].

(٤) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٨٧.

(٥) [سورة الحديد: من الآية ١٢].

(٦) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٧١.

نعيم[1].

أما ما استحقوا به هذه المنزلة فيشير اليها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[2]: فبرغم إن أعمالهم لم تصل بهم الى مرتبة المقربين ومنزلتهم العالية عند الله تعالى، إلا إنهم بالوقت ذاته ابتعدوا عن الصفات التي تنهدم بها العقيدة الحقة، وإن ذنوبهم لم تصل الى الكفر بالله تعالى وتكذيب ما جاء به المُرسلون، يقول الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة: (وفي الآيات تعريف أصحاب اليمين بانتفاء الأوصاف المذكورة عنهم، بيان ذلك: أن الآيات واقعة في سورة المدثر وهي من السور النازلة بمكة في بدء البعثة كما ترشد إليه مضامين الآيات الواقعة فيها، ولم يشرع يومئذ الصلاة والزكاة بالكيفية الموجودة اليوم، فالمراد بالصلاة في قوله ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ التوجه إلى الله تعالى بالخضوع العبودي، و﴿لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ مطلق الإنفاق على المحتاج في سبيل الله، دون الصلاة والزكاة المعهودتين في الشريعة الإسلامية، والخوض هو الغور في ملاهي الحياة وزخارف الدنيا الصارفة للإنسان عن الإقبال على الآخرة وذكر الحساب يوم الدين، أو التعمق في الطعن في آيات الله المذكرة ليوم الحساب المبشرة المنذرة)[3].

ويكون هذا الصنف أكثر أهل الجنة، يقول ابن عرفة المالكي رحمه الله (ت ٨٠٣هـ): (تقديم أصحاب الميمنة على القسمين السابقين باعتبار الكثرة، إما في نفس الأمر، أو في الخطاب، لأن المخاطَبين بالآية أصحاب الميمنة منهم أكثر من السابقين، وتقديمهم على أصحاب المشأمة بالشرف، وتقديم أصحاب المشأمة على السابقين بالكثرة)[4].

ومن خلال اطلاعي على أقوال المدارس الكلامية في تصنيفها لأصحاب اليمين وجزائهم، وجدتُ تجلي المقاصد في الرحمة والعدالة الإلهية بحيث تسع جميع العباد من المكلفين وغير المكلفين ممن لم تبلغهم الدعوة الإسلامية، فكان بالإمكان تصنيفهم الى صنفين، هما:

١ ـ المكلفون الذين بلغتهم الدعوة، وماتوا بعد سن التكليف، لكنهم قصَّروا في الطاعات، أو ارتكبوا بعض المعاصي، التي طُهروا منها في البرزخ والموقف، وذلك ما حال بينهم وبين بلوغ مراتب السابقين.

٢ ـ غير المكلفين ممن لم تبلغهم الدعوة، أو الصبيان والمجانين وغيرهم ممن رفع عنهم القلم، والذين وقع الخلاف في شأنهم؛ فهناك من يذكر أنهم يدخلون الجنة، وهناك من يرى غير ذلك.

وسنتحدث عن كلا الصنفين من خلال المقاصد التي تتعلق بنجاتهم وكونهم من أصحاب اليمين فيما يأتي:

---

(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٦.

(٢) [سورة المدثر: الآيات ٣٨ ـ ٤٨].

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٧٠.

(٤) تفسير ابن عرفة: ٤/ ١٣٦.



أولاً: مقاصد العدالة والرحمة الإلهية في نجاة أصحاب المعاصي من المكلفين الذين بلغتهم الدعوة:

تتفاوت منازل المكلفين الذين بلغتهم الدعوة الى الدين الحق بحسب أعمالهم وجزائهم الذي يستحقونه، وهم الذين لهم من الأعمال الصالحة ما ينقذهم من النار، فيجتازوا الصراط الى الجنة، إلا إن أعمالهم لا تبلغ بهم درجة المقربين من الفائزين بها، حيث قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، فقدَّمهم تعالى على أصحاب المشأمة والسابقين من المقربين، ويقول الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في حكمة تقديمهم على الصنفين الآخرين إذا سُئِل (ما الحكمة في الابتداء بأصحاب اليمين والانتقال إلى أصحاب الشمال ثم إلى السابقين مع أنه في البيان بين حال السابقين ثم أصحاب الشمال على الترتيب؟ والجواب: أن نقول: ذكر الواقعة وما يكون عند وقوعها من الأمور الهائلة إنما يكون لمن لا يكون عنده من محبة الله تعالى ما يكفه مانعاً عن المعصية، وأما الذين سِرهم مشغول بربهم فلا يُجزون بالعذاب، فلما ذكر تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وكان فيه من التخويف مالا يخفى وكان التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب أولى، ذَكر ما ذكره لقطع العذر لا نفع الخبر، وأما السابقون فهم غير محتاجين إلى ترغيب أو ترهيب، فقدم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون، ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم)[١].

لهذا أخبر ﷺ أن دخول الجنة متوقف على طاعته، فإن أطاعه فقد ارتضى تعالى دينه، وفي الحديث قال ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى)، فقالوا: يا رسول الله من يأبى؟ قال: (مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى)[٢].

كما ورد في الاحاديث الشريفة كثرة أهل الجنة نسبةً الى بقية الأمم، منها ما جاء في قوله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم يوماً: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ)[٣]، ثم أكمل لنا ﷺ هذه البشارة في الحديث الصحيح الآخر الذي قال فيه: (أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ)[٤].

لذلك فقد كان من مقاصد تقديمهم بيان كثرتهم بين سائر الأمم من جهة، ومن جهةٍ أخرى بيان فضلهم عليها، فضلاً عن فتح الله تعالى لأبواب المسارعة والمسابقة كي يرقوا بعبادتهم الى درجات المقربين السابقين.

وإذ قد علمنا إن أصحاب الجنة جميعاً من أصحاب اليمين، يتميز عنهم المقربون السابقون، ومن خلال ما بين أيدينا من النصوص الكريمة، كان بإمكاننا أن نستخلص أصناف العباد ممن يدخلون في أصحاب اليمين، بعد منزلة

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٨٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح ٦٨٥١: ٦/ ٢٦٥٥.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب في كيفية الحشر، ح٦١٦٣: ٥/ ٢٣٩٢.

(٤) سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صف أهل الجنة، ح٢٥٤٦: ٤/ ٦٨٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.



المقربين السابقين، منهم:

١ـ المعتدلون من المسلمين الذين عبدوا الله تعالى خوفاً وطمعاً، إلا إن بعضهم قد وقعوا في المعاصي، فتطهروا من أدرانها في المواقف السابقة للجزاء، فاستحقوا الجنة برحمة الله تعالى، وإنما عقابهم الذي تعرضوا له فهو بعدالة الله تعالى، وله الحكمة في تهذيبهم وبحسب ما ران على قلوبهم من سيئات، لكي يكونوا أهلاً للمنزلة العظيمة التي سيحلون فيها، فإن من صفات أهل الجنة طيب القلوب وطهارتها وصفائها وبساطتها، وعدة خصائص أخرى لهم ميزتهم ونالوا بها فضله بإكرامه ونعيمه تعالى، ومنها ما يشير إليها قوله ﷺ: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ)[1]، والذ ي قال في شرحه الإمام النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ): ((مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ) قيل مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة، وقيل في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2] وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف)[3] والخشية من الله تعالى.

وقد ذكر الدكتور نورالدين أبو لحية هذا التهذيب لهم بقوله: (وتبدأ تلك الدروس التربوية والتصحيحية من لحظات الموت نفسها، فشعور هؤلاء بالموت يختلف عن شعور السابقين المقربين الذين رأينا شوقهم له، ومسارعتهم إليه، وهوانه عليهم، وسبب ذلك هو عدم طمأنينتهم الكاملة، بسبب المعاصي والتقصير الذي وقعوا فيه)[4]

٢ـ الذين نجوا من العذاب بشفاعة الشافعين لهم، ويقول العلّامة الطباطبائي رحمه الله في الميزان: (فأصحاب اليمين هم الفائزون بالشفاعة، وهم المرضيون ديناً واعتقاداً سواء كانت أعمالهم مرضية غير محتاجة إلى شفاعة يوم القيامة أو لم تكن، وهم المعنيون بالشفاعة، فالشفاعة للمذنبين من أصحاب اليمين، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[5]، فمن كان له ذنب باق إلى يوم القيامة فهو لا محالة من أهل الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكَفَراً عنه، فقد بان أن الشفاعة لأهل الكبائر من أصحاب اليمين)[6].

فأصحاب الذنوب من المؤمنين والذين يغفر تعالى لهم ذنوبهم بالشفاعة إنما يترقون الى منزلة أصحاب اليمين من الفائزين يوم القيامة، وإنما استحقاقهم ذلك لارتضاء دينهم عند الله تعالى، وهو باب من أبواب تفضل الله عليهم ورحمته، بخلاف المجرمين من الظالمين الكافرين الذين بقوا مرهونين بأعمالهم فلم يوجد من يَشفع لهم يومئذٍ لعموم النفي في قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[7].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ح ٢٨٤٠: ٤/ ٢١٨٣.

(٢) [سورة فاطر: من الآية ٢٨].

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ١٧٧.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ١٢٧.

(٥) [سورة النساء: من الآية ٣١].

(٦) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٧٠.

(٧) [سورة غافر: من الآية ١٨].

٣ـ العوام من الملتزمين، كفقراء المسلمين ومساكينهم ممن ليس لهم اهتمام السابقين في النوافل وتقديم الأعمال الصالحة على كل شيء، فهؤلاء يدخلون الجنة بعد حسابهم من غير عقاب، وقد ورد في العديد من الروايات أن الفقراء هم أكثر أهل الجنة، لما لهم من التواضع لله سبحانه وتعالى فضلاً عن رضاهم بما قُدِّر عليهم، فنالوا بذلك أفضل الجزاء الإلهي بكونهم من الفائزين بالجنة في مرتبة المقربين إن كانوا ممن نال بعمله وطاعته إتباع منزلة الصديقين والشهداء، أو عامة أصحاب اليمين الذين يُنقون من ذنوبهم ليكونوا أهلاً لها، ويدلُّ على ذلك ما وردَ في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: (قُمْتُ عَلَى بابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عامَّةُ مَنْ دخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وأَصْحَابُ الجَدِّ محْبُوسُونَ، غَيْر أَنَّ أَصْحاب النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ)(١)

وأصحاب الجد هم الأغنياء من المسلمين، وقد وقع في الحديث الشريف أن الفقراء يسبقون الأغنياء بأربعين خريفاً، منها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا)(٢)، وجاء في حديث آخر بخمسمائة عام، لما ذكره الإمام أحمد في مسنده قوله ﷺ: (يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسمِائَةِ عَامٍ)(٣)(٤).

ثانياً: مقاصد اللطف والتفضل الإلهي في نجاة غير المكلفين والذين لم تبلغهم الدعوة:

ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على ارتباط الجزاء بالتكليف وبلوغ الدعوة، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾(٥)، أي إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يؤاخذ أحد بظلمه وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، فلم نعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما تحتمل الآية الكريمة: إن ربك لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام لعبيده، وهذا الوجه الثاني هو الذي يبين علاقة العدالة بالجزاء في هذا الصنف من الخلق(٦).

وهو ما دلت عليه النصوص الكثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾(٧)، وقال

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنو والنار، ح٦١٨١: ٥/ ٢٣٩٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح٢٩٧٩: ٤/ ٢٢٨٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح ٧٩٣٣: ٢/ ٢٩٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٤) ووجه التوفيق بين الحديثين أن الفقراء مختلفوا الحال، وكذلك الأغنياء، فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم، والأغنياء كذلك، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وآخر الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة خمسمائة عام، أما إذا نظرت إلى آخر الفقراء دخولاً الجنة وأول الأغنياء دخولاً الجنة فتكون المدة أربعين خريفاً، باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء والله أعلم. (يُنظَر) الجنة والنار ـ عمر بن سليمان الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع ـ الأردن، الطبعة السابعة: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م:١٢٦

(٥) [سورة الأنعام: الآية ١٣١].

(٦) أسرار الأقدار: ٢٧٩.

(٧) [سورة الحجر: الآية].



تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

ولهذا كان من جملة الأسئلة التي يواجه بها أهل جهنم تبكيتاً وإظهاراً لعدالة الجزاء ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[3].

ومثل ارتباط التكليف ببلوغ الدعوة يرتبط ببلوغ سن القدرة على التمييز واستعمال العقل، لأن أحكام الله تعالى مرتبطة بالعقل؛ فهو المدرك لها، وهو النافذة التي يطل منها الإنسان على مراده، لهذا قال ﷺ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ)[4].

وهؤلاء الثلاثة رفع عنهم القلم بسبب العقل، فالأول لم يكتمل عقله، والثاني غاب عقله، والثالث غفل عقله.

بعد هذه الأدلة القطعية على ارتباط التكليف بالعقل وبلوغ الدعوة، مع ارتباط الجزاء بالتكليف وقع الخلاف بين علماء الكلام حول من لم تتحقق فيه شروط التكليف، ولم تبلغه الدعوة على أقوال كثيرة[5]، من أشهرها:

القول الأول: أنهم في الجنة، وقد ذهب إلى هذا القول الكثير من العلماء، ودلت عليه بعض النصوص، ومنها ما رُوي في الحديث أن رسول الله ﷺ قال يحكي رؤيا رآها: (فأَتَيْنا علَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فيها مِن كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وإذا بيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لا أكادُ أرَى رَأْسَهُ طُولًا في السَّماءِ، وإذا حَوْلَ الرَّجُلِ مِن أكْثَرِ وِلْدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ) ثم قال:(وأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ علَى الفِطْرَةِ) فقال بعض المسلمين:(يا رَسولَ اللَّهِ، وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ)، فقال رسول الله ﷺ: (وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ)[6].

كما استدلوا بالأحاديث الدالة على كون الموءودة في الجنة، منها ما ورد في مسند الامام أحمد قوله ﷺ:(النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْوَئِيدُ فِي الْجَنَّةِ)[7].

وهذا القول يدل على غلبة اللطف والرحمة الإلهية يوم القيامة، ولكنه مع ذلك معارض بالنصوص الدالة على العدل المطلق في الآخرة، كما ذكرت ذلك الأقوال الأخرى[8].

القول الثاني: أنهم في النار، واستند القائلون بهذا إلى أحاديث ضعيفة أو موضوعة تخالف الأسس اليقينية التي

(١) [سورة الشعراء: الآية ٢٠٨].

(٢) [سورة الإسراء: الآية ١٥].

(٣) [سورة الملك: الآية ٨].

(٤) مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٩٤٠: ١/ ١١٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٥) (يُنظَر) أحكام أهل الذمة ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: يوسف أحمد البكري ـ شاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر ـ دار ابن حزم، الدمام ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م: ٢/ ١٠٨٦ وما بعدها، وأسرار الأقدار: ٢٨٠ وما بعدها.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ح٦٦٤٠: ٦/ ٢٥٨٣.

(٧) مسند الإمام أحمد، حديث رجال من الأنصار، ح ٢٠٦٠٢: ٥/ ٥٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حسناء.

(٨) (يُنظَر) أسرار الأقدار: ٣٦٤.



وردت بها النصوص المحكمة، نذكرها هنا مع ما جاء في الرد عليها، ومنها:

١ـ قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(١)، وذلك بقياس ذرية الكافرين بذرية المؤمنين، وهو قياس غير صحيح، فليست هناك أي علة يمكن الرجوع إليها في هذا، والقياس لا يصح في الغيبيات(٢).

ونرى أن هذا القول فيه ما يتنافى مع الحكمة والعدل والرحمة الإلهية، بل ذكر ابن القيم أن الآية حجة على نقيض ما ادعوه من كونهم في النار من وجهين:

الأول: إخباره أنه لم ينقص الآباء بهذا الإلحاق من أعمالهم شيئاً، فكيف يعذب هذه الذرية بلا ذنب؟!

والثاني: أنه سبحانه نبه على أن هذا الإلحاق مختص بأهل الإيمان وأما الكفار فلا يؤاخذون إلا بكسبهم، لقوله تعالى:﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(٣).

٢ـ قوله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال:﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾(٤).

وهذا ـ كذلك ـ لا حجة فيه لأنه إنما أراد به كفار أهل زمانه لا عموم الكفار، ثم إن قوله:﴿فَاجِراً كَفَّاراً﴾ حال مقدرة، أي مَن إذا عاش كان فاجراً كفاراً، ولم يرد أنهم حال طفولتهم يكونون فجرةً كفرةً(٥).

٣ـ ما ذكره ابن عبد البر رحمه الله وقد ردَّ عليه في التمهيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين أين هم؟، فقال صلى الله عليه وسلم:(في الجنة يا عائشة)، قالت: وسألته عن أولاد المشركين أين هم يوم القيامة؟، فقال:(في النار)، قالت: فقلت مجيبةً له:(لم يدركوا الأعمال ولم تجرِ عليهم الأقلام) قال صلى الله عليه وسلم:(رَبُّكِ أَعلمُ بِما كانوا عامِلينَ، والَّذي نَفسي بيَدِه لَئنْ شئتُ أَسمَعتُك تَضاغيَهُم(٦) في النَّار)(٧)، فهذا الحديث لضعفه لا يصح أن يستدل به على مثل هذا، زيادة على معارضته النصوص المحكمة والأحاديث الصحيحة.

٤ـ ما يروى عن سلمة بن يزيد الجعفي، قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلنا: يا رسول الله،

(١) [سورة الطور: الآية ٢١].

(٢) أسرار الأقدار: ٢٨٣.

(٣) أحكام أهل الذمة: ٢/ ١١٠٩، وأسرار الأقدار: ٢٨٤.

(٤) [سورة نوح: الآية ٢٧].

(٥) أحكام أهل الذمة: ٢/١١٠٩.

(٦) أي صياحهم وبكاءهم. يقال ضغا يضغو ضغوا وضغاء إذا صاح وضج، النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الضاد مع الغين، مادة (ضغا): ٩٢/٣.

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب: ١٣٨٧هـ، باب ذكر الأخبار التي احتج بها من شهد لأطفال المشركين بالنار، ١٨/ ١٢٢، وقال ابن عبد البر فيه: أبو عقيل هذا صاحب بهية لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل وهذا الحديث لو صح أيضا احتمل من الخصوص ما احتمل غيره في هذا الباب ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين قوله لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار وهذا لا يكون إلا فيمن قد مات وصار في النار وقد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار.



إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم، وتقري الضيف، وتفعل وتفعل، هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئا؟ قال ﷺ: (لا)، قال: قلنا: فإنها كانت وأدت أختا لنا في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئا؟:(الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُوَ اللهُ عَنْهَا)(١).

فهذا الحديث زيادة على تناقضه مع عدالة الله المطلقة والتي تدرك بالعقل، يتناقض مع القرآن الكريم الذي نص على أن الموءودة تسأل عن أي ذنب قُتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم!، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٢)(٣).

فضلاً عن ذلك تصريح الحديث الشريف بأنها في الجنة، وقد يكون ذلك رحمة ولطفاً خاصاً بها، ولذلك قرنت بالشهيد لما رُوي في مسند الامام أحمد عن حسناء، (امرأة من بني صريم)، عن عمها، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، الْوَئِيدُ فِي الْجَنَّةِ)(٤).

فالقول الأول يتجلى فيها نور العدالة والرحمة الهية، أما عدالته تعالى، فإن الأذى الشديد الذي تعرضتْ له يشبه الشهادة، فلذلك قرنها ﷺ في الحديث السابق بالشهيد، أما رحمته، فبأن تدخل الجنة من غير تعرضها للامتحان(٥).

القول الثالث: وهو يرى أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة، فلا يُفردون عنهم بحكم في الدارين، فكما أنهم منهم في الدنيا فهم منهم في الآخرة.

وقد استدل القائلون بهذا القول بالإضافة لما سبق في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ سئل عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيرون من نسائهم وذراريهم فقال ﷺ:(هُمْ مِنْهُمْ)(٦).

والمراد من هذا الحديث ما يتعلق بالأحكام الدنيوية، لأن ذلك هو محل السؤال، قال النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ): (هم من آبائهم أي لا بأس بذلك، لأن أحكام آبائهم جارية عليهم في الميراث وفي النكاح وفي القصاص والديات وغير ذلك، والمراد إذا لم يتعمدوا من غير ضرورة)(٧).

(١) مسند الإمام أحمد، مسند المكيين، حديث سلمة بن زيد الجعفي، ح ١٥٩٦٥: ٣/ ٤٧٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن أبي هند فمن رجال مسلم وصحابيه روى له النسائي وله ذكر في صحيح مسلم، لكن في متنه نكارة، فيه أن المؤودة. وهي البنت التي تدفن حيه. تكون غير بالغة ونصوص الشريعة متضافرة على أنه لا تكليف قبل البلوغ والمذهب الصحيح المختار عند المحققين من أهل العلم أن أطفال المشركين الذين يموتون قبل الحنث هم من أهل الجنة.

(٢) [سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩].

(٣) أسرار الأقدار: ٢٨٢.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أسرار الأقدار: ٢٨٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات، ح ١٧٤٥: ٣/ ١٣٦٤.

(٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٢/ ٤٩.



ومن القياس استدلوا بأن إتباع ذرية المؤمنين بآبائهم كان إكراماً لهم وزيادة في ثوابهم، وأن الإتباع إنما استحق بإيمان الآباء، فكذلك إذا انتفى إيمان الآباء انتفى الإتباع الذي تحصل به النجاة[١].

وهذا قياس لا يُلجأ لمثله في احكام الدنيا الفانية من أجل حظوظ بسيطة، فكيف يُلجأ إليه في أحكام الآخرة، والله تعالى يقول:﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٢].

القول الرابع: وهو القول بأنهم خدم أهل الجنة[٣]، واستدلوا بجواب النبيﷺ عن السؤال فيهم فقال ﷺ: (لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ فَيُعَاقَبُوا بِهَا فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيُجَاوَزُوا بِهَا؟ فَيَكُونُوا مِنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[٤]، وحديث ضعيف رُوي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ قال:(سَأَلْتُ رَبِّي اللَّاهِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْبَشَرِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ، فَأَعْطَانِيهِمْ) يعني الصبيان)[٥].

وهذا القول مع ضعف أدلته، فإنه يتنافى مع ما نصت عليه النصوص المحكمة من أن أمر الخلق بيد الله تعالى وحده، لا بيد أحد من خلقه[٦].

القول الخامس: أنهم مردودون إلى محض مشيئة الله بلا سبب ولا عمل، أي أنه يجوز أن يعمهم الله تعالى جميعاً برحمته، ويجوز أن يدخل بعضهم الجنة وبعضهم النار، فكلها جائزة بالنسبة إلى الله تعالى وإنما يترجح بعضها على بعض بمجرد المشيئة[٧].

وهو بذلك يرى التوقف في أمرهم، (وهو ترك الكلام في المسألة نفياً وإثباتاً بالكلية، وجعلها مما استأثر الله بعلمه، وطوى معرفته عن الخلق فلا يحكم لهم بجنة ولا نار)[٨]، وقد يعبر عن هذا القول بمذهب الوقف، وقد يعبر عنه بمذهب المشيئة، وأنهم تحت مشيئة الله يحكم فيهم بما يشاء، ولا يُدرى حكمه فيهم ما هو.

ومما استدل به على هذا القول عدة روايات منها ما جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ (مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنْتِجُونَ الْإِبِلَ، فَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا)، قالوا يا رسول الله أفرأيتَ من يموت صغيراً؟ قال ﷺ: (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ)[٩].

---

(١) أحكام أهل الذمة: ٢/ ١١٣٢، وأسرار الأقدار: ٢٩١.

(٢) [سورة الأنعام: الآية ١٦٤].

(٣) أحكام أهل الذمة: ٢/ ١١٣١، وأسرار الأقدار: ٢٩١.

(٤) الجامع لشعب الإيمان ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق ومراجعة وتخريج الأحاديث: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، باب معنى قوله (خلقت عبادي ضعفاء)، ح ٦٢٨: ٣٥٥.

(٥) المصدر نفسه، باب معنى قوله (خلقت عبادي حنفاء)، ح ٦٢٩: ٣٥٥، وقال أبو بكر البيهقي فيه: تفرد به يزيد الرقاشي، ويزيد لا يحتج به وروي أيضا عن عثمان بن مقسم، عن قتادة، عن أنس , وإسناده ضعيف لا يحتج به.

(٦) (يُنظَر) أسرار الأقدار: ٢٩٢.

(٧) أحكام أهل الذمة: ٢/ ١١٣٦.

(٨) أسرار الأقدار: ٢٨٣.

(٩) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح ٢٦٥٩: ٤/ ٢٠٤٩.

ومنشأ هذا القول هو الفهم الخاطئ لجوابه ﷺ حين سئل عنهم، فقال ﷺ: (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ)، حيث يقول ابن القيم رحمه الله (ت٧٥١هـ) فيه: (وهذا الفهم غلط على رسول الله ﷺ وجوابه لا يدل على ذلك أصلاً، بل هو حجة عليهم، فإنه لم يقل هم في مشيئة الله يفعل فيهم ما يشاء بلا سبب ولا عمل، بل أخبر أن الله يعلم أعمالهم التي يستحقون بها الثواب، أو العقاب لو عاشوا)(١).

القول السادس: أن هؤلاء الذين لم تتح لهم فرصة التكليف في الدنيا تتاح لهم هذه الفرصة في الآخرة؛ فيرسل إليهم الله تعالى رسولاً، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وبناء على ذلك يكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار(٢).

وقد وردت بعض النصوص تدل على هذا القول، منها ما رُوي أن النبي ﷺ قال:(أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا)(٣).

ومنها قوله ﷺ:(إذا كان يومُ القيامةِ جاء أهلُ الجاهليةِ يحملون أوثانَهم على ظُهورِهم، فيسألُهم ربُّهم عزَّ وجلَّ، فيقولون ربَّنا لم ترسلْ إلينا رسولًا، ولم يأتنا لك أمرٌ، ولو أَرسلتَ إلينا رسولًا لكنا أطوعَ عبادِك، فيقولُ لهم ربُّهم: أرأيتم إن أمرتُكم بأمرٍ فتطيعونَه؟ فيقولون: نعم، فيأمرُهم أن يعمُروا جهنمَ، فيدخلونها، فينطلقون، حتى إذا دنوا منها سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا، فيرجعون إلى ربِّهم، فيقولون ربَّنا أخرِجنا منها، أو أجرنا منها، فيقولُ: ألم تزعموا أنِّي إن أمرتُكم بأمرٍ تطيعوني؟ فيأخذُ على ذلك مواثيقَهم، فيقولُ: اعمدوا لها فينطلقون، حتى إذا رأوها فرقوا فرجعوا، فقالوا: ربَّنا فرَقْنا منها، ولا نستطيعُ أن ندخُلَها، فيقولُ: ادخلوها داخرين. وقال رسولُ الله ﷺ: لو دخلوها أولَ مرةٍ كانت عليهم بردًا وسلامًا)(٤).

وقد تكلم العلماء بالإنكار على هذه الأحاديث واعتبارها من الضعف بحيث لا تنهض للاستدلال بها، منها ما ذكره ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في تفسيره بجوابه على الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري بعد ذكره أحاديث الامتحان، وقوله: (وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرونها، لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا

(١) أحكام أهل الذمة: ٢/ ١١٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ١١٣٧، وأسرار الأقدار: ٢٩٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المدنيين، حديث الأسود بن سريع، ح ١٦٣٤٤: ٤/ ٢٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن

(٤) جامع المسانيد والسنن لابن كثير، حديث الأسود بن سريع بن حمير، الأحنف بن قيس عنه، ح ٤٤٣: ١/ ٢٨٠، وقال ابن كثير تفرد الأحنف بن قيس عنه، وإسناده جيد قوي سريع.

وسعها؟.

[والجواب] عما قال: أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها)(١).

وأيدها ابن القيم بجملة وجوه، منها:

منها أن هذه الأحاديث كثرت بحيث يشد بعضها بعضاً، وقد صحح الحفاظ بعضها.

ومنها أن غاية ما يقدر فيه أنه موقوف على الصحابي، ومثل هذا لا يقدم عليه الصحابي بالرأي والاجتهاد، بل يجزم بأن ذلك توقيف لا عن رأي.

ومنها أن هذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً فإنها قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها، فيبعد كل البعد أن تكون باطلة على رسول الله ﷺ، زيادة على أنه قد رواها أئمة الإسلام ودونوها ولم يطعنوا فيها.

ومنها أنه وإن أنكرها بعض المحدثين، فقد قبلها الأكثرون، والذين قبلوها أكثر من الذين أنكروها وأعلم بالسنة والحديث، وقد حكى الأشعري اتفاق أهل السنة والحديث على القول بها(٢).

ويضاف إلى هذا التأييد الروائي، ما يدل على توافقها مع العدالة والرحمة الإلهية، وما يجمع على أساسه كل النصوص السابقة، وكل الأقوال المبنية عليها.

أما اتفاقها مع العدالة، فحتى لا يتأسف العاقل على أنه لم يكن مجنوناً، أو يتأسف البالغ على انه لم يمت صبياً، وهذا ما نطق به القرآن الكريم ودلت عليه قواعد الشرع، قال ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ):(فهي تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله في الدنيا، فلا بد أن يقيم حجته عليهم، وأحق المواطن أن تقام فيه الحجة يوم يقوم الأشهاد وتُسمع الدعاوى وتقام البينات ويختصم الناس بين يدي الرب وينطق كل أحد بحجته ومعذرته فلا تنفع الظالمين معذرتهم وتنفع غيرهم)(٣).

أما اتفاقها مع الرحمة، فإن الله تعالى يكلف هؤلاء بعد معاينتهم لأمر الآخرة، ويكون التكليف حينها مع شدته هيناً.

أما اجتماع النصوص على أساسها، فلأن من هؤلاء من يطيع الله، فيدخل الجنة، ومنهم من يعصيه، فيدخل النار، وبذلك كله وردت النصوص، قال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ):(وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة، الشاهد بعضها لبعض)(٤).

وإنما توسعنا في بيان هذه الأصناف لأجل بيان مدى اللطف والتفضل الإلهي في الخَلْق عامة، إذ لم يقتصر لطفه

(١) تفسير ابن كثير: ٥/٥٨.

(٢) أحكام أهل الذمة: ٢/١١٤٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢/١١٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥/٥٣.



تعالى وتفضله عليهم لمن بلغته الدعوة وآمن به، بل إنه يشمل من لم تبلغه الدعوة على أرجح الأقوال وبها لا يتناقض مع العدالة الإلهية المطلقة، ذلك الله تعالى لا يحاكم عباده إلا على أعمالهم، بل ويضيف إلى ذلك الشهود إقامةً للحجة عليهم؛ فكيف يقبل العقل أن يعامل الله أناساً بنوعٍ خاص من المعاملة، ويعامل غيرهم معاملة أخرى، مع أن عدالة الله تسوي بين الخلق جميعاً[1].

المطلب الثالث: مراتب جزاء أصحاب الشمال ومقاصدها العقدية.

تمهيد: أصحاب الشمال وأصنافهم

أما أصحاب الشمال فهم الذين يؤتَون كتبهم بشمالهم، كما أن أصحاب اليمين الذين آتوها بأيمانهم، فأصحاب الشمال هم عامة أهل النار، ذلك أن الله تعالى هو المنتقم، وهو الذي يقصم ظهور العتاة وينكل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة وذلك بعد الإعذار والإنذار وبعد التمكين والإمهال[2].

فقد توعد الله تعالى أصحاب الشمال ممن كفر به وانحرف عن الاستقامة في دينه بخلوده بالنار والعذاب الأليم، يقول الشيخ الصدوق رحمه الله (ت٣٨١هـ) في الاعتقادات: (النار هي دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، فأما المذنبون من أهل التوحيد فيخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم)[3].

وتبعاً لذلك يكون المنحرفون عن الصراط المستقيم من أصحاب الشمال، الساقطون في جهنم بحسب استحقاقهم، صنفين، هما:

الأول: الخالدون في النار من المغضوب عليهم، وهم الماكثون فيها الخالدون خلوداً مؤبداً.

وهم الذين حذَّرهم تعالى بعذابهم المخلد في النار، وعدم خروجهم منها ما داموا مستمرين على عنادهم وتضليلهم الناس في حياتهم حتى مماتهم، وبالإضافة لهذا الخلود فقد توعدهم تعالى بالغضب عليهم في ذلك اليوم.

ذلك أن المغضوب عليهم، يضمون إلى الضلال المرتبط بهم تضليل غيرهم، وهي جريمة لا يمكن تصور مدى فداعتها، إذ إن صاحبها لا يتحمل وزره فقط، وإنما يتحمل جميع أوزار من أضلهم[4].

ثانياً: الضالون، وهم الماكثون في النار مؤقتاً.

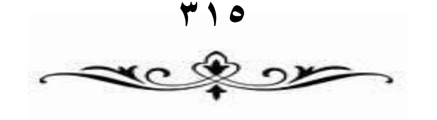
وهؤلاء مرتبتهم دون مرتبة المغضوب عليهم، وإن كان كلاهما يشتركان في أصل الضلال، لكن المغضوب

(١) أسرار الأقدار: ٣٦٧.

(٢) (يُنظَر) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١٣٩.

(٣) الاعتقادات في دين الامامية: ٥٤.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٦٢.



عليه، يضيف إلى ضلاله الكِبر والظلم والجريمة ومواجهة الهداة، ولذلك تكون جرائمه أعظم، بخلاف الضال الذي قد يهتدي إلى الحق، ويذعن له بسهولة، إذا ما أقيمت عليه الحجة، أو توضح له البرهان(1).

أما ما جاء في بيان بعض مصاديق المغضوب عليهم والضالين لما ورد في قوله ﷺ: (إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى)(2)، فقد توجه له البعض بالتشكيك متوهماً خلافه للقرآن الكريم، وذلك ليس صحيحاً، فهو يوافق قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾(3)، ثم عللَ تعالى سر كون النصارى أقرب مودة للذين آمنوا بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(4)(5).

ويقول الشيخ الطوسي رحمه الله (ت ٤٦٠هـ)، والشيخ الطبرسي رحمه الله (ت٥٤٨هـ) في تفاسيرهما: ((الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام لأنه تعالى قد أخبر انه غضب عليهم وجعل فيهم القردة والخنازير و(الضَّالِّينَ) هم النصارى لأنه تعالى قال: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(6))(7).

ويذكر الطبرسي رحمه الله (ت٥٤٨هـ) قول الحسن البصري رحمه الله (ت١١٠هـ) فيهم بقوله (إن الله تعالى لم يبرء اليهود من الضلالة بإضافة الضلالة إلى النصارى، ولم يبرء النصارى من الغضب بإضافة الغضب إلى اليهود، بل كل واحدة من الطائفتين مغضوب عليهم، وهم ضالون، إلا أن الله تعالى يخص كل فريق بسمة يُعرف بها ويُميز بينه وبين غيره بها، وإن كانوا مشتركين في صفات كثيرة، وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وإنما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين)(8).

لذلك يدخل ضمن المغضوب عليهم مَن غضِب تعالى عليهم وتوعدهم بالعذاب الدائم من أئمة الكفر بخلاف الضالين الذين قد يكونون من الأتباع البسطاء، الذين اشتبهت عليهم الأمور، ولهذا يسهل عليهم الرجوع للحق حال تبينه،. لذلك لم يقتصر إنذاره تعالى وتحذيره على الكفر والتغيير والتبديل، بل حذر الأتباع من الوقوع في

---

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٦٠، ٥٦١.

(٢) مسند الامام أحمد، مسند الكوفيين، جزء من ح ١٩٣٨١: ٣٢/ ١٢٤، وقال المحققون: بعضه صحيح، وفي هذا الإسناد عبَّاد بن حُبَيْش، لم يرو عنه غيرُ سماك بن حرب، ولم يوثقه غير ابن حبان... وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير سماك بن حرب، فمن رجال مسلم، وهو صدوق في غير روايته عن عكرمة.

(٣) [سورة المائدة: من الآية ٨٢].

(٤) [سورة المائدة: الآيتان ٨٢، ٨٣].

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٦١.

(٦) [سورة المائدة: من الآية ٧٧].

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٤، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٨.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٨.



المهالك التي وقع بها مرؤوسيهم، أن يقعوا بمثلها فيستحقوا الخلود الدائم في العذاب، قال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(١).

وبناء على هذا كله؛ فإن الضالين يختلف جزاؤهم اختلافاً شديداً عن المغضوب عليهم، أو الضالين ضلالاً بعيداً. وبتعبير آخر يختلف جزاء الهالكين والماكثين في العذاب مكوثاً مؤبداً عن عذاب المُخرَجين منها، فضلاً عن تمايز مراتبهم في العقاب التي تختلف باختلاف قربهم من الحق أو بعدهم عنه، لذلك كانت المقاصد العقدية في جزائهم من قسمين، هما:

أولاً: المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء الماكثين في النار مكوثاً مؤبداً.

ثانياً: المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء الماكثين في النار مكوثاً مؤقتا.

وسنبين نماذج من هذه المقاصد فيما يأتي:

أولاً: المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء الماكثين في النار مكوثاً مؤبداً:

بعد قراءتنا للنصوص الكريمة فيمن أعدَّ تعالى لهم عذابه وخلودهم الدائم في النار، نجد إن مقصدها الأهم هو انقاذ الناس من الضلالة؛ لكونها السبب الأول المؤدي لغضب الله تعالى، عن طريق الإنذار والتحذير مما وقعوا فيه، فضلاً عن التحذير في الأفعال التي تقودهم لنيل هذا العذاب، مما أدى بهم الى أن يكونوا من المنحرفين عن الصراط الحق في الدنيا فأتبعه سقوطهم عنه في الآخرة الى دركات الجحيم.

كذلك نجد مقصد العدالة الإلهية متوافقاً تماماً مع خلودهم هذا في جهنم، ولا تتنافى معه من أوجهٍ عدة، منها: تحمل الأوزار المتعدية للذين أضلوهم، أو أجرموا في حقهم. والثاني، هو تلك الملكات التي عجنت بها نفوسهم، والتي قد لا يطيقون الانفكاك عنها مع طول العذاب. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٢)، فالآية الكريمة تدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم، فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة إلا للعذاب، ولو صلحت لصلحت على طول العذاب، فحيث لم يؤثر عذابهم تلك الأحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها، علم أنه لا قابلية فيهم للخير أصلاً.

وبذلك فإن العدالة الإلهية متناسبة مع جرائمهم، لأنه لا يمكن أن يخرج وفي نفسه تلك الملكات الظالمة التي لم يستطع الانفكاك عنها. ذلك إن الخلود مرتبط بالأعمال والملكات(٣).

وبناءً على ذلك كان هذان المقصدان من أهم المقاصد التي نستنبطها من القول بالخلود الدائم للكافرين، أما تفاصيلها من أقوال العلماء ففيما يأتي:

(١) [سورة المائدة: الآية ٨٠].

(٢) [سورة الأنعام: الآية ٢٨].

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٤٨.



١ـ التحذير والانذار لما يؤدي للخلود في العذاب

المقصد الأول والغاية العظمى لخلق العالمين هو عبادته عزَّ وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، ومما ورد في العبادة هنا بمعنى التوحيد، قال الآلوسي رحمه الله (١٢٧٠هـ) (قيل: العبادة بمعنى التوحيد، بناء على ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كل عبادة في القرآن فهو توحيد)(٢).

لذلك فقد حذَّر تعالى مَن كفروا به وأنكروا وحدانيته فيما تلى هذه الآية من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾(٣)؛ لما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار بالويل من يوم القيامة وما ينالهم فيه من عذاب النار، كما جاء موضَحاً في آيات كثيرة. وإن كلمة ﴿فَوَيْلٌ﴾، معناه الهلاك الشديد، وقيل: هو واد في جهنم تستعيذ من حره(٤).

ذلك إن هذا التهديد والوعيد لأهل النار الخالدون فيها الذين لا يرحلون ولا يبيدون، وهم الكفرة والمشركون، الذين خالفوا بإنكارهم الغاية الأولى والمقصد الأهم الذي خلقهم تعالى من أجله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥)، وقال تعالى:﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(٧).

(فالمجرمون بانحرافهم وآثامهم خالدون في عذاب جهنم، ولن يخفف عنهم قط وسيكونون يائسين من النجاة منه، ولسوف يستغيثون بمالك كبير خزنة النار ليتوسط لهم عند الله في الموت والخلاص به من العذاب، فيجيبهم بأن لا سبيل إلى ذلك وبأنهم ماكثون حيث هم إلى الأبد، فقد جاءهم الحق من الله بلسان رسوله فاستكبروا وكرهوا الحقّ وانصرفوا عنه فاستحقوا هذا المصير، ولم يظلمهم الله به ولم يجر عليهم ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وجنوا عليها)(٨).

كذلك ما ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم في التوعد بالهلاك والخلود في جهنم لأصناف عدة اشتركت مع هؤلاء بكفرهم وصدهم عن سبيل الله، لتشمل كل من اتخذ إلهاً من دون الله تعالى أو كذَّب به، ومن بينهم وأولهم أولئك الذين عبدوا العجل في عهد موسى عليه السلام، وبحضور أخيه نبي الله هارون عليه السلام، ومع ذلك تمردوا عليه، وعلى الهداية التي جاء بها، على الرغم من معاينتهم للمعجزات، فلم تؤثر فيهم، بل راحوا يحطمون كل الحقائق الوجودية،

---

(١) [سورة الذاريات: الآية ٥٦].

(٢) تفسير روح المعاني: ١٤/ ٢١.

(٣) [سورة الذاريات: الآية ٦٠].

(٤) (يُنظَر) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٧/ ٤٥١.

(٥) [سورة الأعراف: الآية ٣٦].

(٦) [سورة الأنبياء: الآية٩٩].

(٧) [سورة الزخرف: الآية ٧٤].

(٨) التفسير الحديث(مرتب حسب ترتيب النزول)، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ١٣٨٣: ٤/ ٥٢٥.

فعدلوا عن عبادة الله تعالى إلى عبادة العجل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[1][2].

وقال ابن عطية رحمه الله (٥٤٦هـ) في المحرر الوجيز (المراد أولاً أولئك الذين افتروا على الله في عبادة العجل وتكون قوة اللفظ تعم كل مفتر إلى يوم القيامة)[3].

ويقول الطبرسي رحمه الله (ت٥٤٨هـ) في تفسيره للآية الكريمة بأن الذين اتخذوا العجل إلها أو معبوداً من دون الله سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبة من ربهم، وإنما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار؛ لأنه أبلغ في الزجر عن القبيح. ومثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخرصين، وإنما سموا مفترين لأنهم عبدوا عجلاً وقالوا أنه إله فكانوا كاذبين[4].

ويلحق بهذا الصنف أولئك الذين كانوا يعلمون علم اليقين بأن محمداً ﷺ رسول الله، وقد دلت عليه كتبهم التي يوقنون بها، لكنه عندما ظهر لم يكتفوا بعدم اتباعه، وإنما راحوا يضللون الناس عنه، بغياً وحسداً وكبراً، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5].

إذ تحمل هذه الآيات الكريمة وغيرها الكلام عن أهل الكتاب الذين لم يصدقوا ما جاء به النبي ﷺ برغم موافقته لما عندهم من الكتب، فـ (لقد آتى الله موسى الكتاب لهدايتهم وتعليمهم، ثم أرسل إليهم من بعده رسلاً عديدين، ثم أرسل عيسى مؤيداً بالمعجزات وروح القدس، فكانوا ـ أي بني إسرائيل الغابرين على ما يلهمه فحوى الآيات ـ كلما جاءهم رسول من عند الله لا يجاريهم في أهوائهم استكبروا عليه وخالفوه وكذبوه أو قتلوه.

وكانوا ـ أي ـ بني إسرائيل المعاصرين للنبي ﷺ على ما يلهمه فحوى الآيات كذلك ـ كلما تلا النبي ﷺ عليهم آيات القرآن ودعاهم إلى التدبر فيها تجاهلوا وتصامموا، وقالوا قلوبنا غير واعية لما تقول، أو مملوءة فلا محل فيها لزيادة، وأصروا على الجحود والكفر، حيث يدل هذا على ضعف إيمانهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً صادقاً وتاماً بما عندهم لما وقفوا هذا الموقف، لأن ما يتلوه النبي ﷺ عليهم هو متطابق مع ما عندهم، وهكذا كفروا بما أنزل الله متطابقاً مع ما عندهم فاستحقوا لعنة الله التي يستحقها الكافرون)[6].

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٥٢].
(٢) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٤٦ (بتصرف).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١٠٢.
(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٧٠ (بتصرف).
(٥) [سورة البقرة: الآيتان ٨٩، ٩٠].
(٦) التفسير الحديث: ٦/ ١٩٣.



ويضيف الشيخ محمد عزة دروزة رحمه الله[1] (ت ١٤٠٤هـ) بعد بيانه لجزاء أهل الكتاب (أن تعبير أهل الكتاب أوسع من أن يقتصر على اليهود والنصارى وأنه لا مانع من أن يشمل كل ملة تدعي أن في يدها كتاباً منسوباً إلى الله وموحى به إلى أحد رجالها العظماء القدماء وعليه سمة من سمات كتب الله المعروفة، ومن ذلك الكتب المنسوبة إلى عظماء رجال من الهند والصين وغيرهما وفيها شرائع ووصايا وتعاليم وعقائد، ولو كان ما فيها أو بعض ما فيها مخالفاً للقرآن لأن هذا شأن الكتب التي يتداولها اليهود والنصارى اليوم)[2].

كما يحذَر تعالى المستكبرين والمكذبين بسبب خضوعهم لأهوائهم، وللكِبر الذي امتلأت به نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[3].

ومنهم أولئك المبدلين لدين الله تعالى بعد إيمانهم، الذين استراحوا للضلالة، وأعجبوا بها، فلم يبغوا بديلاً عنها، لما أُشربت قلوبهم من حب الضلالة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وهذه الآية الكريمة تفرق بين الكفر، وانشراح الصدر له. فالكفر قد يكون ناتجاً عن ضلال، بسبب عدم التعرض للهداية، أو عدم توفر الحجج الكافية للاقتناع، لكن انشراح الصدر للضلال، يعني الإعراض التام عن الهداية مع قيام كل الدلائل التي تدل عليها[5].

كذلك حذَر تعالى وأنذر من الهلاك الذي يؤدي اليه الإدمان على السيئات والإصرار عليها، ومن تلك النصوص التي تذكر هذا الصنف من الخالدين في العذاب، قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[7].

---

(١) باحث ومؤرخ الموسوعي، عمل في السياسة، وفي الكتابة والتعليم، ولعمله السياسي اعتُقل غير مرة بدمشق، في فجر شبابه كتب روايات تمثيلية، كان يقتبس أفكارها من تاريخنا الإسلامي، وكان يُسهم، وهو في بيروت، في تحرير جريدتي "الحقيقة" و"الإخاء العثماني"، ويترجم كذلك المقالات عن اللغة التركية، ثم تمرّس بالترجمة عن الفرنسية أيضاً. وألَّف كتباً مدرسية عن تاريخ العرب والإسلام، وقد صدرت مذكراته قبل وفاته بعام تقريباً، وتقع في عشرين جزءاً مضمومة في ستة مجلدات، دوَّن فيها ما شاهده وشارك فيه وتيسَّر له الاطلاع عليه في حقبة تغطي قرناً من الزمن! وهو ممن واكب السياسة العربية منذ مطلع شبابه. تكملة معجم المؤلفين: ٥٢٣.

(٢) التفسير الحديث: ٤/ ٤٥١.

(٣) [سورة الشورى: الآية ١٦].

(٤) [سورة النحل: الآية ١٠٦].

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٤٧.

(٦) [سورة البقرة: الآية ٨١].

(٧) [سورة يونس: الآية ٢٧].

(وهي تشير إلى تجوهر المكثرين من الذنوب والمدمنين عليها بجوهرها، حيث تستحيل صورهم النفسية إلى تلك الجرائم. ذلك أن الإنسان يعجن بسلوكه في الدنيا الصبغة التي يرتضيها لنفسه، ولهذا عبر الله تعالى عن ذلك الإدمان بكونه محيطاً بالإنسان، ومستغرقاً فيه، بحيث لا يستطيع الانفكاك عنه)(١).

كذلك يحذر تعالى من ارتكاب الجرائم بين العباد لما تؤديه من الهلاك في العذاب الدائم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى في جريمة قتل النفس: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٣).

كما ورد في الأحاديث الشريفة هذا الإنذار؛ إذ يُبَلَّغ هؤلاء بعاقبة كفرهم وتكذيبهم منذ أول لحظات خروج أرواحهم، لقوله ﷺ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ). قَالَ ﷺ: (فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ)، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(٤)، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا)، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(٥))(٦).

أما مراتب الناس في هذا الخلود فهي مختلفة، (وبناء على ما ورد في النصوص الكريمة، فإن هؤلاء الذين قدر عليهم الخلود في العذاب بسبب جرائمهم، ينزلون في الدركات بحسب ضخامة الجرم، ثم قد يترقون، إن كانت لديهم القابلية لذلك.

وقد ذكر القرآن الكريم أن النفاق هو الجريمة الكبرى التي يستحق أصحابها الدرك الأسفل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾(٧)، وسر ذلك يرجع إلى أن نفوسهم المطاطة المرنة

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٥٧.

(٢) [سورة الزخرف: الآية ٧٤].

(٣) [سورة النساء: الآية ٩٣].

(٤) [سورة الأعراف: من الآية ٤٠].

(٥) [سورة الحج: الآية ٣١].

(٦) مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، جزء من ح ١٨٥٥٧: ٢٨٧/٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٧) [سورة النساء: الآية ١٤٥].



المتحولة يصعب عليها أن تنتقل من حالة الانحراف إلى حالة الاستقامة إلا بعد تطهير طويل عميق، وقد لا تستطيع فعل ذلك أبداً)[1].

كذلك وردت الأحاديث الشريفة لأجل ردع المؤمنين عن الكفر وسبُله المؤدية إليه، فقد نهى ﷺ عن الجرائم والاقتتال بين المسلمين، بل قد ورد في الحديث ما يدل على الخلود المرتبط بجريمة القتل، حتى لو فعلها الشخص بنفسه؛ إذ قال ﷺ: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ بِيَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ، فَسُمُّهُ بِيَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا)[2]، وكذلك ما جاء في قوله ﷺ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)[3].

وفي رواية: (الَّذي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ وَالَّذِي يَطْعُنُها يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ)[4].

وهذه النصوص الكريمة مطلقة تشمل الموحدين وغيرهم، ولذلك؛ القول بمغفرة الله تعالى لمن ارتكب هذه المعاصي والجرائم بلا توبة نصوح ما يؤدي الى التساهل فيها، فضلاً عن الخوض في عدالته تعالى المطلقة والتي يندرج عنها استباحة المظالم بين الناس، إلا إنه قد ورد أنه للموحدين يختلف خلودهم عن سواهم؛ لأصل الإيمان فيهم؛ وهو ما يتعلق بالماكثين في النار مكوثاً مؤقتاً في المقصد الثاني من هذا المطلب.

٢ـ العدالة الإلهية في خلود الكافرين في جهنم

يستبطن المعاد ناحية تربوية بارزة، وهي الارتباط الوثيق بين الحياتين الدنيا والآخرة، وقد عُبر عنها في الحديث الشريف (الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ)[5]، وكل أحاديث المعاد صدرت بهذه الناحية، ومفادها أن كل ما نفعله في دار الدنيا سنجده في تلك الدار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[7][8].

فالله تعالى حين يعذب الكافرين ومن شاكلهم بالإنكار والتكذيب والكِبر ليس لحاجةٍ منه لهذا الانتقام، تعالى عن ذلك، ولا إنَّ فيه زيادةً على استحقاقهم، يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله (ت ١٤٠٩هـ) في تفسيره، عند عرضه

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٦٠.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح٧٤٤٨: ١٢/ ٤١٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر بني إسرائيل، ح ٣٢٧٦: ٣/ ١٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، ح ١٢٩٩: ١/ ٤٥٩.

(٥) بحار الأنوار: ٦٧/ ٢٢٥.

(٦) [سورة آل عمران: من الآية ٣٠].

(٧) [سورة الأنفال: من الآية ١٨٣].

(٨) (يُنظَر) دراسات عقائدية: ٣٥٠.



لبعض الإشكالات المترتبة على القول بالخلود في العذاب، ومن تلك الإجابات رده على الإشكال (أن العذاب للعاصي انتقام، ولا يجوز الانتقام على الله تعالى، لأنه لا يكون إلّا لجبر النقص، والله تعالى هو الغني المطلق، فكيف يجوز منه العذاب المخلد؟)[١].

وقد أجاب عنه بقوله ﷺ: (إن العذاب الدائم مستند إلى صورة الشقاء الذي في الإنسان، وإلى الله سبحانه بالمعنى الذي يقال في كل موجود إنه مستند اليه تعالى، لا بمعنى الانتقام وتشفي الصدر المستحيل عليه تعالى، نعم الانتقام بمعنى الجزاء الشاق والأثر السيء الذي يجزي به المولى عبده لتمرده عليه مما يصدق فيه تعالى، ولكن لا يستلزم كون العذاب انتقاماً بهذا المعنى إشكالاً البتة، على أن هذا الإشكال لو تم لورد في مورد العذاب المؤقت المنقطع في الآخرة، بل في الدنيا أيضاً)[٢].

وكذلك فإنهم مع جميع الإنذار والتحذير الذي علِموه فقد استكبروا عن الانقياد للحق، حتى أن كفرهم وضلالهم انما تلبَسَّ مع نيتهم؛ (لأن العذاب يدوم بدوام سببه بلا شك ولا ريب، وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه، ولا شك أنهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمروا على كفرهم)[٣]، لذلك فهم يُعذبون عذابًا أبديًا لنيتهم البقاء على الكفر مدة حياتهم لو عاشوا حياة أبدية.

ويقول في ذلك الشيخ فاضل الصفار في عدالة الجزاء الإلهي للكافرين والمنكرين: (فالجزاء الإلهي في الثواب يمكن أن يكون مكافئاً للعمل، ويمكن أن يكون أكثر؛ لأن الأول مقتضى العدل، والثاني مقتضى الرحمة، ولا يمكن أن يكون أقل؛ لأنه ظلم ناشئ من الانتقام أو البخل أو الفقر، والكل منافٍ لكمال الخالق وحكمته.

أما العقاب، فيمكن أن يكون أقل من العمل إذا اقتضته الحكمة؛ لأن ذلك مقتضى الرحمة، ولا يمكن أن يكون أكثر من العمل؛ لأنه ظلم، ومقتضى العدل أن يكون مكافئاً للعمل ووفقاً له، وفي القرآن الكريم وصفه تعالى بالجزاء الوفاق، إذ قال سبحانه﴿ جَزَاءً وِفَاقًا﴾[٤]، أي جارياً على مقدار الأعمال في الاستحقاق، فيعذب سبحانه المشركين والكفار في النار؛ لأنها وفقه إذ لا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار)[٥].

فمن موارد عدالة الله تعالى في مسائل الآخرة هذا الخلود الذي يلاقيه من كفروا بالله تعالى وجحدوا الإيمان به، فلا ذنب في الوجود أعظم من الكفر بالله تعالى، فعظُم لذلك عذابهم، وكتب عليهم الخلود الأبدي في النار؛ ذلك إن كفرهم قد تلبس في كيانهم، وقد علِم تعالى تمسكَهم به، وملازمتهم له، بحيث حتى لو أُعيدوا الى الحياة لعادوا لكفرهم وما نهاهم عنه، وهو الذي يعلم المعدوم لو وُجد كيف يكون، وقد علم في سابق علمه أن كفرهم قد تأصل

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٣٩.

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد ـ أبو بكر الحصني الدمشقي (٨٢٩هـ)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: ٥٩.

(٤) [سورة النبأ: الآية ٢٦].

(٥) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ـ الشيخ فاضل الصفار، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م: ٨/ ٣٠٠.



في نفوسهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[(١)].

فقد كان لنيتهم في البقاء على هذا العذاب ودوام آثار أعمالهم الأثر الكبير في خلودهم هذا.

كما يذكر الصفَّار: (إن الحكم على بقاء الأعمال وانقطاعها يخضع لاعتبارات عديدة، عمدتها:

الاعتبار الأول: شكل العمل وصورته، وهو ما يُعبَر عنه بظاهر العمل.

الاعتبار الثاني: نية العمل وجوهره، فإن النية هي التي تلون العمل وتعطيه جوهره وحقيقته. ويمكن للنية أن تبقى وإن انقضى العمل وانتهى أمده؛ فلذا يمكن للإنسان أن يعقد نيته على أداء العمل في المستقبل، ويُحسَب له خيراً، ويُكافأ عليها، بل في الأخبار الشريفة (نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ وَنِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ وَكُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ عَلَى نِيَّتِهِ)[(٢)]، مع إن العمل قد لا يتحقق بسبب وجود المانع منه، أو يتحقق في المستقبل.

وكذا الأمر في المعصية، فإن الذي ينوي المعصية تُحسَب له خطيئة وإن لم يرتكب المعصية بعد، لكن لا تُحسَب عليه عقوبة ذات المعصية، بل عقوبة نية المعصية؛ لأن نية المعصية في نفسها تتضمن معنى التجرؤ والتمرد على المولى[(٣)].

الاعتبار الثالث: تأثير العمل، بمعنى أن لا يُنظَر الى ظاهر العمل ولا نيته، بل الى مستوى تأثيره.

ومن الواضح أن الأعمال قد تكون منتهية بحسب ظاهرها، وربما تكون منقطعة بحسب نيتها، إلا أن أثرها يبقى أمداً طويلاً[(٤)]، إذ إن الأعمال تُلحَظ بحسب مظاهرها، وقد تُلحَظ باعتبار دوافعها، وقد تُلحَظ باعتبار آثارها، والجزاء الذي يترتب على كل عمل لا يأخذ بنظر الاعتبار ظاهر العمل وحده، بل يلحظ نيته وأثره أيضاً.

وقريب منه ما أجاب به بديع الزمان النورسي رحمه الله في تعليل سر كون الكفر علة للخلود في العذاب، وهو نفسه ما ينطبق على غيره من العلل التي وردت بها النصوص الكريمة، فقال في ذلك: (أيها الإنسان! إن فيك جهتين: الأولى: جهة الإيجاد والوجودِ والخير والإيجابية والفعل. والأخرى: جهةُ التخريب والعدم والشر والسلبية والانفعال. فعلى اعتبار الجهة الأولى (جهة الإيجاد) فإنك أقلُّ شأناً من النحلةِ والعصفور وأضعفُ من الذبابة والعنكبوت، أما على اعتبار الجهة الثانية (جهة التخريب) فباستطاعتك أن تتجاوز الأرضَ والجبالَ والسماوات، وبوسعِكَ أن تحمل على عاتقك ما أشفقنَ منه فتكسبَ دائرةً أوسعَ ومجالاً أفسحَ؛ لأنك عندما تقوم بالخير والإيجاد فإنك تعمل على سعةِ طاقتك وبقدْر جهدك وبمدى قوتك، أما إذا قمتَ بالإساءةِ والتخريب، فإن إساءتَكَ تتجاوز وتستشري، وإن تخريبَك يعمّ وينتشر)[(٥)].

---

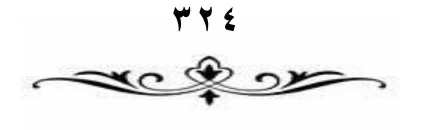
(١) [سورة الأنعام: الآيتان ٢٧، ٢٨].

(٢) الكافي للكليني، باب النية، ح٢: ٢/ ٨٤.

(٣) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ٨/ ٣٠٢.

(٤) المصدر نفسه: ٨/ ٣٠٣.

(٥) الكلمات: ٣٦١.



ويضرب المثل على ذلك من الواقع بأن الإنسان يستطيع هدمَ بيتٍ في يوم واحد الاّ أنه لا يستطيع أن يشيّده في مائة يوم، ومثل ذلك الكفر، فهو سيئة واحدة، ولكنها (تُفضي إلى تحقير جميع الكائنات وازدرائها واستهجانها، وتتضمن أيضاً تزييف جميع الأسماء الإلهية الحسنى وإنكارها، وتتمخّض كذلك عن إهانة الإنسانية وترذيلها؛ ذلك لأن لهذه الموجودات مقاماً عالياً رفيعاً، ووظيفةً ذات مغزى، حيث إنها مكاتيب ربانية، ومرايا سبحانية، وموظفات مأمورات إلهية، فالكفرُ فضلاً عن إسقاطهِ تلك الموجودات من مرتبة التوظيف ومنزلة التسخير ومهمة العبودية، فإنه كذلك يُرديها إلى درك العَبَث والمصادفة ولا يرى لها قيمةً ووزناً بما يعتريها من زوالٍ وفراق يبدّلان ويفسّخان بتخريبهما وأضرارهما الموجودات إلى مواد فانية تافهة عقيمة لا أهمية لها ولا جدوى منها)[1].

وعلى هذا الأساس يكون الخلود في النار جزاءً للأعمال الطالحة؛ لأن تلك الأعمال وإن كانت منقطعة بحسب ظاهرها إلا إنها باقية بحسب النوايا والآثار؛ وذلك لأن النوايا ترجع في جوهرها الى الملكات النفسية، وهي من الصفات الملازمة لنفس الإنسان، وتكون معها في جميع الأحوال ولا تفارقها، وأما الآثار فهي أيضاً تبقى نتائجها في الخارج، كما تنعكس على نفس الإنسان وقلبه، فترسخ فيها الملكات والصفات، ومن هنا يؤكد علماء الأخلاق على أن تقوية المَلَكات الفاضلة يتم بالمواصلة على عمل الخير، وتقوية المَلَكات السيئة بخلافها[2].

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]، فإن وصف الخطيئة بأنها محيطة بصاحبها يشير الى أن العصيان يكون كالسور الذي يطوَق به صاحبه، بحيث يحدق به من كل جانب، فتتحول حياته برمتها الى معاصٍ وخطايا فلا يوجد فيها خير أبداً[4].

وبناءً على ذلك كان عذاب المكذبين والمستكبرين هذا التوعد بخلودهم في النار، لتكبرهم عن قبول الحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]، وهي تذكر صفة الكبر، والمرتبط بتكذيب آيات الله، ذلك أن الكبر يتنافى تماماً مع العبودية، ويستحيل على المستكبر أن يتحقق له السير التصاعدي المعرفي والسلوكي، ذلك أن كليهما يتطلب نفساً لينة هينة سهلة يمكن ترويضها وإصلاحها. ولهذا يخبر الله تعالى عن استحالة فتح أبواب سماء الحقائق للمتكبرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[6][7].

---

(١) الكلمات: ٣٦٢.

(٢) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ٨/ ٣٠٤.

(٣) [سورة البقرة: الآية ٨١].

(٤) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ٨/ ٣٠٤.

(٥) [سورة الأعراف: الآية ٣٦].

(٦) [سورة الأعراف: الآية ٤٠].

(٧) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٥٧.

ثانياً: المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء الماكثين في النار مكوثاً مؤقتاً.

من جملة أصحاب الشمال الموحدين ممَن ارتكبوا الذنوب التي دون الكفر والاستكبار عن عبادته تعالى، ودون التكذيب والجحود، ويكون مرتكبها من الذين استحقوا العذاب في النار، لكنه إن تخلص من تبعات سيئات أعماله، خلال المدة التي مكثها في جهنم، وقد تخلص معها من كل تلك الملكات التي كانت سبباً في عقابه؛ فإنه لا يستمر عليه الحكم المؤبد.

فيتفق مع عدالته تعالى وحكمته وما أنذر به العباد هذا العقاب لأجل تطهيرهم قبل دخولهم الجنة ليكونوا أهلاً لها، كما أنه يتفق مع الرحمة والعفو الإلهي في قبول الله تعالى لتوبة العباد، وبناءً على ذلك سنتناول هنا المقاصد العقدية من جزاء المعذبين في النار مؤقتاً من الموحدين لما يتعلق بحكمة الله تعالى بتطهيرهم من تبعات الذنوب في المقصد الأول، وما يتعلق بفضله تعالى ورحمته بقبول توبتهم عنها فترة حياتهم في المقصد الثاني.

١ـ مقصد الحكمة الإلهية في عذاب أصحاب المعاصي من الموحدين

ومن بين تجليات المقاصد العقدية في جزاء هؤلاء تبرز العدالة والحكمة الإلهية، ذلك أنَّ الله تعالى حين يُعذِّب لم يكن إلا بعدله، وإنما جزاؤه لكلٍّ من آمن به تعالى واستقام، يقول ابن كثيرﷺ (ت٧٧٤هـ): (أخبر تعالى أنه لا يظلم أحداً شيئاً، وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً، وقلوبا غلفاً، وأضل به عن الإيمان آخرين، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؛ لعلمه وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١]

وفي الحديث عن أبي ذرﷺ عن النبي ﷺ في الحديث القدسي عن الله عز وجل: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ) الى أن قال ﷺ في آخره (يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)[٢])[٣].

وهذه الأمور قد ذكرها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في دعائه بقوله: (وقد علمت يا إلهي أنْ ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة، وإنّما يعجل من يخاف الفَوْت، وإنّما يحتاج إلى الظّلم الضعيف، وقد تعاليتَ يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً)[٤].

ويشير إلى هذا المقصد العديد من الأحاديث التي تذكر عدم دخول نفر كثيرين إلى الجنة، مع اتفاق العلماء على

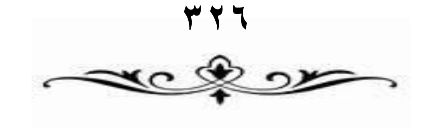
---

(١) [سورة يونس: الآية ٤].

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح٢٥٧٧: ٤/ ١٩٩٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٣٦.

(٤) الصحيفة السجادية ـ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، تقديم السيد محمد باقر الصدر، الدار الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: ٣٧٤.



أن ذلك الدخول في النار ليس أبدياً، وإنما هو مؤقت، وإن توقيته متوقف على التطهر من تلك الذنوب التي كانت سبباً في دخولهم النار[1].

وما يدلُّ على ذلك من خلال بحثنا في الأحاديث الصحيحة التي يتبين من ظاهرها أن هؤلاء إنما لا يدخلون الجنة مباشرةً وقبل عقوبتهم على معاصيهم، ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: (ثَلَاثَة لَا يَدْخُلُوْن الْجَنَّة: الْعَاق لِوَالِدَيْه، وَالْدَّيُّوث[2]، وَرَجُلَة الْنِّسَاء)[3].

وما ورد في مسند الامام أحمد رحمه الله من قوله ﷺ: (ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ - المتشبهة بالرجال-، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى)[4].

ومثل ذلك ما ورد في قوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ)[5]، وقوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)[6].

وقوله ﷺ: (إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ)، فقيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إ(نَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ)[7]، وقال الإمام النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ): (كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه. وفيه دلالة للمذهب الصحيح الذي عليه الجمهور: أن من نوى المعصية، وأصر على النية يكون آثماً، وإن لم يفعلها)[8].

وبناء على مبدأ العدالة والحكمة الإلهية، ولما ورد في النصوص الكريمة، فإن هؤلاء الموحدين الذين قُدِّر عليهم دخول النار وكونهم من أصحاب الشمال بسبب جرائمهم، ينزلون في الدركات بحسب ضخامة الجرم، ثم قد يترقون، إن كانت لديهم القابلية لذلك، ولذا؛ فإنا نرى أن كل النصوص الدالة على الدخول في جهنم باقية على معناها في حق الموحدين أو غيرهم، ولكن ليس على معنى الخلود والانتقام، إنما لأجل تأديبهم وتطهيرهم التام من عواقب الأعمال، والآثار المشكلة لها في الهيئة النفسانية.

ذلك أن الجنة لا يدخلها إلا الطاهرون الطيبون. وبما إن للإسلام دوراً كبيراً للمسلم في نجاته من الشرك، وتعرفه على حقائق الوجود، ولكن قد لا يكون إسلامه كافياً في تطهيره من الآثار التي كسبتها نفسه من الجرائم،

---

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٤٩.

(٢) الديوث: هو الذي يُقِر الخبث في أهله. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٤٠٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، ح٢٤٤: ١/ ١٤٤، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

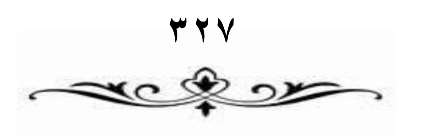
(٤) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ح ٦١٨٠: ٢/ ١٣٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن يسار.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُكرَه من النميمة، ح٥٧٠٩: ٥/ ٢٢٥٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، ح١٠٥: ١/ ١٠١.

(٧) المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح٢٨٨٨: ٤/ ٢٢١٣.

(٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٨/ ١١، ١٢.



ولذلك يحتاج إلى التطهر منها في الدنيا، فإن لم تكفه الدنيا، ولا البرزخ بقيت تبعاتها عليه إلى أن يتخلص منها، بغض النظر عن المدة المرتبطة بذلك[1].

ولذلك فقد قال أغلب العلماء أن لفظ التأبيد في العذاب على المعاصي التي يقوم بها العصاة من الموحدين يختلف عنه التأبيد والخلود للكافرين والجاحدين؛ لوجود أصل الإيمان فيهم، وللأخبار الصحيحة في إن الإيمان سبب دخول الجنة، وإن كان بعد جزائهم بالعذاب في النار، بدلالة العديد من الأحاديث والآثار، منها قوله ﷺ عن دور السجود في الحماية من العذاب، فقال: (إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ)[2].

ذلك أن من الضلال والغضب ما قد يراد منه الضلال والغضب المحدود والمؤقت. فإن كل منحرف عن الدين الأقوم مع إيمانه ضالٌ وعاصٍ في ذلك الجزء الذي انحرف فيه، وبذلك يكون قد نال حظاً من الغضب بسبب ذلك الضلال، كما يشير إلى ذلك الخروج من الايمان عند مباشرة العبد لما نهى تعالى عنه من المعاصي، إذ يقول ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[3].

كما أن العذاب الإلهي للعصاة من فُسَّاق المسلمين نابع من الرحمة الإلهية، ذلك أن القصد منه هو التطهير والتربية والترقي، وليس العذاب المجرد الذي يُقصَد منه الانتقام والتشفي، فالله أعظم من أن يتشفى بأحد من خلقه[4].

وبناء على ذلك؛ فإن من لم يتم تطهيره في الدنيا، إما بالتوبة النصوح، أو بالمكفرات المختلفة التي تستأصل ما في نفسه من الهوى، سيتعرض لا محالة للتطهير بمختلف درجاته وأساليبه في الدار الأخرى، ذلك أنه يستحيل أن يدخل الجنة من لم تكتمل طهارته؛ فحكمة الله تعالى اقتضت تطهير من يسكن الجنة تطهيراً متناسباً مع الجرائم التي عملها.

ذلك أن رحمة الله تعالى بعباده دائمة منذ يوم خلقهم، وإذ خلق تعالى الرحمة بينهم فإنه تعالى قد ادخر لعباده ما يفوق ذلك، بأضعاف مضاعفة، ويدل على هذا المعنى فضلاً عن الآيات الكريمة في سعة رحمته تعالى بعباده ما ورد في حديث للنبي ﷺ بقوله: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً؛ فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ)[5].

وقوله ﷺ: (جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا؛ فَمِنْ

---

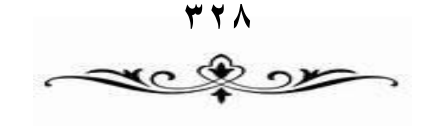
(١) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٥٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب صفة السجود، ح ٧٧٣: ١/ ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر، ح ٦٣٩٠: ٦/ ٢٤٨٧.

(٤) (يُنظَر) أسرار كما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٦٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، ح ٦١٠٤: ٥/ ٢٣٧٤.



ذَلِكَ الجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الخَلَائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)(١).

فإذا كانت جميع صور الرحمة الإلهية في الأرض هي جزء واحد من هذه الرحمة، فلا شكَّ أن ما هيأه لعباده يوم القيامة أعظم، إذ ورد عنه ﷺ قوله فيها: (إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٢).

٢ـ مقصد تفضل الله تعالى على عصاة الموحدين بقبول توبتهم

من أبواب رحمته تعالى على عباده أن يجعل التوحيد وحده كافٍ لرفع تأبيد العقوبة عن العصاة من الموحدين، هذا إن لم يتب عنها، أما إن تاب عنها فترة حياته كانت توبته مكفرةً عن معاصيه ليغفرها تعالى له ويعفو عنه، بدلالة ما رُويَ (أن رجلاً جاء إلى النبيﷺ، فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها فلم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال ﷺ: (فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟) قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، قالﷺ: (نَعَمْ) (تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ)، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال ﷺ: (نَعَمْ) قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى)(٣).

فالتوبة من الذنوب دعتنا اليها الكثير من الآيات القرآنيّة الكريمة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٤).

ومن بين أنواع التوبة: التوبة من الشرك، فمن صار موحّداً مؤمناً بالله تعالى غُفر له ذنبه في الإشراك، وكان نفس توحيده توبةً له(٥).

ويقول ابن عاشور رحمه الله (١٣٩٣هـ) في هذه التوبة أنه لا تعني الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾(٦)، أنّه لا تُقبل توبة المشرك منه مهما كانت، وأنّ الله لن يغفر للمشرك شركه، بل تعني أن المشرك المصرّ على شركه حتّى يموت، سوف لن ينال المغفرة لأن الله تعالى يغفر ما دون الإشراك فيه(٧).

فيدخل التائب في دائرة الايمان الموجب غفران ذنب الكفر، إذ تُعرَّف التوبة في الشرع: الرجوع عن الأفعال المذمومة الى الممدوحة، وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء، أما الوجوب؛ فلقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله تعالى الرحمة في مائة جزء، ح ٥٦٥٤: ٥/ ٢٢٣٦، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح ٢٧٥٢: ٤/ ٢١٠٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وإنها سبقت غضبه، ح ٢٧٥٢: ٤/ ٢١٠٨.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الإيمان، باب في الوسوسة، ح ٧٦: ١/ ٣٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار بنحوه، ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيط، وهو ثقة.

(٤) [سورة الزمر: الآية ٥٣].

(٥) (يُنظَر) معرفة المعاد: ٧٥/٩.

(٦) [سورة النساء: جزء من الآيتين ٤٨، و١١٦].

(٧) (يُنظَر) التحرير والتنوير: ٨٠/٥، ٨١، ومعرفة المعاد: ٧٥/٩.



أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، أما الفورية؛ فلِما في تأخيرها من الإصرار المحرم.

وقيل التوبة: الاعتراف والندم والإقلاع، وهي على ثلاث معانٍ: أولها الندم، والثاني العزم على ترك العود لما نهى الله عنه، والثالث السعي في أداء المظالم(٢).

ويقول الشيخ الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في اقسام التوبة انها اما ان تكون توبة عن ذنب في حق الله تعالى، أو في حق انسان، ويختلف حكمها تبعاً لهذا المفهوم، ويتبين ذلك في قوله في التجريد: (والذنب إن كان في حقه تعالى من فعل قبيح، كفى عنه الندم والعزم، وفي الإخلال بالواجب اختلف حكمه في بقائه، وقضائه وعدمها، وإن كان في حق آدمي استتبع إيصاله إن كان ظلماً، أو العزم عليه مع التعذر أو الإرشاد إن كان ضلالاً، وليس ذلك جزاءاً)(٣).

وعلَّق عليه العلامة الحلي: (فالتوبة أما أن تكون من ذنب يتعلق به حقه تعالى خاصة ً أو يتعلق به حق الآدمي، والأول إما ان يكون من فعل قبيح، كشرب الخمر والزنا، أو إخلال بواجب كترك الزكاة والصلاة، (فالأول) يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود اليه، أما(الثاني) فيختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعية، فمنه ما لا بد مع التوبة منه أدائه، كالزكاة، ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة، ومنه ما يسقطان عنه كالعيدين)(٤).

فقد أشار تعالى الى ارتباط التوبة والمغفرة بالمغضوب عليهم وقبولها منهم ان تراجعوا عن شركهم وغيهم فآمنوا به تعالى، وهو ما أخبر به تعالى في سورة طه بقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾(٥)، حيث بين تعالى أن من يحلل عليه غضبه تعالى قد وقع في الهاوية والبعد عن رحمته تعالى، إلا إنه من تاب واستغفر عن ذنوبه قد تحول مسيره الى الصراط الحق بتوبته هذه.

يقول مكارم الشيرازي في تفسيره للآيات الكريمة من قوله تعالى: (﴿هَوَى﴾ في الأصل بمعنى السقوط من المكان المرتفع، والذي تكون نتيجته الهلاك عادةً، إضافة إلى أنّه هنا إشارة إلى السقوط الرتبي والبعد عن قرب الله، والطرد من رحمته، ولّما كان من الضروري أن يقترن التحذير والتهديد بالترغيب والبشارة دائماً، لتتساوى كفّتا الخوف والرجاء، حيث تشكّلان العامل الأساسي في تكامل الإنسان، ولتفتح أبواب التوبة والرجوع بوجه التائبين، فقد قالت الآية التالية: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾. فكلمة (غَفَّارٌ)، صيغة مبالغة، وتوحي أنّ الله سبحانه لا يقبل هؤلاء التائبين ويشملهم برحمته مرّة واحدة فقط، بل سيعمّهم عفوه ومغفرته مرّات ومرّات.

---

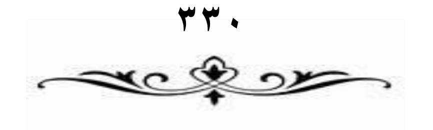
(١) [سورة النور: من الآية ٣١].

(٢) (ينظَر) التعريفات، باب التاء: ٣٢.

(٣) تجريد العقائد ـ محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، دراسة وتحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية ـ مصر، ١٩٩٦م: ١٥٧.

(٤) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٩٩.

(٥) [سورة طه: الآيتان ٨١، ٨٢].



ومما يستحقّ الانتباه أنّ أوّل شرط للتوبة هو ترك المعصية، وبعد أن تتطهّر روح الإنسان من هذا التلوّث، فإنّ الشرط الثّاني هو أن يغمرها نور الإيمان بالله والتوحيد، وفي المرحلة الثّالثة يجب أن تظهر براعم الإيمان والتوحيد ـ والتي هي الأعمال الصالحة والمناسبة ـ على أغصان وجود الإنسان)[1].

فالتوبة مقبولة من كل عاصٍ ما لم ييأس من الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]، وقالﷺ في الحديث القدسي، قال تعالى: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)[3].

وإن اركان التوبة ثلاثة، هي:

أولها: الندم على ما وقع منه من المخالفات لمراعاة حق الله تعالى؛ لقوله ﷺ: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)[4]

الثاني: العزم على أن لا يعود لمثله، وهذان لا بد منهما في كل توبة.

الثالث: الإقلاع عن الذنب في الحال، وهذا إنما يتأتى في ذنب لم ينقضِ، فيجب الكف عن استتمام الزنا وشرب الخمر، وعن أذية أحد، ورَد المظالم الى أهلها، واستسماح المظلوم إن أمكن، وإلا استغفر له وتصدق له بما يمكنه، فإن الله تعالى إذا علِم صدق العبد أرضى الله عنه خصماءه[5].

وقد قال فيها النبيﷺ: (للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)[6].

وإنما أوردناها في هذ المقصد لأنها تابعةٌ للنفس الخطاءة التي تقود صاحبها للهلاك العظيم، بينما تتدارك هذه النفس أخطاءها بهذه التوبة ان كانت نصوحاً لتنال الرحمة العظيمة التي ادخرها تعالى لعباده في ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[8].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/ ٤٨.

(٢) [سورة النساء: الآية ١٨].

(٣) سنن الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار، ح ٣٥٤٠: ٥/ ٥٤٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

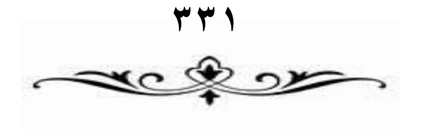
(٤) مسند احمد، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح٣٥٦٨: ٦/٣٧، وح ٤٠١٢: ٧/١١٣، وقال المحققون: حديث صحيح، ورواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ح٤٢٥٢: ٢/٢٤٠.

(٥) (يُنظَر) شرح الخريدة البهية: ١٨٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح ٢٧٤٧: ٤/ ٢١٠٤.

(٧) [سورة الكهف: من الآية ٥٨].

(٨) [سورة البقرة: الآية ٦٤].



المبحث الثاني: الجزاء الحسي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية

يتمثل الجزاء الحسي بالنعيم والعذاب الحقيقي والملموس، والذي يُجازى به أهل الجنة ويُعاقب به أهل النار، وقد زخرت به آيات القرآن الكريم والأحاديث من السنة النبوية المطهرة، لذلك فقد ارتأينا في هذا المبحث ذكر بعض المقاصد من النعيم والعذاب الحسيين بصورةٍ كلية وعامة في المطلب الأول منه بما يتوافق مع النصوص الكريمة والعقل، فضلاً عن توافقه مع تجليات الرحمة والكرم الإلهيين ومع العدالة والحاكمية والقدرة الإلهية، ثم ذكر بعض مقاصد الترغيب والتحذير لبعض النماذج منهما، وهو أقل ما يمكن أن نذكره فيها حرصاً من الإطالة التي تخرجنا من الهدف المنشود في هذه الدراسة.

وبناءً على ما استقرأناه من هذه النصوص الكريمة في هذا الجزاء، فقد ارتأينا أن تقسم المقاصد العقدية فيه الى مطلبين، هما:

المطلب الأول: المقاصد العقدية لنعيم الجنة وعذاب النار الحسيين

المطلب الثاني: نماذج من الجزاء الحسي ومقاصدها العقدية

المطلب الأول: المقاصد العقدية لنعيم الجنة وعذاب النار الحسيين

ويتناول هذا المطلب فروعٍ ثلاثة، الأول في توافق الجزاء الحسي مع العقل والفطرة السليمة، والفرع الثاني في توافق الجزاء الحسي مع تجليات الرحمة الإلهية، والفرع الثالث في توافقها مع العدالة الإلهية.

أولاً: توافق الجزاء الحسي مع العقل والفطرة السليمة

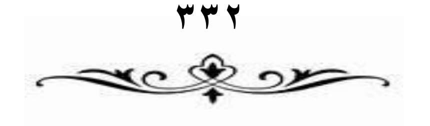
ويتناول هذا المقصد تثبيت هذه العقيدة الصحيحة في النفوس من خلال ورود ما يدل عليها في النصوص الكريمة، فضلاً عن اتفاقها مع مذهب العقل السليم كي يترقى بعد هذه المعرفة الى المقاصد التي تليها من الترغيب فيما أعده تعالى من النعيم، والإنذار فيما أعدَّه من عذاب لمنكريها.

وبناءً على ذلك يكون هذا المقصد من قسمين، الأول في توافق نعيم أهل الجنة من أصحاب اليمين مع مذهب العقل والفطر السليمة، والثاني في توافق عذاب المسيئين من أصحاب الشمال مذهب العقل والفطر السليمة.

١ـ توافق النعيم الحسي مع العقل والفطرة السليمة

بما إن النعيم الحسي قد ورد في العديد من آيات القرآن الكريم، كما وثبُتَ عند المسلمين كافة الجزاء الذي أعدَّه تعالى لعباده، إذ اتفقت عليه جميع الفِطر السليمة والعقول، مع إنه يفوق تصوراتها لكنهه، ولا عبرةَ في بعض الشواذ ممن ينكرون هذا النعيم.

وكذلك فقد أنكره عدد من الطوائف الأخرى من غير المسلمين ممن تلوثت فطرهم السليمة ولا عبرة في مدعاهم، ويرد الشيخ المفيدرحمه الله (ت ٤١٣هـ) على من أنكره بقوله: (وقول من يزعم أنَّ في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح



والتقديس من دون الأكل والشرب، قول شاذ عن دين الاسلام، وهو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون)[1].

(وقد كذّب الله سبحانه هذا القول في كتابه بما رغَّب العاملين فيه من الأكل والشرب والنكاح، فقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[8]، الآية.

فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون ويتنعمون بما به الخلق من الأعمال يتألمون، وكتاب الله تعالى شاهد بضد ذلك، والاجماع على خلافه، لولا أن قلد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل على حديث موضوع)[9].

كما يتفق ما ورد في النصوص الكريمة من النعيم الحسي مع اثبات العقول للمعاد الجسماني، ويدل عليه ما ذكره شهاب الدين القرافي[10] رحمه الله (ت ٦٨٤هـ)، في رده على شبهة المعاد الجسماني ووجود النعيم الحسي في الجنة بقوله: (النعيم الجسماني الذي يثبته المسلمون ليس مفسرًا على ما ذكرتموه من التشنيع، بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية، وتقريره: أننا نجد في هذه الدار الملاذ الجسمانية تترتب على أسباب عادية، فالملاذ إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايج المناسبة لجواهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع، وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحس والجمال وغيرها

---

(١) تصحيح الاعتقادات: ١١٨.

(٢) [سورة الرعد: الآية٣٥].

(٣) [سورة محمد: الآية ١٥].

(٤) [سورة الرحمن: الآية ٧٢].

(٥) [سورة الواقعة: الآية ٢٢].

(٦) [سورة الدخان: الآية ٥٤].

(٧) [سورة ص: ٥٢].

(٨) [سورة يس: الآيتان ٥٥، ٥٦].

(٩) تصحيح الاعتقادات: ١١٨.

(١٠) أحد الأعلام المعروفين. انتهت إليه رياسة المالكية في عصره، وبرع في الفقه وأصوله والعلوم العقلية، ولازم الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي، وأخذ عنه أكثر فنونه، وألف التصانيف الشهيرة كالذخيرة والقواعد وشرح المحصول والتنقيح في الأصول وشرحه وغير ذلك. قال القاضي تقي الدين بن شكر: أجمع المالكية والشافعية على أن أفضل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي، وناصر الدين بن المنير وابن دقيق العيد. مات في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة. (يُنظر) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ١/ ٣١٦.

من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس، وأما إدراك الأحوال النفسية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء والإرواء، ونحو ذلك، فهذه هي الملاذ الجسمانية.

وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات، من غير عطش ولا حاجة سابقة ولا تلويث لاحق ولا شيء يعاب. وإذا كان هذا هو الذي يعتقده المسلمون من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد والنعيم الجسماني الذي تقدم تحقيقه؛ كان هو اللائق بالكرم الإلهي والإحسان الرباني)[1].

لذلك نجد فيما ورد من صور النعيم الذي بشَّرت به النصوص الكريمة الصحيحة توافقها الكبير للقول في المعاد الروحاني والجسماني، وعند التحقق فيه نجدهُ موافقاً لما تذهب إليه الفطرة السليمة التي تتقبل ما لا يتعارض مع مذهبها، يقول العلامة مقداد عبد الله الفاضل السيوري الحلي رحمه الله (ت٨٢٦هـ)[2]: (دلّ العقل على أنّ سعادة النفوس في معرفة الله تعالى ومحبته، وعلى أنّ سعادة الأبدان في إدراك المحسوسات، ودلّ الاستقراء على أنّ الجمع بين هاتين السعادتين في الحياة الدنيا غير ممكن، وذلك انّ الإنسان حال استغراقه في تجلّي أنوار عالم الغيب لا يمكنه الالتفات إلى اللّذات الحسية، وإن أمكن كان على ضعف جداً بحيث لا يعد التذاذاً، وبالعكس، لكن تعذر ذلك سببه ضعف النفوس البشرية هنا، فمع مفارقتها واستمدادها الفيض من عالم القدس تقوى وتشرق، فمع إعادتها إلى أبدانها غير بعيد أن تصير هناك قوية على الجمع بين السعادتين على الوجه التام وهو الغاية القصوى في مراتب السعادة)[3].

٢ ـ توافق العذاب الحسي مع العقل والفطرة السليمة

وكذلك عذاب النار الحسي، وهي الدار التي أعدها تعالى للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[4].

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: ٢٢٨، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٨٧.

(٢) المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الأسدي السيوري الحلي، واصل البحث والدراسة مدة حياته حتى مهر في علوم شتى لا سيما علم الكلام الذي تخصص به، استقر في النجف الأشرف وأنشأ بها مدرسة لطلبة العلوم الإسلامية، أثنى عليه العلماء وقد حاز مقاماً شامخاً في العلم أصولاً وفروعاً، له العديد من المؤلفات الكلامية وغيرها، منها [اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية]، و[النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر]، و[إرشاد الطالبين]، و[الأنوار الجلالية]، وغيرها، توفي رحمه الله في سنة ست وعشرين وثمانمائة. (يُنظَر) ترجمته في معجم طقات المتكلمين: ٣/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٣) اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية ـ جمال الدين مقداد بن عبد الله الأسدي السيوري الحلي (ت٨٢٦هـ)، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، مطبعة شفق، تبريز ـ إيران ١٣٩٧هـ: ٣٧٨.

(٤) [سورة آل عمران: الآية ١٩٢].



فكما دلنا تعالى على الجنة وبين لنا سبلها، كذلك حذَّرنا من النار والسبل المؤدية إليها جميعاً، كما أنذر عباده المؤمنين بأن يتقوها، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

حيث يخاطب تعالى في أول الآية المؤمنين بأن يقوا أنفسهم هذه النار، يقول الطبرسي رحمه الله (ت ٥٤٨هـ): (والمعنى قوا أنفسكم وأهليكم النار بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، وعن اتباع الشهوات، وقوا أهليكم النار بدعائهم إلى الطاعة، وتعليمهم الفرائض، ونهيهم عن القبائح وحثهم على أفعال الخير)(٢).

ذلك (أنَّ تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة، فالنار هناك وهو متعرضٌ لها، هو وأهله، وعليه أن يحول نفسه وأهله، دون هذه النار التي تنتظر هناك)(٣)، هذا فضلاً عن العديد من الآيات الكريمة والأحاديث التي سنتطرق إليها خلال بحثنا في مقاصدها.

وإن ما ورد في هذه النصوص الكريمة في توالي التحذير من هذه النار التي أعدها تعالى للكافرين والعصاة، متوافق تماماً مع ما يقره العقل البشري ويؤمن به، لثبوت مبدأ العدالة الإلهية في كل شيء، وبه لا يبقى عذر أمام من يكفر به أو يجحده.

أما الادعاء بأن هذا العذاب لا يوافق مبدأ ومقصد الرحمة الإلهية التي ستشمل الجميع من محسنٍ ومسيء، فحسبنا في الرد عليه ما في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِّ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾(٤).

وهو تعالى القائل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾(٥).

كما أنَّ رسول الله ﷺ وهو أعرف العارفين بالله، وبرحمته الواسعة يقول في الأمور التي ترافق هذا الجزاء: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهَّ، وَاللهَّ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهَّ)، (لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ)(٦).

---

(١) [سورة التحريم: الآيتان ٦، ٧].

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٤٧

(٣) اليوم الآخر في ظلال القرآن ـ إعداد: أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة عشر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م: ٢٥٣.

(٤) [سورة النساء: الآية ١٢٣].

(٥) [سورة التوبة: الآية ٦٣].

(٦) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب في قول النبيﷺ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا)، ح ٢٣١٢: ٤/ ٥٥٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر، قال: (لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ)، ويروى عن أبي ذر موقوفاً، وذكره الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة هل أتى على الإنسان، ح ٣٨٨٣: ٢/ ٥٥٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِجاه.



فهل كان رسول الله ﷺ غافلاً عن رحمة ربه الواسعة حين نطق بهذه الكلمات؟ أم أنه كان يعرفها، ويعرف أن رحمة الله لا تتناقض مع عدل الله. وإنما هي رحمة خاصة بمن توفرت فيه شروطها، كما قال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)(٢).

ومع هذا التوافق للجزاء من نعيم وعذاب حسيين مع الفطر النقية السليمة وما تذهب اليه العقول، إلا إن منكريه يزعمون أن هذا الجسد الذي نعيش به في الدنيا هو نفسه الذي نعيش به في الآخرة؛ فهو مبني على تصورات بدائية للإنسان، تجعل منه مختصراً في هذا القالب الطيني، بينما حقيقة الإنسان أكبر من أن تحصر في أي قالب.

وقد أجاب صدر المتألهين الشيرازي رحمه الله (ت ١٠٥٠هـ) على هذا الإشكال بذكره أن هذا البدن الذي نعيش به في الدنيا، له حقيقة في ذاته، وليس مرتبطا ارتباطاً ضرورياً بالنفس، ولذلك يعود بعد انتهاء استعمال النفس له إلى وضعه الطبيعي، تراباً مثل سائر التراب(٣).

والنتيجة التي يخلص إليها الشيرازي رحمه الله تظهر في قوله: (جوهرية العبد في الدنيا والآخرة وروحه باقية مع تبدل الصور عليه من غير تناسخ، وكل ما ينشأ من العمل الذي كان يعمله بالدنيا يعطي لقالبه جزاء ذلك في الآخرة)(٤).

ثم يبين مدى توافق هذا مع ما تقتضيه الحكمة المتعالية من التوافق بين الشريعة والفلسفة والعرفان، فقال: (إنّ هذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة والملة الموافق للبرهان والحكمة، فمن آمن بهذا فقد آمن بيوم القيامة والجزاء، وقد أصبح مؤمناً حقاً، والنقصان عن هذا خذلان وقصور عن درجة العرفان، وقول بتعطيل أكثر القوى والطبائع عن البلوغ إلى غايتها والوصول إلى كمالاتها ونتائج أشواقها وحركاتها، ويلزم أن يكون ما أودعه الله في غرائز الطبائع الكونية وجبلاّتها من طلب الكمال والتوجه إلى ما فوقها هباءً، وعبثاً، وباطلاً، وهدراً)(٥).

وفضلاً عن جميع أقوال المنكرين ودفاع المسلمين عن هذه القضية، فإن الدلائل في ذلك صدرت من خالق الكون، وصورت مشاهدها للنعيم والعذاب في أروع الصور وأبهاها، ولكن حقيقة أمر المنكرين أنهم أغلقوا عقولهم ونظرهم عن الآيات الكثيرة الواردة فيه بهذه الحجج الواهية التي لا يقنعون بها حتى أنفسهم، وكذّبوا فطرهم بمبادئ الثواب والعقاب، فلا يتفكرون فيما ورد من ندمهم وحسرتهم عند رؤيتهم لهذا العذاب، والذي يصفهُ الغزالي رحمه الله (ت٥٠٥هـ) بقوله: (فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق وقد

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٥٦].

(٢) (يُنظَر) مدارس النفس اللوامة ـ د. نور الدين أبولحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م: ٥٥٧.

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٨٧.

(٤) تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، مع تعليق: المولى علي النوري، مطبعة سيد الشهداء، قم ـ ايران، ١٣٠٢هـ: ٥/ ٣٤٧.

(٥) تفسير القرآن الكريم ـ للشيرازي: ٥/ ٣٤٨.



قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً أين فلان بن فلان المسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل، فيبادرونه بمقامع حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له:﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾(١).

فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف.)(٢).

وقد ذكر تصوير هذه المشاهد ووصفها السيد قطب(٣) رحمه الله (ت ١٣٨٥هـ) بقوله: (لقد عنى القرآن الكريم بمشاهد القيامة: البعث والحساب، والنعيم والعذاب، فلم يُعَد ذلك العالم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر موصوفاً فحسب، بل عادَ مصوراً محسوساً وحيًّا متحركاً، وبارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون في هذا العالم عيشةً كاملة، رأوا مشاهده، وتأثروا بها، وخفقت قلوبهم تارةً، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفَّ إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود)(٤).

---

(١) [سورة الدخان: الآية ٤٩].

(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٣٠.

(٣) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ – ١٩٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. قال خالد محيي الدين (أحد أقطاب الثورة المصرية) فيما كتب عنه: كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحاً، ومن العجيب أنه انقلب ـ بعد قيام الثورة ـ ناقما متمردا على كل ما يحدث حوله، لا يراه إلا جاهلية مظلمة. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها [النقد الأدبي، أصوله ومناهجه]، و[العدالة الاجتماعية في الإسلام]، و[التصوير الفني في القرآن]، و[مشاهد القيامة في القرآن]، [الإسلام ومشكلات الحضارة]. (يُنظر) الأعلام للزركلي: ٣/ ١٤٧.

(٤) مشاهد القيامة في القرآن ـ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: ٤٢.



ثانياً: توافق الجزاء الحسي مع الرحمة الإلهية

وبعد إيمان العباد بهذه العقيدة الصحيحة وتثبيتها في نفوسهم تتجلى لنا من النصوص الكريمة سواءٌ في نعيم أهل الجنة الحسي أو العذاب الذي يلاقيه أهل النار مقاصد تتأثر بها عقيدة الفرد المسلم وتجعله أكثر يقيناً بها، إذ نرى في النصوص التي تحتوي النعيم مما أعده تعالى لأصحاب الجنة سعة الرحمة الإلهية والكرم الإلهي العظيم.

أما النصوص التي تحتوي العذاب الإلهي فلا تقتصر على مظاهر التخويف والتحذير من هذا العذاب، بل تتعداه لأن تسكن الخشية في قلوب المؤمنين، حيث يتجلى لنا هذا المقصد واضحاً عند استقرائنا لبعض النصوص الواردة في عذاب النار الحسي الحقيقي وخلودها، ذلك أن دور الرهبة والخشية في التزكية من الذنوب أمرٌ ظاهر للعقول المجردة البسيطة التي تتفق على أن تطبيق القوانين لا يمكن أن يتم بصورة سليمة في أغلب الأحيان ما لم يوضع بجانبها قوانين خاصة بالعقوبات المرتبطة بالجرائم المختلفة، مما يقودنا بذلك الى التوافق الكبير بين صور العذاب الحسي والرحمة الإلهية.

وبذلك فقد رأينا تقسيم هذه المقاصد الى قسمين، الأول في توافق النعيم الحسي مع الرحمة والكرم الإلهيين، والقسم الثاني في مقاصد توافق العذاب الحسي معهما.

١ـ توافق النعيم الحسي مع الرحمة الإلهية

تتجلى في جميع مظاهر النعيم التي أعدها تعالى لعباده وبشرهم بها جميع الصفات الإلهية، من الرحمة والعدالة والكرم الآلهي والعفو والرأفة والقيومية والمالكية الى غير ذلك من صفاته تعالى وأسمائه الحسنى.

ومنها توافق هذا النعيم مع الرحمة الإلهية؛ وذلك (لأن الله تعالى ضاعف جزاءه للمحسنين، بحيث وفر لهم أضعاف أضعاف ما عملوه، بناء على اسمه الشكور، وفي نفس الوقت لم يجازِ المسيئين إلا بما غرسوه من أعمال، مع إمكانية أن يرفع عنهم البلاء في حال تحسنهم، وارتفاع آثار الأوزار من نفوسهم)(١)

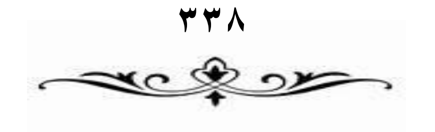
كذلك مما زخرت به آيات القرآن الكريم في بيان سعة هذه الرحمة والتفضل الإلهي على عباده والتسابق في الفوز بها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢).

حيث يظهر في الآية الكريمة مشهد المساحة العظيمة التي تشغلها الجنة مقارنةً بالحياة الدنيا، (وهي مساحة واسعة شاملة تفسح المجال لتصور مشاهد النعيم الحافل في هذا المجال الفسيح.

وتلك وظيفة المشهد هنا، فهو يأتي بعد ذكر متاع الدنيا وقصره، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٢.

(٢) [سورة الحديد: الآية ٢١].



وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]، ثم يذكر الجنة وعرضها فيفسح المجال للموازنة الشعورية بين ذلك المتاع الضيق القصير، وهذا النعيم الرحيب الوسيع)[2].

كما أن هذا الجزاء الحسي يدل على مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى، إذ يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

حيث يقول فيها السيد قطب رحمه الله (ت ١٣٨٥هـ): (وفيه صورةٍ كذلك للنعيم جديدة، فالثمار في هذا النعيم متشابهة المظهر، مختلفة الطعوم، فكلما رُزِق المؤمنون من هذا الثمر، قالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، ولعل قيمة هذا التشابه والتنوع هي قيمة المفاجأة اللذيذة السارة من حيث لا تُحتَسَب، مع شيء من المداعبة لهؤلاء المُنعَّمين تزيدهم شعوراً بالنعيم، ثم لعله مظهراً من مظاهر القدرة التي تضع الفروق بين المتشابه، وتعدد الأنواع والمظهر متقارب)[4].

فضلاً عن توافقه مع الكرم الإلهي الذي وعد تعالى به عباده، وهذا النعيم العظيم والبشارة به لا يُعَد أمراً خارجاً عمّا تذهب إليه العقول كما يذهب الى ذلك البعض، يقول الدكتور نور الدين أبولحية: (إننا نجد الكثير من الذين يطرحون أمثال هذه الشبه شديدي الإعجاب بالتطور الحضاري المادي للشعوب المختلفة، ولست أدري كيف يعجبون بذلك التطور، وفي نفس الوقت يستغربون أو ينكرون ذلك التطور وتلك الحضارة التي يصف الله تعالى بها دار الجزاء المعدة لعباده الصالحين.

وهكذا الأمر بالنسبة لدار الجزاء المعدة للمسيئين؛ فإن هؤلاء إن قيل لهم: إنكم في دار الجزاء ستحجبون عن الله، ولن تتذوقوا تلك المعاني النبيلة السامية التي يستشعرها المؤمنون؛ فلا شك أنهم سيسخرون من ذلك، لأنهم أصلاً لا يجدون في نفوسهم أي اهتمام أو رغبة في ذلك)[5].

ثم يبين أن هذا النوع من الجزاء الإلهي متوافقاً مع كل النفوس، ومع جميع الأعمال، باعتبار أنه ليس سوى تجسد لتلك الأعمال التي قام بها صاحبها في الدنيا، ويبين ارتباط الحس بالمعنى إذ يقول (إن الحس دليل المعنى، وبالحس قد يترقى الإنسان ليفهم المعنى، ولذلك لن يكون ذلك النعيم الذي أعده الله لعباده الصالحين حجاباً لهم، بل سيكون مرقاة لهم يتعرفون من خلالها على ربهم)[6] فيذكر ارتباط هذا الجزاء بصفات الله تعالى ذلك أن كل شيء

(١) [سورة الحديد: الآية ٢٠].

(٢) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٤٦.

(٣) [سورة البقرة: الآية ٢٥].

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٣٤.

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٣.

(٦) المصدر نفسه: ٤٧٤.



صنعة لله، وحروف تكتبها يد القدرة، ليتعرف العبد من خلالها على الله، كما عبر عن ذلك قوله تعالى ـ وهو يأمرنا بقراءة الرحمة الإلهية من خلال حياة الأرض بعد موتها: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1].

ويأمرنا بالاستبشار تفاؤلاً بفضل الله، وفرحاً بالله، وتنسماً لرحمة الله عند هبوب الرياح التي يرسلها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ويعلمنا أن نقرأ لطف الله وخبرته المحيطة بكل شي من خلال حروف الماء الساقطة على الأرض المخضرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[3].

ويعلمنا أن نقرأ علم الله وقدرته من خلال السطور المبثوثة في تقلب الزمان بأعمارنا، قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[4].

ويرينا قوة الله القاهرة، وقدرته الشاملة باستعراض تفاصيل دقيق المكونات وجليلها؛ فالسموات التي ننبهر لضخامتها لا تعدو أن تكون شيئاً حقيراً جداً أمام عظمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5][6].

٢ـ توافق العذاب الحسي مع الرحمة الالهية

كثيراً ما نرى في النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث الصحيحة أغلبها تستعمل الإنذار والتحذير مما أعدَّه تعالى من العذاب الذي يصوره أبلغ تصوير، إذ تُعَد هذه النصوص وسيلةً في النهي عن الرذائل صغارها وكبارها؛ وهو ما يدل على دور ذلك في تزكية النفوس من أدرانها عن طريق التطهير والخشية التي تنالها القلوب عما ورد النهي عنه.

لذلك فإن تصوير هذا العذاب يكون باباً من أبواب الرحمة الإلهية لمن لم يُكتَب عليهم الخلود في جهنم، إذ إنهم يُعذبون فيها إن لم تكفِ في تطهيرهم الأهوال والفزع في باقي المواقف التي تسبقها، فيكون عذابهم مدة محدودة لأجل تطهيرهم من أدران ذنوبهم واكتمال تطييبهم ليكونوا أهلاً لعفو الله تعالى ورحمته في دخولهم الجنات مع أصحاب اليمين، وكذلك فإن في ذكر هذا الوعيد من أبواب الرحمة كي يتقيها المؤمن لما يتملك قلبه من الخشية والرهبة من التقرب من الذنوب أو الإكثار منها حين يسمع الآيات في الوعيد والإنذار بالعقاب الإلهي.

---

(١) [سورة الروم: الآية ٥٠].

(٢) [سورة الأعراف: الآية ٥٧].

(٣) [سورة الحج: الآية ٦٣].

(٤) [سورة النحل: الآية ٧٠].

(٥) [سورة الزمر: الاية ٦٧].

(٦) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٤.

ومن الأمثلة في ذلك مما ورد فيه ذكر التحذير من النار، ومن ما ورد في الترهيب من الكفر وعاقبته وما يؤدي إليه، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(١).

إذ يقول الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في هذه النار أنها ليست مختصة فقط للكافرين، بجوابه على السؤال بأن أعدت للكافرين يقتضي أنها ما أعدت إلا للكافرين، وهذا يقتضي القطع بأن أحداً من المؤمنين لا يدخل النار وهو على خلاف سائر الآيات.

أما جوابه رحمه الله فمن وجوه (الأول: أنه لا يبعد أن يكون في النار دركات أعد بعضها للكفار وبعضها للفساق فقوله: ﴿النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ إشارة إلى تلك الدركات المخصوصة التي أعدها الله للكافرين، وهذا لا يمنع ثبوت دركات أخرى في النار أعدها الله لغير الكافرين.

الثاني: أن كون النار معدة للكافرين، لا يمنع دخول المؤمنين فيها، لأنه لما كان أكثر أهل النار هم الكفار فلأجل الغلبة لا يبعد أن يقال: إنها معدة لهم، كما أن الرجل يقول لدابة ركبها لحاجة من الحوائج، إنما أعددت هذه الدابة للقاء المشركين، فيكون صادقا في ذلك وإن كان هو قد ركبها في تلك الساعة لغرض آخر فكذا هاهنا.

الوجه الثالث في الجواب: أن القرآن كالسورة الواحدة فهذه الآية دلت على أن النار معدة للكافرين، وسائر الآيات دالة أيضاً على أنها معدة لمن سرق وقتل وزنى وقذف، ومثاله قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(٢)وليس لجميع الكفار يقال ذلك.

الوجه الرابع: أن قوله: أعدت للكافرين إثبات كونها معدة لهم ولا يدل على الحصر كما أن قوله في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣) لا يدل على أنه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين والحور العين.

الوجه الخامس: أن المقصود من وصف النار بأنها أعدت للكافرين تعظيم الزجر، وذلك لأن المؤمنين الذين خوطبوا باتقاء المعاصي إذا علموا بأنهم متى فارقوا التقوى أدخلوا النار المعدة للكافرين، وقد تقرر في عقولهم عظم عقوبة الكفار، كان انزجارهم عن المعاصي أتم)(٤).

وكذلك غيرها من الآيات الكريمة الكثيرة التي تحذِّر من ارتكاب المعاصي أو التقرب منها، كما ورد في الترهيب من الشرك به تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾(٥)، وما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ)(٦).

(١) [سورة آل عمران: من الآية ١٣١].

(٢) [سورة الملك: الآية ٨].

(٣) [سورة آل عمران: من الآية ١٣٣].

(٤) مفاتيح الغيب: ٩/ ٣٦٤.

(٥) [سورة المائدة: الآية ٧٢].

(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، ح ٤٢٢٧: ٤/ ١٦٣٦.



ومن ذلك ما ورد من الترهيب من التكذيب بالبعث والنشور، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)إِذا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِ بَعيد سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[١]، ويفسر الشيرازي وصفه تعالى لهذه النار بقوله: (ثمّ وصف هذه النار المحرقة وصفاً عجيباً. وتعبيرات بليغة متعددة، تخبر عن شدّة هذا العذاب الإلهي:

١ ـ إنّه تعالى لا يقول: إنّهم يرون نار جهنم من بعيد، بل يقول: إن النار هي التي تراهم ـ كأن لها عيناً وأُذناً ـ فسمّرت عينها على الطريق بانتظار هؤلاء المجرمين.

٢ ـ إنّها لا تحتاج إلى أن يقترب أولئك المجرمون منها، حتى تهيج، بل إنّها تزفر من مسافة بعيدة.

٣ ـ وصفت هذه النار المحرقة بـ «التغيظ» وذلك عبارة عن الحالة التي يعبّر بها الإنسان عن غضبه بالصراخ والعويل.

٤ ـ إن لجهنم «زفيراً» يعني كما ينفث الإنسان النفس من الصدر بقوة، وهذا عادة في الحالة التي يكون الإنسان مغضباً جداً.

مجموع هذه الحالات يدل على أن نار جهنم المحرقة تنتظر هذه الفئة من المجرمين كانتظار الحيوان المفترس الجائع لغذائه «نستجير بالله منها»)[٢].

كما يصور تعالى العذاب الحسي الذي يجده أصحاب النار بقوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾[٣].

ومن ذلك ما ورد في التحذير والترهيب من التكذيب بآيات الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[٤].

ومن ذلك ما ورد في الترهيب من الإعراض عن طاعة الله تعالى، واتباع أئمة الضلال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَّ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[٥].

ومن ذلك ما ورد في الترهيب من الكذب على الله، والافتراء عليه، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِّ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٦].

(١) [سورة الفرقان: الآية ١١].

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١/ ٢١٠.

(٣) [سورة الرعد: الآية ٥].

(٤) [سورة غافر: الآيات ٧٠ ـ ٧٢].

(٥) [سورة الأحزاب: الآيات ٦٤ ـ ٦٦].

(٦) [سورة النحل: الآية ٦٢].



ومنه أيضاً ما ورد في الترهيب من الاستكبار عن عبادة الله تعالى، والإعراض عن آياته، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١)، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تحذر وتنبه الى عقوبة المعاصي التي تتقدم العباد يوم القيامة وتتمثل أمامهم وما أعده تعالى عليها من جزاء؛ لأجل التحذير من القيام بها، فيخشى من كتب عليه تعالى الرحمة من التقرب مما يبعده عنها، أو يحرمه منها، لذلك وصف تعالى الصالحين المسارعين في الخيرات بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(٣).

حيث يثني تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، (فقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم، وآخرى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون (أي يوقنون)، وثالثة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي في ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبدونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك، ورابعة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، أي يؤتون الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم، وخائفة أن لا يقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، وفي هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم)(٤).

ذلك أن هذا التحذير والإنذار يورث القلب مهابةً ومخافةً توصله الى مرحلة إنقاذه من النار وارتقائه في درجات الجنة جزاء استماعه للحق وإيمانه به.

كما يصف تعالى الخاشعين الذين يستجيبون لما يسمعوه من آيات ربهم، بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٥).

حيث وصفهم تعالى أنهم حين استماعهم لآيات الوعيد والتحذير ترتعد فرائضهم مما سمعوه من الحق، فيزيدهم هذا إيماناً وخشيةً ورهبة، ثم يطمئنون لما سمعوه من آيات الوعد والترغيب والتبشير، وهم قد زادهم الله

(١) [سورة الأعراف: الآية ٣٦].
(٢) [سورة لقمان: الآية ٧].
(٣) [سورة المؤمنون: الآيات ٥٧ ـ ٦١].
(٤) أيسر التفاسير: ٣/ ٥٢٥.
(٥) [سورة الزمر: الآية ٢٣].



ايماناً وهدى[1].

(بل إن القرآن الكريم ينفي التذكرة والهداية على من حُرِم الخشية، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾[2]، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الاستفادة من التربية النبوية قاصرة على من تتوفر فيهم الخشية، دون غيرهم من الذين لا يبالون بالوعد والوعيد، أو يسخرون منهما، أو يغفلون عنهما)[3].

وغيرها من الآيات الكريمة الكثيرة التي يصف الله تعالى فيها الجزاء الحسي في النار والذي يصدر عنه دوره الكبير في الرهبة والخشية لما يؤول الى التذكر والإنابة والهداية.

(وبذلك فإن الحس لن يكون حجاباً عن المعنى، بل سيكون دليلاً عليه، ولهذا كان كل شيء نراه في الكون مرقاة نرقى بها إلى الله، وحروفاً نتعرف من خلالها عليه تعالى.

والأمر في دار الجزاء مثله في دار الفناء. ففي الجنة يعاين المحسنون من مظاهر الكرم الإلهي ما يملؤهم حباً وتعظيماً له. وفي النار يعاين المسيؤون من مظاهر قدرة الله ما يجعلهم يجلونه ويعظمونه)[4].

ثالثاً: توافق الجزاء الحسي مع العدالة الإلهية

كما تتجلى مقاصد العدالة الإلهية بصورة خاصة في الدار الآخرة بما أعده تعالى لعباده فيها من الجزاء الحسي المتوافق مع أعمالهم، ليروا بأعينهم الحسية حصاد ما زرعوه.

وبناءً على هذه العدالة فإن الناس في الجنة أو في النار تختلف مراتبهم ومنازلهم فيها، فذلك لأن كل إنسان في دار الجزاء لا يرى إلا ثمرة أعماله، ولذلك تختلف مراتب المحسنين والمسيئين اختلافاً شديداً، بناء على النتائج التي ظهرت في الموازين الدقيقة، وسُلِّمت نتائجها في الموقف.

وبما أن الإنسان عمل أعماله في الدنيا سواء كانت حسنة أو سيئة بجوارحه الحسية، وهو في نفس الوقت يتنعم تنعماً حسياً، ويتألم ألما حسياً؛ فقد كان من مقتضيات العدالة الإلهية أن يجازى في دار الجزاء بهذا النوع من الجزاء المتوافق مع أعماله[5].

ومقاصد العدالة الإلهية تختلف في جزاء المحسنين عن المسيئين، وتبعاً لذلك فقد قسمناها الى قسمين، الأول في توافق نعيم الجنة الحسي مع العدالة الإلهية، والثاني في توافق عذاب النار الحسي مع العدالة الإلهية.

---

(١) (يُنظَر) تفسير الجلالين ـ الامام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ٦٠٩.

(٢) [سورة النازعات: الآيات ٤٢ ـ ٤٥].

(٣) مدارس النفس اللوامة: ٥٦٦.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٤.

(٥) (يُنظَر) المصدر نفسه: ٤٧٢.



١ـ توافق النعيم الحسي مع العدالة الإلهية

كما ذكرنا في جنان أصحاب اليمين تختلف باختلاف درجاتهم وأعمالهم في الجنة، فمنهم المقربون ومنهم عامة أهل الجنة من الموحدين، وكذلك كلاً من هذين الصنفين لهم مراتبهم المختلفة بحسب استحقاقاتهم، إذ ورد في النصوص الكريمة الفروق بين الجنان التي أعدَّها تعالى لهم.

وقد ذكر صنفيهما رسول الله ﷺ، إذ وردَ في الحديث الشريف أنهما جنتان ذهبيتان بكل ما اشتملتا عليه، وهما المخصوصتان بالمقربين، وجنتان فضيتان بكل ما اشتملتا عليه وهما لأصحاب اليمين، قال ﷺ: (جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ)(١).

وقد استدل العلماء على تباين الجزاء الإلهي المعد لكلٍ منهما، وعلى الرغم من رجاحة القول باختلاف جنان المقربين عن جنان أهل اليمين، فإن حقيقة هذا الجزاء لا يمكن تصوره لأنه خارج عن مقدرة العقول إلا أنه قد ورد في سورتَي الواقعة والرحمن الإشارة إلى بعض مجامعه، فضلاً عن آيات عدة في القرآن الكريم، وبيان الفارق بينه وبين نعيم المقربين، قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾(٢).

إذ يصف تعالى جنتي المقربين﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، ثم يذكر جنتي أصحاب اليمين ويدل على هذا أن الله تعالى قال بعد ذكره لهذا النعيم: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، أي تحتهما في الفضل، وهذا يدل على أن الجنتين الأولى هي جنة المقربين، والجنتين الأخيرتين جنتا أصحاب اليمين(٣).

ويذكر ابن القيم ﷺ(ت٧٥١هـ) في حادي الأرواح قوله في جزاء أصحاب اليمين بالنسبة للمقربين، لما ورد في سورة الرحمن: (ويقال هذا دون هذا، أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وفيه قولان، أحدهما: أنه جمع فنن وهو الغصن، والثاني أنه جمع فن، وهو

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرحمن، ح٤٥٩٧: ٤/ ١٨٤٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ح ٢٩٦: ١/ ١٦٣.

(٢) [سورة الرحمن: الآيات ٤٦ ـ ٦٢].

(٣) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٧٩.



الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفي الأخريين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾والنضاخة هي الفوارة، والجارية السارحة، وهي أحسن من الفوارة فإنها تضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ وفي الأخريين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل.

الرابع: أنه تعالى قال ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ولم يذكر ذلك في الآخرين.

السادس: أنه قال ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن أطرافهن أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الآخريين ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلّا الإِحْسَانُ﴾ وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه تعالى بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءاً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه تعالى قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ والسياق يدل على أنه نقيض فوق، كما قال الجوهري، فإن قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما)[(١)].

ويقول ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾: (وقد ذكرت الجنات في القرآن بصيغة الجمع غير مرة، وسيجيئ بعد هذا قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، فالمراد جنسان من الجنات)[(٢)].

---

(١) حادي الأرواح: ٧٢ - ٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٦٤.



كما يذكر الطباطبائي رحمه الله (ت١٤٠٩هـ) في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾أهل الإخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له، لأنه الله عزَّ اسمه لا خوفاً من عقابه ولا طمعاً في ثوابه، ولا يبعد أن يكونوا هم الذين سُمُّوا سابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1][2].

وفي قوله تعالى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ (أي أنزل درجة وأحط فضلاً وشرفاً منهما، إشارةً الى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، وإن كانتا شبيهتين بهما في نعمهما وآلائهما، وقد تقدم أن الجنتين السابقتين لأهل الإخلاص الخائفين مقام ربهم فهاتان الجنتان لمن دونهم من المؤمنين العابدين لله سبحانه خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة وهم أصحاب اليمين.

وقيل معنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ بالقرب منهما، ويستفاد من السياق حينئذ أن هاتين الجنتين أيضاً لأهل الجنتين المذكورتين قبلاً، بل ادعى بعضهم أن هاتين الجنتين أفضل من السابقتين والصفات المذكورة فيهما أمدح)، ثم يذكر بعدها ترجيحه للوجه الأول بقوله (بالتدبر فيما قدمناه في معنى ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾وما يستفاد من كلامه تعالى أن أهل الجنة صنفان: المقربون أهل الإخلاص وأصحاب اليمين)[3].

وكذلك غيرها من الآيات الكريمة التي نجد عند تدبرها من الفروق بين أنواع النعيم الحسي المرتبطة بأصحاب اليمين، وهؤلاء المقربين، وهي فروق لا ترتبط فقط باللذات الحسية، وإنما بها تختزن من لذات معنوية أشرف وأعظم، وإنما هذا التباين في الصنفين إنما يعود جميعاً للعدالة الإلهية إذ كرَّمهم تعالى ووعدهم وبشرَّهم بهذا التفضيل وإنه لا يخلف الميعاد.

٢ـ توافق العذاب الحسي مع العدالة الإلهية

وبالمقابل من ذلك النعيم العظيم الذي يهنأ به مَن في تلك الجنان الذهبية والفضية حيث يتنعم بها أصحاب اليمين والمقربون من أهل الجنة، نلاحظ في صور العذاب الحسي لأهل النار مقصد العدالة الإلهية بأوضح صوره؛ لأنه من أكبر المقاصد التي تتفق مع العذاب الإلهي الذي أعده تعالى لأصحاب الشمال كافة سواءٌ المخلدون في النار أم المُخرَجون منها؛ (فإن هؤلاء إن قيل لهم: إنكم في دار الجزاء ستُحجبون عن الله، ولن تتذوقوا تلك المعاني النبيلة السامية التي يستشعرها المؤمنون؛ فلا شك أنهم سيسخرون من ذلك، لأنهم أصلاً لا يجدون في نفوسهم أي اهتمام أو رغبة فيه.

ولذلك كان هذا النوع من الجزاء الإلهي متوافقاً مع كل النفوس، ومع جميع الأعمال، باعتبار أنه ليس سوى تجسد لتلك الأعمال التي قام بها صاحبها في الدنيا)[4].

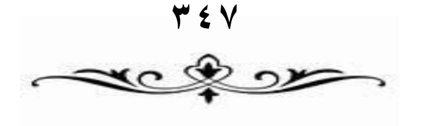
---

(١) [سورة الواقعة: الآيتان ١٠، ١١].

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٩/ ١١٥

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٣.



وقد أشارت العديد من النصوص القرآنية في هذه العدالة وآثارها يومئذ، فصورت موقف ندم وحسرة الكافرين لتفريطهم بها في ذلك الموقف، ويبينه تعالى: إذ يعرض مشهداً فريداً للحسرة والألم، (مشهد الظالم يعض على يديه من الندم، والأسف والأسى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[1]، ويصمت كل شيء حوله، ويروح يمد في صوته المتحسر ونبراته الأسيفة، حتى ليكاد النظَّارة وقد تأثروا بمشهد الندم يشاركونه الندم، وذلك هو الغرض المقصود من إطالة العرض. وبعد آيات تعرَّض تعالى في السورة صورة مَن يُحشَرون في جهنم، يجتمع فيها التحقير المعنوي الى العذاب الحسي: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾[2]، فصورتهم وهم يُسحَبون في النار ووجوههم مكبوبة فيها، صورة حسية بشعة يتقيها المتقون، ويحذر منها المكذبون، وهي كذلك توحي بالمهانة والزراية: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[3])[4]

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[5]، إذ يبين تعالى صورة عدالة عذابهم، يقول الماتريدي رحمه الله[6] (ت٣٣٣هـ) في تأويلات أهل السنة: (أي: ذوقوا عذاب سقر، والسقر: هو اسم النار؛ فيصير كأنه على الإضمار؛ أي يقال لهم: ذوقوا عذاب النار)[7]، فقوله تعالى:﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (أي: يقال لهم ذلك، وهو على طريق المجاز، كما يقول القائل لغيره وهو يضربه: ذق وبال أمرك[8].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[9].

و(هذه الآيات الكريمة تبين سر هذه العقوبات المتشددة، وسر الطعام المُعَد لأهلها، ومنها عدم الحض على إطعام المسكين، أي تركه محروماً جائعاً، دون المسارعة لإغاثته، ولو بدعوة الناس لذلك، فكيف بمن يتسبب في ذلك

---

(١) [سورة الفرقان: الآية ٢٧] والآيات الكريمة التي بعدها.

(٢) [سورة الفرقان: الآية ٣٤].

(٣) [سورة الفرقان: الآية ٣٤].

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ١١٦.

(٥) [سورة القمر: الآية ٤٨]

(٦) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، وأصل نسبته ماتريت أو ماتريد وهي محلة من سمرقند، أمام الماتريدية وشيخهم، أثبت قضايا الشرع بالأدلة العقلية المنطقية والبراهين التي لا مجال للشك فيها، وله المصنفات الكثيرة، منها: كتابه [التوحيد]، و[أوهام المعتزلة]، و[الرد على القرامطة] و[مآخذ الشرائع] في أصول الفقه، و[تأويلات أهل السنة]، وغيرها توفي رحمه الله سنة ٣٣٣هـ ـ ٩٤٤م، بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند (يُنظَر) تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٦٦، وتأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي). محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ١/ ٧٣.

(٧) تفسير الماتريدي ـ تأويلات أهل السنة: ٩/ ٤٥٧.

(٨) تفسير القرآن (تفسير السمعاني) منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م: ٥/ ٣١٨.

(٩) [سورة الحاقة: الآيات ٣٠ ـ ٣٧].



الجوع، أو يكون غنياً، ثم يمنع الفقراء من طعامه؟

وهو دليل على مدى التجانس بين العقوبة والذنب، ذلك أن العقوبة ليست سوى تجسيد للذنب حتى ينفر منه صاحبه، ويعرف مدى قبح الجريمة التي وقع فيها)(1).

إنما هي عدالته تعالى كي يذوقوا ما قدموه لأنفسهم بأنفسهم، وإنما لم يُظلموا بحقيقة هذا العذاب، إنما هو جزاء ما قدمته أيديهم وقد طُلب منهم ما هو أهون منه فلم يؤدوه، لذلك يدرجه تعالى في جملة صفات عذابهم وإحاطة النار بهم من كل مكان، فيقول تعالى في وصف آلامهم وصياحهم وعذابهم: ﴿وَقُلِ الْحَقّ مِن رّبّكمْ فَمَن شاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّا أَعْتَدْنَا لِلظلِمِينَ نَاراً أَحَاط بهِمْ سرَادِقُهَا وَ إِن يَستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كالْمُهْلِ يَشوِى الْوُجُوهَ بِئْس الشرَاب وَ ساءَت مُرْتَفَقاً (٢٩) إِنّ الّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصلِحَتِ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسنَ عَمَلاً﴾(2).

يقول الطباطبائي في الميزان: (قوله تعالى: ﴿إِنّا أَعْتَدْنَا لِلظلِمِينَ نَاراً﴾ في مقام التعليل لتخييرهم بين الإيمان والكفر الذي هو تخيير صورة وتهديد معنى، والمعنى أنا إنما نهيناك عن الأسف وأمرناك أن تكتفي بالتبليغ فقط وتقنع بقولك: ﴿الحْقّ مِن رّبّكمْ﴾ فحسب، ولم نتوسل إلى إصرار و إلحاح؛ لأنا هيأنا لهم تبعات هذه الدعوة رداً وقبولاً، وكفى بما هيأناه محرضاً ورادعاً، ولا حاجة إلى أزيد من ذلك وعليهم أن يختاروا لأنفسهم أي المنزلتين شاءوا.

. وفي تبديل الكفر من الظلم في قوله: ﴿إِنّا أَعْتَدْنَا لِلظلِمِينَ نَاراً﴾ دون أن يقول: للكافرين دلالة على أن التبعة المذكورة إنما هي للظالمين بما هم ظالمون: وقد عرفهم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾(3))(4).

كما رُويَ في صحيحي البخاري ومسلم قوله ﷺ: (إنَّ اللَّهَ يقولُ لأهْوَنِ أهْلِ النَّارِ عَذابًا: لو أنَّ لكَ ما في الأرْضِ مِن شيءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فقَدْ سَأَلْتُكَ ما هو أهْوَنُ مِن هذا وأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ، أنْ لا تُشْرِكَ بي، فأبَيْتَ إلَّا الشِّرْك)(5).

وإنما شركهم وكفرهم هذا نتيجة لعتوهم واستكبارهم فاستحقوا على ذلك ألم العذاب، قالﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟) قالوا: بلى، قالﷺ: (كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ) ثم قال ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟) قالوا: بلى، قال ﷺ: (كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)(6).

قال محمد فؤاد عبد الباقي شارح الصحيح في (كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ): (العتل الجافي الشديد الخصومة

(١) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠٧.

(٢) [سورة الكهف: الآيتان ٢٩. ٣٠].

(٣) [سورة الأعراف: الآية ٤٥].

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ٣٠١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦١٨٩: ٥/ ٢٣٩٩، ولفظ مقارب في صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا، ح ٢٨٠٥: ٤/٢١٦٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار لا يدخلها الجبارون والجنة لا يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٥٣: ٤/ ٢١٩٠.



بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ، وأما الجواظ فهو الجموع المنوع، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل القصير البطين وقيل الفاخر، وأما المستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس)(١).

المطلب الثاني: نماذج عن الجزاء الحسي ومقاصدها العقدية

وينعقد هذا المطلب من خلال ما ورد في النصوص الكريمة من مظاهر ما أعده تعالى من نعيمٍ لأصحاب اليمين، وما أعدَّه من صور لعذاب أصحاب الشمال، حيث زخرت بها آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة والآثار فيها.

وإن هذه النماذج وغيرها مما لا يسعنا المقام لذكره جميعاً إنما تعود للمقاصد العقدية العليا التي تعود للخالق تبارك وتعالى بما يختص بعدالته وقدرته، والتي تندرج تحتها العديد من الأسماء الحسنى والصفات العليا، كالقهار والقوي والمقتدر والمتين، فإن القوة هي تمام القدرة، والمتانة شدتها، والقهر تأثيرها في المقدور بالغلبة(٢).

وبناءً على كثرة ما ورد من هذه النصوص فسنذكر نماذجَ منها، ونبينُ مقاصد العقيدة للخلق فيها من ترغيب أو ترهيب أو عدالةٍ أو رحمة ورأفةٍ إلهية للعباد.

أولاً: الأجسام والهيئات ومقاصدها العقدية

ذلك إن الأجسام والصور وهيئات العباد تختلف بحسب الجزاء الذي أعده تعالى لهم، قال تعالى في وصف ما تكون عليه هيئة أهل الجنة وأهل النار: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾(٣).

ذلك لأن أجسامهم وهيئاتهم (يوم القيامة وابتداءً من البعث، تتشكل بحسب الأعمال؛ فلذلك قد لا نرى البشر بهيئة واحدة مثلما نراهم في الدنيا، بل منهم من يكون صغيراً حقيراً مثل النمل، كما ورد في الأحاديث التي تصف هيئة المستكبرين. ومنهم من يكون بهيئة الوحوش نتيجة غلبية سبعيته، ومنهم من قد يكون بهيئة البهائم نتيجة غلبة شهوته. وهكذا تكون الأجسام بحسب الهيئات النفسية التي أدمن عليها أصحابها، واختاروها لأنفسهم)(٤).

١ـ هيئات المحسنين من أصحاب الجنة وصورهم

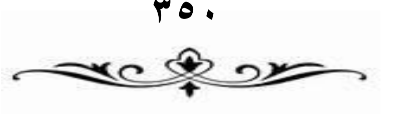
على الرغم من اختلاف هيئات المؤمنين في الدار الدنيا، إلا ان النبي ﷺ قد ذكر إن هيئاتهم في تلك الدار ستكون بأشدها حسناً وجمالاً، وهذا يعود الى مجده تعالى وكرمه ولطفه بالعباد، فإن المجيد يدل على سعة الإكرام مع

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٧/ ١٨٨.

(٢) [سورة عبس: الآيات ٣٨ ـ ٤٠].

(٣) (يُنظَر) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١٥٨.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧٨.



شرف الذات، والكريم كذلك واللطيف يدل على الرفق في الفعل(١).

وقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه قوله ﷺ: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا تَبَاغُضَ بيْنَهُمْ ولَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِن ورَاءِ العَظْمِ واللَّحْمِ)(٢).

وكذلك ما ورد في قوله ﷺ: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ علَى إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِن ورَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولَا يَمْتَخِطُونَ، ولَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ – قالَ أبو اليمان: يعني العود -، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ)(٣).

وما ورد في هذه الهيئات في دار الخلود أنها شابة منعمة خاليةً من الهموم والأمراض وجميع ما يغير على الإنسان في هذه الدار الفانية، قالﷺ: (يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذلكَ قَوْلُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٤))(٥).

كما يصف تعالى ما أعدَّه للمحسنين من المؤمنين من جمال الأزواج وطهارتها في الجنان، (وهو أن يخلق الله تعالى في أهل الجنة كل أنواع اللذة الطاهرة عند نظرهم لزوجاتهم أو للحور العين، ولهذا نرى القرآن الكريم يذكر الأوصاف الكثيرة لهن، ويشبههن بما يراه الناس في الدنيا من أنواع الجمال، ومن الأمثلة على ذلك تشبيههن باللؤلؤ المكنون، كما في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾(٦)، أي كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، والذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه؛ فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر ويروق الناظر)(٧).

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٠٨١: ٣/ ١١٨٧.

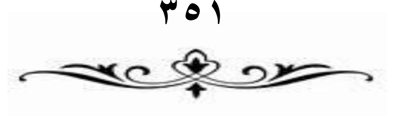
(٣) المصدر نفسه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٠٧٤: ٣/ ١١٨٦.

(٤) [سورة الأعراف: الآية ٤٣].

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ح ٢٨٣٧: ٤/ ٢١٨٢.

(٦) [سورة الواقعة: الآيتين ٢٢، ٢٣].

(٧) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٣٣.



ويشبههن بالياقوت والمرجان، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[1]، أي (كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء صفاء الياقوتة، والبياض بياض اللؤلؤ)[2].

كما وصفهن تعالى بأنهن قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[3]، أي أنهن (ممنوعات من التبرج والتبذل لغير أزواجهن، بل قد قُصِرْن على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقَصَرْنَ عليهم فلا يردن سواهم، ووصفهن سبحانه بأنهن(قاصرات الطرف) وهذه الصفة أكمل من الأولى، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها من محبتها له ورضاها به فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره)[4].

ولا يتوقف الحسن والكمال على الهيئة الإنسانية فقط، بل يشمل كل ما في الجنة من المأكل والمشرب وغيرها، كما تشتمل على زيادة هذا الحسن وعدم ثبوته على هيئةٍ واحدة، لما رُويَ من قوله ﷺ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا)[5].

٢ـ هيئات المسيئين من أصحاب النار وصورهم

وكما في تشكل الأجسام وهيئات العباد للمؤمنين في الجنة بأبهى الصور وأجملها بحسب أعمالهم، فكذلك أصحاب الشمال من أهل النار، إذ تتكون هيئاتهم بحسب ما استحقوه من ألوان العذاب، والذي يعود لأصناف الأعمال التي أدمن عليها أصحابها.

فكما أن أصحاب الجنة بأجمل هيئاتهم، فحال هؤلاء بأسوئه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[6]، حيث يصور تعالى هنا هذه الهيئات، (وهو مشهد حسي، ولكنه منبعث من تأثر نفسي، ألقى ظله على هذه الوجوه فابيضت، وعلى تلك الوجوه فاسودت، ومع أنَّ هذه الكفاية للدلالة على ما يجيش في نفوس هؤلاء وهؤلاء، فإنهم لا يُتركون لما يعتلج في نفوسهم من شعور تبدو ظلاله على وجوههم: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ

(١) [سورة الرحمن: الآية ٥٨].

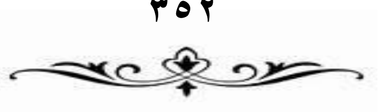
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣/ ٦٧.

(٣) [سورة الصافات: ٤٨، ٤٩].

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٢٤٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، ح ٢٨٣٣: ٤/ ٢١٧٨.

(٦) [سورة آل عمران: الآيتان ١٠٦ ـ ١٠٧].



اللهَّ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وهذا وذلك زيادة في العذاب والنعيم، وفي التحقير والتكريم)(١)، وهي صور حسية متناسبة تماماً مع نوع الجزاء المرتبط بكلاً منهم.

كما أخبر تعالى بأنهم يُحشرون في هذه النار عمياً وبكماً وصماً، إذ قالَ تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(٣).

كما ذكر تعالى بعض صفات جلود المُعَذبين في الآخرة، وفي جهنم خصوصاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٤).

وأخبر عن الطاقات التي تحملها تلك الأجساد، ومدى تحملها للعذاب والغضب الإلهي، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٥).

ويقول الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) في تفسيره لهذه الآيات الكريمة: (﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ والمراد بالثياب إحاطة النار بهم كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾(٦). وقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾، الحميم: الماء الحار، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، ﴿يُصْهَرُ﴾: يُذاب، أي إذا صُب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم)(٧).

وهكذا أخبر رسول الله ﷺ عن بعض صفات أجسام من يدخلون جهنم، وبين أنها تتنافى مع ما نعرفه من صفات الأجساد وطاقاتها في الدنيا، فقال ﷺ: (مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ، مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ)(٨)، وفي حديث آخر في قوله ﷺ: (ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ)(٩)

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله (ت ٨٥٠هـ) في الفتح هذه الأحاديث، وعلَّق عليها بقوله: (كأن اختلاف هذه المقادير محمول على اختلاف تعذيب الكفار في النار، وقال القرطبي في المفهم انما عظم خلق الكافر في النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه، ثم قال وهذا انما هو في حق البعض بدليل الحديث الاخر ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٣٧.

(٢) [سورة الاسراء: الآية ٩٧].

(٣) [سورة طه: الآية ١٢٤].

(٤) [سورة النساء: الآية ٥٦].

(٥) [سورة الحج: الآيات ١٩ - ٢٢].

(٦) [سورة الأعراف: من الآية ٤١].

(٧) تفسير مفاتيح الغيب: ١٤/ ٢٣٩.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦١٨٥: ٥/ ٢٣٩٨.

(٩) المصدر نفسه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٥١: ٤/ ٢١٨٩.



أمثال الذر في صور الرجال يساقون إلى سجن في جهنم)[١].

ثانياً: الطعام وأنواعه ومقاصده العقدية

وقد ورد ذكر طعام أهل الجنة في الكثير من المواضع في القرآن الكريم فضلاً عن الأحاديث الشريفة، وأغلب ذكره جاء مقروناً بطعام أهل النار؛ استكمالاً لمقاصد التبشير والتحذير، والترغيب والترهيب فيما يدعو اليه كلا الجزائين من العمل عند ذلك اليوم.

١ـ طعام المحسنين من أصحاب الجنة

وفيها تجليات القدرة الإلهية واللطف الإلهي للعباد، لما ورد في ذلك ذكره تعالى لما أعده لعباده من الفواكه المختلفة، وكون أشجارها متدليةً لمن شاء أن يأكل منها، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٢]، وهو ما ذُكِر في جزاء المقربين، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٣] لعامة أصحاب اليمين كما ذكرنا مقاصد ذلك في المبحث الأول، (وضرب الأمثلة على بعض ما في الجنة من الفواكه مما قد يكون له بعض الشبه في الدنيا، وكأنه يشير إلى أن البديع الذي أبدع هذه الفواكه في الدنيا لن يعجز أن يبدع مثلها أو ما هو خير منها في الدار الآخرة)[٤].

كما يقول تعالى في صفات هذه الفاكهة: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٥]، (أي ثمرهما قريب إليهم متى شاؤوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُها دانِيَةٌ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا﴾[٧]، أي لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها)[٨].

ولا يقتصر وجود هذه الفاكهة في أشجار الجنة، بل إن الولدان المخلدون الذين وصفهم تعالى في سورة الواقعة يطوفون عليهم بما يتخيرون من هذه الثمار، وهو ما ذُكِر في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٩]، (أي مما يفضلون لنعيمهم. وتخيرهم لأصناف الفاكهة وأنواعها يدل على كثرة الأنواع والأصناف التي تُقَدّم إليهم، ويرون أنه يحقق لهم الأوفر لذةً والأكثر تنعماً)[١٠].

ويذكر الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): (ثم إن في اللفظ لطيفة، وهي أنه تعالى قال: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ولم يقل:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٢٣.
(٢) [سورة الرحمن: الآية ٥٢].
(٣) [سورة الرحمن: الآية ٦٨].
(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٠.
(٥) [سورة الرحمن: الآية ٥٤].
(٦) [سورة الحاقة: الآية ٢٣].
(٧) [سورة الإنسان: الآية ١٤].
(٨) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٤٦٥.
(٩) [سورة الواقعة: الآية ٢٠].
(١٠) معارج التفكر ودقائق التدبر ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ٨/ ٤٥١.



مما يختارون مع قرب أحدهما إلى الآخر في المعنى، وهو أن التخير من باب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار)[1].

كما يذكر ؒ مقصد الاهتمام في القرآن الكريم بذكر الفاكهة، أكثر من سائر الأطعمة، فقال: (الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا؛ فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها، وهذا الوجه أصح لأن من الفواكه ما لا يؤكل إلا بعد الطعام)[2].

(ومن الفواكه التي ورد ذكرها في الجنة مما له نظير في الدنيا ما عبر عنه قوله تعالى في وصف نعيم أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[3]، وهذا يدل على أن هذا النعيم متناسب مع ما كانوا يشتهونه في الدنيا. وقد وصف السدر بكونه مخضودا، تمييزاً له عن سدر الدنيا)[4].

ويبين الشيرازي في تفسيره الأمثل وصف هذا السدر بقوله: (وفي الحقيقة أنّ هذا أنسب وأليق وصف توصف به أشجار الجنّة في دائرة ألفاظنا الدنيوية، لأنّ (السدر) كما يقول أئمّة اللغة: شجر قوي معمّر يصل طوله إلى أربعين متراً أحياناً وعمره يقرب من ألفي سنة، ولها ظلّ ظليل ولطيف، والسلبية الموجودة في هذا الشجر أنّه ذو شوك إلاّ أنّ وصفه بـ (مخضود) من مادّة (خضد) ـ على وزن (مجد) ـ بمعنى (إزالة الشوك) تنهي آثار هذه السلبية في شجر سدر الجنّة)[5].

ومما ذكره من الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾، و((الطلح): شجرة خضراء لطيفة اللون والرائحة، وذكر البعض أنّها شجرة الموز التي تتميّز بأوراق عريضة جدّاً وخضراء وجميلة، وفاكهتها حلوة ولذيذة، و(منضود): من مادّة (نضد) بمعنى متراكم.

وممكن أن يشير هذا التعبير إلى تراكم الأوراق أو تراكم الفاكهة أو كليهما، حتّى أنّ البعض قال: إنّ هذه الأشجار مليئة بالفاكهة إلى حدّ أنّها تغطّي سيقان وأوراق الأشجار)[6].

أما هذا التباين في ذكر الأصناف في الفاكهة والأشجار فـ(إن البليغ يذكر طرفي أمرين، يتضمن ذكرهما الإشارة إلى جميع ما بينهما. ولا خفاء في أن تزين المواضع التي يتفرج فيها بالأشجار، وتلك الأشجار تارة يطلب منها نفس الورق والنظر إليه والاستظلال به، وتارة يقصد إلى ثمارها، وتارة يجمع بينهما، لكن الأشجار أوراقها على أقسام كثيرة، ويجمعها نوعان: أوراق صغار، وأوراق كبار، والسدر في غاية الصغر، والطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر.

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٩٦.

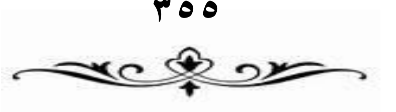
(٢) المصدر نفسه: ٢٩/ ٣٩٦.

(٣) [سورة الواقعة: الآيات ٢٧ ـ ٢٩].

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٢.

(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٤٦٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٧/ ٤٦٠.



فوقعت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظرا إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر ونظيره في الذكر ذكر النخل والرمان عند القصد إلى ذكر الثمار. فإن النخل من أعظم الأشجار المثمرة، والكرم من أصغر الأشجار المثمرة، وبينهما أشجار فوقعت الإشارة إليهما جامعة لسائر الأشجار)[1].

وكذلك من أطعمة أهل الجنة التي ذُكِرَت في النصوص الكريمة اللحوم، قال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2]، (وهو يشير طبعاً إلى غيره من أنواع الأطعمة، لأن العبرة فيها بما يشتهيه أهل الجنة.

وكذلك الأمر في اللحم، فاشتهاء ذلك الطير كاف لجعله أمام صاحبه ليأكل منه، من دون أن يرمي شيئاً. وفي نفس الوقت يعود ذلك الطير إلى طيرانه مثلما تعود الفاكهة إلى محلها)[3].

فكما أن الولدان المخلدون يطوفون عليهم بالفاكهة التي يتخيرونها، فكذلك يقدمون لهم لحم طيرٍ مما يشتهون من أنواعها وأصنافها، فيتخيرون مما يرونه أكثر لذة.

وتقديم الفاكهة على لحم الطير في ترتيب الجمل، يُشعر بأن تقديم أكل الفاكهة على أكل اللحوم هو الأفضل للصحة والهضم[4].

٢ـ طعام المسيئين من أصحاب النار

مع ما تذكره النصوص الكريمة من النعيم والتكريم الذي يلاقيه أهل الجنة واختلاف الأصناف التي يطوف حولهم بها الولدان المخلدون وما يتخيرونه منها، كذلك تذكر هذه النصوص الكريمة ما يلاقيه المسيئين وما أعدَّه تعالى لهم من الجزاء.

لذلك كان من جزاء هؤلاء وغيرهم يوم القيامة أن يذوقوا ألوان العذاب المرتبطة بذلك الطعام والشراب الذي ضيعوا حياتهم ودينهم في سبيله.

فقد ذكر القرآن الكريم بالنسبة لجزائهم هذا ثلاثة أنواع من الأطعمة، كنماذج لأنواع الطعام الذي يتناوله أهل النار، وقد نرى اكتفاءنا بذكرها على معرفة أسمائها ومعانيها لدى المخاطبين، ولكونها أيضاً وافية بتحقيق الغرض من الترهيب، ولذلك لا معنى لذكر غيرها.

أما أولها: فهو الضريع، كما قال تعالى في وصفه: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[5]، وقد تعددت الآراء في معنى (الضريع)، فقيل فيه: نبت ذو شوك لاصق بالأرض، تسمّيه قريش (الشبرق)

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٤٠٤، و(يُنظَر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٤٦١.

(٢) [سورة الواقعة: الآية ٢١].

(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٣.

(٤) معارج التفكر ودقائق التدبر: ٨/ ٤٥١.

(٥) [سورة الغاشية: الآيتين ٦، ٧].



إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو (الضريع)، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه، وهو سم قاتل، وهو أخبث الطعام وأشنعه على هذا عامة المفسرين[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (هو الشبرق، نبتٌ يكون بطريق مكة إذا كان رطباً تأكل منه الإبل، وإذا يبس صار كأظفار الهرة)[(٢)]، وقال الفراهيدي رحمه الله: (الضريع في كتاب الله: يبيس الشبرق)[(٣)].

كما قيل (إنه شجر من نار، وقيل: هو الزقوم. وقيل: إنها الحجارة، وقيل إنه شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، وكل هذه الأوصاف يمكن أن تقرب من حقيقته، لأن الغرض منه كما ذكرنا ليس وصفه بدقة، فذلك مستحيل، وإنما تقريبه لتحقيق التنفير.

وقد وصف الله تعالى هذا الطعام الشديد القاسي، بكونه ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، أي أنه تعذيب مجرد لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور)[(٤)].

أما الطعام الثاني: فهو الغسلين، وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[(٥)].

قال الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في التبيان: (يعنى من صديد أهل النار وما يجري منهم، فالطعام هو ما هيئ للاكل، فلذلك لايسمى التراب طعاماً للانسان، والخشب طعام الارضة، وليس من طعام أكثر الحيوان، فلما هيئ الصديد لاكل أهل النار كان ذلك طعاماً لهم.

والغسلين هو الصديد الذى يتغسل بسيلانه من ابدان أهل النار، ووزنه (فعلين) من الغسل)[(٦)].

فيظهر من اسم هذا الطعام أنه مشتق من (الغسل)، ولذلك كان من الأقوال الواردة في تفسيره أنه الغسالة الناتجة من غسل أبدان أهل جهنم، ويذكر آخرون أنه دم يشبه الماء يخرج من أبدان أصحاب النار. وغيرها من الأقوال التي تشير إلى مدى بشاعة ذلك الطعام الذي لا يقصد منه إلا العقوبة؛ ذلك أنه لا يسمن ولا يغني من جوع[(٧)].

وأما الطعام الثالث: فهو الزقوم، وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم، ووصف بأوصاف كثيرة تنفر منه، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ

---

(١) تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٩، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ١٥٠، وأسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠٧.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان (د ط): ٥٠٩.

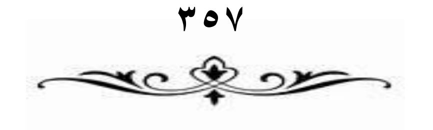
(٣) العين، باب الضاد، مادة (ضرع): ٣/ ١٥.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠٧.

(٥) [سورة الحاقة: الآيات ٣٥ ـ ٣٧].

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٠٢.

(٧) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠٧.



عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[١]، ويبين تعالى سر العقوبة المرتبطة بهذا الطعام، وما تسبب بها، فقال: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[٢].

كما ذكرها النبي ﷺ في الحديث الشريف، منها ما جاء في سنن الترمذي ومسند أحمدبن حنبل، عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٣]، وقال رسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟)[٤].

وقال ابن عاشور رحمه الله (وقد سماها القرآن بهذه الإضافة كأنها مشتقة من الزقمة بضم الزاء وسكون القاف وهو اسم الطاعون)[٥].

ويقول ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء، أم شجرة الزقوم أي التي في جهنم! وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة، كما قال بعضهم أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[٦]، يعني الزيتونة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾[٧].

وهي شجرة تخرج في أصل الجحيم أي أصل منبتها في قرار النار طلعها كأنه رؤوس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها، وإنما شبهها تعالى برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤوسها بشعة المنظر، وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة، وذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها؛ لأنهم لا يجدون إلا إياها[٨].

وقال مكارم الشيرازي: (شجرة الزقوم ـ بدون شك ـ لا تشبه أشجار الدنيا أبداً، ولهذا السبب فإنها تنمو في النار. وقد استهزأ المشركون بهذه التعابير والأوصاف القرآنية بسبب جهلهم وعدم معرفتهم وعنادهم، فأبوجهل ـ

(١) [سورة الصافات: الآيات ٦٢ ـ ٦٨].

(٢) [سورة الصافات: الآيتان ٦٩، ٧٠].

(٣) [سورة آل عمران: الآية ١٠٢].

(٤) سنن الترمذي، أبواب صفة جهنم، ح ٢٥٨٥: ٤/ ٧٠٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٢٣.

(٦) [سورة المؤمنون: الآية ٢٠].

(٧) [سورة الواقعة: الآيتان ٥١، ٥١].

(٨) (يُنظَر) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٧.



مثلا ـ كان يقول: إن محمداً يهددكم بنار تحرق الأحجار، ثم يقول بعد ذلك بأن في النار أشجاراً تنمو، وينقل عن أبي جهل ـ أيضا ـ أنه كان يهيء التمر والسمن ويأكل منه ثم يقول لأصحابه: كلوا من هذا فإنه الزقوم. لهذا السبب فإن القرآن يعتبر الشجرة الملعونة، وسيلة لإختبار الناس، إذ كان المشركون يستهزئون بها، بينما استيقنها المؤمنون الحقيقيون الذين كانوا يؤمنون بها)[١].

وهذا يدل على أن من الاختبارات الإلهية لعباده في هذه الدار طرح مثل هذه المسائل، والتي تختلف العقول في التعامل معها، أما الصادقون، فينظرون إلى قدرة الله تعالى المطلقة، فيسلمون لها، ويؤمنون بها، وتحدث آثارها في نفوسهم، بينما تكون في نفوس غيرهم حجاباً يحول بينهم وبين التعرف على الحق، بسبب عنتهم وكبريائهم.

ثالثاً: الشراب وأنواعه ومقاصده العقدية

إن الشراب بأنواعه المختلفة يشكل جزءاً مهماً من النعيم الحسي الذي نراه في الدنيا، وهو كذلك جزء من الجزاء الحسي الذي يراه المحسنون والمسيؤون في الآخرة.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج عن كلا الجزائين ليرغب في التقوى التي توفر لأصحابها كل ألوان الشراب اللذيذ الذي رأوا مثله في الدنيا، أو الذي لم يروا مثله أبداً. وفي نفس الوقت تنفر من كل ألوان الشراب القبيح والمؤلم، والذي أُعِد لمن تجاوز حدوده، وحدود القيم التي أَمر الله بمراعاتها[٢].

١ـ شراب المحسنين من أهل الجنة

يُعَد الشراب الذي يُسقى منه المؤمنون في الجنة من أنواع الجزاء الحسي الذي هيأه تعالى لهم، ولقد علِمنا في إن حوض النبيﷺ هو أول شراب يتناوله أصحاب الجنة والذي لا يظمأون بعده، فضلاً عن ماء الكوثر وهو نهر في الجنة الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: (الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ)[٣].

كما زخرت آيات القرآن الكريم بوصف طبيعة الشراب المهيأ لأصحاب الجنة، والتي تصور تلك المجالس التي يجتمع فيها المؤمنون الذين تورعوا عمّا حُرِّم عليهم في الدنيا، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[٤].

كما ذكر القرآن الكريم باهتمام شديد منابع ذلك الشراب، مبيناً قيمته، فقد قال تعالى عند ذكره لجزاء أصحاب

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ٤٢.

(٢) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٤.

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الكوثر، ح ٣٣٦١: ٥/ ٤٤٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) [سورة الإنسان: الآيات ١٥ ـ ١٨].



المراتب العالية: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾(1)، وقال عند ذكره لأصحاب المراتب الدنيا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾(2)(3).

وورد في آيات أخرى تسمية تلك العيون، ومنها قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾(4)، و((سلسبيلاً): هو الشراب الهنيء واللذيذ جدّاً الذي ينحدر بسهولة في الحلق ويرى الكثير أنّه مأخوذ من مادة (سلاسة) المأخوذ من السيلان ولهذا يقال للكلام الجذّاب والممتع (سليس)، وقيل أخذ من مادة (تسلسل) وهي الحركة المستمرة التي يتداعى منها السيولة والاتصال، وعلى هذا فإنّ المعنّيين متقاربان)(5).

وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾(6)، يقول فيها الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ): (تسنيم: علمٌ لعين بعينها في الجنة، سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه، إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، على ما رُويَ أنها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في أوانيهم، وإما لأنها لأجل كثرة ملئها وسرعته تعلو على كل شيء تمر به وهو تسنيمه، أو لأنه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض، فهو التسنيم أيضاً، ورُويَ عن ابن عباس أنه سُئِل عن تسنيم، فقال ﷺ: (هذا مما يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(7)، وهو أنه أمر أخفاه الله تعالى لأهل الجنة. وأنه تعالى ذكر أن تسنيم عين يشرب بها المقربون، قال ابن عباس ﷺ: (أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم، لأنه يشربه المقربون صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين)(8).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾(9)، إذ يقول ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ): (الأبرار: هم الشاكرون، عبر عنهم بالأبرار زيادة في الثناء عليهم. وابتدئ في وصف نعيمهم بنعيم لذة الشرب من خمر الجنة لما للذة الخمر من الاشتهار بين الناس، وكانوا يتنافسون في تحصيلها، والكأس: بالهمزة الإناء المجعول للخمر فلا يسمى كأساً إلا إذا كان فيه خمر، وقد تسمى الخمر كأساً على وجه المجاز المرسل بهذا الاعتبار)(10).

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في هذا الشراب: (يتحدث القرآن عن الشراب الطهور الممزوج بالزنجبيل، ومن البديهي أن الفرق بين هذا الشراب وذلك الشراب كالفرق بين السماء والأرض وبالأحرى بين الدنيا

---

(١) [سورة الرحمن: الآية ٥٠].

(٢) [سورة الرحمن: الآية ٦٦].

(٣) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٦.

(٤) [سورة الإنسان: الآية ١٨].

(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٩/ ٢٦٧.

(٦) [سورة المطففين: الآيتان ٢٧، ٢٨].

(٧) [سورة السجدة: الآية ١٧].

(٨) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ٩٣.

(٩) [سورة الإنسان: الآيتان ٥، ٦].

(١٠) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣٨٠.

والآخرة، والجدير بالذكر أن العرب كانوا يستخدمون نوعين من الشراب: أحدهما يبعث على النشاط والحركة، والآخر مفتر ومهدأ والأول يمزج مع الزنجبيل، أما الثاني فمع الكافور، وبما أن حقائق عالم الآخرة لا يمكن أن يعبر عنها في إطار ألفاظ هذا العالم، فلا سبيل إلا استخدام هذه الألفاظ للدلالة على معان أوسع وأعلى تحكي عن تلك الحقائق العظيمة)[١].

كما يذكر القرآن الكريم أن من الرفاه الموجود في الجنة تنوع الأنهار، والتي لا تكون مملوءة بالمياه مثل أنهار الدنيا، وإنما تملأ بكل أصناف الشراب اللذيذ، ومنها ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٢].

كما ذكر النبي ﷺ هذه الأنهار في الاحاديث الشريفة منها ما ورد في قوله ﷺ: (إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَحْرَ المَاءِ وَبَحْرَ العَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ)[٣].

ويذكر القرآن الكريم أصالة ذلك الشراب، وعدم وجود أي غش أو أذى فيه، مثلما هو الحال في شراب الدنيا، وهذا كله يدل على أهمية تلك الأنهار والعيون، وأنواع الشراب الذي يصدر عنها، وإن كان القرآن الكريم ذكر بعض ما يعرف من ذلك الشراب لتقريب الصورة إلى الأذهان، وإلا فإن الأمر أعظم بكثير لا تصل كنهه العقول[٤].

٢ـ شراب المسيئين ومقاصده العقدية

وبعد ذكرنا لأنواع الشراب والأنهار التي يتنعم بها أهل الجنة من أجل مقاصد الترغيب والتقوى، فإن شراب أهل النار قد ذكره تعالى في آياتٍ عدة في القرآن الكريم ووصفه بأشد ما يكون من إنكارٍ لطعمه وعدم استساغتهم له قصدَ التحذير والخشية لما يقرب منه أو يؤدي اليه.

فمما وُصِف به شراب أهل النار ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾[٥].

ويقول الرازي رحمه الله في سبب وصف الشراب بهذا الوصف: (التقدير: أنه لما قال: ويسقى من ماء، فكأنه قيل: وما ذلك الماء فقال: صديد، والصديد ما يسيل من جلود أهل النار، وقيل: التقدير ويسقى من ماء كالصديد، وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة، وهو أيضاً يكون في نفسه صديداً؛ لأن كراهته تصد عن تناوله)[٦].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٩/ ٢٦٧.

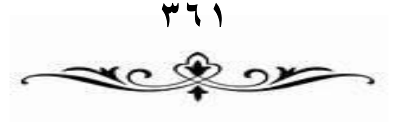
(٢) [سورة محمد: الآية ١٥].

(٣) سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، ح ٢٥٧١: ٤/ ٦٩٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٦، ٥١٧.

(٥) [سورة إبراهيم: جزء من الآيتين ١٦، ١٧].

(٦) تفسير مفاتيح الغيب: ١٩/ ٧٩.



وقد ورد في الحديث الشريف مَن يُسقَون من هذا الشراب من شاربي الخمر والمسكرات، لقوله ﷺ: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ) قالوا: يارسول الله، وما طينة الخبال؟ قال ﷺ: (عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ) أَوْ(عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ)(١).

كما ورد الحديث في مسند الإمام أحمد بلفظ مقارب، بقوله ﷺ: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فإن عاد، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ نَهَرِ الْخَبَالِ)، قيل: وما نهر الخبال؟ قال ﷺ: (صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ)(٢).

كما ورد في الحديث الشريف وصف كيفية شرب المسيئين لذلك الشراب، وذلك في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾، فقال ﷺ: (يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ)، يَقُولُ اللهُ تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وَيَقُولُ تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾)(٣).

أما اختصاص الشراب من الحميم من بين بقية أنواع العذاب المذكور من بعد إنما هو (للإشارة إلى أنهم يعطشون فلا يشربون إلا ماء يزيدهم حرارة على حرارة العطش)(٤).

وهذا يدل على أن الشراب لا تتوقف آلامه عند حدود شربه، بل يستمر أثره بعد ذلك في سائر الجسم، وهو جزاء متوافق تماماً مع تلك المشروبات التي كان المسيؤون يشربونها في الدنيا، وتدمر عليهم صحتهم، من غير مبالاة منهم لتحريمها(٥).

وفي الحديث الشريف وصف لأنواع من الأشربة أيضاً، أولها الصديد، وثانيها الحميم والغساق، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾(٦).

ويذكر الرازي رحمه الله إن الحميم الماء الحار المغلي جداً، أما الغساق فاختلفوا فيه على عدة أقوال، منها: الشيء الذي يتقذرونه، والثاني: أنه الشيء البارد الذي لا يطاق، وهو الذي يسمى بالزمهرير، أوثالثاً: أن الغساق ما يسيل من أعين أهل النار وجلودهم من الصديد والقيح والعرق وسائر الرطوبات المستقذرة، ورابعها: الغساق هو المنتن،

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، ح ٢٠٠٢: ٣/ ١٥٨٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح ٤٩١٧: ٢. ٣٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، ونبه على زيادة لم ترد في هذه الطبعة: (من شرب الخمر لم تقبل صلاته أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه (فإن عاد عاد الله له، فإن تاب تاب الله عليه) فإن عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من نهر الخبال قيل وما نهر الخبال قال ﷺ: صديد أهل النار).

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة محمد ﷺ، ح ٣٧٠٤: ٢/ ٤٩٦، وقال الحاكم: حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٤) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٩٩.

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٤.

(٦) [سورة النبأ: الآيات ٢٤ ـ ٢٨].



ودليله ما رُويَ أنه ﷺ قال: ﴿لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا﴾(١).

وخامسها: أن الغاسق هو المظلم قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾(٢)، فيكون الغساق شراباً أسود مكروهاً يستوحش كما يستوحش الشيء المظلم.

وبذلك إن فُسِّر الغساق بالبارد كان التقدير: لا يذوقون فيها برداً إلا غساقاً، ولا شراباً إلا حميماً، إلا أنهما جمعا لأجل انتظام الآي.

أما إن فسِّر الغساق بالصديد أو بالنتن احتمل أن يكون الاستثناء بالحميم والغساق راجعاً إلى البرد والشراب معاً، وأن يكون مختصاً بالشراب فقط)(٣).

كما ويقول ابن عاشور ﷺ (ت١٣٩٣هـ) في تفسير الآيات الكريمة: (والحميم: الماء الشديد الحرارة. والغساق معناه الصديد الذي يسيل من جروح الحرق وهو المهل.

واستثناء حميماً وغساقاً من برداً أو شراباً على طريقة اللف والنشر المرتب، وهو استثناء منقطع؛ لأن الحميم ليس من جنس البرد في شيء إذ هو شديد الحر، ولأن الغساق ليس من جنس الشراب، إذ ليس المهل من جنس الشراب.

والمعنى: يذوقون الحميم إذ يراق على أجسادهم، والغساق إذ يسيل على مواضع الحرق فيزيد ألمهم، وصورة الاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده في الصورة)(٤).

وهذا الجزاء موافقاً للعمل الذي جوزوا عليه، وهو التكذيب بالبعث وتكذيب القرآن كما دل عليه التعليل بعده بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾.

فإن ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما عدمي وهو إنكار البعث، والآخر وجودي وهو نسبتهم الرسول ﷺ والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقاب عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى الأصل الوجودي بجزاء وجودي وهو الحميم يراق على أجسادهم والغساق يمر على جراحهم)(٥).

وفي الآية الأخرى في الحديث الشريف ما ورد في وصفه تعالى لشراب أهل النار أيضاً بـ(المهل)، فيدرجه في جملة صفات عذابهم وإحاطة النار بهم من كل مكان، فيقول تعالى: ﴿إِنا أَعْتَدْنَا لِلظالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾(٦).

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، ح ٨٧٧٩: ٤/ ٦٤٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، وتعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

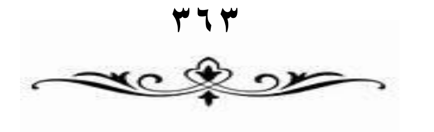
(٢) [سورة الفلق: الآية ٣].

(٣) (يُنظَر) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ١٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٨.

(٥) المصدر نفسه: ٣٠/ ٣٨.

(٦) [سورة الكهف: الآية ٢٩].



ويبين الطباطبائي رحمه الله (ت ١٤٠٩هـ) في الميزان بأن المهل هو (خثارة الزيت، وقيل: هو النحاس الذائب)[١]، كما (ذكر المفسرون أن هذا المهل هو المقدار المترسب من الدهن، والذي يكون عادة ملوثاً بأشياء وسخة ورديئة الطعم، أو أنه المعادن المذابة، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾)[٢].

رابعاً: المساكن والفرش ومقاصدها العقدية

كذلك من نماذج الجزاء الحسي في نعيم الجنة أو عذاب النار، والتي ذكرتها النصوص الكريمة وبعضٍ من تفاصيلها ما يتعلق بمساكن أهل الجنة، وما وُضِع فيها من الفرش، وتبشيرهم بها، وترغيبهم لصالح الأعمال المؤدية إليها، وما يتعلق بمساكن أهل النار وما أنذِروا مما بها من الهوان، والتحذير مما يرمي إليها، وسنتناول البعض من هذه النماذج فيما يأتي:

١ـ المساكن والفرش التي أعدها تعالى للمحسنين

وصف تعالى مساكن أهل الجنة، والتي عند يقين العباد بما أعده تعالى لهم منها تصفو نفوسهم في التزكية، ويزهدهم فيما بين أيديهم من نعيم الدنيا مهما كبر.

حيث (يذكر الله تعالى ما أعده للمؤمنين من مساكن طيبة تعوض عليهم كل ما خسروه في الدنيا، لأن همتهم لم تكن في بناء البيوت، وإنما في بناء القيم التي تشكلت منها نفوسهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣].

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الأوصاف لتلك البيوت المعدة للمحسنين، والتي ترغبهم في الاستعداد للسفر لها، وعدم تضييع أوقاتهم في الانشغال بالترف المرتبط بمساكن الدنيا، قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[٤].

وهذه الآية الكريمة تحمل أجمل الأوصاف لأجمل البيوت، فهي بيوت بعضها فوق بعض مثل القصور العالية. وفوق ذلك تجري من تحتها الأنهار، وتلتف من حولها الأشجار)[٥].

ويقول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير الآية الكريمة: (فإن كان أهل جهنم مستقرين في ظلل من النّار، كما ورد في الآية السابقة: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[٦]، فإنّ لأهل الجنّة غرفاً من فوقها غرف أُخرى، وقصور فوقها قصور أُخرى، لأنّ منظر الورود والماء والأنهار والبساتين من فوق الغرف يبعث على اللذة

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ٣٠١.

(٢) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥١٤.

(٣) [سورة التوبة: الآية ٧٢].

(٤) [سورة الزمر: الآية ٢٠].

(٥) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠١.

(٦) [سورة الزمر: الآية ١٦].



والبهجة بشكل أكثر، و(غرف) جمع (غرفة)، بمعنى تناول الشيء؛ ولذا يطلق على من يتناول الماء بكفه ليشربه (غرفة)، ثمّ اطلقت على الطبقات العليا من المنازل، وكشفت الآية أيضاً عن أن غرف أهل الجنّة الجميلة قد زُيِّنت بأنهار تجري من تحتها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ نعم، هذا وعد الله ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾)[1].

كما وردت البشارة بهذه المساكن في الجنات وأنهارها في الحديث الشريف، منها ما رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لَّما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[2]، قال المسلمون: يا رسول الله، هنيئاً لك ما أعطاك الله، فما لنا؟ فنزلت: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3][4].

أما سعة هذه المساكن وصفتها فقد ورد الحديث الشريف، وهو ما ذكرناه في جنتي المقربين وأصحاب اليمين من وصفها بقوله ﷺ: (إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عليهِمُ المُؤْمِنُونَ، وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وجَنَّتانِ مِن كَذا، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِ علَى وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ)[5].

وقوله ﷺ: (إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)[6].

ويذكر الرازي رحمه الله (ت ٦٠٦هـ) إن (الخيمة مبيت الرجل كالبيت من الخشب، حتى أن العرب تسمي البيت من الشعر خيمة لأنه معد للإقامة)[7].

ويقول ابن حجر رحمه الله (ت ٨٥٢هـ): (أما الخيمة فبيت مربع من بيوت الأعراب. والزاوية الجانب والناحية، وفى الرواية الأولى عرضها ستون ميلاً وفى الثانية طولها فى السماء ستون ميلاً ولامعارضة بينهما، فعرضها فى مساحة ارضها، وطولها فى السماء أي في العلو متساويان)[8].

كما ورد في صحيح البخاري أن طولها ثلاثون ميلاً في قوله ﷺ: (الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٥١.

(٢) [سورة الفتح: الآيتان ١ - ٢].

(٣) [سورة الفتح: الآية ٥].

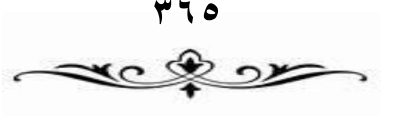
(٤) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح ١٢٢٢٦: ١٩: ٢٥٧، وقال المحققون: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرحمن، ح ٤٥٩٨: ٤/ ١٨٤٩.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح ٢٨٣٨: ٤/ ٢١٨٢.

(٧) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٨٠.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٧/ ١٧٦.



مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ)(١).

أما بناء هذه المساكن والجنات فقد رُويَ عن أبي هريرة ﷺ، حين سُئِل النبي ﷺ عن الجنة، ما بناؤها؟ قال ﷺ: (لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ، وَلَا تُخَرَّقُ ثِيَابُهُمْ)(٢)، وإن كان إسناد هذا الحديث فيه ضعف من جهة اسناده، إلا أنه يتقوى بالحديث الصحيح الآخر في بناء الجنة لقوله ﷺ: (بِنَاءُ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ)(٣).

أما دواخل هذه البيوت، فكذلك ذكرتها النصوص الكريمة وزخرت بها، فجلوسهم واتكائهم على فرشهم التي يصفها تعالى بقوله: (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ)(٤)، ويشير الفخر الرازي رحمه الله الى ذكر البطائن بقوله (وإنما ذكر البطائن لأن من المعلوم أنها تكون أقل حالاً من الظهارة، فإذا كانت البطانة هكذا فكيف الظهارة)(٥).

و(يذكر القرآن الكريم الفرش المعدة للمحسنين في دار النعيم، ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(٧).

وهي تشير إلى بعض الفرش التي وضعت في تلك البيوت، أو الخيام، ومنها (النمارق المصفوفة)، وهي الوسائد الصغيرة التي يُتكأ عليها، وقد وصفت بكونها [مصفوفة] إشارة إلى إعدادها بطريقة خاصة، لتكون محلاً لجلسات الأنس الجماعية التي يقيمها المؤمنون بعضهم لبعض.

وهكذا وصفت الأرض التي يسيرون عليها بكونها ملأى بالزرابي المبثوثة في كل مكان، مما يدل على الترف العظيم الذي يعيشه أهل الجنة، والذي كان جزاء على زهدهم وورعهم في الدنيا)(٨).

أما الأنهار الجارية فيها فقد وصفها تعالى بأروع التشبيهات التي بشَّر بها عباده، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾(٩)، و((مسكوب) من مادّة (سكب) على وزن (حرب) وتعني في الأصل الصبّ، ولأنّ صبّ الماء يكون من الأعلى إلى الأسفل بصورة تيّار أو شلاّل فإنّه بذلك يصوّر لنا مشهداً رائعاً حيث إنّ خرير المياه ينعش الروح،

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٠٧١: ٣/ ١١٨٥.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ح ٩٧٤٢: ٢/ ٤٤٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وإسناده ضعيف

(٣) المصدر نفسه، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ح ٨٧٣٢: ٢/ ٣٦٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٤) [سورة الرحمن: من الآية ٥٤].

(٥) تفسير مفاتيح الغيب: ٩/ ٣٦٦..

(٦) [سورة الطور: الآية ٢٠].

(٧) [سورة الغاشية: الآيات ١٢ - ١٦].

(٨) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٠٤.

(٩) [سورة الواقعة: الآية ٣١].



ويبهر العيون، وهذه هي إحدى الهبات التي منحها الله لأهل الجنّة)[1].

وقد تسابق العلماء والمفسرون في توصيف هذا النعيم الذي أعده تعالى لعباده من منازلهم في الجنة، فلم يصل الى ما بُشّروا به، لعدم بلوغ العقول والقلوب على حقيقته، لقوله ﷺ: (قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ﴾[2][3].

ويصفه الشيخ الشيرازي بإجمال بقوله ((الخلاصة هي أن منزل الجنة لا مثيل له من كل الجهات، فهو الخالي من أي ألم أو عذاب أو حرب أو جدال. وتجد فيه كل ألوان الثمار والأنعام والعيون الجارية والأشربة الطاهرة والولدان المخلدين والحور العين والأسرة المرصعة والفرش الفاخرة والأقداح الجميلة، وكلها في متناول اليد، ومعها جلساء أصفياء، إلى غير ذلك مما لا يمكن عده بلسان أو وصفه بقلم ولا حتى تخيله إذا ما سرحت المخيلة في عالمها الرحب. وكل ما ذكر وغيره سيكون في انتظار من آمن وعمل صالحاً، بعد حصوله على إذن الدخول إلى تلك الدار العالية. وفوق هذا وذاك فثمة لقاء الله، الذي ليس من فوز يوازيه)[4].

٢ـ المساكن والفرش التي أعدها تعالى للمسيئين

وبمقابل ما يتنعم به أصحاب اليمين، كذلك يشتمل الجزاء الحسي للمذنبين من سكنهم في جهنم وعذابهم فيها ويذكر لهم البيوت التي عوضوا بها في الآخرة، نتيجة إهمالهم لأنفسهم، وللقيم الصالحة التي أمروا بمراعاتها، فلا جنات حينئذ، ولا قصورٍ ولا أنهار، إنما هي النار فقط، قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[5]، حيث تختلف منازلهم فيها، يقول الرازي :رحمه الله(وهذا يدل على تفاوت منازلهم في العقاب، فيكون عقاب بعضهم أعظم من عقاب بعض، وإنما صرح تعالى بذكر الخلود ليكون الغم والحزن أعظم)[6].

وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[7]، فيقول الشيخ الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ) في التبيان: (ابتدأ تعالى فقال ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ وهم الذين طغوا في معاصي الله ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾، يعني شر مرجع، ثم بين ذلك المرجع، فقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وإنما وصف جهنم بأنها مهاد لما كانت عوضاً

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٤٥٩.

(٢) [سورة السجدة: الآية ١٧].

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٠٧٢: ٣/ ١١٨٥.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ١٥٦.

(٥) [سورة النحل: الآية ٢٩].

(٦) مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٠٠.

(٧) [سورة ص: الآيتان ٥٥، ٥٦].

لهم عن المهاد، فسميت باسمه، كما قال ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]وقال قوم: هو على تقدير بئس موضع المهاد، والمهاد الفراش الموطأة تقول: مهدت له تمهيدا)[2].

وهكذا ذكر نفورهم منها، وهربهم من السكن فيها، مع أنها هي نفسها التي بنوها في الدنيا، لكنهم انشغلوا بظاهرها عن باطنها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[3]، ومثله ما ورد حين بين تعالى جزاء كلا الفريقين في الآخرة، كما جاء في سورة الحج، أولئك الذين آثروا الحياة الدنيا، وانشغلوا بها وبزينتها، وأولئك الذين سلموا أمورهم لله، ولم يتجاوزوا حدوده، فقال: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[4].

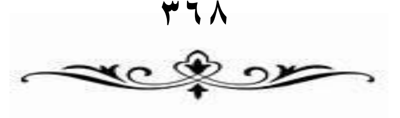
حيث يبين تعالى هذا المأوى الذي بنوه لأنفسهم، وهم في ذروة شدته وآلامه، فهذه ثيابٌ من النار تُقطع وتُفصَّل، وهذا حميم يُصَب من فوق الرؤوس، يُصهَر به ما في البطون والجلود، وهذه مقامع من حديد، وهذا هو العذاب الأليم يشتد ويتجاوز الطاقة، فيهب الذين كفروا من الوهج والحميم، والضرب الأليم، يهمون بالخروج من هذا الغم وها هم أولاء يُردون بعنف ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

فيظل الخيال يكرر هذه الصورة الحسية من أولى حلقاتها الى آخرها، ولا يبارحها إلا أن يلتفت الى الجانب الآخر الذي يستطرد إليه السياق ليعرضه، لأن الأصل في قصتهم أن هنالك خصمين اختصموا في ربهم: فأما الذين كفروا فها هو ذا مصيرهم وأكثر من ذلك. والخصم الثاني هم الذين آمنوا فهم هنالك في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، لم تُقَطَع ملابسهم بل فُصِّلت لهم من الحرير، ولهم فوقها حُلي من الذهب واللؤلؤ، وقد هداهم تعالى الى الطيب من القول والى صراط الحميد[5].

خامساً: الأزواج والولدان والأهلون ومقاصدهم العقدية

وكذلك الأُسر من الأزواج والولدان والأهلون، فقد فصَّل تعالى في كتابه الكريم ما يكون عليه جزاء الآخرة الحسي بما يتعلق بهم، وموقف الْمُنَعَّم من أهله يومئذٍ، وموقف الْمُعذَّب في الجحيم منهم، وكذلك وضَحت الأحاديث النبوية الشريفة، وسنتناول كلا الجزائين فيما يأتي:

(١) [سورة آل عمران: من الآية ٢١].
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٥٨.
(٣) [سورة السجدة: الآية ٢٠].
(٤) [سورة الحج: الآيات ١٩ - ٢٣].
(٥) (يُنظَر) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٥٨.



١ـ الأزواج والأُسر للمحسنين في الجنة

الجنة هي دار الكرامة التي وعدها تعالى عباده المتقون، وهي دار السعادة التي لا تفنى، ومن السعادة التي تكفل الله تعالى بها لعباده المؤمنين أن يجمع الأسرة الواحدة معاً، الوالدين والأولاد، بعد دخولهم الجنة جميعاً برحمة الله تعالى، وقد جاء هذا الوعد في كتاب الله الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾(١).

حيث يقول الطبري رحمه الله(ت٣١٠هـ) في تفسيره للآية الكريمة: (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء)(٢).

ومما يستدل به المفسرون على هذا الرأي ما رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: في تفسير هذه الآية: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾)(٣).

ويؤيده ما ورد في تنوير المقباس (﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن وصدقوا بإيمانهم ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ بإيمان الذرية في الدنيا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ بالآباء ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الآخرة في درجة آبائهم)(٤).

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله (ت٦٦٠هـ): (يدخل إلى الله تعالى الذرية بإيمان الآباء الجنة، أو يعطيهم مثل أجور الآباء من غير نقص في أجور الآباء، أو البالغون أطاعوا الله تعالى فألحقهم الله بآبائهم)(٥).

وإن كل نعيم الجنة متسم بالطهارة والسمو والقداسة، وكونه جميعاً مرتبطاً بالعبودية ومعرفة الله تعالى، ولذا فقد وصف الله تعالى الأزواج في الجنة بالطهارة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾(٦)(٧).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾(٨)، ويقول الشيخ الشيرازي في تفسيره للآية الكريمة: (﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ) وبذلك فإنّ مضيفهم الحقيقي هو الله تعالى الذي يدعو ضيوفه ويقول لهم: أدخلوا الجنّة.

ثمّ أشارت إلى أول نعمة من تلك النعم، فقالت: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ ومن الواضح أنّ كون المؤمنين الرحماء إلى جانب زوجاتهم المؤمنات يمنحهما معاً اللذة والسرور، فإذا كانا شريكين في همّ الدنيا، فإنّهما سيكونان شريكين

(١) [سورة الطور: الآية ٢١].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢/ ٤٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢/ ٤٦٧.

(٤) تنوير المقباس من تفسر ابن عباس: ٤٤٤.

(٥) تفسير العز بن عبد السلام: ٣/ ٢٣٨.

(٦) [سورة البقرة: من الآية ٢٥].

(٧) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٥٣٣.

(٨) [سورة الزخرف: ٧٠].



في سرور الآخرة ونشوتها.

وقد فسّر بعضهم (الأزواج) هنا بالمتساوين في الدرجة والأصدقاء والأقارب، فلو صحَّ فوجودهم نعمة عظيمة، إلاّ أنّ ظاهر الآية هو المعنى الأوّل.

وقوله تعالى﴿تُحْبَرُونَ﴾ من مادة حِبْر ـ وزن فِكر ـ أي الأثر المطلوب، وتطلق أحياناً على الزينة وآثار الفرح التي تظهر على الوجه)(١).

ولعل ما استقرأناه من مقاصد الشفاعة يوم القيامة مما يدل على ذلك ويسنده، إن كانوا من أهل النار والعياذ بالله شفع فيهم ذويهم لينقذوهم من العذاب فيكونون معهم، إذ ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قول النبي ﷺ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ)(٢).

وكذلك شفاعة الملائكة للمؤمنين ودعائهم من الله تعالى بإدخالهم الجنة مع من صلح من ذويهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٣).

حيث يستغفر الملائكة للمؤمنين و(يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع الأليم، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة)(٤).

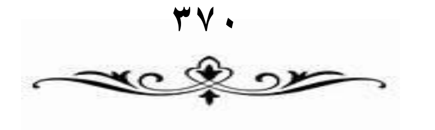
أما إن اختلفت منازلهم فإنهم يتزاورون فيما بينهم ويتساءلون عن أحوالهم، قال ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) (يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦/ ٩٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، جزء من ح ١٨٣: ١/ ١٦٧.

(٣) [سورة غافر: الآيتين ٧، ٨].

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/ ١١٩



يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[1].

ويقول ابن جرير الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): (وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا، في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئاً)[2].

ونرى رجاحة هذا القول وهو ما ذهب إليه أكثر المفسرين في مساواتهم في درجتهم، وهو أقرب الى كرم الله تعالى وفضله على عباده، فضلاً على أنه تعالى يلبي لأصحاب الجنة كل ما يتمنوه ولا أمنية عندئذٍ تخلو عن ذلك.

٢ـ المسيؤون وأزواجهم من أهل النار

وعلى عكس أوصاف التآلف والمحبة بين العباد وأسرهم وأهلوهم في جناتهم يوم القيامة، نجد أهل النار وحسب ما دلت عليه النصوص الكريمة أنهم حُرِموا من جميع ذلك، وتناسباً مع سلوكاتهم وأعمالهم ونفوسهم الأمارة بالسوء.

لكنهم يُحشرون مع أزواجهم الذين تشابهوا معهم في الأعمال والمصير، أو مع قرنائهم من الشياطين الذين أظلوهم، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[3].

حيث يقول الطباطبائي رحمه الله في الميزان في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُم﴾: (الظاهر أن المُراد به قرنائهم من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[4]، الى قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[5].

وقيل المُراد بالأزواج الأشباه والنظائر، فأصحاب الزنا يُحشرون مع أصحاب الزنا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وهكذا)[6].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/ ١٢.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢/ ٤٧١.
(٣) [سورة الصافات: الآيتان ٢٢، ٢٣].
(٤) [سورة الزخرف: الآية ٣٦].
(٥) [سورة الزخرف: الآية ٣٨].
(٦) الميزان في تفسير القرآن: ٢٣/ ١٣٢.



وعلى العكس من صفاء قلوب أهل الجنة واتسامها بالطيبة والفرح والمودة بما أنالهم تعالى من عظيم رحمته، نرى النصوص الكريمة تذكر ذلك التخاصم والشقاق بين أهل النار، الذي كسبوه بما عملته أيديهم، حيث يقول تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[١].

حيث يصف الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ) هذه المقابلة بينهم والجمع حينذاك: (واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم حكى أحوالهم الذين كانوا أحباء لهم في الدنيا أولاً، ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانياً.

أما الأول: فهو قوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ واعلم أن هذا حكاية كلام رؤساء أهل النار يقوله بعضهم لبعض، بدليل أن ما حكي بعد هذا من أقوال الأتباع وهو قوله: ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾، وقيل إن قوله: هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، وقوله: لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء، وقوله: هذا فوج مقتحم معكم أي: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال، ومعنى اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم، والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها، والقحمة الشدة)[٢].

(وقوله تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[٣]، قالوا (أي الأتباع): بل أنتم لا مرحباً بكم، يريدون أن الدعاء الذي دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: أنتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب أو لصليهم، فإن قيل ما معنى تقديمهم العذاب لهم؟ قلنا الذي أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٤][٥].

---

(١) [سورة ص: الآيات ٥٩ - ٦٣].

(٢) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٤٠٤.

(٣) [سورة الأعراف: من الآية ٣٨].

(٤) [سورة آل عمران: الآيتان ١٨١، ١٨٢].

(٥) تفسير مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٤٠٤.



المبحث الثالث: الجزاء المعنوي للنعيم والعذاب ومقاصده العقدية

وقد أشارَ الله تعالى الى هذا الجزاء في آيات عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[1].

فبعد أن يذكر تعالى ما يطمئن قلوب المؤمنين من عباده الصادقين، يحذِّر من عذابه الأليم، فمع عظمة ما أعدَّه تعالى للمؤمنين في صور الكرم والرحمة والمغفرة للذنوب من الجزاء الحسي وما أعده من عذاب أليم للعصاة والكافرين، فإن الجزاء لا يقتصر على ذلك، بل إنه يتشكل في نفسيات العباد ما تأثرت به من نعيم وعذاب، ولكل منها مقاصده الخاصة سواء بالطمأنينة وتزكية النفوس وتطهيرها، أو بشتى أنواع الآلام النفسية من الحسرة والندم والسخط التي تمثل العذاب المعنوي بمرافقته لعذاب العصاة الحسي من أصحاب الشمال.

ولذلك نرى القرآن الكريم يذكر هذه الناحية من الجزاء، بل يقدمها في أحيان كثيرة على الجزاء الحسي، باعتبار أن السعادة أو الشقاء المرتبط بها أعظم من السعادة أو الشقاء المرتبط بالجزاء الحسي.

ولذلك فإننا مهما درسنا هذه الأنواع من الجزاء إلا إنه من باب التقريب فقط، إعتماداً على النصوص الكريمة التي بين أيدينا، أما حقيقته فلا يعلمها إلا الله تعالى، وبناءً على ذلك، فسنتناول المقاصد العقدية المرتبطة ببعض هذه الأنواع، وفي أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: المودة والافتراق ومقاصدهما العقدية.

المطلب الثاني: الرضا والسخط ومقاصدهما العقدية.

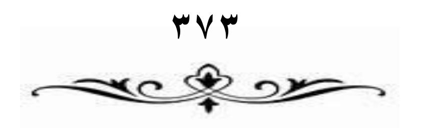
المطلب الثالث: الإكرام والإهانة ومقاصدهما العقدية.

المطلب الرابع: السعادة والحزن ومقاصدهما العقدية.

المطلب الأول: المودة والافتراق ومقاصدهما العقدية

عرضَ القرآن الكريم حياة المحسنين والمسيئين في دار الجزاء باعتبارها حياة اجتماعية ترتبط بجهات كثيرة ابتداء من أسرهم وأصدقائهم، والملائكة التي تحيط بهم من كل جانب، مقابل الحرمان والعذاب للمسيئين، ومن ذلك ما تطرقنا إليه في أصناف الجزاء الحسي الذي يلاقيه أهل الجنة من عظيم فضل الله تعالى ورضاه عنهم، وما يلاقوه من التواصل مع اسرهم من الأزواج والولدان والأهلون، وما يقابله من عذاب أهل النار إذ حُرِموا بسوء أعمالهم من جميع ذلك بعد إذ لم تنفعهم شفاعة الشافعين، ولم يكونوا أهلاً للعفو والرحمة الإلهية مع سعتها وعظمتها، فاقتضت عدالته تعالى أنْ حجبتهم ذنوبهم وكفرهم وجحودهم عما تنعم به اهل الجنة.

(١) [سورة الحجر: الآيات ٤٥ ـ ٥٠].



ويرافق ذلك الجزاء الحسي في الاجتماع جزاءً معنوياً يملأ نفوس العباد، متمثلاً بالمودة والفرح للتواصل الدائم مع من يُحبون من أهل الجنان، ويقابله ما يملأ نفوس أهل النار من الحسرة واليأس من مرافقة مَن يتمنون الرجوع إليهم.

وهذا ما يعطي ذلك الجزاء بشقيه أبعاداً تربوية كبيرة، ذلك أن المحسنين والمسيئين بسبب تلك العلاقات الكثيرة التي يجدونها، والمعاني الكثيرة التي يسمعونها يسيرون في سيرهم التكاملي، إما للترقي في درجات الجنة، أو الترقي في دركات جهنم إلى أن يخرجوا منها إن كانت لديهم قابلية ذلك الترقي، وربما يكون أحسن قانون للتعبير عن العلاقات التي تربط أهل دار الجزاء، وما قبلها في أرض المحشر تلك المقولة المعروفة التي تقول: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)(١).

لذلك، فقد رأينا تقسيم هذه المقاصد الى قسمين، الأول في المودة واللقاء لأهل الجنة وما يقابلهما من اكتمال السعادة التي بشرهم بها تعالى ورغبهم فيها، والثاني في الافتراق والقطيعة في أهل النار، وما يقابلهما من الحسرة والندم الذي حذَّرهم به تعالى، وأنذرهم منه.

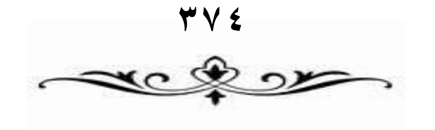
أولاً: المقاصد العقدية في المودة واللقاء

المودة لغةً من (الوَدُّ): يقول الفراهيدي ﷺ(ت١٧٠هـ) في العين: (الود: مصدر وددتُ، وهو يوَدُّ من الأمنية ومن المودة، وَدَّ يَوَدُّ مودةً)(٢).

أما في الاصطلاح فقال الجرجاني ﷺ(ت٨١٦هـ): (التودد: طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك، وموجبات المودة كثيرة)(٣).

وقد وردت كلمة الود والمودة في القرآن الكريم في آياتٍ عدة، قال الراغب الاصفهاني ﷺ (ت٥٠٢هـ): (الود: محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾(٥)، وتقتضي المودةُ المحبة المجردة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾(٧)، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(٨)، والودود يتضمن ما دخل في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي

(١) (يُنظر) اسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٥٨، والمقوله تُنسَب للإمام مالك رحمه الله إلا إني لم أقف على مصدرها.
(٢) العين، باب الواو، مادة (ودد): ٤/ ٣٥٧.
(٣) التعريفات، باب التاء، مادة (التودد): ٧١.
(٤) [سورة الروم: من الآية ٢١].
(٥) [سورة مريم: من الآية ٩٦].
(٦) [سورة الشورى: من الآية ٢٣].
(٧) [سورة البروج: الآية ١٤].
(٨) [سورة هود: من الآية ٩٠].



اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١)،.وقال بعضهم: مودة الله لعباده هي مراعاته لهم)(٢).

فالجنة دار الكرامة والسعادة الحقيقية الدائمة، والحال الأول والسبب الأساس لهذه السعادة استشعارهم لقربهم من الله تعالى وإكرامه لهم، وسماعهم للبشارة العظيمة، وغيرها كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾(٣).

يقول ابن عاشور (ت١٣٣هـ) في تفسيره للآية الكريمة: (وهو الدلالة على الكرامة والعناية بأهل الجنة من جانب القدس إذ يوجه إليهم سلام الله بكلام يعرفون أنه قول من الله تعالى/ إما بواسطة الملائكة، وإما بخلق أصوات يوقنون بأنها مجعولة لأجل أسماعهم كما سمع موسى كلام الله حين ناداه من جانب الطور من الشجرة فبعد أن أخبر بما حباهم به من النعيم مشيرا إلى أصول أصنافه، أخبر بأن لهم ما هو أسمى وأعلى وهو التكريم بالتسليم عليهم قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾(٤))(٥).

ومما يدل على هذا التكريم ما ورد في الأحاديث من كثرة ذكر المؤمنين لله تعالى، كما قال ﷺ: (يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ)(٦)؛ ولذلك كان أعظم نعمة وسعادة للمؤمنين ذلك القرب الله تعالى، والذي يتجلى في نفس تلك المظاهر التي كانت في الدنيا، ولكن بصورة أكثر وضوحاً وجمالاً؛ فمعرفة الله تعالى هي أكبر النعم التي يحن لها المؤمنون، وخاصة المقربين منهم(٧).

وثاني أسباب سعادة أهل الجنة هو ذلك التواصل مع الأسر، ويدل عليه بالإضافة لتلك الآيات الكريمة في نعيمهم الحسي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾(٨)، وظاهر الآية الكريمة يدل على أن لأهل الجنة أسراً مثلما كان لهم في الدنيا.

وكذلك فمصداق هذا الوعد الإلهي قد ورد في آياتٍ عدة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾(٩)، يقول ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ) في تفسيره للآية الكريمة: (أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين، لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته)(١٠).

(١) [سورة المائدة: من الآية ٥٤].

(٢) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٢/ ٤٩٩.

(٣) [سورة يس: الآية ٥٨].

(٤) [سورة التوبة: من الآية ٧٢].

(٥) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٤٤.

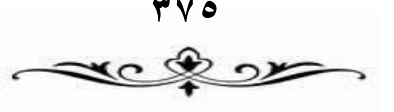
(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرةً وعشيا، جزء من ح ٢٨٣٥: ٤/ ٢١٨١.

(٧) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٦٠.

(٨) [سورة الانشقاق: الآيات ٧ - ٩].

(٩) [سورة الرعد: الآية ٢٣].

(١٠) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٨٨.



لذلك يصف تعالى المؤمنين بأنهم الذين يدعون ويتضرعون الى الله تعالى أن يجمعهم بأهلهم وذويهم في الجنان، فلم يكتفوا بالدعاء لأنفسهم بدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(1)، كما أخبر عن دعاء الملائكة عليهم السلام لهم بهذا، فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(2).

أما ثالث الأسباب في سعادة أهل الجنة وتوادهم ذلك التواصل مع الإخوان والأصدقاء، المتساوون في الدرجة والمتشاكلون في الطباع، وهو ما عبرت عنه آيات كثيرة، تذكر أن القرناء يكونون في درجة واحدة، بناء على اتفاق طباعهم ومواقفهم وأنواع جزائهم، فلا تقتصر هذه السعادة من الاجتماع والتواصل مع ذوي القربى، بل يشتمل على جميع من تحابَوا في الله تعالى ولو من غير أرحام بينهم، يقول ﷺ: (إنَّ اللهَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي)(3).

فيبين ﷺ في الحديث الشريف إن فضل هذا التوادد والمحبة في جناب الله تعالى سيرون آثارها يوم القيامة، بل أنه تعالى يستظلهم تحت ظل عرشه الكريم، كما ورد في مسند الامام أحمد رحمه الله عن أبي مسلم الخولاني حين قال لمعاذ بن جبل (إني لأحبك في الله) فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)، قال أبو مسلم الخولاني: فخرجتُ حتى لقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فذكرتُ له حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يحكي عن ربه يقول: (حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)(4).

ففي هذه الأحاديث الدليل على جمع الله تعالى المتحابين فيه برغم البعد المكاني بينهم، بل إن هذه الأحاديث لا يفهم منها فقط ما نعرفه من البعد المكاني، بل يدخل فيه أيضاً البعد الزماني، حيث يلتقي المؤمنون بكل من يحبونهم من أنبياء الله ورسله والأولياء والصالحين، وكل من هفت قلوبهم محبة لهم.

ولذلك فإن مجتمع أهل الجنة مملوء بأهل العلم والتقوى والحكمة، لا كما يشيع المنحرفون، من أن الجنة محل للشهوات الحسية، لا للمعاني العقلية والروحية، وكيف تكون كذلك، وفيها الأنبياء والأولياء والصالحين والعلماء، وكلهم يبقى بنفس اهتماماته ورغباته التي رحل بها من الدنيا(5).

---

(1) [سورة الفرقان: الآية ٧٤].

(2) [سورة غافر: الآية ٨].

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، ح ٢٥٦٦: ٤/ ١٩٨٨.

(4) مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، من ح ٢٢٠٦٤: ٣٦/ ٣٨٤، وقال المحققون: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير حبيب بن أبي مرزوق، فقد روى له الترمذي والنسائي، وهو ثقة. أبو مسلم الخولاني: هو عبد الله بن ثُوَب.

(5) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٦٦



فهذا باب من أبواب السعادة المعنوية التي وعدها تعالى عباده، وسببٌ من أسبابها، بل إن هذا الاجتماع لا يقتصر على المتحابين في الله من ذوي الأرحام وغير ذوي الأرحام من المؤمنين الصالحين، بل إنه يشتمل لجميع ما تهواه النفوس، وكما ذكرنا في نماذج من ذلك النعيم الحسي فيرافقه تلك الطمأنينة والسعادة التي لم تخطر لهم على بال.

ودليل ذلك ما نص عليه قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[(٣)]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تدل على هذه النعم الإلهية في دار الجزاء، فضلاً عمَّا يؤيدها من نصوص الحديث الشريف.

لهذا فمما رُويَ أنه عندما جاء بعض الأعراب وكان ممن يحبون الزرع، وصف له رسول الله ﷺ الجنة بما يتناسب مع طباعه وما يشتهي، إذ ورد في صحيح البخاري رحمه الله أنه ﷺ (كان يومًا يحدِّث وعنده رجلٌ من أهل البادية، فقال ﷺ: (أنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرْعِ، فَقَالَ له: ألَسْتَ فِيما شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، ولَكِنِّي أُحِبُّ أنْ أزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ واسْتِوَاؤُهُ واسْتِحْصَادُهُ، فَكانَ أمْثَالَ الجِبَالِ، فيَقولُ اللَّهُ: دُونَكَ يا ابْنَ آدَمَ، فإنَّه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ)، فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قُرشياً، أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي ﷺ[(٤)].

وكذلك ما رُويَ عنه ﷺ في وجود الخيل لمن أرادها ويهواها في الجنة لما رواه الترمذي رحمه الله من حديث المسعودي أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من خيل؟ قال ﷺ: (إنْ اللهُ أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ إِلَّا فَعَلَتْ) قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنةِ من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه، قال ﷺ: (إنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ)[(٥)].

يقول المباركفوري رحمه الله (ت ١٣٥٣هـ) في تحفة الأحوذي: (تقدير الكلام إن أدخلك الجنة الله فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك إلا حُملت عليه، والمعنى أنه ما من شيء تشتهيه الأنفس إلا وتجده في الجنة كيف شاءت حتى لو اشتهيت أن تركب فرساً على هذه الصفة لوجدته وتمكنته منه.

ويحتمل أن يكون المراد إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث

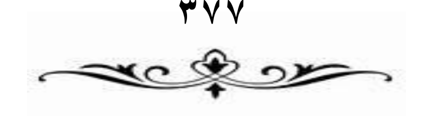
(١) [سورة الزخرف: الآية ٧١].

(٢) [سورة الزمر: الآيتان ٣٣، ٣٤].

(٣) [سورة الشورى: الآية ٢٢].

(٤) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب كراء الأرض بالذهب والفضة، ح ٢٢٢١: ٢/ ٨٢٦.

(٥) سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة، ٢٥٤٣: ٤/ ٦٨١، وقال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ نحوه بمعناه، (وهذا أصح من حديث المسعودي).



شئت ولا ترضى به فتطلب فرساً من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة، والمعنى فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود)(١).

ويدل على هذا ما جاء في الرواية الأخرى عن أبي أيوب قوله: أتى النبيﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله إني أُحب الخيل، أفي الجنة خيل؟، فقال ﷺ: (إِنْ أُدْخِلْتَ الجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ)(٢)، (ولعله ﷺ لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل، مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا أثبت الجواهر وأدومها وجوداً وأنصعها لوناً وأصفاها جوهراً، وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير، وأكد ذلك في الرواية الأخرى بقوله جناحان)(٣).

فهذه الأحاديث الشريفة إنما تدل على أن الله تعالى يوفر لكل نفس في الجنة البيئة التي تشتهيها، بل يضيف إليها من كرمه ما يزيد في جمالها ولذتها، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(٥).

وطبعا هذا لا يُعني تلك النفوس المملوءة بالدنس، والتي قد تشتهي ما لا ترتضيه الفطرة السليمة؛ ذلك أن أصحاب تلك الشهوات، وبعد المرور على الصراط يهذبون منها قبل دخولهم الجنة، فالجنة لا يدخلها إلا الطيبون أصحاب النفوس الطيبة، والرغبات الطيبة(٦).

ثانياً: المقاصد العقدية في الفُرقة والقطيعة

الفرقة في اللغة من الافتراق والمباينة، قال ابن سيده المرسي رحمه الله (ت٤٥٨هـ): (الْفرق: خلاف الْجمع، فرقه يفرقه فرقا، وفرقه. وَفَارق الشَّيْء مُفَارقَة، وفراقاً: باينه، وَالِاسْم: الْفرْقَة، وتفارق الْقَوْم: فَارق بَعضهم بَعْضًا)(٧).

وجاءت بعدة موارد في القرآن الكريم، قال الراغب الاصفهاني رحمه الله (ت٥٠٢هـ): (الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال. قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾(٨)، والفرق: القطعة المنفصلة. والتفريق أصله للتكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة)(٩).

---

(١) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: ٧/ ٢١٣.

(٢) سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة، ٢٥٤٤: ٤/ ٦٨٢، وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه.

(٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: ٧/ ٢١٣.

(٤) [سورة ق: الآية ٣٥].

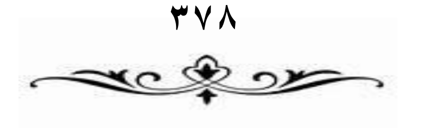
(٥) [سورة يونس: الآية ٢٦].

(٦) (يُنظر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٦٧.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم، حرف القاف والراء والفاء (مقلوبه ف ر ق): ٦/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٨) سورة البقرة: من الآية ٥٠].

(٩) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب الفاء، مادة (فرق): ٢/ ١٨٨.



ففي مقابل ذلك الجزاء المعنوي الممتلئ بالجمال، والذي يتواصل فيه المحسنون مع كل شيء، ابتداء بقربهم من الله تعالى، وانتهاء بأي مخلوق يرغبون في التواصل معه، فضلاً عن إحاطتهم بكل ما يتمنونه ويحبوه، ففي الجانب الآخر نرى أنواع التشتت والتفريق التي يعاني منها المسيؤون ممن آثروا في الدنيا مقاطعة ربهم، ورسله، وهداتهم، وجميع القيم التي جاءوا بها؛ فلذلك كان جزاؤهم من جنس عملهم.

ومن خلال استقرائنا للنصوص الكريمة وبيان ما ورد فيها ليدلنا بعد ذلك الى مقصده تعالى في تحذيره وإنذاره العباد من كل ما يقود إليها، فقد (عبَّر تعالى عن أخطر أنواع هذه القطيعة بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1]، وقد سُبقت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]، لتبين أن السبب في ذلك الحجاب ليس من الله، وإنما من عند أنفسهم، بعد أن ملأوا قلوبهم بأنواع الشبه التي تحول بينهم وبين ربهم.

وقد سبق ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، وهي تبين أن ذلك الحجاب كان قد صنع في الدنيا بسبب التكذيب والتلفيق والتزوير الذي مارسه المسيؤون مع الحقائق والقيم التي جاءتهم بها الرسل عليهم السلام)[4].

لذلك فقد استحقوا بما أصروا عليه من العناد والتكذيب والتلفيق هذا الحجب عن الله تعالى وعن رحمته وفضله ورأفته، ليبين تعالى بعد ذلك ما اوصلهم إليه من الشقاء والخسران المبين، ويذكر ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[5]، في إن هذه الآيات قد اشتملت (على أنواع ثلاثة من الويل، وهي الإهانة، والعذاب، والتقريع مع التأييس من الخلاص من العذاب.

فأما الإهانة فحجبهم عن ربهم، والحجب هو الستر، ويستعمل في المنع من الحضور لدى الملك ولدى سيد القوم. وكلا المعنيين مراد هنا لأن المكذبين بيوم الدين لا يرون الله يوم القيامة حين يراه أهل الإيمان.

ويوضح هذا المعنى قوله في حكاية أحوال الأبرار: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[6]، وكذلك فإنهم لا يدخلون حضرة القدس قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[7]، وليكون الكلام مفيدا للمعنيين قيل: ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ دون أن يُقال: عن رؤية ربهم، أو عن وجه ربهم كما قال تعالى

(١) [سورة المطففين: الآية ١٥].

(٢) [سورة المطففين: الآية ١٤].

(٣) [سورة المطففين: الآيات ١٠ - ١٣].

(٤) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٦٨.

(٥) [سورة المطففين: الآيات ١٥ - ١٧].

(٦) [سورة المطففين: الآية ٢٣].

(٧) [سورة الأعراف: من الآية ٤٠].

في آية آل عمران: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١].

وأما العذاب الآخر فهو ما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾وقد عطفت جملته بحرف (ثم) الدالة في عطفها الجمل على التراخي الرتبي وهو ارتقاء في الوعيد؛ لأنه وعيد بأنهم من أهل النار وذلك أشد من خزي الإهانة. والمعنى: أنهم سيصلون عذاب جهنم)[٢].

(وأما التقريع مع التأييس من التخفيف فهو مضمون جملة: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ فعطف الجملة بحرف ثم اقتضى تراخي مضمون الجملة على مضمون التي قبلها، أي بعد درجته في الغرض المسوق له الكلام.

واقتضى اسم الإشارة ﴿هذَا﴾ أنهم صاروا إلى العذاب، والإخبار عن العذاب بأنه الذي كانوا به يكذبون؛ يفيد أنه العذاب الذي تكرر وعيدهم به وهم يكذبونه، وذلك هو الخلود وهو درجة أشد في الوعيد)[٣].

وهكذا يذكر القرآن الكريم مشهداً من مشاهد القطيعة يبدأ بدعاء المسيئين وتوسلهم لله تعالى أن يخرجهم مما هم فيه، وهم يرددون بكل خشوع: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[٤].

كما يخبر القرآن الكريم عن تلك الآلام الشديدة التي يعاني منها المسيؤون، والتي تجعلهم يطلبون من الملائكة أن يطلبوا من الله تعالى القضاء عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٥].

ويقول السيد قطب فيها: (وتسمع الكافرين في جهنم ينادون من وراء الأسوار: ﴿يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٦]، فتحس ضيق الصدور، وألم العذاب، ووهج النار، ولفح الجحيم، وإن لم يقل لك كيف هذا الجحيم)[٧].

ولأجل تخلصهم من عذاب يومئذ، ومن القطيعة التي نالتهم فحجبتهم عن جميع النعم التي رُزِق بها أهل الجنان، لم يذكر القرآن الكريم مخاطبتهم مع خازن النار فقط، بل إنهم يجرون تلك الحوارات الكثيرة فيما بينهم، والتي يستعيدون فيها جرائمهم التي مارسوها في الدنيا، ويلقي بعضهم على بعض اللوم بسببها، ومن تلك المشاهد والتي تبين تبرءة بعضهم من بعض، علَّه يقلل من عقابهم، ولا سيَّما بين من كانوا ضعفاء ومستكبرين في الدنيا مما عبر عنه

---

(١) [سورة آل عمران: من الآية ٧٧].

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٠/ ٢٠١.

(٤) [سورة المؤمنون: الآيات ١٠٦ ـ ١٠٨].

(٥) [سورة الزخرف: الآيات ٧٤ ـ ٧٨].

(٦) [سورة الزخرف: من الآية ٧٧].

(٧) مشاهد القيامة في القرآن: ٥٥.



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾(١)(٢).

ومنها ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾(٣).

بل إن درجة القطيعة التي يرونها تصل الى تبرئ الشيطان بنفسه من أعمالهم التي دعاهم إليها وزينها لهم في حياتهم الدينا، إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

ونظراً لما سقناه من تواصل المحسنين مع كل ما ألِفوه وأحبوه بدءاً من تواصلهم مع الله تعالى، نجد تلك الفُرقة التي يعانيها ويعاينها المسيؤون وقد تبرأوا من بعضهم وليس لهم من نصير، فكانوا بين عقابين، حسي بالنار ولهيبها وأغلالها، ومعنوي مملوء بالانقطاع والفراق بينهم وبين كل ما يخفف عنهم هذا العذاب، فصاحَبَ عذابهم الكدورة والحسرة والآلام النفسية غير المتناهية؛ ذلك أن خسرانهم ذلك اليوم خسراناً عظيماً، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(٥).

يقول الخطيب الشربيني(٦) رحمه الله (ت ٩٧٧هـ) في معرض تفسيره للآية الكريمة بعد أن بيَّن إن الكاملين في خسران أنفسهم (هم الذين أوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه، وخسروا ﴿أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيضاً؛ لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا ذهاباً لا رجوع بعده البتة.

وقوله تعالى ﴿أَلَا ذَلِكَ﴾ أي: الأمر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: البين، يدل على غاية المبالغة من وجوه؛ أحدها: أنه وصفهم بالخسران ثم أعاد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

---

(١) [سورة غافر: الآيتان ٤٧، ٤٨].

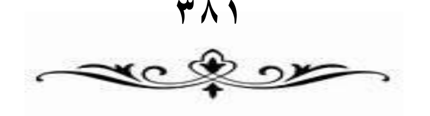
(٢) (يُنظَر) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٦٩، ٤٧٠.

(٣) [سورة سبأ: الآيات ٣١ - ٣٣].

(٤) [سورة إبراهيم: الآية ٢٢].

(٥) [سورة الزمر: الآية١٥].

(٦) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، المعروف بالخطيب الشربيني، وفي شذرات الذهب (محمد بن محمد الشربيني) المفسر والخطيب والعلّامة، من فقهاء الشافعية، من أهل القاهرة. درس وأفتى في حياة شيوخه، وحج مرارا. له تصانيف، منها [السراج المنير] في تفسير القرآن، في أربع مجلدات، طبع في القاهرة. (يُنظر) شذرات الذهب: ١٠/ ٥٦١، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: ٢/ ٤٨٥.



وهذا التكرير لأجل التأكيد، وثانيها: ذكر حرف (ألا) وهو للتنبيه، وذكر التنبيه يدل على التعظيم، كأنه قال: بلغ في العظم إلى حيث لا تصل عقولكم إليه فتنبهوا له، وثالثها: قوله تعالى ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ﴾ ولفظة (هو) تفيد الحصر كأنه قيل: كل خسران يصير في مقابلته كل خسران، ورابعها: وصفه تعالى بكونه خسراناً مبيناً يدل على التهويل)(١).

هذه بعض مشاهد الألم التي يعاني منها أولئك الذين آثروا أن يقاطعوا ربهم، والهداة الذين أرسلهم، والهداية التي أرسلها معهم، ولذلك كان كل ما حصل لهم من قطيعة جزاء متوافقاً تماماً مع اختياراتهم ورغباتهم التي شكلوا منها نفوسهم، وهي في نفس الوقت نوع من أنواع التربية لهم، ليدركوا قيمة الإيمان الذي فرطوا فيه، وباعوه بثمن بخس، ولهذا ورد في التعقيب على بعض تلك المشاهد قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وهذا درس لهم، ليتخلصوا من كل ذلك الران الذي طبع قلوبهم في الدنيا عن الهداية، ولا تزال آثاره معهم في الجحيم، ولذلك احتاجوا إلى البقاء فيها حتى يزال عنهم ذلك الران، أو يبقوا فيها أبد الآبدين)(٣).

لذلك حين نقرأ بعض هذه المشاهد عن الذين كفروا وعصوا الرسول: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾(٤)، فتتراءى لنا ظلال نفسية واضحة للخزي القاتل والخجل المميت، في موقف المواجهة، حين يُستدعى الشهود من كل أمةٍ، ويُجاء بالرسولﷺ شهيداً على العباد، فلم يكن لهم شهيداً، ولا شافعاً ولا نصيراً.

كما نقرأ عن ذلك العذاب ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾(٥)، فيرتسم لنا هول هذا العذاب الذي يُعَد مجرد صرفه رحمة، ولو لم يقل لنا تعالى شيئاً عن ماهيته أو كنهه(٦).

لذلك ورد في الأدعية المأثورة التعوذ من هذا الحجاب وعذابه، ومنها ما ورد في دعاء كميل بن زياد قوله عن الامام علي عليه السلام: (إلهي لأي الأمور إليك أشكو ولما منها أضج وأبكي لأليم العذاب وشدته أم لطول البلاء ومدته، فلأن صيرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلائك وفرقت بيني وبين أحبائك وأوليائك، فهبني يا سيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوك)(٧).

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ـ الإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) . القاهرة، ١٢٨٥ هـ: ٣/ ٤٣٨.

(٢) [سورة المؤمنون: الآيات ١١٢ ـ ١١٥].

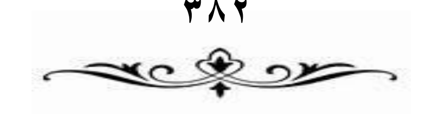
(٣) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٧١.

(٤) [سورة النساء: من الآية٤٢].

(٥) [سورة الأنعام: من الآية ١٦].

(٦) (يُنظَر) مشاهد القيامة في القرآن: ٥٦.

(٧) دعاء كميل بن زياد في ضياء الصالحين ـ في الأدعية والزيارات ـ الحاج صالح الجوهري، منشورات لقاء، قم، الطبعة الثالثة عشر، ١٣٨٦هـ: ٣٢٧.



من ذلك نعلم أن أغلب مقاصد هذا الجزاء الحسي من الاجتماع والفرقة هي مقاصد تربوية حتى في الحياة الدنيا إذ إنها لا تقتصر على الجزاء الاخروي، والتي تستدعي من العباد مرافقة الصالحين منهم، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1]، يقول الطوسي رحمه الله (ت٤٦٠هـ): ((الاخلاء) وهو جمع خليل ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني من كانت خلته في دار الدنيا في غير طاعة الله بل كانت في معصية الله، فان تلك الخلة تنقلب عليه عداوة، لان صاحبها يتبين فساد تلك الخلة يوم القيامة، وإنما كان كذلك، لان كل واحد من المتخالين في غير طاعة الله يزين لصاحبه خلاف الحق ويدعوه إلى ما يوبقه ويورثه سوء العاقبة بدل ما كان يلزمه من النصيحة له في الدعاء إلى ترك القبيح وفعل الحسن ثم استثنى من جملة الاخلاء الذين اخبر عنهم أنهم يصيرون اعداءاً، ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ؛ لان من كانت مخالته في طاعة الله وعلى ما أمر الله به فانها تتأكد ذلك اليوم ولا تنقلب عداوة)[2].

كما ذكر الزمخشري رحمه الله (ت٥٣٨هـ) تفسير الآية الكريمة بقوله: (أى: تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله، وتنقلب عداوة ومقتاً، إلا خلة المتصادقين في الله، فإنها الخلة الباقية المزدادة قوّة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله)[3].

المطلب الثاني: الرضا والسخط ومقاصدهما العقدية

يتوافق هذا الجزاء المعنوي تبعاً للأعمال والملكات التي تترسخ في نفوس العباد، وقد آلينا لجعله أول ما يلي مقصدي المودة والافتراق لارتكاز أسبابه على رضا الله تعالى التي تعتمد على التواصل مع الله تعالى من عدمه، وكونه سر التمايز بين أهل الجنة وأهل النار، فضلاً عن كونه سر الجزاء الحسي والمعنوي الذي يلاقيه كلاً منهما، قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4]، وسنتناول كِلا القسمين فيما يأتي:

أولاً: المقاصد العقدية في الرضا الإلهي للمنعمين

الرضا في اللغة: قال ابن سيده رحمه الله (ت٤٥٨هـ): (الرضا ضد السخط، وتثنيته رضوان ورضيان. رضي رضا ورضا ورضواناً)[5].

(يُقال: رضي يرضى رضا، فهو مرضي ومرضو، ورضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره، ومنتهياً عن نهيه، قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[6]. والرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى،

(١) [سورة الزخرف: الآية ٦٧].

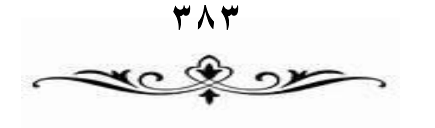
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٠٩.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٢٦٣.

(٤) [سورة آل عمران: الآية ١٦٢].

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، باب الضاد، الضاد والراء والواو، مقلوبه (ر ض و): ٨/ ٢٤٣.

(٦) [سورة المائدة: من الآية ١١٩].



قال عز وجل: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٣)، أي: أظهر كلّ واحد منهم الرّضا بصاحبه ورَضِيَهُ)(٤).

وقد بشَّر تعالى أصحاب النفس المطمئنة من أول خروجها من الجسد بالرضا التام لما أعدَّه تعالى لها، لذلك كان هذا الرضا سمة من سمات الجزاء المعنوي الذي تتنعم به في جنات النعيم، وقد قرن الله تعالى كل ما يرتبط بالمحسنين برضاه عنهم، باعتباره نتيجة لذلك الرضى الذي مارسوه في حياتهم الدنيا مع الله، أو مع رسله، أو مع التعاليم والأحكام والشرائع والأخلاق التي طولبوا بتنفيذها.

وهم الذين بشرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ بجنات النعيم من حين وفاتهم وحضور ملائكة الموت لقبض أرواحهم، فهم أصحاب النفوس المطمئنة التي قال فيها تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(٥).

ويصف الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله (ت١٤٠٠هـ) هذه النفس في تفسيره الكاشف بقوله: (وهي التي آمنت بالله وصغت الى ذكره، وعملت بأمره ونهيه، وقد بيّن سبحانه أصحاب هذه النفس بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٦)، ومعنى راضية مرضية انها تحمد أجرها ومقامها عند الله؛ لأن الله حمد سعيها وأعمالها)(٧).

وإن هذا الجزاء لا يقتصر على النعيم المعنوي دون الحسي، بل مرافقاً له ومضافاً إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٨)، فهذا هو اليوم الذي يكافي به تعالى عباده الصادقين بما وعدهم به من الفوز العظيم بالرضوان الذي لا زوال له، قال تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٩).

ويلفت الشيرازي النظر في لطيفةٍ في الآية الكريمة وتأثير هذا الرضى في جميع أمور العباد، بقوله (يلفت النظر

---

(١) [سورة الحديد: من الآية ٢٧].

(٢) [سورة التوبة: من الآية ٢١].

(٣) [سورة البقرة: من الآية ٢٣٢].

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٥٦.

(٥) [سورة الفجر: الآيات ٢٧ ـ ٣٠].

(٦) [سورة الرعد: الآية ٢٩].

(٧) تفسير الكاشف: ٨/ ٥٦٤.

(٨) [سورة آل عمران: الآية ١٥].

(٩) [سورة المائدة: الآية ١١٩].

أنّ الآية، بعد ذكر بساتين الجنّة ونعمها الكثيرة، تذكر نعمة رضى الله عن عباده، ورضى عباده عنه وتصف ذلك بأنّه الفوز العظيم، وهذا يدل على مدى أهمية هذا الرضى المتبادل، فقد يكون أمرؤ غارقاً في أرفع نعم الله، ولكنّه إذا أحس بأنّ مولاه ومعبوده ومحبوبه ليس راضياً عنه، فإن جميع تلك النعم والهبات تصير علقماً في ذائقة روحه.

كما يمكن أن يتوفر لأمرىء كل شيء، ولكنه لا يكون راضياً ولا قانعاً بما عنده، فمن الواضح أنّ هذه النعم بأجمعها غير قادرة على إسعاد تلك الروح، بل تكون دائماً معرضة لعذاب قلق غامض واضطراب نفسي مستمر يقضيان على الراحة النفسية التي هي من أعظم نعم الله تعالى)[1].

كما يشير تعالى إلى أن هذا الرضا هو من أعظم الجزاء الذي يراه المحسنون وهو الفوز الأكبر الذي طالما وعد سبحانه وتعالى المؤمنين به، كما ذكر ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، (لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك)[3]، فضلاً على أنه (ثبت عند أرباب الألباب أن جملة الجنة بما فيها بالنسبة إلى رضوان الله كالعدم بالنسبة إلى الوجود، وكيف والجنة مرغوب الشهوة، والرضوان صفة الحق، وأي مناسبة بينهما)[4]

بل إن أعظم سرور قد يتصوره المؤمن بالله تعالى في أعظم صورة لهذا الرضا الإلهي حين يطرقه ذلك السلام منه تعالى؛ إذ قال تعالى بعد وصفه للنعيم الحسي في سورة يس بما يتممه ويكمله في نفوس عباده بقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[5]، يقول السعدي[6] رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ): (ولهم أيضاً ﴿سَلامٌ﴾ حاصل لهم ﴿مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾، ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله تعالى ﴿قَوْلاً﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدّر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك)[7].

---

(١) تفسير الكاشف: ٨/ ٥٦٤.

(٢) [سورة التوبة: الآية ٧٢].

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٧٦.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب: ١٢/ ٤٦٩.

(٥) [سورة يس: الآية ٥٧].

(٦) العلامة عبد الرحمن بن ناصر، أبو عبد الله السعدي، أثنى عليه مجموعة من علماء عصره، كان كلامه قليلا إلا في مسائل العلم، وكان متواضعا حسن الخلق، من مؤلفاته: [الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين]، و[التفسير] الذي أبدى فيه عقيدته السلفية، و[الدرة المختصرة في محاسن الإسلام]، و[القواعد الحسان في تفسير القرآن]، توفي رحمه الله سنة١٣٧٦هـ. (يُنظر) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ـ أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، والنبلاء للكتاب، مراكش ـ المغرب، الطبعة الأولى: ٩/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ت١٣٧٦)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م: ٦٩٧.

كما يصف الشيرازي هذا النداء من الله تعالى بقوله: (هذا النداء الذي تخفّ له الروح، فيملؤها بالنشاط، هذا النداء المملوء بمحبّة الله، يجعل الروح الإنسانية تتسلّق الأفراح نشوى بالمعنويات التي لا يرقى إليها وصف ولا تعادلها أيّة نعمة أُخرى، نعم فسماع نداء المحبوب، النداء الندي بالمحبّة، المعطّر باللطف، يغمر سكّان الجنّة بالحبور. الحبور الذي تعادل اللحظة منه جميع ما في الدنيا، بل ويفيض عليه...والملفت للنظر أنّ ظاهر الآية يشير إلى أنّ سلام الله الذي ينثره على المؤمنين في الجنّة، هو سلام مستقيم بلا واسطة، سلام منه تعالى، وأي سلام ذلك الذي يمثّل رحمته الخاصّة! أي أنّه ينبعث من مقام رحيميته وجميع ألطافه وكراماته مجموعة فيه، ويا لها من نعمة عظيمة!!)[1].

كما ورد في الحديث الشريف الإشارة الى هذا النوع من الجزاء، ومنه ما ورد في صحيح مسلم في قوله ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)[2].

لذا فقد اتصفت هذه المعيشة في جنات النعيم بالرضا التام فيها بين العباد والله تعالى، فلا يسخط عليهم أبداً، وهو جزاء معنوي تفيض به نفوس العباد وتنشرح له صدورهم، ولهذا نرى القرآن الكريم يصف تلك المعيشة الجديدة التي يعيشها الراضون عن الله بكونها عيشة راضية، وقد وردت البشارة بها في مواضعٍ عدة في الآيات الكريمة، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[4].

وغيرها من النصوص الكريمة التي ترغب فيها وتجعلها كأنها في مرأى من بصيرة المتدبر فيها، لذلك ورد في العديد من الأدعية المأثورة التوسل الى الله تعالى أن ينال هذا الرضا، ومنها ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام قوله: (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي آنس بقربك، فابتغى عنك حولاً، إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقائك، ورضيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعذته من هجرك وقلاك، وبوأته مقعد الصدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك، وهيمته لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبته فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شئ يقطعه عنك)[5].

---

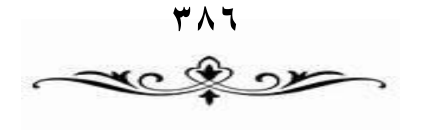
(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٤/ ٢١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، ح ٢٨٢٩: ٤/ ٢١٧٦.

(٣) [سورة القارعة: الآيتان ٦، ٧].

(٤) [سورة الحاقة: الآيات ١٩ ـ ٢١].

(٥) الصحيفة السجادية، مناجاة المحبين: ٤١٣.



ثانياً: المقاصد العقدية في السخط الإلهي على المجرمين

وفي مقابل ذلك الرضا للمؤمنين، يقابل المعاندين السخط الذي استحقوه بسوء أعمالهم، والسخط في اللغة كما ذكره ابن منظور رحمه الله (ت٧١١هـ) في لسان العرب: (سخط: السُّخْطُ والسَّخَطُ: ضِدَّ الرِّضا مِثْلَ العُدْمِ والعَدَمِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ سَخِطَ يَسْخَطُ سَخَطاً. والسخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به)[١].

ويأتي في القرآن الكريم بمعنى الغضب الشديد، يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله (ت٥٠٢هـ): (والسخط: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٢]، وهو من الله تعالى: إنزال العقوبة، قال تعالى: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[٣]، ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾[٥])[٦].

لقد اقتضت عدالة الله تعالى وحاكميته أن ينفذ ما وعد به عباده، فإن كان العبد من الراضين المرضيين، أُعطى الرضا، والمعيشة الراضية، أما إن كان من الساخطين الجاحدين فقد حرم نفسه من هذا الرضا، ولم يلق إلا السخط والغضب الذي وعد به منكريه وجاحديه.

وقد احتوت النصوص الكريمة على نماذج كثيرة في هذه العقوبة المعنوية، ومنها ما ورد في سورة الطور؛ إذ اشتملت إحدى الصور في بعض مظاهر العذاب، فـ(هاهم أولاء ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[٧]، ولفظة (الدَع) لفظة مصورة بجرسها لمعناها، يكاد سامعها يحس بالدفع في ظهور المكذبين، وهم يُزَخون مدفوعين؛ تناسباً مع الخوض والدفع الذي كانوا فيه، وبينما هم يُدَعون في عنفٍ وضغط، يُشار الى جهنم ويُقال لهم ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٨]، ثم ينتقل السياق من لهجة التقرير الى لهجة التهكم والاستنكار ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[٩]، أفسحرٌ ما ترَون رأي العين كما كنتم تقولون عن الآيات وفي مقدمتها القرآن، أم قد عميتم فلا ترون ما تشهدون؟ ثم يعود السياق الى الأمر والتقرير: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[١٠]، فلا مخرج منها ولا فرار﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١١])[١٢].

---

(١) لسان العرب، حرف الطاء المهملة، فصل السين المهملة، مادة (سخط): ٧/ ٣١٣.

(٢) [سورة التوبة: من الآية ٥٨].

(٣) [سورة محمد: من الآية ٢٨].

(٤) [سورة المائدة: من الآية ٨٠].

(٥) [سورة آل عمران: من الآية ١٦٢].

(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب السين، مادة (سخط): ١/ ٤٦٦.

(٧) [سورة الطور: الآية ١٣].

(٨) [سورة الطور: الآية ١٤].

(٩) [سورة الطور: الآية ١٥].

(١٠) [سورة الطور: من الآية ١٦].

(١١) [سورة الطور: من الآية ١٦].

(١٢) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٠٦.

فكما أن الفَوز في ذلك اليوم هو الفوز العظيم لتنعم المحسنين برضا الله تعالى، فكذلك حذَّر تعالى مما يحل بالمسيئين من الألم النفسي المشتمل على الحسرات التي لا تنتهي، والتي نجد القرآن الكريم يحذر منها أهل الدنيا كثيرا كي لا يقعوا فيها، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

كما أشار إلى هذا السخط النبي ﷺ في قوله: (إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ)[(٢)].

ومنه أيضاً ما ورد في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قوله ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، قال أبو ذر: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مراراً، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، مَن هم يا رسول الله؟، قال ﷺ: (الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ)[(٣)].

حيث ورَدَ عن النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث، أن هؤلاء بحرمانهم من كلامه تعالى فقد حُرِموا من رضاه تعالى، بقوله (قيل معنى (لَا يُكَلِّمُهُمُ) أى لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وباظهار الرضى بل بكلام أهل السخط والغضب وقيل المراد الاعراض عنهم)[(٤)].

ومن الآثار الحميدة التي يتركها الإيمان بالرضا الإلهي آنذاك تحصيل الرضا في النفس، والسعي نحوه، على خلاف تلك الآثار التي يتركها السخط والإعراض، إذ نجد ارتباط كل النصوص التي تتحدث عن الرضوان المتبادل بين الله تعالى وعباده الصالحين بالجنة؛ وكأنها تشير إلى أن الرضوان جنة من جنان الله تعالى، وهي جنة لا تختص بالآخرة، بل تُعجل للمؤمنين في الدنيا لما يتحصل من آثارها في نفوسهم من التزكية والطمأنينة والأخلاق الفاضلة.

ويدلُّ على ذلك قوله ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ)، قالوا: أينَ رياض الجنة يا رسول الله؟، قال ﷺ: (مَجَالِسُ الذِّكْرِ، فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيفَ مَنْزِلَةَ اللهَ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ)[(٥)].

---

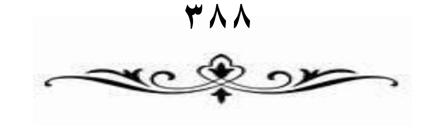
(١) [سورة الزمر: الآيات ٥٥ - ٥٩].

(٢) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ح ٢٣٩٦: ٤/ ٦٠١، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف الكاذب، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب اليم، ح ١٠٦: ١/ ١٠٢.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٢/ ١١٦.

(٥) المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ح ١٨٢٠: ١/ ٦٧١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



المطلب الثالث: الإكرام والإهانة ومقاصدهما العقدية

وتبعاً للرضا الإلهي يوم القيامة عن العباد، فإن من نماذج الجزاء المعنوي الذي أعدَّه تعالى للخلق، ذلك التكريم الذي يناله من رضي تعالى عنهم، ويقابله الإهانة والإذلال لمن نالوا غضبه وسخطه بما قدَّمت أيديهم. وإن الله ليس بظلَّام للعبيد، وسنتناول كِلا هذين القسمين فيما يأتي:

أولاً: المقاصد العقدية في إكرام المحسنين

يأتي الإكرام في اللغة من (كرُم)، قال الفراهيدي رحمه الله (ت ١٧٠هـ) في العين: (الكرَم: شرف الرجل، رجلٌ كريم، وقومٌ كَرَم وكِرام، نحو أديم وأدام. والكرامة إسم للإكرام، مثل الطاعة للإطاعة، ونحوه من المصادر)[(١)].

ومثله الحفاوة، أي: (مبالغ في الكرامة، وحفا الله به حفوا: أكرمه)[(٢)].

وفي القرآن الكريم: (الإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً، أي: شريفاً، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[(٤)]، أي: جعلهم كراماً، قال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[(٦)][(٧)].

لقد نال المحسنون من أصحاب اليمين الذين عبدوا الله حق عبادته، فتواضعوا فيها له تعالى ولعباده، فلم يظلموا ولم يتجبروا ولم يطغوا، ويدخل بضمنهم أولئك الذين ارتكبوا من الذنوب ما نالوا به عقابهم ثم دخلوا الجنة بعفو الله تعالى، أو بالشفاعة أو بانتهاء مدة عذابهم، فإنهم سيَرون في هذه الجنان جميع أوصاف التكريم والتبجيل والحفاوة مما وعدهم تعالى به، وإنما نالوا هذا الجزاء لكونهم قد نالوا رضا الله تعالى الذي يُعَد المظهر الأساس لجميع أنواع النعيم الحسي والمعنوي، والذي كرَّمهم به تعالى في جميع أصناف التنعم التي لم تخطر لأحد على بال، وهو ما بشرهم به في قوله سبحانه ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[(٨)].

يقول الخطيب الشربيني رحمه الله (ت٩٧٧هـ): (وزادهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿مُكْرَمُونَ﴾ معبراً باسم المفعول إشارة إلى عموم الإكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره؛ لأنه سبحانه قضى بأن يُعلي مقدارهم فيكرمهم بأنواع الكرامات،

---

(١) العين، باب الكاف، مادة (كرم): ٤/ ٢٤.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، كتاب الحاء، الحاء والفاء والواو (مقلوبه ح ف و)، مادة (احفا): ٤/ ٢٣.

(٣) [سورة الذاريات: الآية ٢٤].

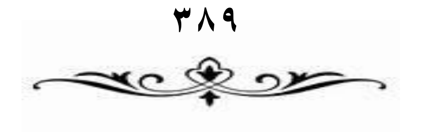
(٤) [سورة الأنبياء: من الآية ٢٦].

(٥) [سورة الانفطار: من الآية ١١].

(٦) [سورة يس: من الآية ٢٧].

(٧) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب الكاف، مادة (الكرم): ٢/ ٢٩٣.

(٨) [سورة المعارج: من الآية ٣٥].



فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى دخولهم إلى قصورهم)[١].

ومما ورد في هذا الباب من النعيم قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِّ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾[٢].

فالإكرام والتبجيل في تلك الدار من عظيم ما تتوق إليه نفوس المؤمنين من الجزاء المعنوي، كما أن الصَغار والذل من أعظم ما تنفر منه نفوسهم، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ(ت ١٣٧٦هـ) في تفسيره الآية الكريمة: (لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون، قد أكرم بعضهم بعضاً، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الإكرام، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب، والأرواح، والأبدان)[٣].

كما ورد في قوله تعالى: ﴿عِبَادٌ مّكْرَمُونَ﴾، التي يصف في تفسيرها الطباطبائي ﷺ (ت ١٤٠٩هـ) هؤلاء المكرمون بقوله: (الذي يذكرهم بشرافة الذات وشرافة آثار الذات من القول والفعل ويكون المعنى: إنما أكرم الله ذواتهم وحمد آثارهم لأنه يعلم أعمالهم وأقوالهم وهي ما بين أيديهم، ويعلم السبب الذي به وُجدوا، والأصل الذي عليه نشأوا، وهو ما خلفهم كما يقال: فلان كريم النفس حميد السيرة لأنه مرضي الأعمال من أسرة كريمة)[٤].

فيظهر تبجيلهم في جميع الصور التي تجعلهم يغتبطون بهذا التكريم الإلهي حتى أنه ليكون ظاهراً في وجوههم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَبَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ(١٨) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(١٩) كِتَبٌ مَّرْقُومٌ(٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ(٢١) إِنّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظرُونَ (٢٣) تَعْرِف فِى وُجُوهِهِمْ نَضرَةَ النّعِيمِ﴾[٥]، حيث تتحدث عن الأبرار الصالحين وما سيؤلون إليه من تعظيم لشأنهم في حسن مآبهم، ويبدأ الحديث عنهم بقوله تعالى: ﴿كلاَّ إِنَّ كتابَ الأَبْرارِ لَفي عِلِّيينَ﴾، حيث اختلفت وتعددت الأقوال في ﴿عِلِيِّين﴾، منها ما ذكره الرازي ﷺ (ت٦٠٦هـ) بعد ذكره لأقوال أهل اللغة والتفسير فيها: (هي مراتب عالية محفوظة بالجلالة قد عظمها الله وأعلى شأنها، وقال آخرون: عند كتاب أعمال الملائكة)[٦].

ويذكر الشيرازي في الأمثل تفسيره لهذا العلو، ﴿عِلِيِّين﴾: جمع (عليّ) على وزن (مِلّي)، وهو المكان المرتفع، أو الشخص الجالس في مكان مرتفع، ويطلق أيضاً على ساكني قمم الجبال، وقد فُسِّر في الآية بـ (أشرف الجنان) أو (أعلى مكان في السماء)، وقيل: إنّما استعمل اللفظ بصيغة الجمع للتأكيد على معنى (العلو في علو)، ثم يبين ما جاء في

---

(١) السراج المنير: ٤/ ٣٨٦.

(٢) [سورة الصافات: الآيات ٤٠ ـ ٤٢].

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٧٠٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٢٧٧.

(٥) [سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢٤].

(٦) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ٩٠.



التفاسير من معنييه بقوله:

الأوّل:أنّ المقصود من ﴿كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾هو صحيفة أعمال الصالحين والمؤمنين، فجميع الأعمال تجمع في هذا الديوان العام، وهو ديوان عالي المقام وشريف القدر.

الثّاني:أنّ صحيفة أعمال الأبرار تكون في أشرف مكان، أو في أعلى مكان في الجنّة، وهذا يكشف عن علو شأنهم ورفعة كرامتهم عند اللهّ عزّوجل[(١)].

كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِها راضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾[(٢)]، أي (وجوه يوم القيامة ذات نعمة وبهجة ونضرة وحسن، يعرف النعيم فيها، أو متنعمة، كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[(٣)]، وهي وجوه السعداء، لما شاهدوا من عاقبة أمرهم، وقبول عملهم، فهي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية، أي رضيت عملها لأنها قد أعطيت من الأجر من أرضاها. وإن اللهّ تعالى وصف أهل السعادة والثواب بوصفين:

أحدهما ـ في ظاهرهم وهو قوله: ﴿ناعِمَةٌ﴾ أي ذات بهجة وحسن، أو متنعمة.

والثاني ـ في باطنهم وهو قوله: ﴿لِسَعْيِها راضِيَةٌ﴾.

ثم وصف دار الثواب بأوصافٍ، منها أنها﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾، ﴿لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً﴾ أي إن أصحاب الوجوه الناعمة وهم المؤمنون السعداء في جنة رفيعة المكان، بهية الوصف، آمنة الغرفات لأن الجنة منازل ودرجات بعضها أعلى من بعض، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض.

ولا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة لغو وهذيان لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد اللهّ تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم، ولأن الجنة منزل أحباب اللهّ، ومنازل الصفاء لا تتعكر باللغو والكذب والبهتان، كما قال تعالى: ﴿لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا تَأْثِيماً (٢٦) إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً ﴾[(٦)][(٧)].

الى غير ذلك من النصوص الكريمة التي زخرت بها آيات القرآن الكريم والتي تدل على التكريم الذي يلاقيه أصحاب اليمين وتأثير ذلك في نفوسهم حين يرون صدق الوعد الإلهي بسعة العطاء والكرم والرحمة الإلهية، وخصوصاً حين مشاهدتهم لمظاهر الإذلال والإهانة التي يلاقيها من عصوا الله ورسله من أصحاب الشمال ليعلموا قدراً إضافياً من ذلك التكريم الذي وهبه تعالى لهم ومما أنقذهم منه صدق ويقين إيمانهم بالله تعالى، لذلك يقول فيهم

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ٣٣.

(٢) [سورة الغاشية: الآيات ٨ ـ ١٠].

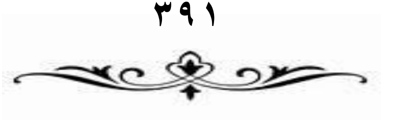
(٣) [سورة المطففين: الآية ٢٧].

(٤) [سورة الطور: الآية ٢٣].

(٥) [سورة مريم: الآية ٦٢].

(٦) [سورة الواقعة: الآيتان ٢٥، ٢٦].

(٧) التفسير المنير للزحيلي: ٣٠/ ٣١٠.



تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1].

ثانياً: المقاصد العقدية في إهانة المسيئين وإذلالهم

الإهانة من الهون، والهون في اللغة: الخزي، وفي التنزيل: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾[2]، أي ذي الخزي، والهون والهوان: نقيض العز، هان يهون هوانا، وهو هين وأهون، وفي التنزيل: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3]، أي كل ذلك هين على الله[4]، وقد ذكر الراغب الأصفهاني رحمه الله أن الهوان على وجهين، هما:

أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[5].

والثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخف به فيذم به، وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[6]، و﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾[7]، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾[8]، و﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾[9][10].

فمع كل التبجيل والإكرام الذي يراه المحسنون جزاءً لصدق إيمانهم، يقابلهم ذلك العذاب النفسي الذي يعانيه المنحرفون المتجبرون الذين استعلوا على الله، وتمردوا على أحكامه، والقيم التي أمر بمراعاتها، فقد لقوا كل ما حُذِّروا منذ لحظات موتهم حتى سلوكهم سقر، المليء بالإهانة والإذلال والانكسار.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر هذا الاذلال تحذيراً مما يؤدي إليه مصيرهم ان استمروا في الظلال والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[11].

---

(١) [سورة الرعد: الآية ٢٤].

(٢) [سورة فصلت: من الآية ١٧].

(٣) [سورة الروم: من الآية ٢٧].

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، حرف الهاء، الهاء والنون والواو، مقلوبه (هـ و ن)، مادة (الهون): ٤/ ٤٢٨.

(٥) [سورة الفرقان: من الآية ٦٣].

(٦) [سورة البقرة: من الآية ٩٠].

(٧) [سورة الأنعام: من الآية ٩٣].

(٨) [سورة فصلت: من الآية ١٧].

(٩) [سورة الحج: من الآية ١٨].

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب الهاء، مادة (هان): ٢/ ٤٨٥.

(١١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦١: ٢/ ٢٠٨.

فمن صور إذلالهم ما ورد في هذه الآيات الكريمة مصحوباً بالفزع والتوسل، وجهنم في هذه الآيات في (مشهد مروع تضطرب له القلوب، وتقشعر لهوله الجلود، وبينما هم في فزع هذه الغول التي تتميز من الغيظ وهي تتلقفهم بشهيقٍ وهي تفور، تسمع خزنتها وحراسها يتلقون كل فوجٍ مدفوع بسؤالٍ واحدٍ مكرور، فكلهم ذوو شأن واحد: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، والجواب في ذل الإعتراف وخجل الانكسار﴿ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ بل تبجحنا في الإنكار ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أيها الرسل، ونحنُ على هدىً مبين!

ثم تطرد موجة الاعتراف والانخذال، فإذا بهم ينفون عن أنفسهم السمع والعقل ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، فما يذهب الإنسان الى السعير إلا وقد فقد السمع الذي يستمع إلى الهدى، وفقد العقل الذي يقود الى الحق، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

ولَمَّا كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]، (أي: صاغرين حقيرين ذليلين راغمين)[3].

كذلك ما ورد في قوله تعالى من سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[4]، ففي الآية الكريمة (الُمراد بالوجه (الذات)، أي أصحابها، وأصحاب الوجوه وهم الكفار، تكون في ذلك اليوم ذليلة خاضعة لما هي فيه من العذاب، ونسب الخشوع والذل إلى الوجوه لأن أثره يظهر عليها، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[6])[7].

ولذلك كان من أوصاف العذاب في القرآن الكريم كونه مهيناً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[8].

كما يصف القرآن الكريم المستحقين لهذا النوع من العذاب النفسي من التصغير والتحقير، ذكرها الدكتور نورالدين أبو لحية في اسرار كما بعد الموت[9]، وكلها متناسبة مع الإهانات التي يتعرضون لها، ومنها التمرد على الله ورسوله

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٢٠٨.

(٢) [سورة غافر: الآية ٦٠].

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٢٨.

(٤) [سورة الغاشية: الآيتان ٢، ٣].

(٥) [سورة السجدة: الآية ١٢].

(٦) [سورة الشورى: الآية ٤٥].

(٧) التفسير المنير للزحيلي: ٣٠/ ٢٠٥.

(٨) [سورة آل عمران: الآية ١٧٨].

(٩) أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل: ٤٥٣، ٤٥٤.

ومجاوزة الحدود، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(١).

ومنها البخل وكتمان فضل الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُّ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٢).

ومنها الكفر بمختلف أنواعه ومظاهره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهَّ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهَّ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٣).

ومنها استعمال الوسائل المختلفة للتضليل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٤).

ومنها أذية الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٥).

ومنها التزوير وتكذيب آيات الله تعالى مع الإصرار على ذلك بالاستكبار والاستهزاء بها، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللهَّ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٦).

ومنها محادة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٧).

ويذكر القرآن الكريم أن هذا النوع من الجزاء يبدأ من لحظات الاحتضار؛ حينها تخاطب الملائكة أولئك المتجبرين الطغاة المتمردين على أحكام الله، بذلك الضرب والتعنيف والإهانة، كما صور الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٨).

وقال في مشهد آخر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُّ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُّ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَّ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ

(١) [سورة النساء: الآية ١٤].

(٢) [سورة النساء: الآية ٣٧].

(٣) [سورة النساء: الآية ١٥٠، ١٥١].

(٤) [سورة لقمان: الآية ٣].

(٥) [سورة الأحزاب: الآية ٥٧].

(٦) [سورة الجاثية: الآيات ٧ - ٩].

(٧) [سورة المجادلة: الآية ٥].

(٨) [سورة الأنفال: الآيتان ٥٠، ٥١].

فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(١)(٢).

لذلك يقول ﷺ في ذلك الموقف الذي يخشى التعرض له حتى عباد الله تعالى من المؤمنين، إذ يقول ﷺ: (إِنَّ الْعَارَ لَيَلْزَمُ الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: يَا رَبِّ، لإِرْسَالُكَ بِي إِلَى النَّارِ أَيْسَرُ عَلَيَّ مِمَّا أَلْقَى، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ)(٣).

وقوله ﷺ في المتكبرين واستصغارهم في ذلك اليوم: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ)(٤).

وكما أوردنا في تبجيل المؤمنين في سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾(٥)، فقد وردت صورتي هذا التبجيل لأصحاب اليمين والإذلال لأصحاب الشمال، يقول الرازي رحمه الله (العلو والفسحة والضياء والطهارة من علامات السعادة، والسفل والضيق والظلمة من علامات الشقاوة، فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في أسفل السافلين، وفي أضيق المواضع إذلال الفجار وتحقير شأنهم، كان المقصود من وضع كتاب الأبرار في أعلى عليين، وشهادة الملائكة لهم بذلك إجلالهم وتعظيم شأنهم)(٦).

وكذلك ما ورد في التفسير المنير للزحيلي بقوله في هذه المقارنة: (بدأت السورة بمطلع مخيف، وهو وعيد المطففين بالعذاب الشديد: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾(٧)، ثم أبانت أن كتاب الفجار الأشقياء في ديوان الشر، وفي كتاب مرقوم بعلامة، وأن مصيرهم أسفل السافلين في نار جهنم: ﴿كَلَّا، إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(٨).

وأردفت ذلك على سبيل المقارنة والعبرة والجمع بين الترغيب والترهيب ببيان أن صحائف الأبرار في أعلى عليين، وأنها في كتاب مرقوم بعلامة متميزة عن صحائف الفجار: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾(٩).

ثم ختمت السورة بوصف موقف المجرمين من المؤمنين، حيث كانوا يستهزئون ويضحكون منهم في الدنيا لإيمانهم وتقواهم ربهم، ثم انعكاس هذا الموقف في الآخرة حيث صار المؤمنون يتضاحكون من الأشقياء المجرمين ويسخرون منهم، وينظرون إليهم وهم يعذبون في النار وما يلقونه من النكال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ

(١) [سورة محمد: الآيات ٢٦ ـ ٢٨].

(٢) [سورة المجادلة: الآية ٥].

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، ح ٨٧٢٠: ٤/ ٦٢٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يُخرجاه.

(٤) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ح ٦٦٧٧: ١١/ ٢٦٠، تعليق شعيب الأ: إسناده حسن.

(٥) [سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢٠].

(٦) تفسير مفاتيح الغيب: ٣١/ ٩٠.

(٧) [سورة المطففين: الآيات ١ ـ ٦].

(٨) [سورة المطففين: الآيات ٧ ـ ١٧].

(٩) [سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢٨].



آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾(١)(٢).

لذلك يذكر النبي ﷺ تلك الحسرات التي ترافق المعذبين عند إذلالهم ورؤيتهم لما أُعِد لهم من مقاعد في الجنة لو أنهم آمنوا واتقوا، بقوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ، إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ، أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً)(٣).

وبناءً على ذلك فقد يتوجه المؤمنون الى الله تعالى كي يقيهم هذا الخزي يوم القيامة، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(٤).

وكذلك فقد ورد في كلمات الأئمة عليهم السلام التوسل إليه تعالى في أن يقيهم هذا الذل والخزي يوم القيامة، ومنها ما ورد في مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المناجاة الشعبانية: (إلهي قد سترت علي ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سترها علي منك في الاخرى، إلهي قد أحسنت إلي إذ لم تظهرها لاحد من عبادك الصالحين، فلا تفضحني يوم القيامة على رؤس الاشهاد، إلهي جودك بسط أملي وعفوك أفضل من عملي، إلهي فسرني بلقائك يوم تقضي فيه بين عبادك، إلهي اعتذاري إليك اعتذار من لم يستغن عن قبول عذره، فاقبل عذري يا أكرم من اعتذر إليه المسيؤون)(٥).

المطلب الرابع: السعادة والحزن ومقاصدهما العقدية

بناءً على كثرة مظاهر وأنواع الجزاء المعنوي يوم القيامة والذي يقابل السعادة التي يهنأ بها المحسنون، والشقاء الذي يتعذب به المسيؤون، فسنختم هذا المبحث في مظاهر السعادة والفرح وما يقابلها من الحزن والندم لكونهما من أهم الصور التي ترافق النعيم والعذاب المعنويين، والتي يجازي تعالى بها عباده المحسنين والمسيئين، وهي التي تصاحب الجزاء الحسي من النعيم والعذاب أيضاً لكن تفوقه بالأهمية لكونها تتعلق بالقلوب لا بالظاهر من الجزاء فحسب.

أولاً: المقاصد العقدية في سعادة المؤمنين في نعيم الجنة

جاء في لسان العرب لابن منظور رحمه الله (ت ٧١١هـ): (السعد: اليمن، والسعادة: خلاف الشقاوة. وسعد يسعد سعدا وسعادة، فهو سعيد: نقيض شقي)(٦)، و (إذا قيل أسعد الله العبد وسعده فمعناه وفقه الله لما يرضيه عنه

(١) [سورة المطففين: الآيتان ٢٩، ٣٠].

(٢) (يُنظَر) التفسير المنير للزحيلي: ٣٠/ ١١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار،ة ح ٦٢٠٠: ٥/ ٢٤٠٢.

(٤) [سورة آل عمران: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٤].

(٥) بحار الأنوار، جزء من مناجاة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٩١/ ٩٧.

(٦) لسان العرب، حرف الدال المهملة، فصل السين المهملة، مادة (سعد): ٣/ ٢١٣، بتصرف.



فيسعد بذلك سعادة)[١].

كما ذكر الراغب الأصفهانيرحمه الله (ت ٤٥٨هـ) بأنها من (السعد، والسعادة: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضاده الشقاوة، يقال: سعد وأسعده الله، ورجل سعيد، وقوم سعداء، وأعظم السعادات الجنة، فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[٣][٤].

فمن المقاصد المعنوية والتي يريدها تعالى لعباده من ذكره للنصوص الكريمة التي تصف نعيم الجنة تلك السعادة المتمثلة بالفرح والسرور الذي يختلج قلوب العباد من أهل الجنة والذي لا حزن بعده، وقد توالت ببشارتهم الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، في هؤلاء المؤمنين الصادقين بما عاهدوا فيه إيمانهم، الصابرين في البأساء والضراء، ليجازيهم الله تعالى بأن يملأ قلوبهم بكل أنواع السرور والسعادة التي لا تُنغَص ولا تُكدَر بأي كدر، ذلك الفرح الذي ينسيهم كل همومهم وآلامهم التي عانوها سواءٌ في حياتهم الدنيا أم في المواقف التي سبقت دخولهم الجنة لأجل تطهيرهم من بقايا أدران الذنوب.

وهؤلاء من الذين يخاطبهم تعالى بقوله: ﴿يَا عِبادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٥]، وفيه من المعاني التي تدل على هذا الفرح الذي يلاقيه عباد الله تعالى، يقول الرازي (ت٦٠٦هـ): (فقوله ﴿يَا عِبادِ﴾ كلام الله تعالى، فكأن الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفيه أنواع كثيرة مما يوجب الفرح:

أولها: أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة.

ثانيها: أنه تعالى وصفهم بالعبودية، وهذا تشريف عظيم، بدليل أنه لما أراد أن يشرِّف محمداً ﷺ ليلة المعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[٦].

ثالثها: قوله تعالى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فأزال عنهم الخوف في يوم القيامة بالكلية، وهذا من أعظم النعم.

ورابعها: قوله تعالى ﴿وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية)[٧].

ليكتب تعالى لهم الجنة فيسعدوا فيها بلا حزن ولا مكدرات الحياة الدنيا، قال تعالى:﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[٨]، (والحبرة المبالغة في الإكرام فيما وصف بالجميل، يعني يكرمون إكراماً على سبيل

(١) المصدر نفسه، حرف الدال المهملة، فصل السين المهملة، مادة (سعد): ٣/ ٢١٤.

(٢) [سورة هود: من الآية ١٠٨].

(٣) [سورة هود: من الآية ١٠٥].

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب السين، مادة السعد: ١/ ٤٧٧.

(٥) [سورة الزخرف: الآية ٦٨].

(٦) [سورة الاسراء: الآية ١].

(٧) مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٤٢.

(٨) [سورة الزخرف: الآية ٧٠].



المبالغة)[1]، وقال ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): (أي يقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم، أي نظراؤكم، تحبرون أي تتنعمون وتسعدون)[2]، كما قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[3].

كما ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: (لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْشَةٌ فِي الْمَوْتِ وَلَا فِي النُّشُورِ وَكَأَنِّي بِهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ، وَهُمْ يَنْفُضُونَ شُعُورَهُمْ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُونَ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾)[4].

كما وصف تعالى هذا النعيم الذي خصهم به، فقال: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[5]، وقال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره للآية الكريمة: (وهذا من باب التجانس البليغ ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، أي آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ أي في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ أي في قلوبهم. وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[6]؛ وذلك أن القلب إذا سُر استنار الوجه.

ثم يستدل بقول كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه حين تخلف عن تبوك قال: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه [7]، وما رُوي عن عائشة رضي الله عنها من أن رسول الله ﷺ دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه[8][9].

كذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾[10]؛ حيث (يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم)[11].إذ تتعرض هذه الآية الكريمة إلى جانب من مثوبة المؤمنين العظيمة، وقبل كلّ شيء تشير إلى مسألة الطمأنينة وراحة البال، فـ (شُغُل) على وزن سُرُر، و (شُغْل) ـ على وزن لُطْف، وكليهما بمعنى العارض الذي يذهل الإنسان ويصرفه عن سواه، سواء كان ممّا يبعث على المسرّة أو الحزن، ولكن لإلحاقه كلمة

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٢١٩.

(٣) [سورة فاطر: الآيتان ٣٤، ٣٥].

(٤) البعث والنشور ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ح ٨٢: ٩٢/ ٨٢، وشعب الإيمان، الأول من شعب الإيمان وهو باب الإيمان بالله عزَّ وجل، ح ١٠٠: ١/ ١١٠، وقال فيه البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف عن ابن عمرو وقد أخرجناه في كتاب البعث والنشور وذكرنا انتظام هذه الكلمة مع ما أشرنا إليه من العقائد الخمس لأن من قال لا إله إلا الله فقد أثبت الله ونفى غيره فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل وبما ضم إليه من نفي عن التشريك.

(٥) [سورة الإنسان: الآية ١١].

(٦) [سورة عبس: الآيتان ٣٨، ٣٩].

(٧) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ح ٣٣٦٣: ٣/ ١٣٠٥.

(٨) المصدر نفسه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ،، ح ٣٣٦٢: ٣/ ١٢٠٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٩٦.

(١٠) [سورة يس: الآية ٥٥].

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٥١٨.



﴿فاكِهُونَ﴾ التي هي جمع (فاكه) وهو المسرور الفرح الضاحك، مما نخلص فيه من الآية الكريمة أنّ المعنى إشارة إلى الإنسان الفرِح المشغول بنفسه، والمنصرف تماماً عن التفكير في أي قلق أو ترقّب، والغارق في السرور والسعادة والنشاط بشكل لا يترك أي مجال للغمّ والحسرة أن تعكّر عليه صفوه، وحتّى أنّه ينسى تماماً هول قيام القيامة، والحضور في محكمة العدل الإلهية، تلك المواقف التي لولا نسيانها فإنّها حتماً ستلقي بظلالها الثقيلة من الغمّ والقلق على القلب، وبناءً على ذلك فإنّ أحد الآثار المترتبة على إنشغال الذهن بالنعمة هو نسيان أهوال المحشر(١).

كما ذكر القرآن الكريم أن هذا الفرح الذي يجازي الله به المؤمنين الصادقين، تبدأ سماته بعد الموت مباشرة، فيقيهم من أهوال المحشر والقيامة، ويظل مصاحباً لهم في كل المواقف حتى دخولهم الجنة واستقرارهم فيها، كما قال تعالى عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وكما في القرآن الكريم، فقد وردت البشارة بهذا النعيم المعنوي الذي يصاحب نفوس أهل الجنة وقلوبهم في الحديث الشريف، حيث رُويَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله ﷺ: (إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ)(٣).

ومنها ما ورد في فرح أعلاهم منزلة وسعادتهم بعطاء الله تعالى لهم، وهم المتحابين في الله تعالى من غير أرحام بينهم، في قوله ﷺ: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ)، وقرأ هذه الآية (﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤))(٥).

وكذلك ما ورد عنه ﷺ في فرح أدناهم منزلة، وما أعدَّه تعالى لأعلاهم قوله ﷺ: (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ:

(١) (يُنظر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٤/ ٢١٠، ٢١١.

(٢) [سورة آل عمران: الآيات ١٦٩- ١٧٠].

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح ٦١٨٢: ٥/ ٢٣٩٧، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٥٠: ٤/ ٢١٨٩.

(٤) [سورة يونس: الآية ٦٢].

(٥) سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في الرهن، ح ٣٥٢٩: ٣/ ٣١١، سكت عنه أبو داود، وقد قال في رسالته لأهل مكة: ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض. رسالة أبي داود لأهل مكة (نسخة محققة): ٢٨.



رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)، قَالَ ﷺ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[١])[٢].

وجميل ما قاله الحطيئه في ديوانه في تقوى الله تعالى والسعادة التي تقترن بها[٣]:

وَلَسْتُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ ... وَلَكِنَّ التَقِيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً ... وَعِندَ اللهِ لِلأَتقى مَزيدُ

ثانياً: المقاصد العقدية في حزن العصاة وشقائهم في جهنم

قال ابن سيده رحمه الله (الحزن نقيض الفرح. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[٤] قالوا فيه: الحزن: هم الغداء والعشاء، وقيل: هو كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان)[٥].

وورد في مفردات ألفاظ القرآن الكريم (الحزن: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره: إذا حزنته، يقال حزن يحزن، وحزنته وأحزنته قال عز وجل: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾[٧])[٨].

ومثله الندم والندامة، وهو (التحسر من تغير رأي في أمر فائت، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[١٠]، وأصله من منادمة الحزن له)[١١].

ومثله الشقاء، وغيرها من الآلام النفسية التي تندرج تحت شقاء الكافرين يوم القيامة، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: (الشقاوة: خلاف السعادة، وقد شقي يشقى شقوة، وشقاوة، وشقاء. فكما أن السعادة في الأصل

(١) [سورة السجدة: الآية ١٧].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً، ح ١٨٩: ١/ ١٧٦.

(٣) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: سمير جانب، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية: ٢/ ١٦٨.

(٤) [سورة فاطر: من الآية ٣٤].

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، حرف الحاء، الحاء والزاي والنون، مادة (الحزن): ٣/ ٢٢٤، ٢٢٥، بتصرف يسير.

(٦) [سورة آل عمران: من الآية ١٥٣].

(٧) [سورة التوبة: من الآية ٩٢].

(٨) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب الحاء، مادة (حزن): ١/ ٢٢٩.

(٩) [سورة المائدة: من الآية ٣١].

(١٠) [سورة المؤمنون: الآية ٤٠].

(١١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب النون، مادة (ندم): ٢/ ٤١٤.

ضربان: سعادة أخروية، وسعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية وبدنية وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب، وهي الشقاوة الأخروية. قال عز وجل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[(١)][(٢)].

يتذوق المسيؤون والمجرمون في كل لحظة تمر عليهم من الآلام النفسية والغصص والندم والاكتئاب ما يتناسب مع ذلك العتو والبطر والكبرياء التي كانوا يعيشونها في الدنيا، كما قال تعالى عن ذلك الذي ينال صحيفته بشماله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[(٣)].

ذلك أن هؤلاء قد أوتوا كتبهم بشمالهم، فتملكتهم الحسرة والندم من هذه اللحظات وترافقهم وهم يُعذَّبون في نار الجحيم، فيصور تعالى موقفهم هذا، وذكره السيد قطب رحمه الله في مشاهد القيامة بقوله: (أدركته الحسرة، وركبته الندامة، فنسمعه يتوجع توجعاً طويلاً، وقد ثبُت المشهد كأنه لا يتحرك ﴿يالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾. لقد طال استعراضه ليتحقق التأثر الوجداني بتأوه الندم وتفجع الحسرة، فإن تم هذا الغرض يستمع في رهبة، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[(٤)]، فهنا كل شيء مفصَّلاً مطول، فمن الجمال الفني، ومن التأثر الوجداني، ومن الغرض الديني ما يجعل لطول الموقف غايته المقصودة)[(٥)].

ومثل ذلك الغم والحزن ما ورد من الندم والحسرة في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[(٦)].

وهكذا يذكر القرآن الكريم مشاهد كثيرة عن تلك الحسرات ومشاعر الندم التي يعبر بها المسيؤون عن سوء المصير الذي اختاروه لأنفسهم، وذلك عند تذكرهم لكل موقف من مواقف السوء، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[(٧)].

وكذلك ما ورد في الحديث الشريف من الندم والحسرة يومئذٍ لأهل النار حين يرون أمرهم قد قُضي، وليس من عودة لما كانوا عليه، لما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه من قوله ﷺ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ

---

(١) [سورة طه: من الآية ١٢٣].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، كتاب الشين، مادة (شقا): ١/ ٥٤٧.

(٣) [سورة الحاقة: الآيات ٢٥ ـ ٢٩].

(٤) [سورة الحاقة: الآيات ٣٠ ـ ٣٢].

(٥) (يُنظَر) مشاهد القيامة في القرآن: ٢١٥، ٢١٦.

(٦) [سورة الحج: الآية ٢٢].

(٧) [سورة الفرقان: الآيات ٢٧ -٢٩].

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا) ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)(٢).

وما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: (كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي، فَيَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً) قَالَ ﷺ: (وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ هَدَانِي، قَالَ: فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا)(٣).

وقد جاء في هذا الحزن الدائم والتحذير منه في قول الإمام علي عليه السلام: (فمن يبتغ غير الإسلام ديناً، تتحقق شقوته، وتنفسم عروته، وتعظم كبوته(٤)، ويكون مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل)(٥).

وتكون مراتبهم في هذا الحزن والعذاب بحسب جرائمهم؛ أما أولئك الذين أذاقوا المستضعفين كل ألوان الآلام، فتسببوا في قتلهم وتشريدهم وإيذائهم، فإن كل تلك الغصص التي أصابوهم بها تتحول إليهم أضعافاً مضاعفة.

لذلك فقد كان دأب الصالحين من عباد الله تعالى التعوذ مما ورد من الحزن والحسرة يوم القيامة، ومنها ما ورد في مناجاة الإمام السجاد عليه السلام والذي نستأنسُ به أن يكون خاتمة مباحثنا بالتوجه بكلماته الى الله تعالى في دعائه بقوله: (اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والانين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك، يا من قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحب إلي مما سواك، وأن تجعل حبي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً من عصيانك، وامنن بالنظر إليك علي وانظر بعين الود والعطف إلي، ولا تصرف عني وجهك، واجعلني من أهل الاسعاد والحظوة عندك، يا مجيب يا أرحم الراحمين)(٦).

---

(١) [سورة مريم: الآية ٣٩].

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم، ح ٤٤٥٣: ٤/ ١٧٦٠، وبلفظ مقارب في صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٤٩: ٤/ ٢١٨٨.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند ابي هريرة رضي الله عنه، ح ١٠٦٦٠: ٢/ ٥١٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري

(٤) كبوته: سقطته. نهج البلاغة: الخطبة ١٦١: ٢/ ٢٠٨، هامش (٢).

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٦١: ٢/ ٢٠٨.

(٦) الصحيفة السجادية، مناجاة المحبين: ٤١٣.



خلاصة الفصل الرابع

وبعد هذه الدراسة المقاصدية للجزاء الاخروي من النعيم والعذاب وصورهما من المصادر النقلية الصحيحة، وما يتوافق معها مما يذهب إليه العقل البشري في إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء، من جزاء أو عقابٍ أو غيرهما، نخلص من هذا الفصل بأمور عدة، منها:

١ـ اقتضت إرادة الله تعالى وعدالته أن يبين للناس كافة ما في هذا التصنيف للعباد ومنازلهم من مقاصد كبرى في إثبات الذات الإلهية بصفاتها وأسمائها الحسنى، فضلاً عن مقاصد العباد في الاتعاظ والتذكير، ليتجسد من ذلك أن في الاعتقاد بعالم ما بعد الموت وبقاء أثر أعمال الإنسان حتى يُجازى عليه بالسعادة أو الشقاء يمكنه أن يكون عامل وقاية متين إزاء الذنوب والمعاصي، كما يمكنه أن يكون عاملاً مهماً للحركة وللحث على الاستثمار الصحيح لما أودعه تعالى في الإنسان في سبيل خدمة الخلق بالحق.

٢ـ إن التمعن بمقاصد الرحمة او العدالة الإلهية التي نستنبطها من مراتب الجزاء المتعلقة بالسابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال يجعلنا نلتمس ذلك الاتقان الإلهي في هذا التصنيف والتدرج في الحساب بالحق والعدل الذي أمدَّهم تعالى به منذ لحظات احتضارهم حتى مستقرهم الأخير في الجنة أو النار.

٣ـ كثرة الصور الواردة في النصوص الكريمة من مظاهر النعيم والعذاب الحسي والمعنوي والتي وردت في العديد من المرات متتابعة غير منفصلة عن بعضها، وما يرافقها من مظاهر السعادة والشقاء، وغيرها من صفات الجنان العظيمة التي أعدها تعالى لمن اتقاه، أو ما ورد من المزج بين مظاهر النعيم ومظاهر العذاب، أو الجزاء الحسي مع المعنوي؛ فإنما يُلاحظ اكتمال الصور التي تُرغب بها أعدَّه تعالى للمحسنين، وتحذرهم مما أعدَّه تعالى للمسيئين.

كما إن سمات هذه الصور جميعاً تشترك بسمةٍ شاملة وهي أنها مشاهد حية، منتزعة من عالم الأحياء، استعملها تعالى كي تكون أقرب لما يستوعبه العقل الإنساني مع أن حقيقتها لم تخطر لبشرٍ.

٤ـ تندرج المقاصد العقدية المرتبطة بالجزاء الحسي والمعنوي بعد معرفتها تحت المقاصد العقدية الوجدانية بالدرجة الأساس؛ ذلك إن الإيمان بها ينير القلب ويزهد في الحياة الدنيا، ويملأ النفس المؤمنة ترغيباً وترهيباً فيما أعدَّه تعالى لعباده، ليكون ذلك سبباً في تحصين ظاهر سلوكه وباطنه عن الانحراف والانقياد للأهواء الزائفة، ليرتقي لأعلى المراتب المقاصدية السلوكية المتضمنة لصالح أعمال القلوب والجوارح.

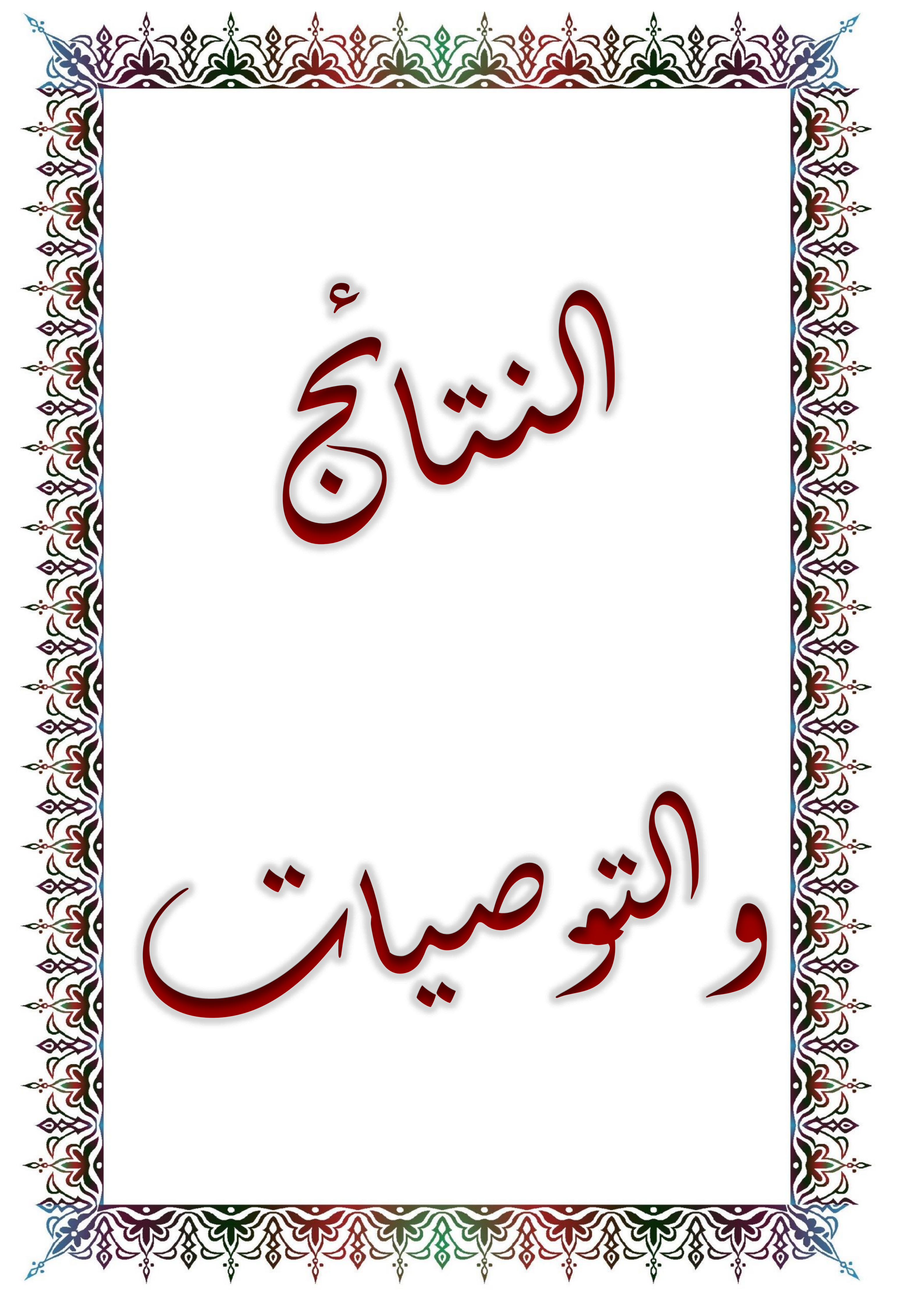
٥ـ على عكس ما في عذاب النار، فإن نعيم الجنةَ يخلو من جميع مكدرات الحياة الدنيا، فليس في الجنة أيٌّ من معاني البغض والحسد والحقد والصفات الذميمة، وهي مفعمة بالسعادة والحب والطهر، فضلاً عن ذلك فإن هذا النقاء والسعادة ليس لها من نهاية أو زوال بل هي دائمة وخالدةً خلودهم في الجنان.

لذلك فالجنة هي دار الراحة العظمى التي ينالها المحسنون والتي لا تشابه الراحة في الدنيا مهما كانت درجتها ونعيمها، والتي يُلهم سُكانها التسبيح والتحميد والتهليل لله تعالى على ما رزقهم من الفضل العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وما بكم من نعمة فمن الله

(١) [سورة يونس: الآيتان ٩، ١٠].




النتائج
والتوصيات

النتائج والتوصيات

اللهم... لك الحمد منا، والمَن والفضل أن جعلتنا من الناظرين في كتابك النازل من عندك بالحق، ولك الحمد والمن والفضل في أن جعلتنا من الباحثين بسنة نبيك ﷺ الناطق بالصدق، ولك الحمدُ والمَن والفضل على توفيقك إيانا وعونك في إتمام اليسير مما فرضته علينا في طلب العلم، اللهم ألهمنا حمدك وشكرك كما ألهمتنا الانفاس والنطق.

وبعد... فإننا من خلال هذه الرحلة في دراستنا الموسومة بـ (المقاصد العقدية في مباحث السمعيات)، نخرج بحمد الله تعالى على نتائج عدة، نجيب من خلالها، ومن خلال ما حوته هذه الاطروحة في طياتها عن اشكالية دراستنا الأساس في إمكان معرفة المقاصد العقدية في المباحث السمعية، عن طريق استنباطها من مواردها الأصلية، مع إمكان الإجابة على الإشكالات الكثيرة المثارة حولها، وقد خرجنا على أساسها بالنتائج والتوصيات التالية:

أولا . النتائج:

١ـ تتجلى كبرى المقاصد العقدية المرتبطة بالخالق تعالى في جميع أركان العقيدة الإسلامية ومسائلها الجزئية، ومنها ما يتعلق بالسمعيات من المسائل المرتبطة باليوم الآخر مما يتفق وحاكمية الله تعالى وربوبيته وعظيم قدرته، فضلاً عن مقاصد الجزاء التي ترتبط بالعدالة والرحمة والحكمة الإلهية والقيومية.

وتؤثر مقاصد هذا الإيمان على معارف ونفسيات العباد، فضلاً عن سلوكاتهم كافة، مما يُسهم في رُقي الحياة البشرية، ولو لم تكن هناك من حياةٍ بعد الموت، ومصيرٍ الى جنةٍ أو نار، ونعيمٍ أو عذاب لكانت الحياة في هذا العالم جوفاء وتافهة لا قيمةَ لها، أما مع الايمان بوجودها والتصديق بذلك فإنه يمنح الحياة الهدفية والغائية لها، فضلاً عن إخراجها من العبثية.

٢ـ لم تكن المقاصد العقدية بشكلٍ عام دراسة جديدة أو مبتكرة؛ إذ لم تخلو عقيدةً من غايةٍ أو مقصد وحكمة، إنما الجديد هو فتح باب دراستها وصب الاهتمام في هذا الاتجاه العقدي معرفياً ووجدانياً وسلوكياً؛ كي تعطي نتائجها في بناء أمةٍ مسلمةٍ، رسم لها تعالى ما تسير عليه من سبلٍ قويمة تؤدي بها الى أعلى الغايات وأسماها.

٣ـ إن أهمية دراسة المقاصد العقدية وتطبيقاتها تتوافق مع أهمية العقائد نفسها؛ ذلك أن معرفة المسلم لأركان عقيدته وفروعها معرفة مقاصدية حقيقية ليست جامدة، تؤدي به الى المقصد الأسمى من تثبيت هذه العقيدة في نفسه ووجدانه، مما يؤدي بدوره الى تطوير الفهم الايماني لها والرقي بها الى غاياتها المرجوة في رُقي علاقة العبد مع ربه، فضلاً عن علاقته مع مجتمعه التي تنتج عن سلوكه وأخلاقه معهم، مما يُعَد من أسمى النتائج المرجوة لهذه المقاصد.

٤ـ تختلف أنواع المقاصد العقدية باختلاف ماهيتها وتحققها وشموليتها ووقتها، فضلاً عن اختلاف مراتبها في كل نوعٍ منها بحسب ما ينعقد في نفس المؤمن من عقيدته، وما يصدر عنه من أعمال تعبدية، لنكتشف إن مقاصد

الشريعة الإسلامية فرع يتفرع من المقاصد العقدية، وهو ما نستنبطه خلال دراستنا لمراتبها.

وهي على اختلاف أنواعها ومراتبها فإنها تنبع جميعها من مصادرها الأصلية من النصوص الكريمة، فضلاً عن توافقها مع الفطرة السليمة وما يذهب إليه العقل البشري.

٥ـ ترتبط جميع المقاصد العقدية المتعلقة بمباحث السمعيات بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا وأفعاله في خلقه؛ فجميعها ترتبط بربوبية الله تعالى وكونه رباً للعالمين، كما ترتبط بقدرته ووحدانيته وانفراده بالأمر والتقدير والتدبير، ومثل ذلك ارتباطها بعدالته تعالى ورحمته ورأفته بعباده.

٦ـ من المقاصد العقدية المرتبطة بالبرزخ، وهي المرحلة ما بين الوفاة الى قيام الساعة تأهيل النفوس الى العالم الآخر، من خلال عرض بعض مشاهده عليهم، فالمؤمنون يلاقون بعض النعيم المُعَد لهم في الجنة تمهيداً لجزائهم في دار الخلود، ومثل ذلك المنحرفين الذين يعاينون بعض العذاب المُعَد لهم في الآخرة، كون هذه المرحلة تُعَد مرحلة تربوية تتهذب فيها نفوسهم لأجل تطييبهم من تبِعات ذنوبهم، فقد يكتفي بما يلاقوه في هذه المرحلة من العذاب أو تتعداه لما بعده من المواقف حتى يكونوا أهلاً لدخول الجنة.

٧ـ من المقاصد العقدية المرتبطة بالنفخ في الصور إحياء جميع الموتى وبعثهم وإحضارهم للمحشر بالإضافة لكون هذا النفخ له دور تكويني يجعل الأحياء المبعوثين مؤهلين بأجسامهم وقواهم للنشأة الثانية، بخلاف ما كان عليه حالهم في النشأة الأولى.

٨ـ من المقاصد العقدية للإيمان بالمعادين الجسماني والروحاني، توافقه مع القدرة الإلهية وحقيقة الروح، فضلاً عن مقصد توافقه مع الرحمة الإلهية والحقيقة الإنسانية؛ لأن مبادئ الجزاء الإلهي الذي وعد تعالى به عباده أن يرَوه بكافة جوارحهم بما يتناسب مع عظيم رحمته تعالى، فضلاً عن مقصد توافقه مع الحقائق العلمية المعاصرة من خلال ما ثبُت نتيجة الأبحاث العلمية الحديثة لما بعد تحليل رميم الإنسان وُجِد أنه مشابه تماماً لتراب الأرض في شكله وتركيبه الكيميائي، لما يجعل تصور هذا المعاد ممكناً عقلاً ولا سبيل لإنكاره.

٩ ـ من مقاصد الايمان بالموقف والحشر تجليات مالكية الله تعالى وقدرته، وقاهريته على عباده؛ فمع كونه تعالى مالكاً وملكاً في جميع الأوقات، وعلى جميع الأكوان، إلا إن ذلك يتجلى واضحاً حين ينقاد جميع الخلائق تحت رحمته تعالى وإرادته ومشيئته، ويصاحبه عظيم قدرته لما يحدث من تغييرات في مظاهر السموات والأرض، ومقصد التكامل الكوني في شمول الحشر لجميع الكائنات التي كانت موجودة في النشأة الأولى، وبصورة تتناسب مع الغاية التكاملية التي يسير بها الكون جميعاً.

١٠ ـ من المقاصد العقدية من نشر الصحف والحساب، مقصد إقامة الحجة على العباد بإعطائهم صحف أعمالهم قبل المحاسبة، فإذا جمعهم تعالى في الموقف، وأذِن بفصل القضاء فيهم، أعطاهم الله كتبهم ليقفوا على ما فيها، ويتذكروا ما قدموه في حياتهم من خير أو شَر، ومقصد مظاهر الجزاء الإلهي في تميز المؤمنين عن الكافرين وإفتراقهم

عنهم، ومقصد إكرام الباري تعالى لمن يُعفَون عن الحساب وأهواله، ومقاصد عدالته تعالى فيمن يُحاسبون.

١١ـ من المقاصد المرتبطة بعدالة الحساب وجود الشهود فيها، فمع كون الله تعالى شهيداً على كل شيء، إلا أنه قد جعل في ذلك اليوم من الشهداء على الأعمال؛ ولا سيَّما لمن ينكرون ويجحدون حتى ذلك الموقف، فكان تعالى أول الشهود عليهم، إذ يكتفي بعظم هذه الشهادة المؤمنون الصالحون، ثم الأنبياء والرسل عليهم السلام على أممهم، وشهادة كاتبي الأعمال من الملائكة، وشهادة البشر جميعاً، والجوارح، وكذلك شهادة الأرض والكائنات.

١٢ـ من المقاصد العقدية في موازين القيامة، تجلي دقة العدالة الإلهية، لدورها في بيان حقائق الأعمال ومنزلتها، سواء مقاصد القول بكونه ميزاناً حقيقياً، أو مقاصد القول بأن الميزان هو العدل والتسوية، فضلاً عن مقاصد بيان حقيقة الأعمال، وبيان حقيقة العامل ومنزلته، كذلك مقصد إقامة الحجة على العباد برؤية أعمالهم وآثارها.

١٣ـ من المقاصد العقدية من الايمان بنصب الصراط مقصد تجسيد الاستقامة وبيان دقتها، ذلك أن الصراط لا يتوقف على الجسر الممدود على متن جهنم، بل إنَّ له تأثيراً كبيراً في استقامة الخَلق على الطريق الحَق الذي يرتضيه الله تعالى لعباده في الدنيا قبل الآخرة، فضلاً عن مَقصد التفريق بين مراتب العباد كافة، ومقصد الإكرام الإلهي للمستقيمين في الدنيا وبيان أنوارهم عليه، وتبيين فضلهم أمام العباد.

١٤ـ المقاصد العقدية المرتبطة بالشفاعة من اثبات العدالة الإلهية، وذلك بوجود عدة شروط تتعلق بالشافع والمشفوع له كي تكون مقبولة منجيةً من العذاب، متوافقة مع عدالة الله تعالى في خَلقِه، فضلاً عن مقاصد التكريم الإلهي للشافعين، في اذنه تعالى لهم بالشفاعة وعلو شأنهم، ورضاه عنهم وعن المشفوع له، وكذلك مقاصد الرحمة الإلهية لأصحاب الذنوب من الموحدين، حيث ان الشفاعة سبباً تحصل لهم به المغفرة لذنوبهم ودخولهم الجنة.

١٥ـ من مقاصد الإيمان بالحوض يوم القيامة تكريم الله تعالى للنبي ﷺ وتبيين مكانته في ذلك الموقف، مع إن تكريمه ﷺ ظاهراً جلياً في جميع مواقف المحشر، ومقصد تكريم الله تعالى للمحافظين على الدين، ذلك أن الشُرب من الحوض الذي لا ظمأ بعده من بشارات المؤمنين الصالحين المحافظين على دينهم غير المبدلين، وكذلك مقصد إذلال المغيرين والمبدلين له، فضلاً عن مقاصد تجليات قدرته تعالى لأهل الموقف وحاكميته عليهم.

١٦ـ المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء السابقين المقربين، ومنهم الأنبياء عليهم السلام من التكريم الإلهي لهم وتشريفهم على العباد، وذلك لقربهم منه تعالى في الحياة الدنيا؛ ولما فيهم من الاستعدادات والقابليات المبنية على المجاهدات، ففي الآخرة يكونون أولى بهذا القرب والتشريف، فضلاً عن صدق الوعد الذي بشرهم و وعدهم تعالى به.

كذلك مقصد العدالة الإلهية في اختباره للأنبياء والرسل، مع تعرضهم لما يتعرض له جميع الناس من الابتلاءات والاختبارات وبيان مدى قوة ايمانهم ونشرهم لما وُكِلوا فيه من أسباب الهداية الى الدين الحق.

وكذلك تتحقق هذه المقاصد في بقية أصناف المقربين من الشهداء والصديقين والصالحين، فضلاً عن مقاصد الترغيب في الصفات الحسنى لهم ولمن سار وتبعهم على نهجهم من أجل الاتصاف بها والوصول بتطبيقها الى مرحلة

العبادة الحقة.

١٧ـ من المقاصد العقدية المرتبطة بجزاء أصحاب اليمين ونعيمهم، مقصد الرحمة الإلهية، فبرغم إن أعمالهم لم تصل بهم الى مرتبة المقربين ومنزلتهم العالية عند الله تعالى، إلا إنهم بالوقت ذاته ابتعدوا عن الصفات التي تنهدهم بها العقيدة الحقة، إذ لم تصل ذنوبهم الى الكفر بالله تعالى، فأهلَّهم ذلك لدخول الجنة برحمة الله تعالى، فضلاً عن مقصد التربية والحكمة الإلهية فيهم، حيث يبدأ تطهيرهم من ذنوبهم من لحظات الموت نفسها؛ كي يكونوا أهلاً للجنة بتطييبهم من أدران المعاصي والتقصير الذي وقعوا فيه.

كذلك مقصد العدالة الإلهية في جزائهم، حيث تختلف مراتبهم في الجنان بحسب استحقاقهم، سواء كانوا من المكلفين الذين بلغتهم الدعوة، أو غير المكلفين كالصبيان والمجانين والمرضى وغيرهم، فضلاً عن مقاصد الترغيب بالنعيم المهيأ لهم بالبعد عن المعاصي وكبائر الذنوب.

١٨ـ من أهم وأظهر المقاصد العقدية من الإيمان بعذاب أصحاب الشمال انقاذ الناس من الضلالة؛ لكونها السبب الأول المؤدي لغضب الله تعالى، عن طريق الإنذار والتحذير مما وقعوا فيه، فضلاً عن التحذير من الأفعال التي تقودهم لنيل هذا العذاب.

كذلك مقصد العدالة الإلهية متوافق تماماً مع خلودهم هذا في جهنم؛ وذلك لتحملهم الأوزار المتعدية للذين أضلوهم، أو أجرموا في حقهم، فضلاً عن الملكات التي عجنت بها نفوسهم، والتي قد لا يطيقون الانفكاك عنها مع طول العذاب، وتبعاً لهذا المقصد فإنهم إن كانوا من العصاة الموحدين فإنهم لم يخرجوا عن ربقة الايمان بالله تعالى فيُعَذَبوا حتى يتطهروا من ذنوبهم ليخرجوا من العذاب الى الجنان، أما بعفو الله تعالى عنهم، أو بانتهاء مدة عذابهم، أو بالشفاعة لهم من الشافعين، وهو جميعاً برحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته.

١٩ـ من المقاصد العقدية المرتبطة بالجزاء الحسي في نعيم الجنة أو عذاب النار توافقها التام مع ما وعد به تعالى على لسان رسله عليهم السلام في النصوص الكريمة، فضلاً عن مقاصد القدرة الإلهية في المظاهر الحقيقية لهذا النعيم، كذلك توافقه مع الكرم الإلهي، فضلاً عن توافق مقاصده مع ما يذهب إليه العقلالانساني؛ إذ تتحقق سعادة الأبدان في إدراك المحسوسات، وكذلك العذاب لا يشعر بحقيقته ما لم يكن مُشاهداً محسوساً.

٢٠ـ وكذلك الحال في المقاصد العقدية المرتبطة بالجزاء المعنوي من النعيم والعذاب، فمع عظمة ما أعدَّه تعالى للمؤمنين في صور هذه الرحمة والتكريم من الجزاء الحسي وما أعده من عذاب أليم للعصاة والكافرين، فإن الجزاء لا يقتصر على ذلك، بل إنه يتعداه لما يتشكل في نفسيات العباد مما تأثرت به من نعيم وعذاب.

وتندرج أغلب مقاصد الجزاء المعنوي تحت المقاصد الوجدانية، ذلك أن الايمان بها ينير القلب ويزهد في الحياة الدينا، ولكل صنفٍ منها مقاصده الخاصة سواء بالطمأنينة وتزكية النفوس والفرح والإكرام وجميع مظاهر السعادة، أو بشتى أنواع الآلام النفسية من الحسرة والندم والسخط والإهانة وجميع مضاهر الشقاء.

ثانياً ـ التوصيات:

وبعد تقصينا لأهم ما ورد في دراستنا هذه من النتائج، نتبعها بما نراه من التوصيات، منها:

١ـ النظر المقاصدي المستمر من التدبر في آيات الله تعالى والأحاديث الشريفة؛ سواءٌ في أمور العقيدة أم الشريعة أم الأخلاق والقصص والأمثال، إذ لم تخلو جميعها عن مقاصدَ جلية أو خفية؛ لأن إعمال العقل البشري في هذا النظر يؤدي دوراً كبيراً للربط بين العلم والعمل، والذي يحذو بدوره بالإنسان الى الرقي في سيره التكاملي الذي أراده تعالى له، والذي أُرسل به الأنبياء عليهم السلام كافة والنبي ﷺ خاصة في إتمام مكارم الأخلاق، والوصول بالإنسان الى أعلى مراتب العبودية التي أرادها تعالى له وما يقابلها من ذلك النعيم الخالد.

٢ـ تركيز الدراسات المقاصدية للعقائد وتطبيقاتها في جميع أركان العقيدة الإسلامية ومسائلها الجزئية، ومحاولة التأكيد عليها والتوسع فيها؛ لما له من دور وأهمية كبيرة في البناء العقدي للفرد المسلم، فضلاً عن أهميته في الرد على ما يتعرض له الإسلام من حركات فكرية إلحادية، والدفاع عن هذه العقيدة؛ وكذلك تأثيرها الكبير في النفوس؛ لكون هذه الدراسات تُعَد مدرسة تربوية لها تأثيرها الكبير في المؤمنين لأجل إعدادهم للخلود والنعيم المتمثل بالكمال الذي هُيء لهم.

وختاماً، فإنما دراستنا المتواضعة هذه المليئة بالقصور، فقد حاولتُ من خلالها قدر الإمكان أن أصِل الى أهم المقاصد العقدية في مباحث السمعيات، من خلال استقراء النصوص في كل مسألة ثم استنباط آراء العلماء فيها من مفسرين ومتكلمين وأضفتُ إليها رأيي القاصر، وبناءً على ذلك فقد جاءت هذه الدراسة في الرد على النظريات التي تنفي مبدأ الحياة بعد الموت وما يتبعه من أحداث اليوم الآخر، والذي ينتج عنه تدريجياً نفي أصل الإيمان في النفوس، فضلاً عن بيان مقاصد العقيدة الإسلامية لما يتعلق بمسائله وأحداثه من بداية خروج الروح من بدن الإنسان باحتضاره حتى مستقرها في الجنان برحمة الله تعالى أو الجحيم والعياذ بالله.

ولا يسعني وإذ وصلتُ الى هذه المرحلة بفضل الله تعالى إلا أن أقدِّم هذه البضاعة المزجاة ليد من يقيمها ويقوِمها لعلَّها تصل الى الصورة المرجوّة منها، فإن كان فيها من القصور فليس هو بالعجب من باحثٍ يلتمس النصح والتوجيه لتصحَّ صياغتها فيصحَّ معناها.

وما كان فيها من تسديدٍ وصواب فإنما هو تمام فضل الله تعالى وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.




المصادر
والمراجع

المصادر المراجع

من أهم المصادر والمراجع التي وفقنا تعالى لاقتنائها لتعيننا في إعداد هذه الاطروحة بعد مرجِعنا الأول والأساس القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفات، رأينا تقسيمها الى أصنافٍ ثلاثة، هي:

أولاً: الكتب والمؤلفات

١. **الإبانة في أصول الديانة** ـ علي بن اسماعيل الاشعري (ت٢٤٠هـ)، تحقيق وتعليق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢. **الأبعاد الشرعية لتربية الأولاد** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٧م.

٣. **ابن سينا ومذهبه في النفس،** فتح الله خليفة ـ بيروت: ١٩٧٤.

٤. **الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء والطرق الصوفية وأثرها في التعامل بينهما ـ** د. نور الدين ابولحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

٥. **الإتقان في علوم القرآن** ـ الامام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٦. **اثبات عذاب القبر** ـ احمد بن الحسين بن علي بن موسى. ابو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق: شرف محمود القضاة، دار الفرقان ـ عمان، الاردن، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

٧. **الاجتهاد المقاصدي** ـ حجيته، ضوابطه، مجالاته ـ د. نور الدين ابن مختار الخادمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨. **الاجتهاد، تأثيره وتأثره في فقهي المقاصد والواقع** ـ د. عبد الرؤوف بن محمد أمين الإندونيسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

٩. **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة** ـ العلامة شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي (ت ٦٤٨هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. بكر زكي عوض، سلسلة مقارنة أديان، حدائق القبة ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠. **الأحاديث الطوال** ـ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء ـ الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٣.

١١. **الاحتجاج** ـ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، مركز الأبحاث العقائدية.

١٢. **أحكام أهل الذمة** ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: يوسف أحمد البكري ـ شاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر ـ دار ابن حزم، الدمام ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣. **الإحكام في أصول الأحكام** ـ الإمام أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان (د. ط).

١٤. **الإحكام في علم الكلام** ـ السيد محمد حسين ترحيني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٩٣.

١٥. **أحوال البرزخ والآخرة** ـ زين الدين الإحسائي، جمع وإعداد وتعليق: صالح أحمد الدباب، دار المحجة البيضاء ـ مؤسسة شمس هجر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م.

١٦. **إحياء علوم الدين** ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان (د ط).

١٧. **الأخلاق في القرآن** ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ومجموعة من الفضلاء، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام قم، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

١٨. **أربعون حديثاً من الصحاح العوالي** ـ أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد النيسابوري (ت٥٤١هـ)، تخريج الأحاديث والتعليق: مفلح بن سليمان الرشيدي، وبدر الدين بن فواز المطرفي، دار الخضيري للنشر والتوزيع ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

١٩. **الأربعين في أصول الدين** ـ محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، مطبعة دار التضامن ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٢٠. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** ـ أحمد بن محمد بن أبى بكر شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ـ مصر، الطبعة السابعة: ١٣٢٣ هـ.

٢١. **ارشاد الطالبين** ـ المقداد بن عبد الله بن محمد السيوري الأسدي، (أصل الكتاب تعليق السيوري على كتاب نهج المسترشدين لأبي منصور بن المطهر الحلي)، مطبعة ملك الكتاب: ١٣٠٣هـ.

٢٢. **ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم** ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار احياء التراث ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٩٩٩م.

٢٣. **الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** ـ إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحمد، مطبعة السعاد، ومكتبة الخانجي ـ مصر، ١٣٦٩هـ: ١٩٥٠م.

٢٤. **أساس البلاغة** ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٥. **الاستذكار** ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٦. **الاستنساخ جريمة العصر** ـ محمد نبيل النشواتي، دار العلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى:. ٢٠٠٥م.

٢٧. **أسرار الأقدار** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٢٨. **أسرار ما بعد الموت بين الدين والعقل** ـ د. نور الدين أبو لحية، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ:

٢٩. **الاسس المنطقية للاستقراء** ـ السيد محمد باقر الصدر، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (د. ط).

٣٠. **الأسماء والصفات** ـ أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق وتخريج الأحاديث: عبد الله بن محمد الحاشدي، تقديم: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١. **الإشارات والتنبيهات** ـ ابو علي بن سينا (٤٢٧هـ) مع شرح نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ـ مصر الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٢. **الاصلاح الاجتماعي عند ابي حامد الغزالي** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ.

٣٣. **اصول الدين** ـ الإمام أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي (ت٤٢٩هـ)، طبع ونشر مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، مطبعة الدولة، اسطنبول، الطبعة الأُولى: ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.

٣٤. **أصول الدين الإسلامي** ـ د. رشدي محمد عليان، و د. قحطان عبد الرحمن الدوري، دار الإمام الأعظم، بغداد ـ العراق، الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

٣٥. **أصول الدين** ـ الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت٥٩٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٦. **اصول العقائد في الإسلام** ـ السيد مجتبى الموسوي اللاري، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، مطبعة الهادي ـ قم، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٧. **اصول النظام الاجتماعي في الإسلام** ـ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٥م.

٣٨. **اصول علم النفس** ـ د. أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع الساحل ـ القاهرة، الطبعة السابعة (د. ت).

٣٩. **الأضحوية في المعاد** ـ ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، ضبط وتحقيق: حسن عاصي أنصار، الناشر شمس التبريزي، ١٩٨٣م.

٤٠. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤١. **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين** ـ (حاشية إعانة الطالبين) ـ أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (ت بعد ١٣٠٢هـ)، (وهو حاشية على حل الفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين ـ لزين الدين بن عبد العزيز المليباري (ت٩٨٧ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٤٢. **الاعتقادات في دين الامامية** ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣.

٤٣. **الأعلام** ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م.

٤٤. **أعيان الشيعة** ـ السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، تحقيق واخراج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

٤٥. **الأغاني** ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: سمير جانب، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية.

٤٦. **الاقتصاد في الاعتقاد** ـ الإمام محمد أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، شرح وتحقيق وتعليق: د. إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٧. **الاقتصاد في الاعتقاد** ـ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي (ت٦٠٠هـ)، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي ـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى:١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٨. **الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد** ـ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ـ ١٩٨٦م.

٤٩. **أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد** ـ الشيخ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ إيران: ١٤٠٣هـ.

٥٠. **أقسام العلوم العقلية لابن سينا** ـ ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة هندية ـ مصر: ١٩٠٨م.

٥١. **اكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع** ـ د. أحمد صبحي منصور، القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م (د. ط).

٥٢. **اكمال المعلم بفوائد مسلم** ـ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٣. **أكوان الله** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧.

٥٤. **الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل** ـ الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة (د. ت).

٥٥. **أمالي الصدوق** ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، قدَّم له: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٥٦. **الإمام في بيان أدلة الأحكام** ـ أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٧. **الأمثل في تفسير كتاب الله المُنَزَل** ـ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٥٨. **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٩. **الانساب** ـ الشيخ عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٦٠. **الإنصاف** ـ القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت٤٠٣هـ)، تحقيق وتعليق: الامام محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ المكتبة الأزهرية للتراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦١. **أنوار الحكمة** ـ العلامة محمد بن المرتضى محسن الملَقَب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، دار الأميرة ودار القارئ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٦٢. **أوائل المقالات في المذاهب و المختارات** ـ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، ابو عبد الله (ت٤٣١هـ)، تحقيق: السيد ابراهيم الانصاري الزنجاني، دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٣. **أوهام وحقائق** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ.

٦٤. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ـ أبوبكر جابر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، (د. ت).

٦٥. **الايمان اركانه، حقيقته، نواقضه** ـ الدكتور محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ الاسكندرية، (د. كط).

٦٦. **الايمان بعوالم الآخرة ومواقفها** ـ عبد الله سراج الدين، مطبعة الأصيل، حلب ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٧. **باب ذكر المعتزلة وطبقاتهم** ـ أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: توما آرلند، شركة دار الوراق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.

٦٨. **بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار** ـ العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٩. **البحر الزخار مسند البزار** ـ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار (ت٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.

٧٠. **بداية الحكمة** ـ محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ عباس علي السبزواري، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ.

٧١. **بداية المعرفة** ـ الشيخ حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٢. **البداية والنهاية** ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٣. **البراهين القاطعة في تجريد العقائد الساطعة** ـ محمد جعفر الأسترآبادي (ت١٢٦٣هـ)، إعداد وتحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ـ قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣٨٢هـ.

٧٤. **البرهان في تفسير القرآن** ـ السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، حققه وعلَّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٧٥. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ـ الشيخ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ ـ١٩٧٣م.

٧٦. **البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة** ـ د. علي آرسلان آيدين، دار سخا للنشريات ـ استانبول، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٧. **البعث والنشور** ـ الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٨. **تاج العروس من جواهر القاموس** ـ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم، الأستاذ كريم سيد محمد محمود ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م.

٧٩. **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول** ـ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٨٠. **تاريخ الاسلام** ـ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ضبط وتحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨١. **تاريخ الفلسفة** ـ إميل برهييه، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٨٢. **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية ـ محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر.

٨٣. **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)** ـ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٨٤. **التبيان في تفسير القرآن** ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب العاملي، نشر: دار إحياء التراث ـ قم.

٨٥. **تبيين كذب المفتري في ما نُسِب لأبي الحسن الأشعري** ـ علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، مطبعة القدسي ـ دمشق الشام: ١٣٤٧هـ.

٨٦. **تتمة الأعلام للزركلي** [وفيات (١٣٩٦ ـ ١٤١٥هـ) (١٩٧٦ ـ ١٩٩٥م)، ويليه المستدرك الأول والثاني ـ محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ.

٨٧. **تجريد العقائد** ـ محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، دراسة وتحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية ـ مصر: ١٩٩٦م.

٨٨. **التحبير في المعجم الكبير** ـ عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف ـ بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٨٩. **التحرير والتنوير** ـ الامام محمد الطاهر ابن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ـ تونس: ١٩٨٤.

٩٠. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ـ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩١. **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد** ـ الشيخ إبراهيم محمد الباجوري(ت ١٢٧٧هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٤هـ.

٩٢. **التذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة** ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي(ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

٩٣. **تصحيح اعتقادات الإمامية** ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابي عبد الله العكبري البغدادي (ت٤٣١هـ) تحقيق: حسين دركاهي، مطبعة مهر، قم ـ إيران، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

٩٤. **التعريفات** ـ علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، المطبعة الخيرية ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٣٠٦ هـ.

٩٥. **تفسير ابن عرفة برواية الأبي** ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت٨٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

٩٦. **تفسير الجلالين** ـ الامام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

٩٧. **التفسير الحديث** (مرتب حسب ترتيب النزول)، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة: ١٣٨٣.

٩٨. **تفسير الشريف المرتضى المُسمى ـ نفائس التأويل** ـ جمعه لجنة من العلماء والمحققين بإشراف: السيد مجتبى أحمد الموسوي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى (د. ت).

٩٩. **تفسير الشعراوي** ـ الخواطر ـ محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (د ط) (د ت)، رقم الإيداع عام ١٩٩٧م.

١٠٠. **تفسير العز بن عبد السلام** ـ (وهو اختصار لتفسير الماوردي) ـ أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠١. **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب** ـ محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٠٢. **تفسير القرآن (تفسير السمعاني)** . منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠٣. **تفسير القرآن العظيم** ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٤. **تفسير القرآن العظيم** ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت ـ بيروت، الطبعة الأولى: ـ ١٤١٩هـ.

١٠٥. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم** . أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ.

١٠٦. **تفسير القرآن الكريم** . محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، مع تعليق: المولى علي النوري، مطبعة سيد الشهداء، قم ـ إيران: ١٣٠٢هـ.

١٠٧. **التفسير القرآني للقرآن** ـ عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر.

١٠٨. **تفسير القمي** ـ أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي (من أعلام القرنين ٣.٤)، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الخراساني، مطبعة النجف الأشرف: ١٣٧٨هـ.

١٠٩. **تفسير الكاشف** ـ محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٩٩٠م.

١١٠. **تفسير المنار** ـ محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠م.

١١١. **التفسير المنسوب الى الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري** عليه السلام . تحقيق: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، اشراف: السيد محمد باقر الاصفهاني، مطبعة اعتماد ـ قم، الطبعة الثانية: ١٤٣٣هـ.

١١٢. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ـ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر ـ دمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ.

١١٣. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** . عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٤. **تفسير جوامع الجامع** . أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١١٥. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم** . محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٦. **تفسير نور الثقلين** . الشيخ عبد على بن جمعة العروسي الحويزى (ت١١١٢هـ)، مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران.

١١٧. **تقريب المعارف** ـ الإمام الفقيه أبو الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي (ت٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، الناشر: فارس تبريزيان، ١٤١٧هـ.

١١٨. **تكملة معجم المؤلفين** . وَفيات (١٣٩٧ ـ ١٤١٥هـ) (١٩٧٧ ـ١٩٩٥م)، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأول: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٩. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب: ١٣٨٧هـ.

١٢٠. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ـ أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٧٧م.

١٢١. **تنوير الحلك في رؤية النبي والملك** ـ جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٢٢. **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** ـ ينسب الى الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـلبنان (د ط).

١٢٣. **التنويريون والصراعات مع المقدسات** ـ د. نور الدين أبو لحية، مؤسسة العرفان لثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ.

١٢٤. **تهافت الفلاسفة** ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة السادسة.

١٢٥. **تهذيب اللغة ـ** أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

١٢٦. **التوحيد** ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (ب. ط).

١٢٧. **التوحيد والتزكية والعمران** ـ محاولة في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، د. طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

١٢٨. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** ـ ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٥هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١٢٩. **التوقيف على مهمات التعاريف** ـ زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٠. **التوهم في وصف أحوال الآخرة** ـ الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ)، مكتبة التراث الإسلامي، تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض جعفر، سوريا ـ حلب.

١٣١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ت١٣٧٦)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٣٢. **ثمرة الأبحاث العقائدية** ـ محاضرات الشيخ أحمد الماحوزي، تعليق: السيد مصطفى المزيدي، مكتبة أهل الذكر (د. ط).

١٣٣. **جامع الأخبار أو معارج اليقين في اصول الدين** ـ الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: الشيخ علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٤. **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)** ـ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م.

١٣٥. **الجامع الصحيح المختصر** ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٦. **جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن** - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الثانية: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٣٧. **الجامع لأحكام القرآن** - تفسير القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٣٨. **الجامع لشعب الإيمان** - الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق ومراجعة وتخريج أحاديث: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٩. **جزء ابن عمشليق** - أحمد بن علي بن محمد الجعفري أبو الطيب (ت قبل ٤هـ)، تحقيق: خالد بن محمد بن علي الأنصاري، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٤٠. **جمهرة اللغة** - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الآزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م.

١٤١. **الجنة والنار** - عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة السابعة: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

١٤٢. **جواهر القرآن** - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٥م.

١٤٣. **جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام** - عبد الكريم المدرس، دار الحرية للطباعة، بغداد - العراق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤٤. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** - عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي: ١٣٣٢هـ.

١٤٥. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** - محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، مطبعة المدني، القاهرة.

١٤٦. **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني** - أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت١١٨٩هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٤٧. **الحدود (المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلامية)** - الشيخ قطب الدين أبي جعفر محمد بن الحسن النيسابوري المقري(ت٥٤٧هـ)، تحقيق: محمود يزدي مطلق، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للتحقيق والتأليف، قم - إيران، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤٨. **الحديث في علوم القرآن والحديث** - حسن محمد أيوب (ت١٤٢٩هـ)، الناشر: دار السلام - الإسكندرية، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٤٩. **حسن الظن بالله** - أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥٠. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٥١. **حق اليقين في معرفة اصول الدين** - السيد العلامة عبد الله شُبَّر (ت١٢٤٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٥٢. **الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية** ـ الشيخ فاضل الصفار، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

١٥٣. **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة** ـ صدر الدين محمد الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥٤. **الحياة الأخرة ما بين البعث الى دخول الجنة أو النار** ـ د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية ـ جدة، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥٥. **الخصال** ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ـ الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين ـ قم، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

١٥٦. **الداء والدواء** ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج الأحاديث: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ.

١٥٧. **الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين** ـ السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.

١٥٨. **الدر الثمين في أسماء المصنفين** ـ علي بن أنجب بن عثمان، تاج الدين ابن السَّاعي (ت٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ـ محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

١٥٩. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ـ الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٦٠. **دراسات عقائدية** ـ إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ.

١٦١. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد حنان ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ـ الهند، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٦٢. **دروس في الشفاعة والاستشفاع** ـ علي الحسيني الصدر، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ.

١٦٣. **دفع شبه من شبه وتمرد** ـ أبو بكر الحصني الدمشقي (ت٨٢٩هـ)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ـ مصر.

١٦٤. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** ـ للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تدقيق وتعليق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، بيروت ـ لبنان: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٦٥. **دور العقيدة في بناء الإنسان** ـ مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ.

١٦٦. **الدين والإسلام** ـ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء النجفي(ت١٨٧٧ ـ١٩٥٦م)، تقديم وتحقيق: محمد جاسم الساعدي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

١٦٧. **الدين** ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٦٨. **الذخيرة في علم الكلام** ـ لعلم الهدى السيد علي بن الحسين بن موسى، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٦٩. **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ العلامة الشيخ آقا بزرك، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان (د. ط).

١٧٠. **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** . محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٧١. **رجال العلامة الحلي -** جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ)، مخطوطة، موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية . www.al-mostafa.com

١٧٢. **رجال النجاشي** - الشيخ ابو العباس، احمد بن علي بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٧٣. **رسالة أضحوية في أمر المعاد** - ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، ضبط وتحقيق: الأستاذ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

١٧٤. **رسالة الى أهل الثغر** - علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو موسى الأشعري (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.

١٧٥. **رسالة في أسس العقيدة** - د. محمد بن عودة السعودي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - السعودية، الطبعة الأُولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٧٦. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني** - الإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

١٧٧. **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة** - الشيخ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت: ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

١٧٨. **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** - العلامة السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت١٣١٣هـ)، مكتبة اسماعيليان، المطبعة الحيدرية، طهران - إيران: ١٣٩٠هـ.

١٧٩. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨٠. **روضة الواعظين** - الشيخ العلامة محمد بن الفتال النيشابوري (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: غُلا محسين المجدي، ومجتبى الفرجي، مطبعة نكارش، قم - إيران، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

١٨١. **رياض العلماء وحياض الفضلاء** - الميرزا عبد الله افندي الاصبهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: السيد احمد الحسيني، مطبعة الخيام - قم ١٤٠١هـ.

١٨٢. **زاد المسير في علم التفسير** - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العربية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٨٣. **زاد المعاد في هدى خير العباد** - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة عشر: ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

١٨٤. **زهر الآداب وثمر الألباب** - إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت - لبنان (د. ط).

١٨٥. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير** - الإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة - مصر، ١٢٨٥هـ.

١٨٦. **سلم الوصول إلى طبقات الفحول** ـ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت١٠٦٧ هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسيكا، إستانبول ـ تركيا، ٢٠١٠م.

١٨٧. **سنن ابن ماجة** ـ ابن ماجة أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت).

١٨٨. **سنن أبي داود** ـ الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأَزَدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، ضبط وتحقيق وتعليق: شُعيب الأرنؤوط، و محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية دمشق ـ الحجاز، طبعة خاصة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

١٨٩. **سنن الترمذي (الجامع الكبير)** ـ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ١٩٩٨م.

١٩٠. **السيد كمال الحيدري** ـ سيرته، منهجه، آثاره ـ د. حميد مجيد هدو، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٩١. **سير أعلام النبلاء** ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الحادية عشرة: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٩٢. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ـ عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٩٣. **شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة** ـ الامام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة ـ السعودية، الطبعة الثامنة: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٩٤. **شرح اصول العقائد** ـ الشيخ عبد الجليل علي الأمير، تقريظ الحكيم عبد الله الأحقافي، منشورات دار الوعي الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٩٥. **شرح الأصول الخمسة** ـ القاضي عبد الجبار بن احمد الهمذاني الآسدآبادي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ـ القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٩٦. **شرح الباب الحادي عشر** ـ العلامة الحلي، مع شرحيه النافع يوم المحشر لمقداد بن عبد الله السيوري(ت٨٢٦هـ)، ومفتاح الباب لأبي الفتح بن مخدوم الحسيني، تحقيق وتقديم: مهدي محقق، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ ايران، الطبعة الأُولى: ١٤٢٣هـ.

١٩٧. **شرح الخريدة البهية في علم التوحيد** ـ الشيخ احمد بن محمد العدوي الشهير بـ الدردير(ت١٢٠١هـ)، تحقيق وتعليق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، (ب. ط)

١٩٨. **شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور** ـ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٩٩. **شرح العقائد النسفية** ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩١هـ)، تعليق: عبد السلام عبد الهادي شنَّار، دار البيروتي، ودار ابن عبد الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٠٠. **شرح العقيدة الطحاوية** ـ ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٣٩١هـ.

٢٠١. **شرح المعلقات العشرة** ـ القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م.

٢٠٢. **شرح المقاصد** ـ الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله ـ سعد الدين التفتازاني(ت٧٩٣هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م

٢٠٣. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** ـ عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع ـ سوريا (د. ط).

٢٠٤. **شرح صحيح البخاري** ـ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ـ ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية:١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٣م.

٢٠٥. **الشعر والشعراء** ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٢٠٦. **شفاء السقام في زيارة خير الأنام** ـ العلّامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥١هـ)، اعتنى به: منصور خليفة الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٠٧. **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل** ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: د. حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد ـ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

٢٠٨. **الشفاعة** ـ بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها ـ السيد كمال الحيدري، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٠٩. **الشفاعة** ـ محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين، د. مصطفى محمود، سلسلة كتاب اليوم، إصدار كل شهر، عدد يوليو ١٩٩٩م.

٢١٠. **الشفاعة حقيقة إسلامية** ـ إصدار مركز الرسالة، مكتب السيد علي الحسيني السيستاني، سوريا ـ دمشق، (ب. ط).

٢١١. **الشفاعة في الكتاب والسنة** ـ الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢١٢. **الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢ ـ ١٣٧٧هـ)** حياته وآثاره، إعداد: سعود بن صالح بن محمد السيف، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢١٣. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ـ اسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢١٤. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢١٥. صحيح **مسلم ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ** مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م

٢١٦. **الصحيفة السجادية** ـ للإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين ـ عليه السلام، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، الدار الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢١٧. **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية** ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢١٨. **ضياء الصالحين** ـ في الأدعية والزيارات ـ الحاج صالح الجوهري، منشورات لقاء، قم، الطبعة الثالثة عشر، ١٣٨٦هـ.

٢١٩. **الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان** ـ على الآلوسي، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي ـ طهران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٢٠. **طبقات الشافعية الكبرى** ـ نصير الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٢٢١. **طرح التثريب في شرح التقريب** ـ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، وأكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي (ت٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٢٢٢. **طرق الكشف عن مقاصد الشارع** ـ د. نعمان جُغيم، دار النفائس للنشر والتوزيع ـ الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٢٢٣. **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٢٤. **عالم الآخرة** ـ السيد محمد حسين الطباطبائي، إعداد: الشيخ قاسم الهاشمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٢٥. **العدل الإلهي** ـ الأستاذ مرتضى مطهري، ترجمه الى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م.

٢٢٦. **العدل على مذهب اهل البيت** ـ الشيخ علاء الحسون، مطبعة ليلى ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٢٢٧. **عقائد الامامية الاثني عشرية** ـ ابراهيم الموسوي الزنجاني النجفي، قم ـ ايران، الطبعة الخامسة: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٢٨. **العقائد الحقة** ـ دراسة علمية جامعة في اصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل ـ السيد علي الحسيني الصدر، مجمع الذخائر الإسلامية، مطبعة ستاره ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢٩. **العقائد العضدية ـ** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي (ت٧٥٦هـ)، ومعه شرح جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي (ت٩١٨هـ)، ومعه حاشية إسماعيل الكلينوي (ت١٢٠٥هـ) وبهامشه حاشية المرجاني وحاشية الخلخالي، (ت١٠١٤هـ)، دار سعادات، المطبعة العثمانية، (د. ط).

٢٣٠. **العقائد** ـ العلّامة الشيخ محمود رضا المظفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٢٣١. **عقود المرجان في تفسير القرآن** ـ السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ـ قم، الطبعة الأُولى: ١٣٨٨هـ.

٢٣٢. **العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام** ـ المحقق العلّامة جعفر السبحاني، نقله الى العربية: جعفر الهادي، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، (ب. ط)

٢٣٣. **العقيدة الإسلامية واسسها** ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة عشر: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٣٤. **العقيدة الإسلامية ومذاهبها** ـ د. قحطان عبد الرحمن الدوري، كتّاَب ناشرون ـ الاردن، الطبعة الثالثة: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٢٣٥. **العقيدة في الإسلام منهج حياة** ـ د. السيد رزق الطويل، المجس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف ـ مصر، ديسمبر ١٩٨١م.

٢٣٦. **علل الشرائع** ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ـ الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتدقيق: محمد صادق بحر العلوم الطباطبائي، منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، الطبعة الأولى: ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٣٧. **علم المقاصد الشرعية ـ** د. نور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الاولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.



٢٣٨. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** - أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين االعيني (ت٨٥٥هـ)، دار احياء التراث العربي - بيروت، (د. ط).

٢٣٩. **عون المريد لشرح جوهرة التوحيد** في عقيدة أهل السنة والجماعة - عبد الكريم تتان، ومحمد أديب الكيلاني، دار البشائر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤٠. **العين** - الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤١. **عيون أخبار الرضا** - الشيخ أبو جعفر الصدوق ـمحمد بن محمد بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة الأمير - قم، الطبعة الأولى: ١٣٧٨هـ.

٢٤٢. **غاية المرام في عقائد أهل الإسلام** - الحاج حمدي الأعظمي، مطبعة العارف - بغداد، الطبعة الثانية: ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

٢٤٣. **غاية المرام في علم الكلام** - علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: ١٣٩١هـ.

٢٤٤. **غريب الحديث** - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٤٥. **الغنية في أصول الدين** - أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م.

٢٤٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** - الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤٧. **فتح القدير** - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٢٤٨. **الفرائد في حل شرح العقائد** - وهو (حاشية ابن أبي شريف على شرح العقائد للتفتازاني): تحقيق: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د. ط).

٢٤٩. **الفرج بعد الشدة** - المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٥٠. **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة** - أبو القاسم البلخي (ت٣١٠هـ)، والقاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)، والحاكم الجشمي (ت٤٩٤هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية - تونس: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٤م.

٢٥١. **الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية**: دراسة معرفية تعنى بتحليل نظام الفلسفة والعرفان وفهمه للإشكاليات الدينية - يحيى محمد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان: ٢٠٠٨م.

٢٥٢. **في ظلال القرآن** - سيد قطب، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة ٣٢: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** - الشيخ عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٦م.

٢٥٤. **قاموس الشوارفية للمترادفات (عربي إندونيسي)** - د. كمال الدين مرجوني، مطبعة جيفوتات، جاكرتا: ٢٠٠٩م.

٢٥٥. **القاموس المحيط** - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٥٦. **القبر ـ عذابه ونعيمه** ـ حسين العوايشه، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة ـ الجيزة ـ والمكتبة الإسلامية، عمان ـ الأردن، الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٥٧. **قبس من غياث سلطان الورى** ـ علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني رحمه الله (ت٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدى عليه السلام، قم ـ إيران.

٢٥٨. **قصص الأنبياء** ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٥٩. **القلب السليم** ـ السيد عبد الحسين دستغيب، ترجمة: الشيخ حسين كوراني، دار البلاغة، الطبعة الثانية: ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.

٢٦٠. **قواعد الاحكام في مصالح الأنام** ـ المحدِّث عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ)، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦١. **قواعد العقائد** ـ نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني، مطبعة الأمير ـ قم ١٤١٦هـ.

٢٦٢. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد** ـ الشيخ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦٣. **القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى** ـ د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، الطبعة السابعة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٤. **الكافي** ـ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦٥. **الكافي في الفقه** ـ أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧هـ): تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الامام امير المؤمنين عليه السلام العامة، قم ـ إيران (د ط).

٢٦٦. **كبرى اليقينيات الكونية** ـ وجود الخالق ووظيفة المخلوق ـ د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، ودار الفكر، دمشق سوريا، تصوير عن الطبعة الثامنة ١٩٨٢م: في ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ـ العلامة أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ.

٢٦٨. **كشف الأستار عن زوائد البزار** ـ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٦٩. **كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء** ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الاعلام الإسلامي، مؤسسة بوستان كتاب، قم ـ إيران: ١٣٧٩هـ.

٢٧٠. **كشف المراد في شرح تجريد** ـ العلامة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، شرح: العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٧١. **الكليات** ـ ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٧٢. **الكنى والألقاب** ـ الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران (د. ط) ١٣٤٨هـ.

٢٧٣. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .** علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني ـ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧٤. **كنز الفوائد** ـ الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان:١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٧٥. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** ـ محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧٦. **كيف تناظر ملحداً** ـ إحصاء لإشكالات الملاحدة. وبيان لكيفية الإجابة عليها ـ د. نور الدين أبو لحية، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

٢٧٧. **لسان العرب** ـ الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ،

٢٧٨. **اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع** ـ الإمام أبي الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ)، تصحيح وتدقيق: حمودة غرابة ـ مطبعة مصر ١٩٥٥م.

٢٧٩. **اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية .** جمال الدين مقداد بن عبد الله الأسدي السيوري الحلي (ت٨٢٦هـ)، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، مطبعة شفق، تبريز ـ إيران: ١٣٩٧هـ.

٢٨٠. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** ـ شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ـ العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨هـ)، تعليقات: الشيخ عبد الرحمن أبا بُطَين، والشيخ سليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٨١. **ما بين الجنة والجحيم** ـ السيد حسين اسماعيل الصدر، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

٢٨٢. **المبدأ والمعاد** ـ صدر المتألهين الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، منتدى الحكمة والفلسفة ـ إيران (د. ط)

٢٨٣. **مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن** ـ الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، تقديم: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٨٤. **مجمع البحرين ومطلع النيرين** ـ فخرالدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوي ـ طهران، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ.

٢٨٥. **مجمع البيان في تفسير القرآن** ـ الامام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٨٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ـ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ـ مصر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٨٧. **مجمل اللغة** ـ احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن (ت٣٩٥هـ) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٨٨. **مجموع الأربعين أربعين من أحاديث سيد المُرسلين ﷺ .** الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ)، عناية وتخريج الأحاديث: الشيخ احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ٢٠١٠م.

٢٨٩. **المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء** ـ المحقق والعلامة محمد بن المرتضى محسن الملَقَب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.



٢٩٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ـ القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

٢٩١. **المحكم والمحيط الأعظم** ـ ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي ابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: الطبعة الأولى: ١٣٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٩٢. **مختار الصحاح** ـ الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٠هـ)، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان: ١٩٨٦م.

٢٩٣. **المختصر في أصول الدين على مذهب أهل التوحيد والعدل** ـ القاضي عبد الجبار، تحقيق: محمد عمارة، (د ط)

٢٩٤. **مدارس النفس اللوامة** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م

٢٩٥. **المدخل الى دراسة علم الكلام** ـ د. حسن محمود الشافعي، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ باكستان، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٩٦. **مذاهب الإسلاميين** ـ د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.

٢٩٧. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ـ علي بن سلطان، محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٩٨. **المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام** ـ محمد بن محمد بن أبي شريف (ت٩٠٦هـ)، مخطوطة بالرقم ٥١١٤ ف ٣/١١٤٨، تاريخ النسخ: القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات.

٢٩٩. **المستدرك على الصحيحين** ـ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م.

٣٠٠. **المستصفى** ـ الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٠١. **مسند أبي يعلي الموصلي** ـ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٠٢. **مسند الإمام أحمد** ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٠٣. **مشاهد القيامة في القرآن** ـ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٠٤. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ـ أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٩٧٨م.

٣٠٥. **المصنف في الأحاديث والآثار** ـ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٠٦. **المظاهر الإلهية** ـ صدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠)، تحقيق: الأستاذ جلال الدين الآشتياني، مؤسسة بوستان كتاب، قم، الطبعة الثالثة: ١٤٢٩هـ.

٣٠٧. **المعاد** ـ رؤية قرآنية ـ السيد كمال الحيدري ـ بقلم الشيخ خليل رزق، مؤسسة الامام الجواد للفكر والثقافة، بغداد ـ العراق، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٣٠٨. **معارج التفكر ودقائق التدبر** ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م



٣٠٩. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ـ حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.

٣١٠. **معارج اليقين في اصول الدين** ـ الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)،تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١١. **معالم أصول الدين** ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي ـ لبنان.

٣١٢. **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ـ تفسير البغوي ـ الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٣١٣. **معجم الأدباء** ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ). تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١٤. **معجم البلدان** ـ للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٣١٥. **معجم ألفاظ العقيدة** ـ أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: الشيخ عبد الله عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض ـ الطبعة الأُولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

٣١٦. **المعجم الفلسفي** ـ مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ـ مصر: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣١٧. **المعجم الكبير** ـ الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج الأحاديث: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٣١٨. **معجم اللغة العربية المعاصرة** ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى: ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٣١٩. **معجم المصطلحات الأدبية** ـ إعداد: إبراهيم فتحي، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقى ـ الجمهورية التونسية ـ ١٩٨٨م.

٣٢٠. **معجم المصطلحات الصوفية** ـ عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٣٢١. **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر** ـ عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م

٣٢٢. **المعجم المفصل في اللغة والأدب** ـ د. إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٩٨٧م.

٣٢٣. **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية** ـ الادارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية ـ مصر، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٢٤. **معجم طبقات المتكلمين** ـ اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، تقديم وإشراف: العلامة جعفر السبحاني، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم، الطبعة الأُولى: ١٤٢٤هـ.

٣٢٥. **معجم لغة الفقهاء** ـ محمد رواس قلعجي ـ حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٢٦. **معجم مقاييس اللغة** ـ أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر ـ مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٢٧. **معرفة الله** ـ دراسة بين المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية والفرق بينهما، العلّامة محمد باقر علم الهدى، تقرير: السيد علي الرضوي، دار الولاية للنشر، مؤسسة العتبة الرضوية المقدسة للطباعة والنشر ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

٣٢٨. **معرفة الله تعالى بالله لا بالأوهام الفلسفية والعرفانية** ـ الشيخ حسن الميلاني، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام، مشهد ـ إيران، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٤م.

٣٢٩. **معرفة المعاد** ـ السيد محمد حسين الحسيني (ت١٤١٦هـ)، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

٣٣٠. **معيار العلم في فن المنطق** ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، طباعة الباحث: محي الدين صبري الكردي، المطبعة العربية بمصر، الطبعة الثانية١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م.

٣٣١. **المغني في أبواب التوحيد والعدل** ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: د. محمود محمد قاسم (د. ط).

٣٣٢. **مفاهيم القرآن** ـ العلّامة جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

٣٣٣. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (د. ط).

٣٣٤. **مفردات ألفاظ القران الكريم ـ** الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣٣٥. **المفردات في غريب القرآن** ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٣٦. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ ـ ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو ـ أحمد محمد السيد ـ يوسف علي بديوي ـ محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٣٧. **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية** ـ د. محمد سعيد بن أحمد مسعود اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٣٨. **مقاصد الشريعة الإسلامية** ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، تقديم: حاتم بوسمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت: ٢٠١١م.

٣٣٩. **مقاصد الشريعة عند الامام العز بن عبد السلام ـ** د. عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الاولى:١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٤٠. **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** ـ د يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٤١. **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** ـ عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٤٢. **المقاصد العقدية في القصص القرآني** ـ د. الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية ـ بيروت: ٢٠١١م.

٣٤٣. **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين** ـ الإمام أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان: ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٤٤. **مقدمة ابن خلدون** ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق وتعليق وتخريج أحاديث: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٤٥. **المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى** ـ الشيخ محمد أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشب، مكتبة القرآن، القاهرة ـ مصر: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٤٦. **الملل والنحل** ـ ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تحقيق: الاستاذ احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٤٧. **من لا يحضره الفقيه** ـ الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تعليق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيرت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٦٨.

٣٤٨. **منابع القدرة في الدولة الإسلامية** ـ السيد محمد باقر الصدر، مركز نون للتأليف والترجمة، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الاولى: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٣٤٩. **منازل الآخرة** ـ حول الموت وعالم ما بعد الموت، المحدث الشيخ عباس القمي، ترجمة: د. عبد المهدي اليادكاري، دار الزهراء، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ.

٣٥٠. **منازل النفس المطمئنة** ـ د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، البعة الأولى: ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.

٣٥١. **مناهل العرفان في علوم القرآن** ـ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، تقديم وتحقيق: د. نواف الجراح، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٥٢. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ـ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.

٣٥٣. **المنهاج في شعب الإيمان** ـ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٥٤. **الموافقات في أصول الفقه** ـ الإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي(ت٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة ـ بيروت.

٣٥٥. **المواقف** ـ علي بن محمد الجرجاني بشرح علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١هـ)، عني بتصحيحه: محمد بدر الدين النمساني، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى: ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م.

٣٥٦. **المواقف** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٣٥٧. **موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي** ـ أحمد شوقي إبراهيم، مصر، شركة نهضة مصر: ٢٠٠٤م.

٣٥٨. **موسوعة الإعجاز** ـ أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: الشيخ عبد الله عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض ـ الطبعة الأُولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٥٩. **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية** ـ أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، والنبلاء للكتاب، مراكش ـ المغرب، الطبعة الأولى (د. ت).

٣٦٠. **الموسوعة الفلسفية** ـ وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، إشراف: م. روزنتال، وب. يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة: ١٩٨٧م.

٣٦١. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ـ إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ.

٣٦٢. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون** ـ محمد علي التهانوي، تقديم واشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

٣٦٣. **ميزان الحكمة** ـ محمد الريشهري (١٣٢٥هـ)، مطبعة إعتماد، مركز الطباعة والنشر في دار الحديث، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٣٦٤. **الميزان في تفسير القران** ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦٥. **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة** ـ أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (ت ١٣٤٨هـ)، تقديم: الشيخ محمد أبو زهرة، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠م

٣٦٦. **نظرية التغليب والتقريب وتطبيقها في العلوم الإسلامية** ـ د. أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦٧. **نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي** ـ أحمد الريسوني، تقديم: د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، الطبعة الرابعة: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٦٨. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ـ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ـ بيروت: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٦٩. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** ـ محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت١٣٤٥هـ)، المحقق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية ـ مصر، الطبعة الثانية: ١٣٢٨هـ.

٣٧٠. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ـ الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر. بيروت: ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٣٧١. **النكت والعيون** ـ تفسير الماوردي ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ)، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، (ب. ط).

٣٧٢. **نهاية الاقدام في علم الكلام** ـ الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تصحيح وتحرير: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى:١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣٧٣. **نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال** ـ العلّامة محمد ابن صديق الغمازي الحسني الادريسي، مكتبة القاهرة: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٧٤. **النهاية في الفتن والملاحم** ـ الامام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت ـ لبنان: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٧٥. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر احمد الراوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، (د. ط).

٣٧٦. **نهج البلاغة للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام** ـ شرح الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٣٧٧. **نور الافهام في علم الكلام** ـ العلامة السيد حسن الحسيني اللواساني (ت١٤٠٠هـ)، تحقيق: السيد ابراهيم اللواساني، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧٨. **نيل الأوطار** ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٧٩. **الهداية الأثيرية** ـ الشيخ صدر الدين الشيرازي، الطبعة الحجرية، في بيان إعادة النفس في الآخرة.

٣٨٠. **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري** ـ عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري الشافعي (ت١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية.

٣٨١. **هداية المريد لشرح جوهرة التوحيد** ـ للإمام العلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (ت١٠٤١هـ)، حققه وضبط حواشيه: مروان حسين عبد الصالحين البجاوي، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الاولى١٤٣٠:هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٣٨٢. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ـ إسماعيل بن محمد أمين بن البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ـ إستانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٣٨٣. **الوافي بالوفيات** ـ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٨٤. **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي** ـ د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق — سوريا، الطبعة الثانية: ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

٣٨٥. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم ـ دمشق، والدار الشامية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م.

٣٨٦. **الوحي المحمدي** ـ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨٧. **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٨٨. **اليوم الآخر في ظلال القرآن** ـ إعداد: أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة عشر: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ثانياً: الرسائل العلمية والبحوث

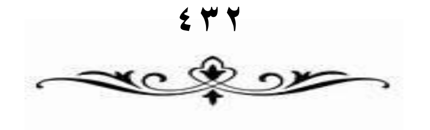
٣٨٩. **أحوال المحتضر** ـ محمد عبد العزيز أحمد العلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٦ العدد ١٢٤: ١٤٢٤هـ.

٣٩٠. **الاستقراء ودوره في معرفة مقاصد الشارع عند الامام الشاطبي**، بحث منشور، ماهر الحولي، مجلة جامعة الازهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد١.

٣٩١. **الاستقراء ومجالاته**، بحث منشور، إعداد طالب الدكتوراه: محمد أيمن الزهر، إشراف الدكتور: حمزة حمزة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٩، العدد الأول: ٢٠١٣م.

٣٩٢. **اشكالية الموت في الديانات السماوية والأرضية**، بحث يسرى وجيه السعيد، مجلة ذوات الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، عدد ٤٣.

٣٩٣. **الإعجاز العلمي في السنة النبوية**، د. زغلول النجار، شركة نهضة مصر، الطبعة السابعة: ٢٠٠٥م.



٣٩٤. **الإعجاز العلمي في عجب الذنب**، د. عثمان جيلان، بحث ألقاه في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عقد في دبي: ٢٠٠٤م.

٣٩٥. **مبحث النظر عند المتكلمين** ـ الدكتور محسن قحطان حمدان ـ بحث منشور ـ مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد، العدد ٣٠ لسنة ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٣٩٦. **مقاصد الشريعة الإسلامية**، (بحث) من موسوعة قضايا إسلامية معاصرة ـ د. محمد الزحيلي، دار مكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ـ دمشق، (د. ط)

٣٩٧. **مقاصد العقائد عند الامام العز بن عبد السلام**، بوطيب عبد القادر، اشراف: د. عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية، الخروبة، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير ٢٠١٣م.

٣٩٨. **مقاصد العقائد وسبل تحصيلها** ـ د. نور الدين أبو لحية، بحث منشور، مجلة المنهاج، صادرة عن المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣٦، السنة السادسة عشر، خريف ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

٣٩٩. **مقاصد القرآن الكريم في فكر النورسي** ـ دراسة تحليلية ـ د. زياد خليل محمد الدغامين، بحث منشور. حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد الحادي والعشرون ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ثالثاً: المقالات ومواقع الانترنت

٤٠٠. **الاعتقاد بخرافة عذاب القبر يخالف قول رب العالمين**، مقال على الموقع:

١٢٣٢١٤٥١٣.**html**blog.com/articlehttp://daikiri.over

٤٠١. **البعث الجسماني في القرآن والحقائق العلمية** ـ أ.د: كمال الدين نور الدين مرجوني، أستاذ مشارك ورئيس قسم العقيدة والأديان، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، على الرابط:

html.٦٨٧٠post/blog٠٩/٢٠١٣nurdin.blogspot.com/kamaluddinhttps://dr

٤٠٢. **عذاب القبر، حقيقة أم خرافة**، د. عدنان إبراهيم، مقال على الموقع:

QME٣hkqTx٩https://www.youtube.com/watch?v=Y

٤٠٣. قراءة في علم مقاصد الشريعة مقال للدكتور علاء الدين الزعتري، جامعة الناصر نُشِر بتاريخ ٤/ ١/ ٢٠١٤م: ١، على الموقع: .edu.com/ebook/_http://www.al

٤٠٤. **مصدر خرافة عذاب القبر**، سامح عسكر، الحوار المتمدن، ٢٣ فبراير ٢٠١٣، على الموقع:

٣٤٦٧٦٠**h**ttp://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=

٤٠٥. **منهج طالب العلم في دراسة العقيدة**، مقال في موقع صيد الفوائد، أ. سامح عبد الاله عبد الهادي:

https://saaid.net/mktarat/alalm/١١٢.htm

٤٠٦. **موقع الإسلام ويب:** https://library.islamweb.net

٤٠٧. **موقع الباحث أحمد صحي منصور:**

id=٦٥٠١article.php?mainalquran.com/arabic/showhttp://www.ahl

٤٠٨. **موقع الباحث علي منصور كيالي:**



p٤٢Pu٤S٠hB٥fBqUJqgc٨G١١HE٦bsTcPogwguB١https://m.me/DrAliKayali?fbclid=IwAR .sg٠jZ٧KDADJtmjZA

٤٠٩. **موقع الباحث محمد شحرور**:

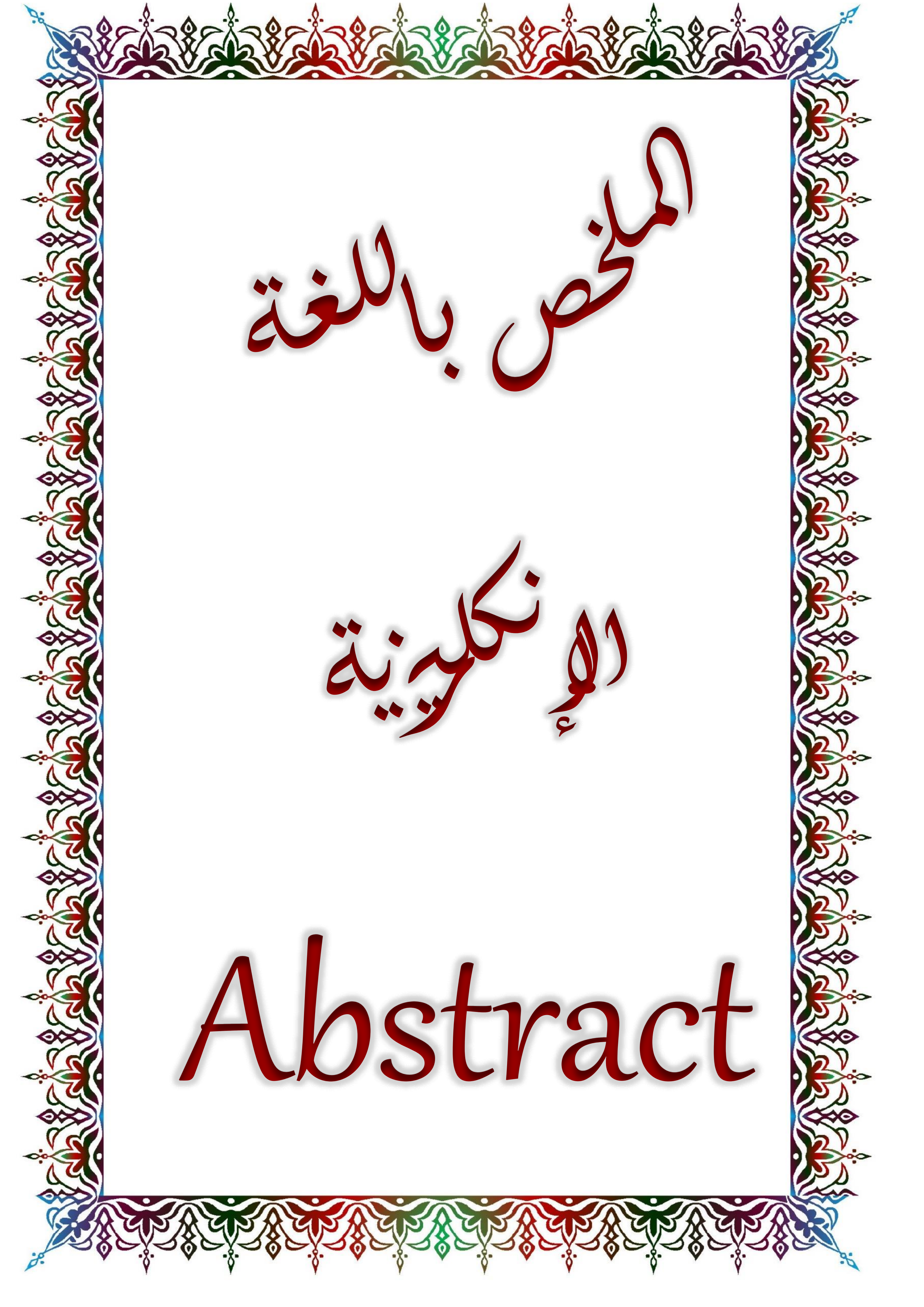
https://m.me/Dr.Mohammad.Shahrour?fbclid=IwAR٢x٠YuGRLG٦L٣SSlbQyW٨uK٢٧ANn EWT٤dw٤٨HepwpfPFz٩Dlk٤lP٦Vshow

٤١٠. **موقع أهل القرآن، على الرابط:**

٦١٠٣id=alquran.com/arabic/profile.php?main.http://www.ahl

٤١١. **هاجس البعث: الموت والقيامة في الحضارات الإنسانية**، أحلام رحال، مدونة الأجنحة والنور، بقلم: أحلام رحال، ٢٢/ ٢/ ٢٠١٤م، على الرابط: .https://ahlam ٢٠٠wordpress.com

٤١٢. /https://web.archive.org/web/٢٠٠٩٠٦٢٢٠٣٣٠٤١/http://www.islamonline.net ٨.**shtml** .Arabic/contemporary/politic/٢٠٠١/article١


الملخص باللغة
الإنكليزية
Abstract

ABSTRACT .... الملخص باللغة الإنكليزية

The purposes of beliefs in matters of the last day

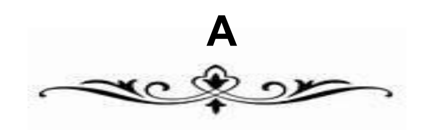
One of the most complex issues is the resurrection، angels and the unseen world، Therefore، we find scientists usually provide divine beliefs and prophecies، And when they reach the unseen matters، they mention that its evidence is that the prophecies are completely proven، Therefore، they call it (Auditory issues)، as it is inferred by transferring its original sources from the Qur'an and Sunnah، The study came titled (The purposes of beliefs in matters of the last day)، In order to clarify the purposes of the contractual issues associated with these matters.

According to the thesis topic، I have divided its content into four chapters، As for the first chapter، its title is: Contractual purposes، their ranks، types، and paths to prove them، It consists of three sections، the first of which is in the concept of contractual purposes، their origins and significance، And the second section: the ranks and types of nodal purposes، The third section in the methods of knowing contractual purposes and their controls.

The second chapter is entitled: Nodal Purposes of Belief in the Isthmus Life، and it consists of two sections، The first section in them are the general contractual intents associated with the isthmus life، and the second section in the contractual intents related to faith in death، the temptation of the grave and its pressure.

And the third chapter in the contractual intentions of the hostile and the position and its horrors، and it consists of three sections، The first part in the doctrinal purposes of returning souls and resurrecting the dead، And the second section: the Divine Court and its contractual purposes، And the third section: In the contractual purposes in the pelvis and intercession and it is in two branches in them.

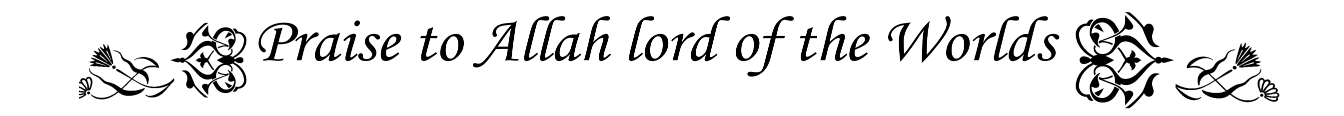
And the fourth chapter is entitled Contractual purposes in the bliss of Paradise and the torment of Hell and their rank، It consists of three



divisions، the first of which is in the contractual purposes related to the ranks of bliss and torment، And its branches in the contractual purposes related to the reward of the winners، the right–wingers and the northern owners ،And the second part in the sensory reward of bliss and torment، And its branches in the contractual purposes of paradise and the sensual torment of fire and its paradigms، The third section on moral reward، its contractual purposes، and its chapters on bliss and moral torment، and examples thereof.

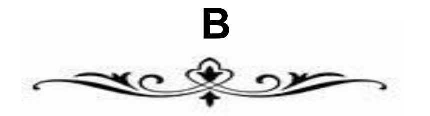
I followed each chapter with a summary of what it contains، The thesis concluded with the most important results that I reached during this stage، In explaining the most important purposes in each of the issues، With an indication that the greatest manifestations of nodal purposes، In a manner consistent with the judgment of God Almighty، His Divinity and Greatness of His Power، In addition to the purposes of reward and punishment that relate to justice، mercy and divine wisdom.

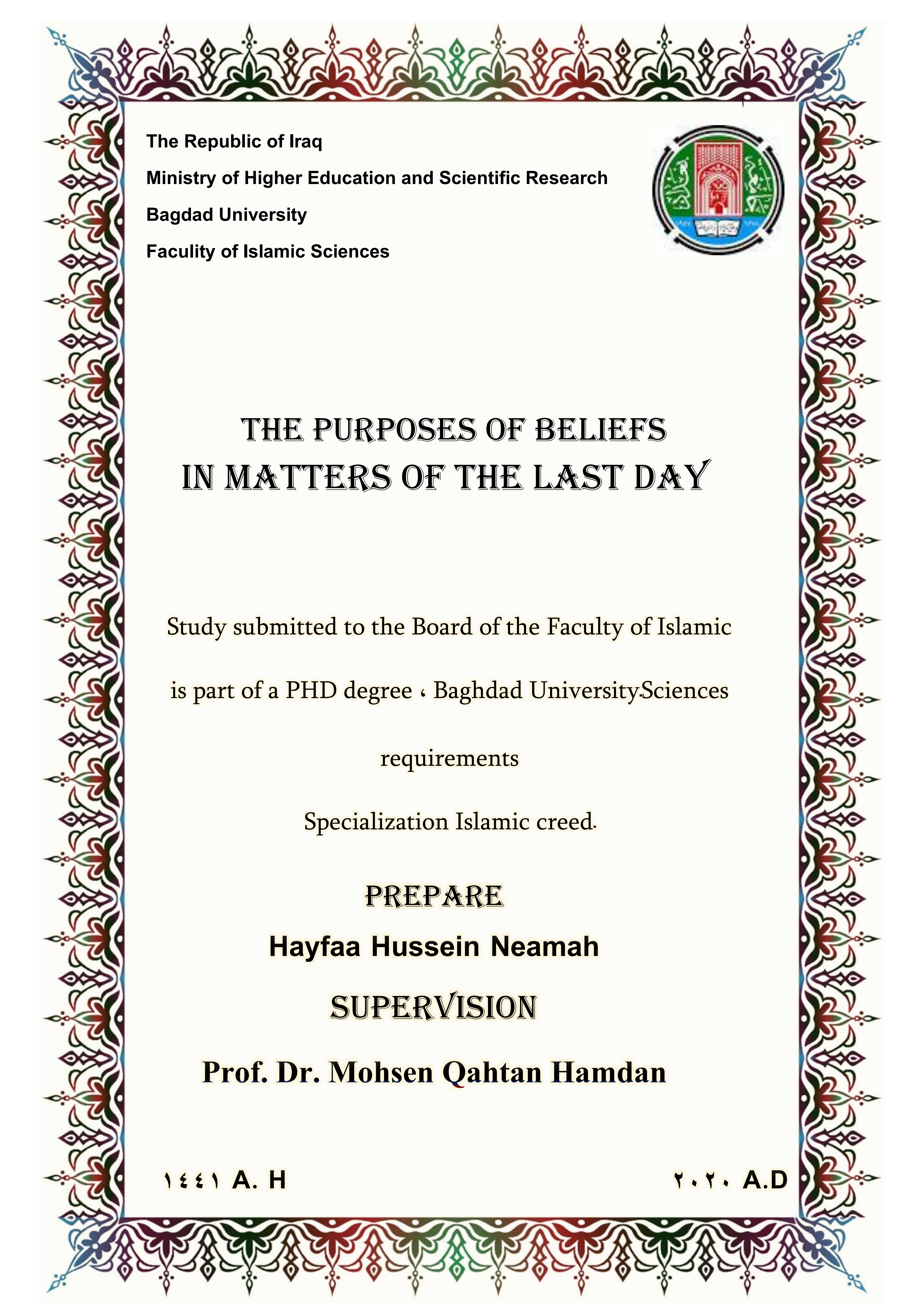
finally، Praise be to Allah، prayer and peace be upon the master of the prophets and messengers، the Prophet Muhammad peace be upon him and his family and his divine good peace and recognition of a lot.



The researcher

Hayfaa Hussein Neamah





The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Bagdad University

Faculty of Islamic Sciences

THE PURPOSES OF BELIEFS IN MATTERS OF THE LAST DAY

Study submitted to the Board of the Faculty of Islamic

is part of a PHD degree ، Baghdad University.Sciences

requirements

Specialization Islamic creed.

PREPARE

Hayfaa Hussein Neamah

SUPERVISION

Prof. Dr. Mohsen Qahtan Hamdan

١٤٤١ A. H ٢٠٢٠ A.D